المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى - مكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا
فرع العقيدة



الصوفية في بنغلاديش وأثرها على المجتمع

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في فرع العقيدة

إعداد الطالب :
حسن محمد معين الدين الحاج

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
محمود أحمد خفاجي

١٤١٦ - ١٤١٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : حسن محمد معين الدين .... كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : الدراسات العليا الشرعية ...
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراة .... في تخصص : العقيدة ....
عنوان الأطروحة : ((........ الصوفية في بنغلاديش وأثرها على المجتمع ....))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٥ / ٩ / ١٤١٧هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : د/محمود أحمد خفاجي	الاسم : د/علي نفيع العلياني	الاسم : د/سعيد عبد العزيز السيلي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد

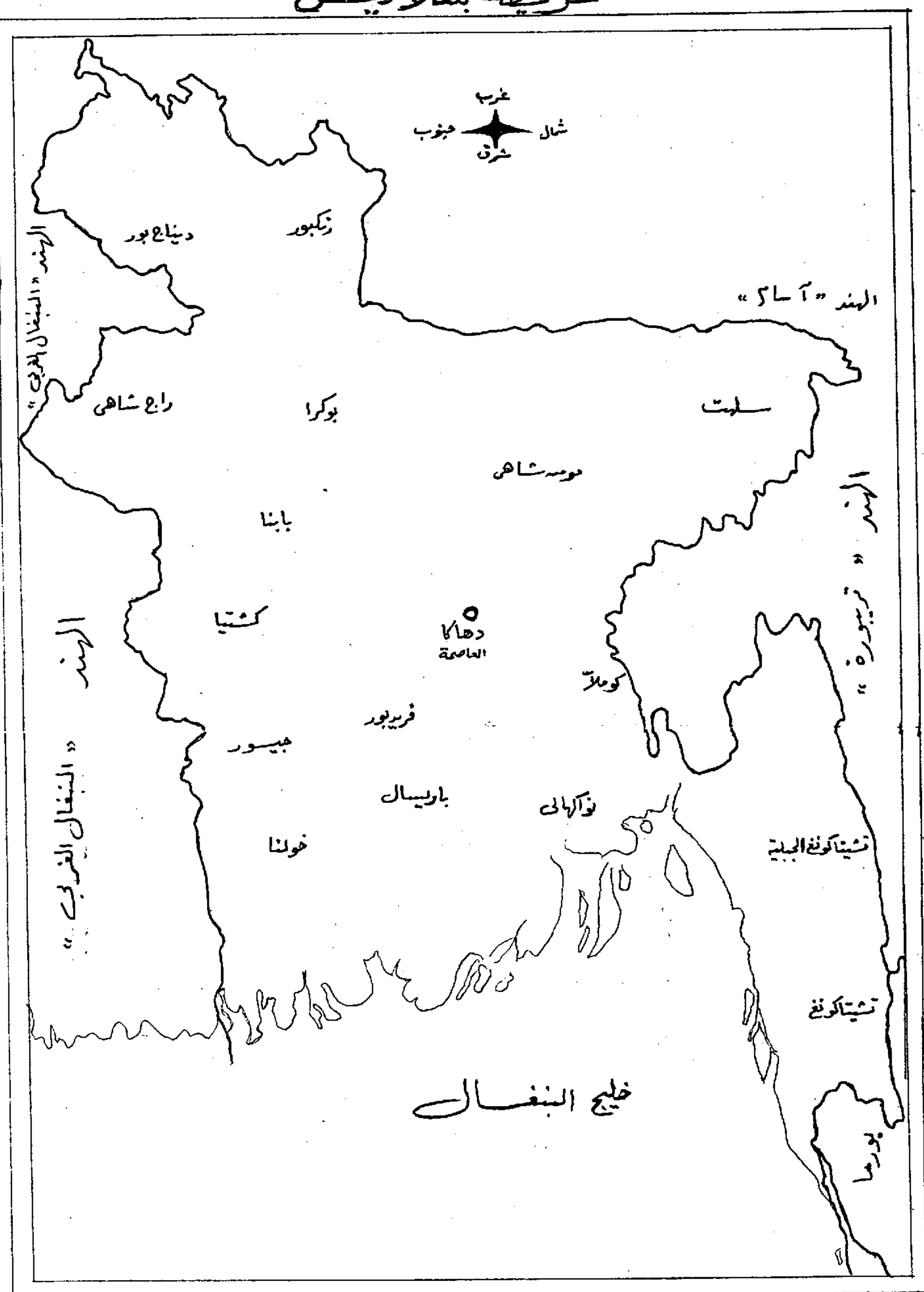
رئيس قسم العقيدة

الاسم : د/أحمد الزهراني

التوقيع : ١٤١٩/٢/١٥هـ

- يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

خريطة بنغلاديش



بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الرسالة

بعنوان «الصوفية في بنغلاديش وأثرها على المجتمع»

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ،،، أما بعد ..

فلما انقطعت رحلات العرب من الدعاة نحو منطقة البنغال ترك ميدان الدعوة والتعليم لاقوام آخرين لم يكن لديهم علم صحيح وفهم أصيل . فبدأت الأفكار الدخيلة والمعتقدات الفاسدة تزحف وتغزو نفوس المسلمين بتوافد جمهرة الصوفية إليها بعد أن كانت مهيأة لتقبل كل من يأتي إليها من غث وسمين ومن كل حدب وصوب . ومن هنا ظهر الإسلام في البنغال بصورة جديدة غير التى كان المسلمون يعرفونها كما علمهم الدعاة العرب .

فأصبح الدين القويم مشوهاً ومختلطاً بمزيج من الثقافات الدخيلة والغربية . كما أصبح المتصوفة فيها ذات سلطة مطلقة على حياة عامة المسلمين في شعائر العبادات والعقائد والسلوك في الفرد والمجتمع .

وإن الظروف التى احاطت بها مهدت الطريق أمامهم كي يعتنقوا تلك الأفكار المضللة .

إن لانتشار التصوف بمبادئه وأفكاره في منطقة البنغال وآفاقها كانت عوامل وأسباب ، منها البعد عن الإسلام وتعاليمه ، وجهل علماء الدين عن حقيقة الدين وعن تصورهم الخاطىء له ونشر الثقافة الفارسية وحضارتها بين الناس بمساعدة رجال المغول الذين حكموها عدة قرون . بالاضافة إلى دور التأثير والتأثر في هذا الصدد . وقضية الحقيقة والشريعة والظاهر والباطن وقضية الأحوال والمقامات وغير ذلك من القضايا أثرت في المجتمع الإسلامي في المنطقة واستحدثت من قبل المتصوفة وجعلوها من أسس الدين .

ومن خلال هذه الأفكار والخزعبلات أنهم أستطاعوا انحراف المسلمين عن دينهم وعقيدتهم ونشر البدع والخرافات وتوسيع الفساد في الأخلاق والسلوك ، والقيام بتحريف نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

فمن الواجب المواجهة لهذا التحدي الذي يستهدف الأمة الإسلامية بأخذ الوسائل الكفيلة من نشر الإسلام وتصحيح العقائد وفق المناهج السلفية وتحذيرهم من أضرار التصوف وخطورته في ضوء الكتاب والسنة .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً .

مقدمه الطالب
حسن محمد معين الدين الحاج

المشرف
د . محمود أحمد خفاجي

عميد كلية الدعوة وأصول الدين
د . محمد سعيد محمد حسن

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* * * *

﴿ المقدمة ﴾

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وحفظه من كيد الظالمين، وحماه من تحريف المُأولين ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١).

والصلاة والسلام على النبى المصطفى الأمين محمد بن عبدالله (ﷺ)، تَرَكَنا على المَحَجَّة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعـــد !

فإن الدين الإسلامى الذى اختاره الله وارتضاه لنا ديناً ، يرسم الطريق الصحيح الموصل إليه بصورة حددت حقيقة العبد وطبيعة العلاقة بينه وبين ربه، وهى علاقة تفصل فى وضوح تام بين الخالق والمخلوق وبين العابد والمعبود.

وكان لهذا الوضوح أكبر الفضل فى فاعلية عقيدة التوحيد وتأثيرها فى شتى جوانب الحياة الإسلامية.

بهذا المفهوم وعلى هذه الصورة من التوحيد الخالص انتهت المائة

---

(١) سورة الحجر : ٩ .

الأولى من ظهور الإسلام، حيث كان المسلمون حديث عهد بحياة النبى (ﷺ) وبما تمثله هذه الحياة المباركة من تجسيد للمثل الأعلى، وبما يرتبط بها أيضاً من البيان الرائع الدقيق لمبادئ الإسلام وتوجيهاته.

لكن الأمر اختلف فى القرنين الثانى والثالث للهجرة حيث الفتوحات الإسلامية الكثيرة، وكثر المال فى أيدى الناس وعاشوا حياة الترف، مما جعل البعض من المسلمين ، كرد فعل لهذه الظروف يتجهون إلى الزهد والتقشف وحب العزلة والانقطاع للعبادة ، والبعد عن هذه الحياة المُطغية، محاولين التمسك بالكتاب والسنة.

إلا أن هذا الاتجاه الجديد فى منتصف المائة الثانية وبداية المائة الثالثة للهجرة ما لبث أن امتزج بالثقافات الوافدة والفلسفات المتنوعة بسبب الحركات النشطة للترجمة، عند ذلك برزت نظريات دينية ابتعدت عن روح الإسلام الصحيح وعقائده الصافية ، وتبلورمن ذلك تيارات فكرية أجنبية، كان أبرزها التصوف.

ولو أن هذا اقتصر على أفراد لهان الأمر ، إلا أنه أصبح ظاهرة لها أثرها العميق فى مجرى الحياة الإسلامية كلها، فإن تأثيرها فى هذا المجتمع لايمكن تجاهله أو الاستهانة به، لتعلقه بمختلف قنوات حياة المجتمع المسلم الروحية والاجتماعية والسياسية، وكان لهذه الظاهرة أسوأ الأثر على مسيرة العقيدة الإسلامية والدعوة إلى اللّه منذ ظهور هذه الطائفة وحتى يومنا الحاضر.

وفى القرون المتأخرة، قدّم آلاف من العلماء المسلمين فى الهند خدماتهم فى نشر التصوف وعلومه عبر المؤلفات ، منهم الشيخ/ أشرف على تهانوى الذى يعد من كبار الصوفية المتأخرين فى شبه القارة الهندية، وأتى بعده عدد منهم مثل:ميكش أكبر آبادى، عبد البارى الفلسفى، وعبد الماجد دريابادى وغيرهم من تلاميذهؤلاء الذين نشروا التصوف ومصطلحاته فى جميع أقطار شبه القاره، فأصبحت الصوفية اليوم فى المجتمع البنغالى جزءاً غير منفك عن الإسلام، وإن قلنا إن دين الإسلام لدى المسلمين فى البنغال هو التصوف ، فلسنا مبالغين.

وهؤلاء الأفاضل مع تقديرنا لهم وحسن الظن بهم لانستطيع أن نسكت عن التجاوزات التى حصلت بسببهم عندما نشروا التصوف وعلومه فى المجتمع الإسلامى ، إذ أنه أبعد الناس عن جادة الحق ،مع كل التقديرلهم وحسن الظن بهم فإن ذلك لا يمنعنا عن نقد مواقفهم فى ضوء الكتاب والسنة وما أثر عن الصحابة والسلف الصالحين، الذين ساروا على طريق الحق والصواب ، وكانوا معياراً للتفريق بين الصحيح والسقيم ، بين الحق و الباطل وبين الهداية والضلال، وفى هذا الصدد لا يجوز لمسلم المجاملة والمداهنة فالحق أحق أن يتبع.

ولما انقطعت رحلات العرب المسلمين نحو المنطقة البنغالية، وترك ميدان الدعوة والتعليم لأقوام آخرين لم يكن لديهم علم وفهم أصيل، فبدأت الأفكار الدخيلة و المعتقدات الفاسدة تزحف وتغزو نفوس المسلمين بتوافد

جمهرة الصوفية إليها، و أرض البنغال كانت مهيأة لتقبل كل من يأتى إليها من غث وسمين ومن كل حدب وصوب.

وفى هذه الفرصة السانحة اغتنم المتصوفة زحفهم نحو المنطقة من بلاد نشأ وترعرع فيها التصوف ، ومن خلال وجودهم فيها وسلوكياتهم الخادعة احتلوا عند الشعوب المسلمة مكانتهم ونجحوا فى تسليط أفكارهم الهدامة على الأمة ومن هنا ظهر الإسلام فى البنغال بصورة جديدة غير التى كان المسلمون يعرفونها كما علمهم الدعاة العرب الأوائل وأصبح الدين القويم مشوهاً مختلطاً بمزيج من الثقافات الدخيلة والغريبة.

وإذا قلنا عن بلاد بنغلاديش أنها دولة مسلمة يقترن الإسلام فيها بالمظاهر الصوفيه فهذا ليس فيه مبالغة و المعالم والآثار التاريخية التى تركها المتصوفة فى المنطقة خير شاهد على تلك المظاهر فمئات المزارات والأضرحة والزوايا والخانقاهات المبعثرة فى المدن والقرى فى جميع أنحاء البلاد تدل على أن هؤلاء قد أسرفوا فى بذل الجهود فى سبيل نشر أفكارهم الصوفية وما يترتب عليها من الشركيات والبدع والخرافات الجاهليه، كعبادة القبور وطلب الشفاعة والاستغاثة بأصحابها وتعظم الأولياء والصالحين وجعلهم فى مرتبة الإله أوقداسة الأنبياء - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - وأصبحت الصوفية في البنغال ذات سلطة مطلقة على حياة الناس فى شعائر العبادات والعقائد والسلوك فى الفرد والمجتمع.

فيستحيل لإنسان يؤمن بالله ورسوله يعيش فى مجتمع دون أن يتأثر بها، إلا من رحم الله، وأصبح نقد هذه الأفكار الباطلة بالبراهين القاطعة المنبعثة من النصوص الصحيحة ودعوة الناس إلى عقيدة صحيحة، أصبح صعباً شديداً، لذا تجد كثيراً من الدعاة والعلماء لا يتكلمون هذه القضية ولايتعرضون لها عند مخاطبتهم للناس سواء فى خطب الجمعة أو فى مجالس الوعظ والإرشاد، إما خشية من مطاردة الناس وإما خوفاً من عزلهم عن مناصبهم وإما تفادياً من إيقاع الإنشقاق والصراعات فى صفوف المسلمين، ولكن القضية القائمة تتحدى الإسلام وعقيدته، فهل يجوز للمسلمين أن يتركوا زمام الأمور ويلتزموا الصمت ويغمضوا العيون دون أن يتحركوا لتصحيح المسار؟ و هل يصح أن لا يقوموا بالعمل الجاد لإنقاذ هذه الأمة من براثن التصوف والشرك والبدعة والخرافة ؟ هل يجوز للعلماء والمشائخ الذين هم ورثة الأنبياء أن يتقاعسوا عن أداء دورهم وهم الذين على عواتقهم مسئولية كبرى عظيمة لنشر الدعوة والعقيدة والتعاليم الإسلامية الخالدة بين الناس وهل لهم أن يقولواكما قال بعض المؤمنين من بنى أسرائيل : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهلِكُهُمْ أو مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَديداً﴾ (١) تلك تساؤلات كانت تخالجنى منذ فترات طويلة عندما أشاهد أوضاع البلاد وأرى الملايين من المسلمين الحائرين يحجون القبور ويتجمعون فى الزوايا والخانقاهات وهم يبحثون

فيها عن تسكين القلوب والراحة والاطمئنان ويسعون الخلاص من متاهات الحياة من الأمراض والمصائب والبلايا،كما أجدهم يركعون ويسجدون للقبور ويتضرعون إليها ويبكون ويغشى عليهم عندها فصاروا كالمرضى الذين لا يرجى شفائهم نظراً للبعد الشديد عن الدين وتعاليمه الصحيحة، فمسلمو بنغلاديش فى حاجة شديدة بل فى أمس الحاجة إلى الوعى الإسلامى وتصحيح عقائدهم وتطهيرها من هذه الخزعبلات والبدع والخرافات.

وهذا ممادفعنى أن أكتب فى هذا الموضوع في رسالتى التى أقدمها اليوم بعنوان: [[الصوفية فى بنغلاديش وأثرها على المجتمع]]
بفرع العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى لنيل درجة [الدكتوراه].

فأردت نيل هذا الشرف، والعبء كبير والموضوع شائك وصعوباته متعددة، فالمصادر متناثرة فى طيات لغات عديدة، والوصول إلى الهدف المنشود يحتاج إلى الكثيرمن المشقة والتعب،وإنى على يقين تام بأن هذا الموضوع يستحق ما بذل فيه من جهد ومشقة، فهو يستحق من الدراسة لدرأ الأخطار المحدقة ببلد أسهم فى النهضة الإسلامية فى تصحيح العقائد وفق العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومنذ بضع سنين وأنا أبذل قصارى جهدى وأقضى ساعات الليل والنهار باحثاً عن المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع وأجمع المعلومات المتناثرة من هنا وهناك، فقد

وجدت أثناء البحث صعوبات كثيرة: منها صعوبة الحصول على المراجع والمصادر عن التصوف وعن رجاله وانشطتهم باللغة البنغالية ، وحرصاً على جمع المعلومات الدقيقة والصحيحة حول هذا الموضوع تجولت أكثر من مرة ربوع بنغلاديش وخاصة فى المناطق التى تكثر فيها آثار الصوفية وتجمعاتها وقابلت علماء التصوف وتناقشت معهم كثيراً ربما أدت بنا المناقشة إلى الجدال العنيف والمناوشات الكلامية، فقد كنت أريد الوصول إلى الحقائق، وهذا ما لا يريده هؤلاء ، ثم مكثت فيها شهوراً عديدة وسجلت بقدر المستطاع كل ماشاهدته من أنشطتهم وتحركاتهم وكيدهم وإضلالهم.

وهناك مئات البحوث والكتب العلمية قد ألفت حول موضوع التصوف ونقده ودراسته،ولم تتحدث أى منها عن الصوفية فىمناطق جنوب شرق آسيا، وخاصة عن صوفية بنغلاديش، وذلك لوقوعها بعيدة عن كتلة العالم العربى والإسلامى، وعليه فإنى فىهذا الجهدالمتواضع أحاول أن أضيف بحثاً جديداًعن بنغلاديش وأنشطة التصوف فيها، كما القى مزيداً من الأضواءعلى هذا الموضوع، وذلك بالكتشف عن حقائق جديدةعن تاريخ التصوف ووصول المتصوفين إلى هذه البلاد وعن وسائل وأسباب أنتشار التصوف وتأثيره على المجتمع البنغالى المسلم، وماترتب علىذلك من النتائج الخطيرة التى ظهرت فىالقرون الأخيرة، والتى مازال المسلمون هناك يعانون منها.

منهج الرسالة:

****

إن دائرة المنهج الذي رسمته لنفسي في إعداد هذه الرسالة على أسس خمسة:

١ : إن هذه الدراسة، دراسة عقدية تهتم بعرض ما يخالف العقيدة والرد عليه، والأساس في ذلك النص من الكتاب و السنة و أقوال السلف الصالح رضوان الله عليهم، وعلماء مذهب أهل السنة والجماعة.

٢ : المراجع الأصلية الخاصة بتاريخ المسلمين في المنطقة والوثائق والصور والخرائط.

٣ : المراجع العامة، مثل كتب التاريخ والسير والجغرافيا.

٤ : الحقائق العامة المسلم بها لدى العلماء والباحثين وبعض الوثائق التي أضيفها وفقاً لمشاهدتي ومعلوماتي الخاصة التي جمعتها بالاتصال والاطلاع وبالجولات في ربوع المنطقة.

٥ : المراجع الثانوية التي لها صلة بالموضوع والتي تساعد على الوصول إلى بعض المراجع الأصلية والأساسية.

ولا أضع في هذه الرسالة مسألة أو فكرة إلا بعد قراءة هذه المراجع، رغبة في إكتشاف الحقائق العلمية والتنبيه على المخاطر الناجمة منها.

خطة الرسالة:

****

وخطة الرسالة تشمل على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة فقد ضمنتها أهمية هذا الموضوع والدوافع على إختياره، وخطة الدراسة.

أما الباب الأول : [الإسلام فى بنغلاديش] ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول:[التعريف ببنغلاديش] ذكرت فيه نبذة عن البلاد وموقعها الجغرافى وعددسكانها وأوضاعها الإجتماعيةوالاقتصادية.

الفصل الثانى: [بنغلاديش قبل الإسلام] ذكرت فيه حالات البلاد قبل دخول الإسلام فيها، والحالات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما عرضت الحالة الدينية من الأرية والبرهمية والجينية والبوذية وذلك باختصار دون إطناب ولا إطالة.

الفصل الثالث:[كيفية دخول الإسلام فى المنطقة] تحدثت عن غزو الهند ومتابعة الحملات العسكرية هناك ثم قدوم العلماء والمشائخ من الجزيرة العربية والمناطق الفارسية، ثم دور بعض السلاطين المسلمين فى نشر الإسلام.

الباب الثانى : [الصوفية نشأتها وتطورها].

ويشتمل على ستة فصول:

الفصل الأول : فى بيان حقيقة التصوف ونشأته، ذكرت فيه معنى كلمة التصوف لغة وإصطلاحاً، وأقوال العلماء فيه المشهورة، ثم القول الراجح عند علماء السلف.

الفصل الثانى : [مفهوم التصوف] ذكرت فيه أقوال العلماءالمتصوفين المتباينة فى التصوف ومصطلحاته واخترت الرأى الراجح فيه.

الفصل الثالث : [نشأة التصوف قبل الإسلام] وذكرت فيه كيف تسربت هذه الفكرة فى المجتمع الإسلامى بعد أن كان نظيفاً طاهراً ونقياً من الدس والخداع، كما ذكرت بعض الشخصيات الذين قاموا بدورفعال فى نشأة الأفكار الصوفية وترويجها فى المجتمع الإسلامى.

الفصل الرابع : [مراتب الصوفية وطبقاتهم] و كون المتصوفة خلال تطورعقيدتهم نظاماً هرمياً مقدساً يبدأ من القطب الذى يقابل الإمام الشيعى والاسماعيلى ويتفرع إلى الأبدال والأتاود والعمداء والنقباء والنجباء وتحدثت عن تصرفاتهم فى هذا الكون على حد تعبير المتصوفة ثم قمت بتفنيد هذه المزاعم.

الفصل الخامس : [الحقيقة والشريعة] ذكرت فيه أن

التصوف عبارة عن عمل القلب وتزكية النفس والرياضيات والمجاهدات وما استحدثوه من أشياء غريبة وأمور عجيبة لاأساس لها فى الإسلام ولكنهم جعلوها جزءاً من الدين كقولهم فى الحقيقة والشريعة وهذه القضية وأمثالها جعلت الأمة الإسلامية مشتتة ومتفرقة تتناحر مع بعضها البعض.

الفصل السادس: [أهم المصطلحات الصوفية] وهى الأحوال والمقامات

وذكرت انهم مضطربون فى تحديد بيان الحال والمقام كما كان حالهم فى تعريف التصوف بل إنهم حيارى فى هذا الموضوع وعلماء التصوف يجعلون الأحوال والمقامات موضع الإهتمام بحيث يعتبرونها من أسس الدين تتوقف عليها جميع الأعمال،كما ذكرت فيه أقسام الأحوال والمقامات ثم نقدت ذلك نقداً وافياً.

الباب الثالث :[الصوفيه فى بنغلاديش].

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول : [عوامل انتشار التصوف].

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول : الدعوة الإسلامية بين التطور والخمول.

والبكتاشية وفى الأخير التعليق على هذه الطرق وبطلان هذه المزاعم.

الباب الرابع : [دراسة تحليلية لآثار التصوف على المجتمع] ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول :أثر التصوف على الأخلاق الفردية والاجتماعية، ذكرت فيه تأثر المسلمين البنغاليين من المتصوفة الوافدين إلى البنغال فى حياتهم الإجتماعية والأخلاقية، باعتبار أن هؤلاء لهم عند الله مكانة لايصل إليها أىعبد من العباد وأنهم باستطاعتهم أن يخلصوا المواطنين من القلق والاضطرابات الذى كانوا يتعرضون له كماذكرت أن تلك المؤثرات أحدثت ثورة فى المجتمع الإسلامى بالمنطقة، منها تحويل الأضرحة إلى معابد، السماع والغناء خرق العادات، تشويه صورة الإسلام، البطالة عن العمل.

الفصل الثانى: [أثر التصوف فى البدع والخرافات] تكلمت فيه عن معنى البدع ومضارها فى المجتمع وكيفية الاجتناب من الوقوع فيها ثم تحدثت عن البدع والخرافات الشائعة فى منطقة البنغال ومدى إنحراف المسلمين عن الإسلام بسبب تلك البدع.

الفصل الثالث:[أثر التصوف فى تعطيل الجهاد] ذكرت فيه مفهوم الجهاد لدى الجماعات المتصوفة وتحريف النصوص التى وردت فى الكتاب والسنة حول مشروعية الجهاد،ومدى أثر تعطيل

الجهاد على المجتمع،

الفصل الرابع: [الوسائل الكفيلة لمواجهة التحديات التى نتجت عن التصوف] وبيان عن الحركات الإسلامية العاملة فى المنطقة وضرورة دعم أنشطتها.

ثم ختمت الرسالة بتيسير من الله تعالى بخاتمة تلم أطراف الموضوع وتبين ما توصلت إليه من النتائج.

وأختم بما بدأت به من أن الحق والصواب هو مطلبى فإن وفقت إليه فى مباحث هذه الرسالة فلله الشكر والثناء على توفيقه وإن أخطأت أو قصرت فمن نفسي.

وأرجو أن أكون صادق النية فى طلب الحق والصواب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

****

****

الباب الأول

الإسلام في بنغلاديش

ويشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول : التعريف ببنغلاديش

الفصل الثاني : بنغلاديش قبل الإسلام

الفصل الثالث : دخول الإسلام إلى بنغلاديش





الفصل الأول

التعريف ببنغلاديش

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف ببنغلاديش

المبحث الثاني : البنغال القديمة

المبحث الثالث : بنغلاديش اليوم

المبحث الأول : التعريف ببنغلاديش

متى دخل الإسلام فى بنغلاديش و كيف وصل إليها ؟

تساؤلات ينبغي البحث عنها لدى المؤرخين ، فإن تاريخ الهند وبالذات تاريخ بنغلاديش أمر يصعب على المؤرخين استيعابه ، لكونه قديما وغامضاومجهولا حتى أنهم لم يستطيعوا إلى الآن أن يحددوا من أين جاء سكان الهند الأصليون (١) .

هل جاءوا من خارجها ؟ ومن أين جاءوا ؟ إلا أنه فى عهد متأخر وجد بعض الآثار القديمة فى أنحاء متفرقة من القارة الهندية ، يستدل بها علماء الآثار على تحديد أصل سكان الهند ، فيقولون : إن بداية تاريخها ترجع إلى الآريين والدراويين (٢) .

وأيا كان الأمر فى ذلك وبغض النظر عن صحة ما يقوله المؤرخون وعلماء الآثار ، فإن تاريخ الهند له أهمية بالغة لعلاقته بالأديان والحضارات القديمة التى كانت كثيرة الإنتشار آنذاك وكانت لهذه الديانات والحضارات الهندية القديمة ، الأثر البالغ والملموس فى الفلسفات القديمة والحديثة ، فقد تأثرت بها الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة (٣) وكذلك الفلسفة اليهودية والمسيحية وأيضا الفلسفة الإسلامية تأثرت ،ووصلت هذه الفلسفة إلى المتكلمين وأثرت فى مناقشاتهم ومجادلاتهم .

---

(١) محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع الإسلامى فى البنغال.
(مسلم بنغلارشا ماجك ايتى هاش) ص٢٠ ط١ ، ١٩٦٣م/ داكا .

(٢) للتفصيل انظر : كتاب الدكتور / إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص١١،مؤسسة الرسالة / بيروت ، ط٢، ١٣٩٨هـ .

(٣) هى مزيج من آراء أفلاطون اليونانى وأفلوطين الاسكندرانى الذى ترك فلسفة الفارابى وابن سينا فى القول بالعقول العشرة .

ويقول أحمد أمين:" فإن أوائل المتكلمين قد دخلوا فيحوارعميق مع أقوام من الملل الأخرى من يهودية ونصرانية ووثنية، وكانت قد تفلسفت عقولهم وهؤلاء لم يكفهم فى الاقناع أن تذكر لهم آية من القرآن أوالحديث،بل يريدون الرجوع إلى قضايا تستند على قدرمشترك من العقل٠٠الخ"(١)٠

ويستطرد أحمد أمين قائلا : " ومن الخطأ البين والفكرة الشائعة أن العرب والمسلمين جميعا كانوا بمعزل عما حولهم من الثقافات والأديان إلى العصر العباسى ، وأن آدابهم وعلومهم ، نبتت وحدها من عقول عربية من غيرأن تغذى بغيرها ، فقد رأينا أنهم حتى فى جاهليتهم لم يكونوا بمعزل وأنهم كانوا بعد الإسلام أكثر اتصالآ ٠٠٠الخ " (٢) ٠

ومن هنا حاول المغرضون أن ينفثوا سمومهم فى المجتمع المسلم ، فادعوا الإسلام وعملوا أسماء مصقولة براقة ، وقد وقع بعض الفلاسفة الإسلاميين ضحية لبعض التأثيرات الخارجية ٠

ونرى أن نقتصر فى تاريخ الهند على ما يرتبط بموضوعنا ، نظرا لأنه من الصعب – إن لم يكن من المستحيل – استيعابه كله ، لذا سوف أدخل مباشرة إلى تلك المنطقة التى تهمنا فى البحث ، ألا وهى البنغال ، باعتبارها منطقة مهمة من الهند تاريخا وسياسة ٠

التعريف بالبنغال :

كانت البنغال جزءا واحدا فى البداية ، ويشمل الجزء الشرقى الذى يسمى الآن ببنغلاديش ، والجزء الغربى الذى صاربعد ذلك اقليما لبلاد الهند ، هبت عليها عبر الزمن ،عواصف وحوادث ونكبات ،مما أدى إلى تقسيمها عدة مرات ، وكانت بنغلاديش إحدى نتائج هذا التقسيم المتتابع

---

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام : جـ٣ص١٧ ، ط١٠ ، ١٩٦٩م ، دار الكتاب العربى ، بيروت / لبنان ٠

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام ص١٣٤ ، ط١٠ ، دارالكتاب العربى /بيروت٠ أيضا انظر : أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ١ص٢٣٦-٢٥٢ ٠

حيث كانت إحدى جناحى باكستان المتحدة ، المسماة بباكستان الشرقية ، وكانت تعرف بالبنغال الشرقى ، قبل قيام دولة باكستان عام ١٩٤٧م ٠

أما تسمية البنغال ، فمن الصعب تحديد مصدرها بالضبط ، إلا أن المعروف لدى المؤرخين والكتاب أن هذا الإسم اطلق على هذه البلاد منذ قدوم المسلمين إلى المنطقة ، ففى عهد أمبراطور " اكبر " (١) كانت تشتهر باسم " صوبه بنغاله " (٢) ثم تغير إسمها عندما جاء الاحتلال البريطانى للمنطقة ، فسموها " بنغال " موافقة للنطق الانجليزى ٠

وجاء فى دائرة المعارف الإسلامية : " أن لكلمة البنغال مدلولات كثيرة فى الاصطلاح الانجليزى الإدارى ، فقد أطلقت أول الأمرعلى الأراضى التى تكونت منها وكالة البنغال الأصلية بمقتضى التنازل المسمى " ديوانى " الذى عقد عام ١٧٩٥م " (٣) وأيا كان الإطلاق ومدى صحته ، إلا أنه من المؤكد أن إسم " البنغال " كان معروفا منذ عهد قديم ٠

ويقول أبو الفضل (٤) فى كتابه : " آئين أكبرى : " إن الإسم الأصلى للبنغال كان " بنغو " وكان ملوكه الأولون يقيمون آكاما (٥) ، ارتفاع كل أكمة عشر ياردات وعرضها عشر ياردات (yard) فى جميع أنحاء الولاية ، المسماة بـ (آل) فصار بنغال " (٦) ٠

---

(١) إسمه : جلال الدين محمد اكبر بن همايون ، أحد ملوك المغول فى الهند ٠

(٢) " صوبه " كلمة فارسية تطلق على الاقليم أو المنطقة ٠

(٣) دائرة المعارف الإسلامية : نقلها إلى العربية مجموعة من العلماء : جـ ٤ ص ٢٢٥ ، منشورات " جهان " / طهران ٠

(٤) هو الوزير الأول لمحمد اكبر المغولى ، الذى دون تاريخه ، عاش فى النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى، وله عدة مؤلفات ،منها:" آئين اكبرى "(قوانين اكبر) وأشهرها "اكبرنامه" انظر:دائرة المعارف للبستانى جـ٢ص٣٠٦،ط :دارالمعرفة / لبنان٠

(٥) " الأكمة " أى التل ، ج اكم واكمات ، وج ٠ ج آكام ٠ معجم الرائد : جبران مسعود ، دار العلم للملايين /لبنان ٠

(٦) دائرة المعارف الإسلامية : جـ٤ص٢٢٥ ، منشورات " جهان " / طهران ٠

وهناك أسطورة ذكرها بعض الكتاب بشأن تسميتها ، وإن لم أجد مصدرا يعتمد على صحتها ، إلا أنى أعرضها لأبين أن ما يدور فى أذهان الناس وما يتردد على ألسنتهم ، وما يكتبه بعض الكتاب ، ما هو إلا محاولة لإيجاد سند لما يعتقدون ، تأكيدا لما سبق فى التسمية ، وهى أن سيدنا نوح عليه السلام عقب نجاته من الطوفان ومن معه من المؤمنين ، بعث ولده "حام " إلى جنوب الكرة الأرضية ، وكان لإبنه " حام " خمسة أولاد ذكور ، فأراد أن يرسل كلا منهم إلى جهة ليتناسلوا ، ويكثر نسله فى الآفاق ، ومن بينهم إبنه الأكبر" هند " بعثه أبوه" حام " إلى الهند ، وكان له أربعة أولاد ، والثانى منهم إسمه " بنغا " عاش فى الجنوب الشرقى من الهند ، ومن هنا صارت المنطقة معروفة باسمه (١) ٠

ويقال أيضا فى تسميته : إن الناس فى العصور القديمة كانوا يعيشون فى سفوح الجبال ، حيث يبنون المنازل العالية ليحموها من السيول و تسمى " بنغاله " (٢) ٠

سواء صح هذا أو ذاك فإن هذه الآراء لم ترق إلى درجة اليقين ولا ترقى لدرجة الاستدلال ، وأرى أنها غير صحيحة ٠

المبحث الثانى : البنغال القديمة :

لم تكن تطلق البنغال على منطقة واحدة بل كانت عبارة عن مناطق متعددة يجمعها الجوار واللغة ، ومع ذلك تكاد الخلافات والنزاعات المستمرة تأكلها ، ففى القرن السادس الميلادى حاول أحد حكام الهندوس أن يجمع هذه

---

(١) غلام محمد سليم : رياض السلاطين ، ص ٢٠ ، كلكتا " البنغالية " ٠

(٢) نور الأعظمى : مذكرات نور محمد الأعظمى ، " نور محمد أعظمى رجنابولى " ص ٣٤ المؤسسة الإسلامية ، داكا ١٩٨٤ م ٠

الأجزاء المتناثرة ويوحد بينها ولكنه فشل فى إنجاز مهمته ، فلما فتحها المسلمون (١) وتمت سيطرتهم الكاملة عليها ، استطاعوا توحيد جميع أجزاء البنغال ، فسموها البنغال المتحدة (٢) ٠

وتحد البنغال المتحدة من الشرق،سلسلة من الجبال العديدة وهى" غارو" " و" جيونتيا" و" لوسيا " و" خاصيا " ومرتفعات " تشيتا كونغ "و" تريبورا" ٠

وتحدها من الشمال ، سلسلة من الجبال التابعة لجبل هملايا المعروفة ، ومن الجنوب خليج البنغال ، ومن الغرب اقليم " اوريسا " وما يلايحقه من المرتفعات ، وتمتد مساحتها نحو أربعمائة ميل طولا ومائتى ميل عرضا ٠

وأشهر مدنها فى القديم مدينة لكنوتى ، وسناركاؤن وسهلت وتشيتاكاؤن

---

(١) قبل القرن السادس الهجرى كانت البنغال خاضعة للسلطات الهندوكية والبوذية إلى أن فتحها المسلمون فى بداية القرن الثالث عشر الميلادى ، وامتد حكمهم بها إلى عام ١٧٥٧م أى حوالى خمسة قرون ونصف ، فأما المسلمون الأتراك ، فقد حكموها من عام ١٢٠١م حتى عام ١٣٥٢م ، أى حوالى قرن ونصف القرن ، ثم حكمها مسلمو الفرس ، حيث امتد حكمهم من ١٣٥٢م إلى ١٥٧٦م أى حوالى قرنين وبضعة أعوام ، ثم يأتى دور سلطات المغول والتى ظلت سيطرتها من ١٥٧٦ م إلى ١٧٥٧م أى حوالى قرنين تقريبا ٠

وإن أول من فتح البنغال هو سلطان اختيار الدين محمد بختيارخلجى الذى كان حاكما لمنطقة " بيهار " (اقليم فى الهند) ودخل بجيوشه المسلمة ، عاصمة البنغال " ناديا " دون إهراق دماء ، وطرد منها الحاكم الهندوسى " لكشمن سين " وأبعده ثم نصب فيها راية الإسلام ، وذلك فى عام ١٢٠١م ، ثم بعد ذلك قام المسلمون بحملات عديدة ، حتى دخلت البنغال كلها فى نفوذ المسلمين ، وظل علم الإسلام فيها مرفوعا إلى أن دخل الإنجليز و انتصروا على المسلمين فى معركة " بلاسى " عام ١٧٥٧م التى تعتبر بداية الغزو الصليبى للبلاد ٠راجع : عبدالمنان طالب / الإسلام فى البنغلاديش ص٢٨ ٠

(٢) عبدالمنان طالب : بنغلاديش اسلام (الإسلام فى بنغلاديش) ص١٥ ، ط : ١ ، ١٩٨٠م داكا / بنغلاديش ٠

و دهاكا(١) و كلكتا، وديناج بور ، ورنكبور ، وشريف آباد ، ومالده ، ومرشد آباد ، وبردومان (٢) ٠

إن أرض البنغال خصبة وشاسعة ، ومليئة بالأنهار والقنوات التى تنبع من جبل الهملايا والتى تحيط بها من جميع النواحى ، كأنها شبكة منتشرة الأضلاع ، وتنتهى الأنهار والقنوات بحدودها إلى خليج البنغال، وتكثر الأمطار فيها التى تستمر خمسة أشهر فى السنة ، ومن كثرة الأمطار الغزيرة ، تتدفق السيول والفيضانات التى ينجم عنها فى أحيان كثيرة إزهاق الأرواح وتدمير الأراضى والمحاصيل الزراعية ، ولهذا السبب تعد البنغال منطقة متأخرة من الناحية الإقتصادية والإجتماعية ،بالرغم من خصوبة الأرض ، وجودة المحاصيل ، ووفرة الإنتاج ، إلا أن تتابع العواصف والفيضانات التى تجتاح البلاد قد تصيب الزراعة ومحاصيلها ،و تسبب فى تأخر البلد إقتصاديا ٠

ومن أهم المحاصيل الزراعية الأرز الذى يعتبر غذاء رئيسيا للسكان ٠

يقول الرحالة إبن بطوطة (٣) فى مذكراته السياحية عن البنغال : إنها بلاد متسعة ، كثيرة الأرز ولم أر فى الدنيا أرخص فى أسعارها ، ولكنها مظلمة ، وأهل خراسان يسمونها " دوزخ است بر از نعمت " أى جهنم ملئ بالنعم (٤) ٠

---

(١) وكانت تسمى سابقا ذاكا (Dacca) ثم تغير إسمها فى الثمانينات وتسمى الآن دهاكا (Dhaka) عاصمة بنغلاديش ٠

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : مجموعة من علماء العرب جـ٤ ص٢٢٥ ، منشورات : جهان/ طهران ٠

(٣) محمد بن بطوطة : ملأت شبابه الباكر فى المغامرة بركوب البحر ، وخوض معركة المجهول بالرحلة فى آفاق الأرض ، وقد بدأ برحلته التاريخية ، وهو فى سن الثالثة والعشرين ، وامتدت رحلته من عام ٧٢٥هـ إلى ٧٥٠هـ فى خمس رحلات كبرى ، بلغت إلى الصين والهند،والملايو،عاد إلى المغرب بلده الأصلى ، حيث توفى بها عام ٧٧٩هـ ١٣٧٧م ٠ أنور الجندى : أعلام الإسلام ، ص٤٦ ط : دار الإعتصام / القاهرة ٠

(٤) إبن بطوطه : عجائب الأسفار (اردو) جـ٢ ص ٦١٠ ط: المكتبة الإسلامية / الهند ٠

المبحث الثالث : بنغلاديش اليوم :

كان إسم البنغال يطلق على جزء كبير من أجزاء الهند الكبرى ، فلما انقسمت الهند إلى الهند وباكستان ، أصبح البنغال منقسما إلى قسمين شرقى وغربى ، فأما الجزء الغربى منه الذى يسمى اليوم بالبنغال الغربى ، صار مقاطعة من مقاطعات الهند ، ومعظم سكانها هندوس ، والمسلمون فيها أقلية أما الجزء الشرقى منه ، فقد انضم إلى باكستان عام ١٩٤٧م واشتهر بباكستان الشرقية ، والأغلبية فيها مسلمون ، ولم يدم هذا التقسيم إلا حوالى ربع قرن أو أقل منه ، ثم حدث الانشقاق فيها مرة أخرى ٠

" ففى عام ١٩٧٠م فاز حزب رابطة عوامى فى باكستان الشرقية الذى يتزعمه " شيخ مجيب الرحمن " فى الانتخابات البرلمانية المركزية بأغلبية ساحقة ، وإحتل ١٦٧ مقعدا من مجموع المقاعد فى البرلمان المركزى ، وهذه النتيجة جعلت زعيمه يفكر بإنشاء دولة مستقلة ومنفصلة عن باكستان الأم " (١) وسميت جمهورية بنغلاديش الشعبية ، وقد ظهرت إلى حيز الوجود فى عام ١٩٧١م ، عقب القتال العنيف الدائر بين الجيش الباكستانى والجيش الهندى والذى أدى إلى استسلام باكستان أمام الهندوس فى مقاطعة باكستان الشرقية ،والمراد من بنغلاديش أى " وطن البنغال " ٠

وإذا ألقينا النظر على خريطة بنغلاديش، نجد أنها محاطة بالهند من جهاتها الثلاث ، ففى الغرب والشمال الغربى تقع مقاطعة البنغال الغربى التابعة للهند وفى الشمال منطقة " آسام " و" مكهاليا " (٢) وفى الشرق " آسام " و" تريبورا " التابعتان أيضا للهند وجزء قليل من حدود بورما ، أما فى الجنوب فيقع خليج البنغال (٣)٠

---

(١) The statement year book 1982 - 83 , page - 18 .

(٢) احدى الولايات الهندية ٠

(٣) The Statement year book - 1982 - 83 . London,p - 188 .

ومساحتها حوالى ٥٥/٥٩٨ ميلا مربعا أى ١٤٤/٠٢٠ كيلوا مترا مربعا ، أما عدد السكان فى بنغلاديش حسب الاحصانيات التى أجريت عام ١٩٨١م فيصل إلى حوالى ٩٠ مليون نسمة ، منهم ٨٥،٤٠٪ مسلمون و١٣،٥٤٪ هندوس ، و٦١، ٠ بوذيون ، و٣٠،٠٪ مسيحيون (١)٠

وعاصمتها : دهاكا ، وقد انقسمت البلاد إلى أربع مقاطعات وهى : دهاكا ، وتشيتاكونغ ، وراجشاهى ، وخولنا ، وتتكون هذه المقاطعات من عدة محافظات أو مديريات ٠

وحسب الأحصانيات التى أجريت فى البلاد مؤخرا"عام١٩٩١م" يصل عدد السكان ١١١،٤٥٥،١٨٥ نسمة ، منهم٨٨،٣٪ المسلمون و١٠،٥٪ الهندوس، و٦،٠٪ البوذيون و٣ ،٠٪ المسيحيون و٣،٠٪ الآخرون (٢)٠

أ – مقاطعة دهاكا " العاصمة " مشتملة على خمس محافظات كالتالى :

المحافظة	المساحة	عدد السكان	
١ – دهاكا	٧،٤٦٤كيلومترمربع	١٠،٠٤٩،٠٠	نسمة
٢ – تانغائيل	٣،٣٧٠ ~ ~ ~	٣،٤٤٤،٠٠٠	~
٣ – مومن شاهى	١٣،١٠٥~ ~ ~	٦،٥٤٣،٠٠٠	~
٤ – جمال نور	٣،٤٠٥ ~ ~ ~	٢،٤٤٥،٠٠٠	~
٥ – فريد بور	٦،٩٧٧ ~ ~ ~	٤،٧٦٨،٠٠٠	~

ب – مقاطعة تشيتاكونغ ، وفيها خمس محافظات وهى :

المحافظة	المساحة	عدد السكان	
١ – تشيتاكونغ	٧،٠٠٦ كيلومترمربعا	٥،٤٧٦،٠٠٠	نسمة
٢ – تشيتاكونغ الجبلية	١٣،١٩١ ~ ~ ~	٧٤٦،٠٠٠	~

(١) د / يسرى عبد الرزاق الجوهرى : العالم الإسلامى فى آسيا وأفريقيا ، ص ٢٣١-٢٣٥ مكتبة النهضة المصرية

(٢) انظـــر : مجلة " جاجاى رون" الأسبوعية ، شبه الحكومية الصادرة فى دهاكا٤/١/١٩٩٤م

المحافظة	المساحة	عدد السكان
- نواكهالى	٤،٨٠٤كيلومترامربعا	٣،٨١٣،٠٠٠ نسمة
٤ - كوملا	٦،٧١٨ ~ ~ ~	٦،٨٨٠،٠٠٠ ~
٥ - سهلت	١٢،٣٩٣~ ~ ~	٥،٦٥٠،٠٠٠ ~

ج ـ مقاطعة راجشاهى : ويشتمل على خمس محافظات هى :

١ - راجشاهى	٩،٤٦٤ ~ ~ ~	٥،٢٦٣،٠٠٠ ~
٢ - بوكرا	٣،٨٩٠ ~ ~ ~	٢،٧١٨،٠٠٠ ~
٣ - رنكبور	٩،٥٩٣ ~ ~ ~	٦،٤٩٠،٠٠٠ ~
٤ - ديناج بور	٦،٧٥٧ ~ ~ ~	٣،١٩٨،٠٠٠ ~
٥ - فابنة	٤،١٦٨ ~ ~ ~	٣،٤١٨،٠٠٠ ~

د - مقاطعة خولنا : وفيها خمس محافظات أيضا وهى:

المحافظة	المساحة	عدد السكان
١ - خولنا	١٢،٠٤٩ كيلومترمربعا	٤ ،٣٥٣،٠٠٠ نسمة
٢ - جيسور	٦ ،٥٩٧ ~ ~ ~	٤،٠١٦ ،٠٠٠ ~
٣ - كشيتا	٣،٥٥١ ~ ~ ~	٢،٢٧٣،٠٠٠ ~
٤ - باريسال	٦،٧٥٧ ~ ~ ~	٤،٦٦٨،٠٠٠ ~
٥ - بتواكهالى	٤،٢٢٤ ~ ~ ~	١،٨٤٠،٠٠٠ ~ (١)

واللغة السائدة الرسمية فى بنغلاديش " اللغة البنغالية " ، ونسبة المثقفين من مجموع السكان : الذكور ٣٣،٩٪ والأناث ٢٥،٥٪ .

الإنتاج المحلى :

الإنتاج الرئيسى للبلاد هى: الأرز، والألياف،والشاى ، وورقة الجراك ، وقصب السكر، والعدس .

---

(١) The statement year book 1982-83k,London,page - 189 - .

الصناعات :

وفى أرض البنغال عدد من المصانع منها : مصنع الألياف ، ومصنع السكر ، ومصنع الورق،ومصنع النسيج ، ومصنع الجلود .

الثروات المعدنية والطبيعية : تنتج أرض البنغال عددا من الثروات ، مثل : الغاز الطبيعى ، والفحم ، والجص الحجرى ، والرمال السليكيا ، والحديد ، والنحاس ، والأتربة الصينية .

وإلى جانب هذا فقد اكتشف الزيت فى الآونة الأخيرة .

الأشياء المصدرة إلى الخارج :

تصدر بنغلاديش إلى الخارج عددا من المواد مثل : الألياف ومنتجاتها ، والشاى والجلود ، وأوراق الطباعة ، والصناعات اليدوية ، والسمك الجنبرى وأرجل الضفادع ، والملبوسات الجاهزة (١) .

إن العامل السكانى له علاقة وثيقة بالاقتصاد فى بنغلاديش ، والاقتصاد فى هذا البلد فى غاية الهزال والضعف ، فهو لم يتطور منذ بداية تاريخها حتى الآن ، وذلك لوقوع البلاد فى موقع تحيط بها الهند الوثنية من جوانب ثلاثة ، ولكونها محطا لأطماع الهنادكة والإنجليز ، وقد ازدادت تكاليف المعيشة إلى ٤٤٠ فى المائة عام ١٩٨٠م ، أى خلال عشر سنوات حصلت الزيادة فى تكاليف المعيشة أضعافا كثيرة .

فإقتصاد البلد يعانى من التضخم ، والملايين من الناس فيها يعيشون تحت مستوى الحد الأدنى من الفقر والعوز ، ولذلك تعتمد الدولة على دفعات كثيرة من المساعدات الخارجية ، دعما لاحتياجات البلاد ، وقد وصلت تلك

---

(١) د/جودة حسنين : جغرافية آسيا الإقليمية ، ص٤٦٨ ، ط: دار المعارف ،الاسكندرية ، مصر ١٩٨٥م .

المساعدات الخارجية عام ١٩٧٨م إلى حوالى٢ ،٦ بلايين دولارا بكل أنماط المساعدات الاقتصادية التى قدمت من دول متعددة ٠

وعماد الاقتصاد فى بنغلاديش هو الزراعة ، وتعتبر الانتاج الأساسى للبلاد ، لذا فـ (٨٥٪) من السكان فلاحون ، والمزارعون يعيشون بالعمل الزراعى ، والأكثرية منهم فقراء لا يملكون ما لا يتملكون به الأراضى الزراعية ،بل يعملون عند أصحاب الأرض لقاء نسبة معينة من المحصول يتفق عليها عند إبرام عقد العمل وهذا شبيه بالمضاربات ٠

يتركز وجود حوالى ٩٠٪ من السكان فى القرى والضواحى ٠

وأما من الناحية الصناعية فإنها تعد من البلاد غير المتقدمة ٠

وأما من الناحية التجارية فقد أخذت الآن تتطور شينا فشينا ٠

إذن فبنغلاديش تعتبر من الدول النامية من الناحية الاقتصادية ، ومع ذلك فإنها تستطيع بما فيها من الموارد الطبيعية الضخمة ، أن تقوم بدورها فى مجال التطور والازدهار ، إذا نجحت فى الحصول على المساعدات المناسبة والعمل الجاد الذى يدفعها للنمو الاقتصادى والجتماعى ٠

ونظرا للظروف الاقتصادية الصعبة وما تواجهه البلاد من الكوارث الطبيعية من كثرة هطول الأمطار، واجتياح السيول والفيضانات والأعاصير المدمرة ، فإن البلاد تجتاحها حالة من الفقر والمجاعة والأمراض ، كل هذا ساعد على الشلل الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ٠

الفصل الثاني

في

بنغلاديش قبل الإسلام

ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول : الحالة الدينية

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية

المبحث الثالث : الحالة الاقتصادية

المبحث الرابع : الحالة السياسية

المبحث الأول

في

الحالة الدينية

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول : الديانة الآرية أو البرهمية

المطلب الثاني : الديانة الجينية

المطلب الثالث : الديانة البوذية

المطلب الأول

الحالة الدينية

لنا وقفة طويلة عن كيفية دخول الإسلام والعناصر التى أسهمت فى دخول الإسلام إلى بنغلاديش والمناطق الأخرى المجاورة ، وسنأتى ببيانها فى المكان المناسب - إن شاءالله - .

والآن أود مناقشة ما كتب عن الحالات السائدة فى المنطقة منذ فترة ظهور الإسلام حتى القرن العاشر الميلادى ،أى عند فتح المسلمين لها من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وذلك تمهيدا لدخولنا مباشرة إلى مرحلة الانتشار العام للإسلام فى البنغال ، وبناء عليه نبدأ بالحالة الدينية .

فلونظرنا إلى منطقة البنغال،نجد أن الديانات التى كانت تسيطرعليها هى ديانات ثلاث:الديانة الآرية أو البرهمية،والديانة الجينية،والديانة البوذية (١) .

كما نجد أن لهذه الديانات ، مراحل بلغت فيها قمة التطور والازدهار ، ثم أتى عليها حين من الدهر ، وهى تأخذ فى الاضمحلال والذبول ، حتى تلاشا بعضها ، وبعضها قد إندمج فى الآخر بعد أن فقد أساس الاستقرار والثبات ، وذلك بسبب شدة التنافس والصراع بينها من جهة ، وبنائها على ترهات وأهواء لاقيمة لها فى الواقع من جهة أخرى .

وكانت الديانة الآرية، قائمة أساسا على الإلحاد والإنكار بوجود الله ، فهى عبارة عن عبادة الأرض والسماء والنجوم والكواكب وغيرها من مظاهر الكون ، كما كان البراهمة ينحتون تماثيل رمزية على أشكال حيوانات لهذه المعبودات ، وكانت للأضاحى عندهم أعظم منزلة فى بعث السرور إلى صدور الآلهة المزعومة ، لتمن عليهم بما يطلبون من نعيم فى

---

(١) السيد بونيكار : تاريخ هند قديم (تاريخ الهند القديمة) ص٩٦ ايتى ها ش برو كاشونى ط: كلكتا ١٩٦٦م .

هذه الحياة ، ولما كان الفقراء لايستطيعون التقرب إلى الآلهة بالأضاحى فقد ظهر تطهير النفس بقهرها ، ومن هنا نشأت فكرة الروح الحيوانية (١) ، ثم تطورت إلى فكرة الروح الأعظم أو الإله ، ومنها انبثقت فكرة التناسخ (٢) وكان الناس يعطونهم مكانة خاصة تصل إلى درجة التقديس ويسمونهم طبقة البراهمة وهى طبقة لها قدسيتها فى نظرهم ، ومن هنا بدأ البراهمة يشعرون فى نفوسهم بنوع من الاستعلاء والزهو على غيرهم ، واعتبروا أنفسهم فوق البشر (super Human) وظلت هذه الطبقة تحتل بمكانتها صدر المجتمع الآرى،وأثرت كل التأثير على هذا المجتمع،حيث نالت التعظيم فى كل مكان،ومن هنا بدأت الديانة الآرية تذوب فى البرهمية حتى انتهت حياتها(٣)

ثم تطورت الديانة البرهمية ، وأخذت تترقى إلى أن أصبحت تسمى الآن بـ(الديانة الهندوسية) المعروفة ، وإن المكانة والنفوذ الذى احتله البراهمة ، جعلهم يقسمون المجتمع إلى أربع طبقات :

الأولى: الطبقة البراهمة : الذين يقومون بخدمة المعابد ويؤدون طقوسا دينية معينة ، ولا علاقة لهم بالحياة الإنسانية فى المجتمع ، فهم منعزلون عنه تماما، ترفعاعليه .

الثانية : طبقة السلطة السياسية : وتسمى هذه الطبقة " الكشتريا " .

الثالثة : وهم أولئك الذين جبلوا على حب المال ، إما عن طريق التجارة أو الزراعة ، وتسمى هذه الطبقة " فيشا " أو "ويشا " .

---

(١) للتفصيل : د / احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ١٧ ، مؤسسة الرسالة / بيروت .

(٢) مسألة التناسخ من فكرة الفلسفة الهندوكية ، وقدلعبت هذه النظرية فيما بعد دورا هامافى الفلسفة اليونانية وفى الديانة المانوية وفى المذاهب الإسلامية ، وفى التصوف وفى النصرانية ، انظر: كتاب أحمد أمين : ضحى الإسلام ٢٣٩/١ .

(٣) دكتور/ روميش شندرا موجومدار : بنغلاديش ايتى هاش " تاريخ بنغلاديش " ص ٣٦ ١٩٥٦ م كلكتا ، الهند .

الرابعة : وهم الذين خلقوا أغبياء بلداء ،فلا يصلحون لغير المهن السافلة والقيام بالخدمة ، ويقال لهم: " طبقة شوادراء" (١) وهى عبارة عن الأغلبية من الهندوس ، ولاقيمة ولا مكانة لها فى المجتمع الهندوسى مثل المنبوذين ، فهم يعيشون منعزلين تماما عن الطبقات الثلاث الأول ٠

فمجموعةهذه الطبقات الأربع تكون المجتمع الهندوسى ويمثل الديانة "الهندوسية" التى ظلت سائدة فى شبه القارة الهندية وتعتبرأقدم ديانة فى تاريخها٠

المطلب الثانى : الديانة الجينية :

أما تاريخ الجينية وبدايتها فتحدد بظهور زعيم الديانة البوذية " غوتما " ولئن قارنا بين زعيمى الجينية والبوذية ، لرأينا أنهما قد تعاصرا فى عهد واحد، فإن زعيم الديانة الجينية " بورد هوما مهابيرا" (٢) ولد من أسرة هندوسية فى عام ٥٩٩ق م فى العصر الذى كان فيه يعيش " غوتما " وكان "مهابيرا" يفكر دائما فى تخليص الإنسان من المحن والعذاب والمصائب ، فقد عاش زمنا طويلا فى الغابات للبحث عن طريق الحق والصدق ، وبعد عودته منها قام بنشر مذهبه بين الناس ، واستمر فى ذلك حوالى ثلاثين عاما وأخيرا مات " مهابيرا " منتحرا (٣)٠

فلو بحثنا عن مبادئ الجينية وتعاليمها لوجدنا أن المعلومات فى ذلك ضئيلة وتشير إلى أن منبع مبادئها هو الديانة الهندوسية وفلسفاتها ، كما هو الحال فى البوذية ٠

---

(١) دكتور / أحمد شلبى : مقارنة الأديان " أديان الهند الكبرى " ٥٨/٤ ط ٤ ١٩٧٦م مكتبة النهضة المصرية ٠

(٢) د/ أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ١٠٩/٤ ط٤ ١٩٧٦ م ٠

(٣) عبد المنان طالب : بنغلاديش إسلام " الإسلام فى بنغلاديش " ص ٣٠ آدهونيك بروكاشانى " طبع ١٩٨٠ م ٠

يقول الدكتور أحمد شلبى : " ومن بين ألوان النشاط الفكرى التى انبثقت فى القرن السادس "ق م " كان ظهور " مهابيرا " وغوتيما " بوذا بالهند ، ويلاحظ على أفكار هذين المعلمين ، بل على أفكار جميع المصلحين والفلافسة الهنود أنها دارت فى الفلك الهندى ولم تتجاوزه (١) .

والذى عرفناه من خلال البحث حول تعاليم الجينية أن ما ورد فيها من تعاليم وأفكار،غير موثقة ولا يمكن التأكد من صحتها ، وذلك لوجود التناقض وكثرة الخلافات فيها ، ولأن تعاليم " مهابيرا " لم تكن مدونة بل كانت متداولة على الألسن ، أما كتب هذه الديانة التى توجد اليوم فقد ألفت بعد ثمانية قرون من موت " مهابيرا " (٢) .

على كل حال فإن الجينية دين مسالم يبالغ كل المبالغة فى البعد عن العنف حتى أنه يكره قتل الهوام والحشرات الصغيرة (٣) .

فهل حصل لهذه الديانة الدوام والاستقرار أم أنها ذابت كغيرها ؟ وهذا غير واضح ونستطيع القول أنه قد حدث انقسام خطير بعد وفاة " مهابيرا " فى التعاليم والمبادئ ، فقد أدخل فيها من جاء بعده معتقدات كثيرة غريبة عن المبادئ الأصلية ، وفى اوائل العصور الوسطى احتلت الجينية مكانة عند بعض الحكام فى البنغال ، وأصبح لرهبان الجنية نفوذا واسعا فى بلاط هؤلاء الحكام (٤) .

---

(١) د/ أحمد شلبى : مقارنة الأديان " أديان الهند الكبرى " ٤/١٠٧ ط٤ ١٩٧٦م مكتبة النهضة المصرية .

(٢) السيد / ديبى بروشاد تشوتو بودهاى : بهارتيودرشن " الفلسفة الهندية"ص٢٢٨ طبع١٩٣٠م ، كلكتا ، الهند .

(٣) د/ أحمد شلبى : مقارنة الأديان " أديان الهند الكبرى " ص ١٣٧ .

(٤) عبد المنان طالب : بنغلاديش إسلام " الإسلام فى بنغلاديش " ص ٣٢ .

المطلب الثالث : الديانة البوذية :

يعتبر بوذا - غوتما - مؤسس البوذية من مواليد القرن الرابع قبل الميلاد ، وعاش حياته من صغره إلى كبره بـ" بنارس " (١) في الشمال الشرقي من الهند الواقعة تحت سفوح جبال " الهملايا " إلا أن تعاليمه وأفكاره لم تصل إلى الآفاق كما حصل بعد وفاته ، وذلك من قلة تلاميذه ، وأتباعه ، وكانت هذه الديانة مقصورة في المنطقة التي يعيش بها " بوذا " وانما انتشرت بعده في منتصف القرن الثالث " ق م " أيام " آسوكا " أحد الملوك العظام فيالهند حتى تبنى"آسوكا"مذهب البوذيةوأصبحت حكومته تدعم البوذية في انتشارهاوتؤيد مبادئها،ولذلك تعتبر شخصية "آسوكا" في البوذية شبيهة بالقديس " بولص " أو " القسطنطين " بالنسبة للمسيحية (٢)٠

وفي ظل هذا الملك الكبير - آسوكا - الذي امتدت سلطته من غرب الهند إلى شرقها ،بدأت البوذية تتوسع إلى الآفاق البعيدة ،من رقعة إلى رقعة ومن منطقة إلى منطقة ، ومن إقليم إلى إقليم حتى تمكنت فيها كدين أساسي لمنطقة البنغال ، وقد اكتشفت في الآونة الأخيرة بعض الأثار القديمة والأثار المنقوشة خلال الحفريات تدل على تمركز البوذية في هذه المنطقة (٣)٠

فظهرت مئات الالاف من تماثيل " غوتما " بوذا منحوتة ممايدل على أنه كان للبوذية نفوذا واسعا في البنغال في فترات عديدة تتراوح بين القرن السادس والقرن الحادي عشر الميلادي تعتبر هذه الفترة، فترة ازدهارها، وفي أواخرالقرن الحادي عشر أخذت البوذية تضمحل وتنهار قوتها لما اشتدت السيطرة الهندوسية عليها، وانتهت محاصرتها من الجوانب الروحية والسياسية،وابتليت تحت نفوذ الهندوسية ببلاء شديد أدى إلى نهاية دورها وجعلها في النفس الأخير، وذلك عندما جاء "شين راجا" الهندوسي المتعصب فاتحا منطقة البنغال (٤) وانتقلت البوذية بعدها إلى جنوب شرق آسيا٠

---

(١) د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان " أديان الهند الكبرى " ص ١٣٧ ٠

(٢) نفس المصدر : ص ١٨٠

(٣) جمعية الاتحاد الآسيوي : البحوث العلمية لتاريخ بنغلاديش Bangladesh Historical Studies ص٥٥ ، جامعة دهاكا ، ببنغلاديش ١٩٥٥ م ٠

(٤) عبد المنان طالب : بنغلاديش إسلام " الإسلام في بنغلاديش" ص٣٥، دهاكا ،بنغلاديش٠

المبحث الثاني

الحالة الإجتماعية

***

على الرغم من وجود البوذية فى بنغلاديش مدة طويلة فإن ملوكها خلال فترات الحكم لم تستطع تغيير العادات والتقاليد السائدة التى وضعتها البراهمة (١) ولعل السبب فى هذا التقلبات السياسية التى عاشها المجتمع البنغالى بين ازدهار وانكماش ، وبين عروج وزوال ، منها مجاملتهم للهندوسية من أجل تخفيف حدة الصراع القائم بين النظام البوذى ، واستبداد طبقة البراهمة على الطبقات الأخرى ٠

وأيضا فان بوذا لم يتعرض فى حياته للبحث عن قضية الإله والأمور العقدية ، بل مهمته كانت بالدرجة الأولى فى الدعوة إلى الإهتمام بالأخلاق الحميدة والأوصاف الكريمة ومعاملة الحيوانات بالرفق والتلطف ، وتحقيق المساواة بين الناس بغض النظر عن الطبقات (٢)٠

لهذه العوامل والأسباب نجد أن هذه الديانة احتلت مكانتها فى قلوب الهندوس مع بقائهم على الفكر العقدى الهندوسى بما فى ذلك قضية الإله ، ولذا نجد كثيرا من الهندوس يتبعون البوذية فى مجال الأخلاق والأوصاف الفاضلة حسب زعمهم ، ويظلون مع ذلك على ولائهم لآلهة الهندوس ، كذلك يندمج اتباع البوذية فى تقاليد الهندوسية وطقوسها (٣)٠

---

(١) د/ رميش موجومدار : بنغلاديشرابتهاش برشاشون جوك ومدهوجوك"تاريخ بنغلاديش فى العصور القديمة والوسطى " ٢/٢٨٠، ١٩٥٦م كلكتا ، الهند ٠

(٢) د/ أحمد شلبى : مقارنة الأديان " أديان الهند الكبرى " ١٦٩/٤ ، ١٩٧٦ م مكتبة النهضة المصرية ٠

(٣) د/ أحمد شلبى : مقارنة الأديان " أديان الهند القديم " ص ١٦٩ ٠

فإن الفترات التى حكم البوذيون فيها المنطقة البنغالية كانت تقتصر فى إهتمامهم على سياسة المنطقة وإدارة شؤونها فقط ،دون تعرض للعادات والتقاليد التى كانت سائدة فيها وفق النظام البراهمى ، المفروض على الناس من قبل البراهمة ، لوجود مكانتهم المتميزة فى المجتمع الهندوسى ، ويعتبرون أنفسهم أصحاب السلطة المطلقة ومتميزون عن سائر البشر (١)٠

لقد كانت السلطات البوذية تجتنب دائما التدخل فى شئون المواطنين ، أما البراهمة الذين كانوا يسيطرون على المجتمع فقد استخدموا هيمنتهم أسوأ استخدام بحيث أنها أثرت على المجتمع بشكل فظيع ، فقد حرموا زواج بناتهم ونسائهم لمن دون الطبقة العليا ، وأباحوا لأنفسهم بنات ونساء من دون طبقتهم إذا شاءوا ذلك ، وإن الاعتداء على النساء والرقص بهن فى المعابد والأديرة كانت من أمورهم العادية ولا مجال لأحد أن يعترض عليهم ، هكذا شاعت فى المجتمع الجرائم من الممارسات الجنسية ، وهتك أعراض النساء،وكثرة تعاطى الخموروالمخدرات،ولم يبق بيت من البيوت إلا وانتقل المرض تدريجيا إليه وصار المجتمع البنغالى الهندوسى منحدرا تماما(٢)٠

أضف إلى ذلك فإن هؤلاء البراهمة لمكانتهم فى المجتمع الهندوسى كانوا يعيشون حياة رغد وغدق، فكان لهم حصص معينة من جميع المحاصيل والمنتوجات المحلية غصبا عن المواطنين مما تأثرت به الطبقة الكادحة وأحدث فى المجتمع الهندوسى هوة ساحقة أدت إلى الانهيار والفساد فيه ٠

(١) السيد بونى كور : تاريخ هند قديم "تاريخ الهند القديم " ص٩٤، ايتى هاش بروكاشوتى كلكتا ١٩٦٦ م ٠

(٢) السيد بونى كور : تاريخ الهند القديم ص٩٥،١٩٦٦ م أيتى هاش بروكاشونى ، كلكتا ٠

المبحث الثالث

الحالة الإقتصادية

كانت البنغال تشتهر منذ قديم الزمن بالمنطقة الزراعية لجودة انتاجها الزراعى فى العالم ، وهى منطقة مكتظة بالقنوات والأنهار التى تروى سائر البلاد (١) ومع هذا فإن معظم الأراضى الزراعية كانت تحت تصرف الدولة والإقطاعيين من الهندوس ، فيعطونها للمزارعين والفلاحين للعمل فيها مع فرض ضرائب شتى عليهم مقابل العمل والانتاج ، كدفع جزء من المحاصيل إلى الطائفة البرهمية هبة لها ، وجزء آخر لأصحاب الدولة والإقطاعيين دون أن يأخذوا لقاء عملهم على أى مبلغ مالى، اضافة إلى ذلك كانت البنغال تشتهر أيضا بالصناعات اليدوية الصغيرة ، فبعض منتجاتها اشتهرت فى العالم ووصلت إلى الأسواق الدولية مما يعود بالربح الكثير والفوائد ولكنه مع ذلك فإن عامة المواطنين لايستفيدون منها شيئا،بل يستمتع بها رجال السلطة وأصحاب الصناعات فقط (٢) فانقسم الشعب إلى طبقتين: طبقة غنية ، وطبقة فقيرة ، وتشكل الطبقة الفقيرة الأكثرية الكادحة ، وهى محرومة من الأراضى إلا بقدر ما يعطى لهم،وبسبب هذا الطغيان المالى وادخار المال عند طبقة خاصة ، دون اعطاء الحقوق للآخرين الذين لهم دور رئيسى فى انتاج المحاصيل والصناعات،أخذت الطبقة المحرومة تذوب وتطحن فى رحى الظلم والعدوان،وشملت البلاد بالفقر والمجاعة إلى أن يعدم المرء لقمة العيش التى تقيم الأود، ويفقد الكسوة التى تستر الجسد،وأسوأ العصور بالنسبة لهؤلاء الفقراء هى ما بين القرن العاشر والثانى عشر الميلادى ، فقد وصف بعض الشعراء هذه الظاهرة الرهيبة وصفا يهز القلوب والمشاعر (٣).

---

(١) البستانى: دائرة المعراف ٢/٢٢٥ ، دار المعرفة لبنان .

(٢) السيد بونى كور : تاريخ هند قديم " تاريخ الهند القديم ص ٩٤ ١٩٦٦م كلكتا ،الهند .

(٣) عبدالمنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص ٥٢ .

المبحث الرابع

الحالة السياسية

***

وفيما يتعلق بالوضع السياسى نجد أن البنغال كانت خاضعة قرابة ثمانية قرون لأسرة " مغدة " أو " مكدة " (١) التى تنتمى إلى الديانة البوذية ، وفى القرن السابع الميلادى بدأ الزحف الهندوسى على البنغال بقيادة الملك الهندوسى " الشنكارا " وكان متعصبا شديدا للهندوسية وبعد استيلائه على البنغال بعد الإطاحة بأمارة " مكدة " أمر بمحو جميع آثار البوذية وهدم معابدها وعطل نظام المساواة الذى وضعه البوذيون للناس ، وحل محله النظام البرهمى ، ورغم استيلائه على الحكم فإن الملك الهندوسى " الشنكارا" قد فشل فى ضبط الأمن وتحسين الوضع الإقتصادى فى البلاد، مما أودى بالبلاد الى المزيد من الانهيار والفساد ، وازداد التوتر عقب موت الملك الهندوسى ، وواجهت الحكومة التحديات الداخلية والخارجية من الحركات المناوئة والمتمردين مما أدى ذلك إلى ضعف قوة الحكم وهزت مشاعر المواطنين لما يجرى فى البلاد من القتال والفساد وبدأت الحكومة بالعمل الجاد لاستقرار البلاد ، وتخليصها من المأزق ،لتسير نحو التقدم والازدهار ، فقد انشأوا حكومة جديدة بقيادة " راجة غوبال " الذى يدين بالبوذية ، وظل الحكم فى أسرته طيلة أربعة قرون (٢) فعادت البوذية

---

(١) وتسمى هذه الأسرة بامارة موريا ، فإن الآريين قد أقاموا فى شمال الهند ست عشرة امارة منها سبع امارات صغيرة وتسع امارات كبيرة ، أعظمها شأنا وأكبرها أهمية امارة " مغدة " التى اقام دعائمها ورفع بنيانها الأمير سيسناك ٠

د/ احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ١٨ ٠

(٢) د/ روميش شوندار موجومدا : تاريخ بنغلاديش فى العصور القديمة والوسطى ص ٢١٥ ج٢ ١٩٥٦م كلكتا ٠

إلى المنطقة سيرتها الأولى فبذلت جهدها لبث العقائد البوذية ونشر تعاليمها بين الناس ، فأنشأت مدارس ثقافية لدراسة العقيدة البوذية ، ورغم هيمنة الدولة على البنغال فانها لم ترغب فى اثارة مشاعر المواطنين ووجدانهم فى مجال العادات والعبادات والمعتقدات تفاديا من الاستنفار والتمرد من قبل الشعب البنغالى (١) .

هكذا ظلت منطقة البنغال تعيش فى تقلبات وتغييرات بين الحكم البوذى والهندوسى ، وقد تأثر المجتمع البنغالى تأثرا سيئا بسبب الصراع المستمر بينهما ، الأمر الذى أدى إلى تدهور وضعهم الاقتصادى والاجتماعى ، وظل الناس يعيشون فى الظلام واليأس لايجدون لهم مأوى يسكنون فيه ثم بعث الله تعالى إلى هذه المنطقة نسيم الصباح يحمل بشرى الإسلام وأضاء بنوره آفاقها ونعم المواطنون بنعمة الإسلام وتعاليمه الخالدة .

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (٢) .

---

(١) د/روميش شوندرو موجو مدار : تاريخ بنغلاديش فى العصور القديمة والوسطى ٢١٨/٢

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

الفصل الثالث

في

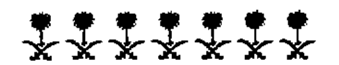
دخول الإسلام إلى بنغلاديش

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : دخول الإسلام عن طريق البحر

المبحث الثاني : دور العلماء والمشايخ في دخول الإسلام

البحث الثالث : دور السلاطين المسلمين في دخول الإسلام





الفصل الثالث

دخول الإسلام إلى بنغلاديش

حديثنا عن الصوفية فى المنطقة ونشاطاتهم فى المجتمع البنغالى لا يكتمل إلا إذا تحدثنا عن تاريخ دخول الإسلام فيها ، وعن الدور الذى قام به العلماء الكرام فى نشر دعوة الإسلام وتعاليمه الخالدة ، ذلك لأن التاريخ الإسلامى فى المنطقة له علاقة بانتشار التصوف هناك ، إذا لايتصور أحد منهما دون تصور الآخر، فدور العلماء المتصوفة الذين توافدوا إليها من بلاد العرب وفارس وتركيا وغيرها التى فيها انتشر التصوف وفلسفاته فى أدوار مختلفة يتصل بتاريخ كيفية دخول الإسلام ، ولهم فى هذه البقعة وفى سبيل الخدمات الدينية شأن كبير وحظ سعيد ، بغض النظر عن انحراف بعضهم عن المسار الصحيح الذى وضعه الدين الإسلامى الحنيف لمعتنقيه ، وذلك الانحراف الذى يسبب فى المستقبل انتشار البدع والخرافات وبعد الناس عن تعاليم الدين الصحيحة ، ووقوعهم فى هاوية الضلال والانحلال .

إن انتشار البدع والخرافات كان عاملا أساسيا لانحطاط المسلمين والذى نرى آثاره اليوم فى أرجاء المنطقة وسوف نتحدث إن شاء الله تعالى فى موضعها .

كانت شبه القارة الهندية كلها خاضعة قبل الإسلام للتسلط الهندوسى والبوذى وهما قوتان عظميان ظل الصراع الدائم بينهما طيلة قرون ، حيث كان الناس يعانون من البؤس والشقاء والظلم والطغيان وأصبحوا ضحايا لذلك الصراع ، لا يجدون من يناصرهم أو يدافع عنهم ويؤيدهم ويحميهم ، ومستوى معيشتهم قد وصل إلى مادون الحياة البشرية ، وهم فى ذلك الوقت يترقبون نظاما ينقذهم من تلك المعاناة ويضئ حياتهم ويهديهم إلى الطريق

المستقيم ،فبعث الله تعالى نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بدين الإسلام وتعاليمه المجيدة ، الدين الحنيف الذى تحتاجه الإنسانية ، وقد ارتضاه الله تعالى للبشرية جمعاء ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فما من مشكلة من المشاكل أو قضية من القضايا إلا وقد أوجد لها الإسلام حلا شاملا وقد ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه الكريم:﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾(١)

بزغ نور نبى الرحمة والهدى محمد صلى الله عليه وسلم ، من آفاق جزيرة العرب ، بدعوة التوحيد ، لإخراج الناس من ظلمات الجاهلية البالية ومن عبادة الأوثان والطواغيت إلى نور الهداية وإلى عبادة الله الواحد الذى لا نظير له ولا ند له .

وجعل الله سبحانه وتعالى للدعوة الإسلامية ، ميزة خاصة على الدعوات السابقة للأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام الذين رفعوا راية التوحيد فى أزمان وأطوار مختلفة فى العصور الماضية ، وكانت دعوة الإسلام لكافة الجن والإنس ، إلى أن تقوم الساعة ، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٢) .

وقال أيضا : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وإذا نظرنا إلى طبيعة هذه الدعوة وخصائصها ، نجد أنها قد تمت على مراحل عديدة وفى أطوار مختلفة ، ووصل صوتها إلى أنحاء العالم ، شرقه وغربه ، شماله وجنوبه ، وحققت عالمية الدعوة الإسلامية وشموليتها ثم لقى النبى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، وقد أدى الرسالة ، وبلغ الأمانة وأكمل الدين بقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٣٨ .
(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .
(٣) سورة سبأ : الاية ٢٨ .
(٤) سورة المائدة : الآية ٣ .

وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ،قام أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، بحمل هذه الرسالة ، وذلك تحقيقا لقوله تعالى :

﴿ وَلْتَكُنْ منكم أمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ، وأولئكَ هُمُ المُفلِحونَ ﴾ (١) ٠

وقوله تعالى : ﴿ فلولا نَفَرَ من كُلِّ فِرقَةٍ منهُم طائفةٌ لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَومَهم إذا رَجَعُوا إليهِم لَعَلَّهُمْ يَحذَرُونَ ﴾ (٢) ٠

وامتثالا لقول النبى صلى الله عليه وسلم : ((لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الغائبَ فإنَّ الشاهدَ ، عَسى أن يُبَلِّغ مَنْ هُوَ أوعَى له مِنْه)) (٣) ٠

وانطلاقا من هذه الإرشادات لم يأل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين جهدا فى نشر الإسلام ، وإعلاء كلمة الله ، فى أنحاء العالم المعمورة ، فارتحلوا لتحقيق هذا الهدف النبيل ، وانتشروا فى أرجاء الأرض حاملين راية الإسلام ، وكان للرعيل الأول من المسلمين ، أثر كبير فى الفتوحات ونشر الدين ، كما تحدثنا بذلك كتب السير والتاريخ ، وكانت رحلة هؤلاء غير قاصرة على الدعوة والتبليغ فحسب ، بل إنهم بالإضافة إلى ذلك كانوا يقومون بالتجارة والاستكشاف ، فضلا عن عادات العرب منذ العصور من ممارسة التجارة والاستكشاف عن البلدان المجهولة ، والتعرف على سكانها وعاداتها وتقاليدها ، وقد أشار إلى ذلك صاحب كتاب : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، إذ يقول : " ٠٠٠ثم توالت من بعد ذلك الدعوة سواء كانت الدعوة من أجل الدعوة نفسها أو من أجل التجارة ، فهؤلاء التجار العرب ، كانوا يسافرون ويصلون إلى شرق آسيا وغيرها ، عن طريق البحر ، كما كانت عادتهم قبل الإسلام وهم يحملون مسئولية الدعوة هناك (٤) وتمكن سكان المنطقة التعرف على الإسلام وتعاليمه ومحاسنه ٠

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤ ٠ (٢) سورة التوبة الاية ١٢٢ ٠

(٣) رواه البخارى في صحيحه : كتاب العلم :٩٠

(٤) جورج فضلو الحورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ترجمة : يعقوب بكر ص١٩٠ ، مكتبة الانجلو / مصر ١٩٥١م ٠

المبحث الأول : دخول الإسلام عن طريق البحر

ولتحديد مدى دور العلاقات التجارية بين العرب والهند في سبيل توثيق الصلات بين الأمتين في مختلف المجالات، ومدى أثرها في تطور الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية ، كان لزاما علينا أن نركز حديثنا على العلاقات التجارية بينهما في عصور سابقة ٠

كان العرب منذ العصور الغابرة يحترفون التجارة ، وكانوا معروفين في العالم بهذه المهنة لوقوع بلادهم في مواقع استراتيجية وحساسة في جغرافية العالم ، ونظرا لممارستهم التجارية ، استطاعوا السيطرة لوقت طويل على الأسواق العالمية (١) ٠

وكانت مكة المكرمة آنذاك مركزا تجاريا في جزيرة العرب يقدم إليها الناس ، ويتبادلون السلع التجارية ، وكانت في مكة المكرمة سوق عكاظ (٢) الذي كان له دور كبير في التجارة ، بالاضافة إلى القوافل التجارية التي تخرج منها محملة بالبضائع والسلع التجارية باتجاه بلاد خصبة وعامرة ومزدهرة بالتجارة ، أعني العراق والشام ومصر والهند ، وكانت الهند تعتبر أكثر البلاد نشاطا بممارسة التجارة البحرية مع بلاد العرب الواقعة على الشاطئ الغربي من بحر العرب ، وكانت السفن العربية التجارية منذ فجر التاريخ ، تتجه إلى موانئ الهند الغربية (٣) ٠

ومن كثرة تجارب العرب التجارية وترددهم على بلاد الهند ، ذاعت شهرتهم بين الناس خاصة بين أهالي البنغال ، حيث إنهم كانوا يجوبون العالم

---

(١) أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ص١٢٣ ،ط٢مكتبة الانجلو/مصر١٩٦٣م٠

(٢) وهذه السوق تقع على مسافة ثلاثين كيلو متر تقريبا من مكة وعشرة كيلو مترات من الطائف ، وكان لسوق عكاظ دور هام في مضمار الاصلاح الاجتماعي والديني ، وانتشار الأدب العربي ٠

(٣) د: محي الدين الآلوي : الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص٥٣ ،ط:دار القلم / دمشق ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م ٠

ويحملون البضائع كما كان شأنهم فى المنطقة ، بالاضافة إلى ذلك كانوا يقيمون العلاقة والصداقة مع أهلها ، ويتركون فى قلوبهم مآثر عميقة ومشاعر ودية (١)٠

كان تجارالعرب من المسلمين أثناء رحلاتهم التجارية يقومون بزيارات للبنغال ومناطقها الساحلية قبيل ظهورالإسلام ولم تكن زياراتهم هذه محطة أخيرة،بل كانوا يتابعون منها رحلاتهم صوب جنوب شرق آسيا من جاوا وسومطرا والصين،ومن خلال يرسون سفنهم فى مرافئ تشيناكونغ(٢) ويحملون معهم أسنان الفيلة ونوعا من الأنسجة التى تشتهر فى العالم فى دقة صناعتها ويبيعونها فى أسواق العالم (٣)٠

يقول الرحالة إبن بطوطة فى كتابه عجائب الأسفار وهو يصف ميناء تشيتاكونغ والمدينة التى تقع فيها: " انها عظيمة واقعة على ساحل البحر الأعظم " (٤) " و ٠٠٠٠يوجد فيها أشياء كثيرة تصنع من أسنان الفيلة وكذلك فى المنطقة المجاورة لها المسماة " بأركان " (٥)(٦) ٠

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المؤرخين المغرضين عندما يتحدثون عن حركة الاستكشاف الجغرافى وخاصة التى قام بها فاسكو دى جاما وكولمبس وغيرهما من الصليبيين من بلدان العالم ، يذكرون بأنهم أول من بدأ فى الاستكشاف فى العالم و أنهم سبقوا فى ذلك المسلمين ٠

---

(١) د/ عبد الكريم : تشتاكونغ إسلام " الإسلام فى تشيتاكونغ " ص ١٩ المركز الثقافى الإسلامى : تشيتاكونغ ط ١/ ١٩٧٩ م ٠

(٢) مدينة تقع قرب ساحل بنغلاديش ، واصبح اليوم مركزا تجاريا دوليا ٠

(٣) نفس المصدر ص ٢١ ٠

(٤) ويشتهر اليوم بالخليج البنغالى ، الذى هو جزء من أجزاء المحيط الهندى ٠

(٥) منطقة تقع اليوم داخل بورما ٠

(٦) إبن بطوطة:عجائب الأسفار"أردية "٢/٣٨٩ مكتبة المركزالإسلامى / دلهى١٩٦٠م ٠

وهذه الدعوى بعيدة عن الصواب وتحريف للواقع ، فالتاريخ يشهد بأن العرب سبقوا هؤلاء فى الرحلات الاستكشافية وأنهم وصلوا خلالها إلى الجزيرة الهندية وإلى جزيرة الصين وكمبوتشيا شرقا وإلى أسبانيا والبرتغال غربا فى القرن السابع والثامن الميلاديين بينما فاسكودى جاما قد زار منطقة الهند فى القرن الخامس عشر الميلادى .

ومدينة تشيتاكونغ كانت تعتبر مركزا تجاريا دوليا لوقوعها على الساحل وقد جاءت تسمية المدينة من التجار العرب الذين يقدمون إليها لغرض المنافع التجارية ويسكنون بها ، وقد سموها " شاطئ الكونغ " فاصبحت الآن معروفة بـ تشيتاكونغ (١) وهؤلاء العرب أثناء رحلاتهم إلى هذه المنطقة ومكثهم الطويل كانوا يقيمون العلاقة مع السكان ويستأنسون بهم كما حصل بينهم نسب ومصاهرة .

ولتأكيد ما قلنا فى هذا الشأن نورد ما جاء فى بعض الكتب ، أن بعض السفن التجارية التى يقودها العرب المسلمون قد غرقت بالقرب من ساحل تشيتاكونغ سنة ٧٨٨م فقام أحد حكام المدينة واسمه " فهان شنذايت " بمساعدة الملاحين لإنقاذ حياتهم كما سمح لهم أن يعيشوا فيها ، ومن هنا فإن هؤلاء العرب تزوجوا وتناسلوا وكثر أولادهم " (٢) وقد اكتشف علماء الآثار بعض المسكوكات والعملات المعدنية المكتوبة عليها اللغة العربية وبعض أسماءالخلفاءالمسلمين فقدوجدوا بعض العملات مذكورفيهااسم الخليفة هارون الرشيد أحد الخلفاء من بنى عباس وبتاريخ عام١٧٢هـ(٣).

---

(١) د/عبدالكريم:تاريخ الثقافةالإجتماعية فى البنغال ص٩مجمع الأدب البنغالى دهاكا ١٩٦٥م
(٢) د/ عبد الكريم : الإسلام فى تشيتاكونغ ص ١٥ -١٦ .
(٣) نفس المرجع ص ١٥ .

وهذه المسكوكات مازالت موجودة اليوم فى المتاحف المحلية والبريطانية مما يدل على أن هذه العملات والمعادن وصلت إلى هذه المنطقة بواسطة هؤلاء العرب الذين استعملوها أثناء رحلاتهم التجارية •

وهكذا عندما وصل التجار إلى البنغال عبر ميناء تشيتاكونغ انتشروا فى ربوعها وقاموا بنشر الإسلام ودعوته انطلاقا من مفاهيم الآية القرآنية التى قال فيها عزوجل ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (١) وامتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى فى أداء المسؤلية تجاه الأمة ، وبالفعل فإنهم أثناء توقفهم هناك واقامتهم بها لفترات محدودة حملوا راية الإسلام ، ودعوا الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له (٢) ولهذا الغرض المبارك وصلوا إلى أقصى الحدود منها ، إلا أن مهمتهم هذه كانت مقصورة على الخدمات الفردية دون الجماعية بسبب قلتهم عددا وعدة وأخذ الحيطة كل الحيطة من مواجهة عدوان أو معارضة ، وإنما هم كانوا يقومون به على حسب ظروفهم التجارية أو الاجتماعية أو من يقابلونه من الناس أو يخالطونه أو يعاشرونه فى المنطقة ، ومن هذا المنطلق انتشرت الدعوة الإسلامية تدريجيا ومن فرد إلى فرد ومن أسرة إلى أسرة ومن بيت إلى بيت دون التعرض لأى خطر من الأخطار التى قد يتعرض لها داع أو مبلغ فى هذا المجال " وذلك لحسن ظن أصحاب السلطات من الهنادكة والبوذيين بهذه القوافل العربية التجارية واعتقادهم بأنهم لن يأتوا إلى هذه المنطقة إلا لغرض الممارسة التجارية أولا ثم العمل من أجل نشر دينهم فى دوائر محدودة ثانيا كما هو الشأن بالنسبة للأديان الأخرى الموجودة هناك مما يؤدى الى عدم تشكيل أى خطر على سلطاتهم أو ديانتهم " (٣)•

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤ •

(٢) انظر : شريف الدين بيرزاده : نشأة باكستان ، تعريب ، عادل صلاحى ص٢١ ،الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ط ١٩٦٩ م •

(٣) عبد المنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص ٣٨ •

أضف إلى ذلك أن غالبية السكان فى المنطقة كانت تتمسك بالهندوكية والبوذية دون أن تتأثر بدعاة الإسلام العرب ، ولهذا فإن أصحاب السلطة والجاه والأعيان لم يقوموا بأى مقاومة أو معارضة قبل هؤلاء الناس .

وبهذا الأسلوب بدأ الإسلام ينتشر تدريجيا فى المجتمع ، ونجح الدعاة والعلماء من التجار فى أداء مهمتهم فى هذه المنطقة بدرجة كبيرة وبفضل هذا القدر من الجهود المبذولة فقد استطاعوا تغيير البيئة التى كانت قائمة على الجاهلية الظلماء طيلة فترة من الزمان ، إلى نور الإسلام وبناء مجتمع إسلامى وضاء " ومن شدة رغبتهم وإيمانهم الصادق وعملهم المخلص قد أسلم بعضهم وحققوا إسلامهم بالأعمال الصالحة ، وفى سبيل هذا الإقبال الشديد فإنهم تعلموا اللغة العربية ، وتقبلوا بعض العادات العربية وتقاليدها ، وأن سكان مناطق تشيتاكونغ وما حولها مازالوا يستعملون بعض الكلمات العربية ولهجاتها أثناء الحديث (١) فقد ثبت أن الإسلام قد دخل البنغال وبعض المناطق الهندية بدخول تجار العرب إلى هذه البلاد (٢).

فإلى هؤلاء الدعاة النازحين من بلاد العرب يرجع الفضل فى تأسيس أول الجاليات الإسلامية من الأهالى فى المنطقة ، وفى تحويلهم من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد .

فهم لم يدخلوها محاربين فى بداية الأمر ولم يشهروا سيوفهم فى سبيل ذلك ، ولم يُكرهوا أحدا لإعتناق الإسلام ، إذ الدين الإسلامى لا يعترف بذلك ولا يسمح لأصحابه أن يكرهوا الناس ليدخلوا فى الإسلام لقوله تعالى : ﴿ لا إكراه فى الدين ... الآية ﴾ (٣) بل إنهم جذبوا الناس إليهم بالأخلاق الفاضلة

---

(١) د/ انعام الحق و د/ عبد الكريم : الأدب البنغالى ص ٤ كلكتا عام ١٩٣٥ م .

(٢) لوثروب ستوارد : حاضر العالم الإسلامى ، تعليق : الأمير شكيب ارسلان ٣٦٦/١ ط٤ ، ١٣٩٤ هـ دار الفكر بيروت .

(٣) البقرة : ١٥٦

والمعاملات الطيبة ، وتقديم المثل العليا والقدوة الحسنة وأوجدوا لأنفسهم بين أهالى المنطقة مكانة عالية واحتراما عظيما وحفاوة بالغة ، حتى بلغ من حب الأهالى لهم أن يتقربوا إليهم بالمصاهرة (١) •

---

(١) انظر : د/ أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ص٥٤ ، وزارة الثقافة والتربية /القاهرة •

المبحث الثاني

دور العلماء والمشائخ في دخول الإسلام

بعد أن تحدثنا عن دخول الإسلام عن طريق التجار العرب والرحل منهم إلى هذه المنطقة أى البنغال بالذات ، يجدر بنا أن نتحدث عن الطريق الثاني لدخول الإسلام ، ويمكن تسمية هذا الطريق بدور العلماء والمشائخ والوعاظ الذين لهم حظ كبير في نشر الدين في المناطق الهندية كلها ،فبفضل جهودهم الجبارة وأعمالهم المخلصة وصل الإسلام إلى آفاقها واستنارت حياة المواطنين بنوره ٠

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يحرصون على فتح القارة الهندية التي ظل مواطنوها طيلة قرون من الزمان في بؤس وشقاء وفي ظلمة من البطش والاستبداد فقد كانوا يتمنون الخروج من المآسي والمتاهات،وينتظرون أن ينالهم قبس من النور الإلهي الذي يخلصهم منها ووصل الصحابة إلىالهند اتباعا لما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة بشأنها فيما يرويه الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه ، حيث قال:((وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الهند فإن أدركتها أنفق فيها نفسي ومالي ، فإن أقتل كنت من أفضل الشهداء وإن أرجع فأنا أبو هريرة المحرر)) (١) ٠

وفي الحديث عن ثوبان - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((عصابتان (٢) من أمتي احرزهما الله من النار ، عصابة تغزوا الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليهما السلام))(٣)٠

---

(١) رواه النسائي : كتاب الجهاد ٤٢/٦ ٠

(٢) العصابة والعصبة : الجماعة : انظر : إبن حجر العسقلاني تفسير غريب الحديث، ص ١٦٦ ، دار المعرفة للطباعة / بيروت ٠

(٣) رواه النسائي : كتاب الجهاد ٤٢/٦ ٠

ولقد أفرد الإمام النسائى بابا فى السنن عن غزو الهند ، وفيه تبشير للمسلمين الذين سيشاركون فى الجهاد لفتح الهند ونشر الإسلام فيها .

وقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله الحديث الأول فى مسنده ، غير أنه ذكره بوجه آخر عن أبى هريرة ، حيث قال : حدثنى خليلى الصادق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :((يكون فى هذه الأمة بعث إلى السند والهند فإن أدركته،واستشهدت فذلك وإن أنا رجعت فأنا أبو هريرة المحرر قد أعتقنى من النار))(١) .

ويدل الحديثان النبويان الشريفان علىأن النبىصلىالله عليه وسلم كان يحث أصحابه على المشاركة في غزوالهندوبين الفضائل والأجورلمن يشارك فيه.

إن الفتح الإسلامى للهند وإن بدأ فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخليفة الثانى من الخلفاء الراشدين ، إلا أن الاتصالات بين الهندوالعرب المسلمين ، كانت سابقة منذ العهد النبوى الشريف،فقد وصلت شهرة الإسلام إلى آفاق العالم ،وبلغ أمر الدعوة حينذاك ، وقد توافد بعض الوفود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقدموا إليه الهدايا الهندية ويتمتعوا بصحبته صلى الله عليه وسلم بالهدايا والإيمان ، ومن ثم يعودون إلى أوطانهم .

" وكان أهل سرنديب (٢) قد بعثوا رسولا منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن وصل إليهم نبأ ظهوره نبيا وهاديا ومرسلا من الله سبحانه وتعالى ، وذلك للوقوف على شأن هذا النبى صلى الله عليه وسلم وشأن دعوته، ولكن قبل أن يصل الرسول إلى المدينة المنورة فاجأه الوفد نعى انتقاله للرفيق الأعلى " .

ويذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله فى كتابه " الإصابة " عن حاكم قنوج إسمه" سرباتك ": أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل له حذيفة،وأسامة وصهيبا،ليدعوه إلى الإسلام،وأنه قد قبل ذلك ،مع أننا لا نجزم بصحة هذه الحكاية، إذ أن الحافظ ابن حجر يشك فى إثبات هوية هذا الحاكم

---

(١) الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد الشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا جـ٢٢ص٤١١، ط١ ١٣٧٧م .

(٢) منطقة هندية قرب ساحل السيلان .

" سرباتك " أهو أصلا من الهند أم أنه من الروم ، وبغض النظر عن هويته وعن مدى صحة الحكاية ، فالأمر الذى لامرية فيه أن بعض الحكام من الهند ، كان يرسل الهدايا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل: الزنجبيل والمسك وغيرهما من الهدايا الهندية ، مما يدل على وجود الاتصالات بين الهنود والمسلمين العرب منذ العهد النبوى (١) وان الإسلام ودعوته قد وصلت إلى شبه القارة الهندية منذ ذلك العهد الزاهر ، وإن كانت تلك الاتصالات مقصورة ومحدودة فى بعض الأفراد والمجموعات ذات النطاق الصغير ولم تتوسع بعد لتعم القارة الهندية كلها ، وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يشعر بما حباه الله تعالى من نور الوحى والبصيرة النبوية بمستقبل الإسلام فيها ، ولذلك كان يتمنى أن تبلغ دعوة الدين الإسلامى إلى هذه المنطقة ، ويرغب أصحابه الكرام على القيام بفتحها لتكون راية الإسلام خفاقة وعزيزة فى أرضها .

وانطلاقا من البشارة النبوية لغزو المسلمين للمناطق الهندية بدأ المسلمون العرب غزوها فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عندما بعث أحد مواليه "حكم بن تغلب" إلى منطقة السند (٢) إلا أن هذه المهمة وما تتابع بعدها من الحملات لم تنجح فى تحقيق أهداف المسلمين وذلك لظروف تعرض لها المسلمون فى تلك المنطقة،ومن جملتها قلة الزاد والعتاد المتوفر لتأدية واجباتهم ،فاضطر الخليفة عمر رضى الله عنه إلى إيقاف الغزو وتتابعت رحلاتهم حتى يستعدوا له بجميع الوسائل الممكنة،ولكنه لم يتم فى حياته بسبب وعورة الطريق والمشاكل البيئية العديدة التى حالت دون تحقيق الهدف.

---

(١) أحمد مباركفورى : العرب والهند فى عهد الرسالة ، ص ١١٠ .
(٢) انظـــــر : نفس المرجع ص ١١٣ .
(٣) تقع جنوب شرق باكستان وعلى ساحل بحر العرب .

وبعد وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه تتابعت محاولات المسلمين للدخول إلى ثغر الهند إلا أن محاولاتهم لم تكن بشكل منظم ومنسق يتحقق لهم الظفر العظيم • فقد حاول المسلمون تلك المحاولات أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه وفى عهد الخليفة الرابع على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولم يألوا جهدا فى ذلك الغرض ، كما ذكر البلاذرى فى فتوحه : " فلما ولى عثمان بن عفان رضىالله عنه وولى عبدالله بن عامر بن كريز على العراق ، كتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه بخير ، وفى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدى متطوعا " (١) •

وظل القادة المسلمون العرب يطرقون أبواب الهند من هذه الطريقة •

وفى أيام الأمويين وقع الخلاف بين حكام الهند وخلفاء بنى أمية بشأن هجوم قراصنة الهند على قوافل المسلمين البحرية ، وطلب خلفاؤهم إلى حكامها المساعدة للحيلولة دون هذه القرصنة ، إلا أنهم اعتذروا عن تلبية مطالبهم لعدم قدرتهم على سد ذلك الهجوم ، وكان لحاكم العراق الحجاج بن يوسف فرصة لاستغلال هذا الخلاف ، حيث كان من طبيعته حب الاستطلاع على البلاد الإسلامية والفتوحات ، واغتناما للفرصة المتاحة له قام بالحملات العسكرية على أرض الهند ، واختار محمد بن القاسم الثقفى قائدا لها ، وبعثه إلى الهند بالعدة والعتاد إلى ثغر الهند عام ٩٣هـ ، وقد غزا محمد بن القاسم أرض الهند عن طريق البحر والبر معا ، وعدد الجنود الذين شاركوا فى الغزو معه لايقل عن اثنى عشر ألف جنديا من الشام والعراق ، ثم انضم معه عدد كبير من رجال " الجات " (٢) فأخذت جيوش الإسلام بقيادته تتقدم نحو الشرق والشمال فى الهند •

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٢١، ط١ ، ١٩٣٢م /مصر •

(٢) ويقال الزط أيضا ،وجاء فى لسان العرب : الزط : جبل أسود من السند ، وكتب ابن الخرداذبة: أن منطقة بلاد الزط التى تمتد من فكران إلى المنصورة (السند) تربو مساحتها على مئات الأميال • انظر : المسالك والممالك ص١٠٧ • وقد أسلم معظمهم على أيدى جيوش المسلمين العرب إثر قدومهم إليها •

ولما كانت حملة محمد بن القاسم مفاجأة لحكام وأهالى المنطقة التى ما كانوا يتوقعونها من قبل ، فقد أصابهم الخوف والفزع ، ودب فى قلوبهم الرعب ، فهرب كل من كان باستطاعته الهروب بمن فيهم حاكم السند " راجه داهر " ، وهكذا حقق المسلمون انتصارا بفتح أراضى الهند (١) ٠

ولم يشمل الفتح الذى حققه المسلمون بقيادة محمد بن القاسم ، أراضى الهند كلها كما ذهب إليه بعض الكتاب ، وإنما شمل أراضى الهند وما حولها من ملتان(٢) وكشمير وغيرها التى تقع شمال غرب الهند ٠

ولما وصل محمد بن القاسم إلى ملتان أتاه خبر وفاة عمه " الحجاج " وذلك سنة ٩٣هـ وبعد مدة قليلة جاءه خبر وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وتولية سليمان بن عبدالملك الخلافة ، فأمر هوبعزل محمد بن القاسم وعين مكانه يزيد بن كبشة حاكما للسند ، واقتيد إبن القاسم إلى بغداد ، ثم أدخل السجن ، وقد عاش فيه فترة وهو يذوق عذابا شديدا حتى توفى فيه (٣) ٠

وكان إبن القاسم يهدف من وراء فتح السند :إلى

أولا: إنقاذ المواطنين فى هذه المنطقة من بطش السلطات الهندوكية ٠

ثانيا : فتح الطريق إلى الهند لأولئك الين كانوا يحرصون على أداء الرسالة هناك ، وتوسيع ونشر الدعوة الإسلامية ٠

ثالثا : ضم هذه البقعة إلى الدولة الإسلامية ٠

وقد نجح إبن القاسم فى تحقيق تلك الأهداف النبيلة ، فبفضل إيمانه العميق وشجاعته الباسلة ، تمكن من فتح باب للإسلام فى الهند بعد أن صعب على المسلمين السابقين ، وهذا الفتح قد مهد السبيل لدعاة الإسلام وعلمائه لبث دعوة وعقيدة التوحيد إلى ربوع القارة الهندية كلها ٠

---

(١) د/أحمد الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية جـ١ص٥٥ ٠

(٢) بلدة شهيرة فى وسط باكستان ٠

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٢٥- ٤٢٨ ٠

ومن هذا المنطلق توافد علماء الإسلام ومشانخه العظام إلى الهند بعد هذا الفتح المبين ، قادمين من الجزيرة العربية والعراق والشام ومدن فارس من أجل نشر الإسلام وهداية الناس إلى الصراط المستقيم ، إذ كانوا يدركون جيدا خصوبة أرض الهند وأهلها ، وأنها سوف تؤتى ثمارها لو اجتهدوا وعملوا فيها كما فهموا ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة التى بشر بها المسلمون ، وقد كرس هؤلاء العلماء والمشانخ جهودهم وحياتهم فىهذا السبيل ووصلوا إلى أصقاع الهند بما فيها منطقة البنغال الواقعة فى الجنوب الشرقى من الهند ، فى حين كانت منطقة البنغال تحت سيطرة الهندوس والبوذيين ، ولضئالة عددهم وانحصارنشاطاتهم داخل البيوت ، لذلك لم يتعرضوا للمعارضة من الحكام المحليين ، بالاضافة إلى أن عملهم فى مجال التبليغ الإسلامى كان فى السر دون الجهر ، وأخذ أهل المنطقة يتعرفون على الإسلام ويتعاطفون مع هؤلاء الدعاة ، ويعتنقون الدين الإسلامى ، فلما زادت نشاطاتهم وكثر عدد المعتنقين للإسلام ، أصبحت الدعوة معلنة مما جعل الحكام المحليين يخافون منهم ومما يقومون به من الدعوة ونشر الإسلام واشتعلت فى نفوسهم نار الغضب وقاموا بالانتقام منهم ، وهاجموهم بكل وسائل الممكنة من القتل والتعذيب والتشريد، ومع ذلك فقد ظل الدعاة صامدين أمام هذا العنف والبطش ، يدفعهم إلى ذلك إيمانهم بالله عزوجل ورجاؤهم فى أن يهدى الله بهم من يشرح الله صدره للإسلام ، ولهم فى ذلك المثل الأعلى والقدوة الرائعة من تاريخ الأنبياء والرسل والصالحين ، فقد تعرضوا أثناء دعوتهم لمثل هذه العنت أو أشد ، وصبروا وصابروا واحتسبوا ذلك عندالله تعالى ، وفى ذلك يقول الله عزوجل : ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (١) .

(١) سورة العنكبوت الآية ١ .

فهذه سنة من سنن الله التى من خلالها يرفع درجات المؤمنين، ويكفر عنهم السيئات ويدخلهم الجنة .

واستطاع هؤلاء الدعاة من خلال عملهم الدؤوب غرس العقيدة الإسلامية فى نفوس الناس،فترك الناس دياناتهم وجاهليتهم التى كانت تحيط بهم ، ودخلوا فى دين الله أفواجا، بعد أن أدركوا أن الديانات السائدة فى أوطانهم والمعتقدات المحيطة بها ما هى إلا أساطير وتخيلات ليس لها حقائق فى الوجود،وأيقنوا أن التوحيد الإلهى والشريعة الإسلامية وتعاليمها هى التى تنقذ الناس من المتاهات وتوضح لهم الطريق السليم الذى فيه تنال السعادة .

فهذه الخدمات الجبارة التى عمل بها الدعاة من العلماء والمشائخ ، دفعت إلى تكوين الأمة الإسلامية التى قامت بعدهم بمهمة الدعوة والتبليغ فى المجتمع البنغالى ، وبفضل أعمالهم المخلصة انتشر الإسلام فى ربوع المنطقة ، حتى أن بعض الحكام المحليين كانوا قد تأثروا بمحاسن الإسلام وتعاليمه ، ولبوا دعوة التوحيد وساعدوا فى نشرها بإنشاء مساجد ومعاهد ومراكز دينية فى شتى أنحاء البنغال كينابيع ينبثق منها الإسلام وأحكامه.

وينبغى أن نذكر هنا بعض الدعاة من العرب والفرس القادمين إلى أرض البنغال الذين لهم الفضل الكبير فى انتشار الإسلام وإنقاذ المواطنين الذين كانت العقائد الهندوكية والبوذية مسيطرة عليهم ، ونزعم أن معظم هؤلاء الدعاة استطاعوا التأثير فى المواطنين من خلال سلوكهم وأخلاقهم الطيبة ، بحيث إنهم تأثروا بهم ودخلوا الإسلام ، وتركوا المعتقدات الباطلة ، وإن كان ينقصهم الفهم الصحيح للإسلام ونبذ البدع والخرافات التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ، وذلك بسبب اعتناقهم لبعض الطرق الصوفية المنتشرة فى بعض البلدان الإسلامية وبصفة خاصة فى بلاد فارس ، ولكنهم مع ذلك - والحق يقال - أن هؤلاء كانوا يتمتعون بصدر رحب ، وسعة أفق ، غير ما يعهد عند غيرهم ، وأذكر هنا نموذجا من هؤلاء الدعاة والوعاظ :

---

(١) عبدالمنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص٦٤٠
وأيضا : Dr.enamal Hocque : A History of Sufism in Bangal .p 208.

١ـ الشيخ مير سيد سلطان محمود البلخي ،المعروف بماهي سوار المتوفى ١٠٤٧م :

كان أحد أبناء ملوك بلخ ،وتولى العرش بعد وفاة أبيه ، ويحكى أنه ذات يوم ضرب امرأة بالكرباج ، لارتكاب جريمة الجلوس على كرسي في الديوان كان معدا لكبار الضيوف ، وهي جريمة لا يقل العقاب عليها عن الضرب بالسياط ، وفي أثناء الضرب قالت المرأة : إذا كان هذا الضرب من أجل استمتاع لحظة على الكرسي، فما بال رجل يتمتع به عشرات السنين ؟! فشقت كلماتها هذه على قلب السلطان ، فأمسك يده عنها وأطلق سراحها مع الاعتذار منها كما أعطاها شيئا من النقود ٠

ومنذ هذه اللحظة انقلبت حياته وتغيرت أحواله ، وترك العرش وارتحل إلى دمشق لطلب العلم والمعرفة ، وبعد اقامته فيها حوالي ست وثلاثين عاما توجه الشيخ مير سلطان إلى منطقة البنغال على ظهر سفينة تشبه الحيتان ، ومن هنا صار لقبه " سلطان ماهي سوار" أي الراكب على الحوت ثم نزل في مدينة " دهاكا " التي كانت مليئة بالمعابد الهندوسية ، وفي يوم من الأيام دخل السلطان في أحد هذه المعابد، وأذن فيها بصوت اندهش له أهل المدينة وحكامها ، وتأثروا بصوت الحق أشد التأثير (١) ٠

وتتعجب عندما تقرأ كتب التراجم أن مثل هذه الحادثة ،قد تأثرت كثيرا في قلوب عديد من الناس على اختلاف أديانهم ومللهم واتجاهاتهم ، فاعتنق عدد كبير منهم الإسلام ، واعتقدوا أن شخصية هذا الرجل وصلاحه وحلاوة منطقه وقوة إيمانه وإخلاصه ، عوامل لها الأثر الأكبر في اعتناق هذا العدد الكبير من الناس الإسلام ٠

---

(١) د/ شودري شمس الرحمن : الحقائق عن التصوف : ص١٦٨، جمعية البحوث الباكستانية ١٩٧٠م ٠(بنغالي)

ولشدة تعلق الناس به والتفافهم حوله وتأثرهم به أمر رجال السلطة بطرده فورا من المنطقة ، فذهب السلطان إلى منطقة " بوكرا " شمال البنغال وكان لديه من قبل علم بأحوال هذه المنطقة وسكانها وما يصيبهم من وطأة الظلم الذى يمارسه الحكام على المواطنين ، فثار على الظلم ودافع عن المظلومين من الناس ، محاولا تخليصهم من أيدى الظلمة ، فقام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبكل ما تأمره به الدعوة الإسلامية ، فغضب حاكم المنطقة و اعتبر أن ما يقوم به الشيخ سلطان محمود هو تدخل فى الشئون الداخلية التى قد تتسبب فى تأليب الناس عليه ، فأعلن الحرب ضده ، ولكنه مني بالهزيمة فى القتال ، وكانت نتيجة تلك المواجهة هى هروب الحاكم وحاشيته من " بواكرا " خوفا من هذا الداعى الفاضل وأتباعه بعد هذا الانتصار العظيم ، وبعد هذا النصر أنشأ الشيخ فيها مركزا لنشاط الدعوة كما أقام مسجدا جامعا تقام فيها الصلوات .

وبهذا انطلقت الدعوة الإسلامية إلى أرجائها ، وقد عاش السلطان بقية حياته فى تلك المنطقة ، وهو يكرس جهده فى سبيل خدمة الإسلام بين المواطنين إلى أن فارق الدنيا ، وهو مدفون فى نفس المدينة (١) .

٢ ـ الشيخ محمد سلطان الرومى المتوفى سنة ١٠٥٣م :

ولد الشيخ محمد سلطان الرومى فى إحدى القرى من بلاد فارس ، وقد تربى فى أسرة علم ودين ، وتعلم فيها العلوم الشرعية ، وبعد مضى فترة من عمره فى " فارس" إرتحل إلى البنغال لنشر الدعوة الإسلامية ، فنزل فى مدينة " مؤمن شاهى " الواقعة فى الشمال الشرقى من البلاد،ولم يمض على قدومه أيام قلائل إلا وذاعت شهرته بطيب الخلق وحسن السلوك،ودخل على يديه أفراد غير قليلين الإسلام،وكان وجوده فى هذه المنطقة أمرا غير مرغوب فيه لدى السلطة الهندوكية خاصة عندما رأت المواطنين يلتفون

(١) د/انعام الحق : تاريخ دعاة الإسلام فى البنغال ص٨ / دهاكا ١٩٦٠م .

حوله ويدخلون الإسلام رغبة دون إكراه ، فدبر رجالهامؤامرة لقتله بتقديم الشراب الممزوج بالسم ، فطلبه الحاكم ليحضرفي القصر ، ولكن الشيخ كان واعيا لما سيحدث عند حضوره في القصر، فلما قدم له ذلك الشراب ، قال : " بسم الله الذى لايضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم " ثم شرب دون أن يؤثر عليه شئ ، فاستغرب الحاكم وحاشيته ، واندهشوا لما رأوا منه هذا الأمر ، فاسلموا جميعا على يديه ونطقوا بالشهادتين (لاإله إلاالله وأن محمدا رسول الله) .

ويذكر بعض المؤرخين أن الزائرين له كانوا يعجبون كثيرا بهيبته ودماثة خلقه ، ونور الإيمان الذى كان يظهر على وجهه ،ولقد كان لشخصية الشيخ الرومى التى تتمثل فيها العديد من الصفات التى يتحلى بها، الأثر الكبير فى نفوس زائريه ، حتى أن الواحد منهم كان يدخل عليه ويجلس معه فما يلبث أن يسلم على يديه دون أى تردد، لما يلمس فيه من حسن الخلق وقوة الإيمان وروعة ما يتمتع به من السلوك الإسلامى،وبقى الداعية الإسلامى السلطان الرومى يعمل بجهد متواصل فىاصلاح الفرد والمجتمع إلى أن توفي .

٣ - *بابا آدم شهيدا المتوفي* ١١١٩م :

لم يعرف المكان الذى ولد فيه إلا أن القرائن المتوفرة ، تشير إلى أنه كان من أفغانستان ، وكان رجلا فاضلا ومتفوقا فى علمه وعمله ومعرفته بالدين الإسلامي ، فقد قدم إلى البنغال فى القرن الثانى عشر الميلادى ، ونزل فى منطقة " بيركام فور " على بعد عدة أميال من عاصمة بنغلاديش دهاكا ، وهى تعرف اليوم بـ(عبد الله فور) وبفضل خدماته الجبارة ، أسلم على يديه عدد كبير من المواطنين ، وذكرأنه ذات يوم ذبح بقرة لإقامة وليمة لضيوف كانوا عنده بالرغم من أنها كانت مقدسة فى الديانة الهندوكية فذبحها ودمها حرام للجميع ، لما فيها إذلال وإهانة للبقرة لكونها آلهة من دون الله ، وسمع بهذا النبأ حاكم المنطقة وهو هندوكى متعصب ، فأراد القيام بالثأر

فأرسل قافلة من الجنود لمحاربته وأتباعه من المسلمين ولكنه مني بالفشل أمام الشيخ وأنصاره وأتباعه ، ومع ذلك فقد بقى الحاكم الهندوكى يتربص بالشيخ الدوائر ،وفى يوم من الأيام عزز قواته وتوجه لقتال الشيخ ، وكان هذا القتال أول قتال من نوعه بين الهندوس والمسلمين فى تاريخ البنغال ، وانتهى بهزيمة جيش المسلمين ، واستشهاد الداعية الإسلامى الكبير وعدد كبير من أتباعه ، ولذا لقب بـ(الشهيد) .

٤ - *مخدوم شاه الدولة المتوفى* ١٢٤٧م :

ذكر أصحاب التراجم أنه من أصل يمنى ، بل يذهب بعض الكتاب إلى أنه كان من سلالة معاذ بن جبل رضى الله عنه الصحابى الجليل الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن حاكما لها .

وقد جاء هذا الداعية الإسلامى مع بعض أفراد أسرته وتلامذته إلى البنغال ، فأنشأ معهدا دينيا فى إحدى ضواحى محافظة " بابنا " الواقعة فى الشمال الغربى من بنغلاديش ،و كان يلقى فيها دروسا فى تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية والفقه وغيرها ، وبعد فترة وجيزة من قدومه ، اعتنق عدد كبير من المواطنين الإسلام على يديه، وحسن إسلامهم ، وكالعادة لم يكن حاكم المنطقة يبارك هذا النشاط الذى كان يقوم به الشيخ فغضب منه ، ولم ير بدا من الخلاص منه وإيقاف مهمته فأعلن الحرب ضده ومن كان معه من المسلمين ، لكن النصر كان حليف المسلمين فى هذه المعركة الطاحنة ، واستشهد الشيخ مخدوم شاه وبعض أتباعه فيها ، ومع ذلك الإنتصار وفقدانهم لهذا العالم الكبير ، تمسك أتباعه بالسير على نهجه ، ومواصلة التبليغ الذى جعله الشيخ هدفا لحياته، حتى دخل فى الإسلام عدد كبير من الوثنيين .

٥ - *الشيخ جلال الدين التبريزى المتوفى* ١٢٢٥م :

ولد هذا العالم فى مدينة " تبريز" عاصمة اقليم " فارس " وكان عالما ورعا مخلصا تلقى دروسا دينية من أحد مشاهير شيوخ بغداد ،يسمى الشيخ شهاب الدين السهروردى (١) ، وبعد استكمال الدراسة توجه جلال الدين بأمر استاذه للعمل فى التبليغ الإسلامى فى البنغال ، وكان وصوله إليها فى بداية القرن الثالث عشر الميلادى ، حيث اشتهر فى البنغال بعلمه وعمله المخلص وخلقه الفاضل ، حتى أصبح من كبار الدعاة فى المنطقة ، واعتنق على يديه الإسلام منات الألوف من الهندوس والبوذيين لما وجدوا فيه من مكارم الأخلاق وحسن الأدب والمعاملة،بالاضافة إلى الزهد والورع والتقوى الذى جذب الناس إلى المسارعة فى إعتناق الدين الإسلامى ٠

فبعد نزوله فى مدينة " بندوة " الواقعة فى غرب البنغال ، أنشأ فيها جامعا كبيرا وفيه دار الضيافة للمغتربين وطلبة العلم وعشاقه الذين يأتون لأخذه عنه ، وبعد إقامته هناك خرج الشيخ فى جولة عامة لمناطق البنغال لتوسيع الدعوة للعقيدة الإسلامية ونشر التعاليم الدينية ، فما من منطقة مر بها الشيخ إلا وبنى فيها مسجدا ومركزا دينيا وكان يهدم ما يقابله فى الطريق من المعابد والأصنام والتماثيل ، والذى يدل على نجاح مهمته فى التبليغ الإسلامى أنه قد تأثرت به جميع الطبقات من المثقفين والفقراء والأغنياء من الهندوس والبوذيين وكان يهتم كثيرا بالفقراء والمعدومين والمعوقين وينفق عليهم ويعينهم ، وفى أثناء هذه الخدمات المباركة والجولات المكثفة توفى الشيخ رحمه الله ، دون أن يعرف أحد المكان الذى مات فيه بالتحديد ٠

---

(١) الظاهر أنه شيخ الطريقة السهروردية أو بعبارة أخرى أنه مؤسسها لها "والسهرورد" منطقة تقع فى فارس ، واليها ينتسب ٠٠٠ توفى ١٢٣٤ م ٠

٦ ـ الشيخ شرف الدين ابو توامة : (المتوفى عام ١٣٠٠م) .

هو شرف الدين أبو توامة الحنفي الدهلوي كان من أعيان القرن السابع الهجري . وأخذ عنه الشيخ شرف الدين أحمد يحيى المنيري (١) ولد في مدينة " بخاري " المعروفة وتقع في وسط آسيا .

وكان عالما فاضلا وفقيها في مدرسة علماء الأحناف ،تعلم العلوم الدينية في " خراسان " وبعد إكمال الدراسة عزم على السفر إلى الهند في القرن الثالث الميلادي ، ووصل إلى البنغال عبر دلهي، واستقر في مدينة " سوناركاؤن " على مقربة من عاصمة بنغلاديش ، فأنشأ فيها معهدا إسلاميا كبيرا ، يعتبر أكبر وأقدم معهد في تاريخ البنغال .

ويرتاد هذا المعهد آلاف من طلاب العلم يأتون إليه لتلقى العلم فيه ، وبعد استكمال دراستهم العلمية بالمعهد يرسلون إلى أنحاء البلاد لينشروا الدعوة الإسلامية فيها ، وما زالت آثار هذا المعهد موجودة إلى الآن .

٧ ـ الشيخ عباس على مكى (المتوفى ١٣٤٢ م) :

ولد في مكة المكرمة حيث تربى وترعرع وأخذ العلوم الشرعية من كبار العلماء والمشايخ في القرن السابع في مكة المكرمة ،وبعد الحصول على الإجازة من المشايخ سافر إلى الهند ، ويذكر أنه شارك مع السطان غياث الدين تغلق شاه (أحد حكام المسلمين في دلهي) أثناء قيامه بالهجوم على منطقة البنغال لإخماد الثورة التي قام بها المتمردون ضد السلطان

---

(١) أحد مشاهير العلماء ، ولد سنة ٦٦٠هـ في عهد السلطان ناصر الدين محمود الإيلتمش ببلدة منير ، ومن مؤلفاته : المكتوبات ،ارشاد الطالبين ، ارشاد السالكين ، معدن المعاني ولطائف المعاني ، شرح آداب المريدين.راجع : " نزهة الخواطر : عبد الحي الحسيني ٧،٦/٢ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد /الهند .

(٢) عاصمة لبنغلاديش القديمة ، انشأها المغول تبعد حوالي ٢٠ كيلو مترمن عاصمة دهاكا .

وذلك سنة ١٣٢٤م وبعد انتهاء العملية بقى الشيخ عباس فيها يدعو الناس إلى عبادة الله والعمل بالشريعة الإسلامية ، وكان وجوده مقلقا لحاكم البنغال ، وخاصة عندما أدرك أن جموعا غفيرة من الناس قد اعتنقت الإسلام فعلا ، فبادر باستخدام القوة ضد هذا الداعى ، وشاء الله أن ينتصر المسلمون فى تلك المعركة على الطائفة الهندوسية •

٨ ـ *الشيخ جلال الدين اليمنى* : (*المتوفى* ١٣٤٧م)

الشيخ جلال الدين اليمنى الملقب " شاه جلال" كان من كبار الوعاظ المعروفين والعلماء البارزين فى جنوب شرق الهند، وقد اختلف المؤرخون فى تحديد الموقع الذى ولد فيه ، فبعضهم ذهبوا : إلى أنه ولد فى منطقة " قونيا" الواقعة فى تركيا ،بينما قال بعضهم : إنه من أصل يمنى، والتوفيق بين هذين الرأيين بأنه ولد فى تركيا ،ثم تربى ونشأ فى اليمن وأخذ العلوم والمعرفة من علماء ومشائخ اليمن ، ومكث هناك فترة طويلة ،ثم ذهب إلى منطقة "سهلت" شمال شرق البنغال لغرض العمل بالدين ونشر التعليم الإسلامى ، وكان قدومه إليها أيام حكومة فيروزشاه،حاكم دلهى "عام١٣٠٣م" وكانت هذه المنطقة أوكارا للوثنين والهندوس ، فأختارها من أجل هداية أهلها ودعوتهم إلى التوحيد ، وفى أثناء إقامته فى "سهلت " أقام فيها مركزا دينيا ومعهدا إسلاميا لينبثق منه شعاع الإسلام ،كما اعتنق الإسلام على يديه مئات الآلاف من البنغال متأثرين بدعوته وخلقه وسلوكه ، فلم يبق بيت أو أسرة إلا وقد دخلها الإسلام وطار صيته إلى آفاق العالم واصبحت له مكانة رفيعة عند الناس ، كماورد فى الحديث النبوى الشريف:((ماتواضع أحد لله إلا رفعه الله)) (١) وكان الرحالة إبن بطوطة أثناء رحلته للهند

---

(١) رواه مسلم عن أنس رضى الله عنه الحديث رقم ٢٥٨٨ •

يشتاق لزيارة الشيخ شاه جلال ، وقد سمع عنه وعن تفوقه فـي مجـال العلـم والمعرفة ، فلما قدم إبن بطوطة إلى البنغال ، ذهب إلى " سهلت" علـى ظهـر قارب من ميناء " تشيتاكونغ" وقد أطال المقام فيها عدة أيـام ، فأكرمـه الشـيخ وأحسن ضيافته ، وقدم له هدايا فاخرة (١)وقد تأثر الرحالة إبن بطوطـة مـن سلوكه المتواضع وزهده فى الدنيا ومتاعها، ورغبته فـى عبـادة اللـه تعـالى ، وحرصه على دعوة الناس إلى عقيدة التوحيد والعمل بالشريعة الإسـلامية ، إضافـة إلـى بعض الكرامـات التـى خصـه اللـه بهـا عمـا يمضـى بهـا عبـاده المخـاصين والمقربيـن ، قـد شـاهدها إبـن بطوطـة علـى يديـه ، وذكرهـا فـى الرحلة الشهيرة •

توفى الشيخ جلال الدين فى نفس المدينة ، ومازالت مقبرته موجـودة فـى إحدى مرتفعاتها •

٩ - الشيخ علاء الدين عمر أسد الخالدى المتوفى ١٣٩٨م :

ولد فى منطقة لاهور (٢) وكان والده عمر بن أسد من سلالة الصحـابى الجليل خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ثم قدم من لاهور إلى غـرب البنغـال فى أواسط القرن الرابع عشر الميلادى ، وأقـام فـى " بنـدوه " ،وتلقـى الشـيخ علاءالدين العلوم الدينية فيها من مدرسة نظام الدين الدهلوى التى جـاء إليهـا لنشر العلوم والمعرفـة ، وكـان علاءالديـن مـن أجـل طـلاب المدرسـة الذيـن أسهموا فى إضاءة شموع الإسلام فى أنحاء البنغال • ولتفوقـه علمـا وخلقـا ، كان الناس يحبونه ويقدرونه • وحبا فـى العمـل الإسـلامى أنشـأ فيهـا مركـزا دينيا لطلاب العلم وعشاقه•ولـه خدمـات جليلـة فـى تحويـل المجتمـع البنغـالى الجاهلى إلى مجتمع إسلامي • وبعد أن أمضى مدة طويلة فى لاهور ارتحـل

---

(١) إبن بطوطة : سفرنامه إبن بطوطه : (اردو) رحلة إبن بطوطة ص٦١١ •

(٢) عاصمة بنجاب الباكستانية •

الشيخ إلى مدينة "سو ناركاون" قرب عاصمة بنغلاديش ، وبقى فى المدينة إلى آخر لحظة من حياته مجاهدا فى سبيل الله وفى سبيل الدعوة إليه وحمل لواء الإسلام بعد وفاته عدد من أفراد أسرته وتلاميذه ،الذين استطاعوا تخليص مئات الآلاف من المسلمين الذين تعرضوا لعدوان حاكم هندوسى يسمى "راجاغونيش " عندما أراد استئصال الموحدين من جذورهم والقضاء على الإسلام (١)٠

تلك لمحات سريعة عن حياة بعض أكابر العلماء والمشائخ الذين أسهموا فى نشر الدين و غرس الدعوة الإسلامية فى ربوع البنغال ٠

ولقد من الله تعالى على هذه الأمة بنعمة الإسلام ومن لطفه وإحسانه على العباد أن قيض الإسلام ودعاة المسلمين لإصلاح البشر، والدعاة من ورثة الأنبياء ، جاءوا إلى هذه المنطقة فى حين كانت الجاهلية بجميع أوصافها سائدة فى كل الأنحاء ، رحل الدعاة إلى البنغال وتركوا أوطانهم وأهاليهم يحرصون على أداء مسئولية الدعوة والتبليغ التى القيت على عاتق وكاهل أخيارهذه الأمة ، ولقد نجح هؤلاء فى واقع الأمر، وسعوا بكل مافى وسعهم لإصلاح الناس وهدايتهم إلى طريق الرشد ، وسعد الناس بفضل

---

(١) نقلت هذه المعلومات عن دعاة الإسلام وعلمائه ومشائخه الذين اسهموا فى نشر دين الإسلام فى محيط البنغال من الكتب التى تمثل أهم المصادر والمراجع حول هذا الموضوع وهى كالتالى :

١ - غلام ثقلين : تذكرة علماء المسلمين فى بنغلاديش ، المؤسسة الإسلامية ، دهاكا بنغلاديش ط٣ ١٩٨٢ م ٠

٢ - محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع الإسلامى البنغالى ، مكتبة الأزاد للطباعة ط١،عام١٩٦٥م ٠

٣ - شودرى شمس الرحمن : حقائق عن التصوف : جمعية البحوث الباكستانية ، دهاكا ط١ ١٩٧٠ م ٠

٤ - منكرات الشيخ نور محمد الاعظمى : ترتيب وتبويب ، س ، م عزيز الحق الأنصارى المؤسسة الإسلامية ، دهاكا ، بنغلاديش عام١٩٦٥ م ٠

٥ - عبد المنان طالب : المسلمون فى بنغلاديش ، المؤسسة الإسلامية ،داكا ،ط ١٩٨٠م٠

٦ - عبدالحى الحسينى : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر : مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد دكن ط٢ ، ١٩٦٢م ٠

قبولهم للإسلام وتعاليمه أن يعيشوا بالأخوة والمحبة ، متمسكين بحبل الله المتين على سبيل الحق والرشاد ٠

ومما لامرية فيه أن الفضل كله فى انتشار الإسلام فى منطقة البنغال يعود إلى دعاة المسلمين من العرب والعجم الذين تشبعوا بنور الإيمان و العقيدة السمحة ، وبذلوا جهودا فردية وجماعية فى نشره فى كل بقعة نزلوا فيها وفى كل مكان أقاموا فيه ٠

خلاصة الكلام :

إن انتشار الإسلام ودعوته فى بقعة البنغال يعود فضله إلى هؤلاء الدعاة والوعاظ من العرب والعجم الذين تشبعوا بروح الإيمان ، وأخلصوا العمل لله عزوجل ، وبذلوا جهودا فردية وجماعية فى نشر هذا الدين وأوصلوه إلى أماكن متناثرة وأصقاع بعيدة • فإن لم تبذل تلك المجهودات ولم يهتم فى توسيع رقعة الدين الحنيف آنذاك ، لكانت المناطق كلها فى ظلمة الكفر والشرك ، وما كان سكانها يعرفون عن التوحيد والقرآن والرسالة شيئا ولكن الله سبحانه وتعالى قد رحمهم فهداهم إلى الصراط المستقيم بقدوم هؤلاء الدعاة وخدماتهم العظيمة ، لنشر الإسلام وإصلاح عقائدهم ، وتجميعهم على كلمة الحق سبحانه وتعالى ٠

ونلخص تلك الخدمات الجليلة فى النقاط التالية :

أولا: إن الظروف السياسية والاجتماعية التى كانت سائدة فى أصقاع الهند كلها قبيل ظهور الإسلام ، كانت سيئة للغاية ، فالجاهلية بجميع ألوانها وأوصافها كانت موجودة فى المجتمع الهندى ، كما هو شأن الجزيرة العربية قبل الإسلام ، كما أن سعادة الإنسان وكرامته كانت موؤدة فى صراعات بين ديانة الهندوسية والبوذية و كان الناس يعمدون إلى عبادة الأشجار والأحجار بالاضافة إلى الآلهة القديمة الخرافية المتعددة ٠

وظلت عقائدهم مليئة بالخرافات والخزعبلات ، وفي وسط تلك الأوضاع والظروف كانت مبادرة العمل بالدعوة والتبليغ في مجتمع يعيش في الجاهلية المحضة صعبة للغاية ، فالسبل والمنافذ التي سلكها هؤلاء الدعاة محفوفة بالمخاطر والمهالك، ولكنهم مع كل هذه العقبات والطرق غير المعبدة واصلوا سيرهم المقدس غير متخاذلين أو متقاعسين ، بل تقدموا وتحركوا في سبيل إنجاز مهمتهم التي من أجلها كان سبب القدوم ، وكان هدفهم الحصول على الرضا والثواب من الله سبحانه وتعالى ، ومن ثم أدوا فريضة التبليغ التي جعلت على عواتق أخيار هذه الأمة بعد وفاة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم إن هؤلاء كانوا يريدون إسعاد أنفسهم بتلك البشارة التي بشر بها أمته بغزو الأراضي الهندية التي ذكرناها سابقا ، ولو كان لهم أدنى غرض في طلب المنافع الدنيوية وكسب السمعة والشهرة لما تحملوا المشاق والمتاعب ولما نجحوا في المهمة ولما انتشر الإسلام في أصقاع شبه القارة الهندية ، وقد حث القرآن الكريم إلى القيام بعمل التبليغ والدعوة ، فقال عزوجل من قائل : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١) .

ثانيا : إن الإسلام دين عقيدة وأخلاق ، فإذا كان هذا يعلمنا عقيدة التوحيد والعبادة لله عزوجل ، ويحذرنا من الشرك والكفر والإلحاد فإنه يعلمنا أيضا حسن الأخلاق والسلوك ، وحسن الآداب والمعاملات كما يشجعنا على الصدق والمروءة وعلى الأخوة والمحبة والعفو والتسامح .

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٢ .

فإذا نظرنا إلى هؤلاء الدعاة والوعاظ وإلى سيرهم نجدهم قد اتخذوا القدوة الحسنة كوسيلة رئيسة فى دعوة الناس إلى التوحيد وجمعهم تحت لواء الإسلام ، ذلك أن النفوس لاتتأثر بدعوة أو كلام إلا إذا كان الداعى أو المبلغ متحليا بالقدوة الحسنة والسيرة الطيبة ، وعند دراستنا عن وضع أهالى البنغال تاريخيا وحضاريا وإجتماعيا نجد أن معظم السكان فى المنطقة اعتنقوا الإسلام لما رأوا فى الدعاة من سمو الأخلاق وحسن السلوك والآداب ، وبشاشة الوجه ، ولين الكلام والعفو والتسامح .

فالمسلمون عموما والدعاة والعلماء خصوصا مأمورون بالتحلى بالقدوة الحسنة والسلوك الحسن ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) .

قال الشوكانى رحمه الله " الأسوة الحسنة هى القدوة الحسنة " (٢) وكان النبى صلى الله عليه وسلم وهو خير داع إلى الله تعالى متحليا بها ، وكان يحث أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين على التحلى بحسن الخلق والآداب والسلوك،كماوردفى الحديث النبوى الشريف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :((مَا من شئ أثقلَ فى ميزانِ المؤمنِ يومَ القيامةِ مِنْ حُسنِ الخُلقِ))(٣)

ثالثا : إن هؤلاء الدعاة كانوا يتمتعون بنور العلم والمعرفة ، بغض النظر عن تفاوتهم فى المستوى العلمى ، والإسلام يحث الناس على العلم النافع والعمل به ، وجعل الإسلام علماء الدين ورثة الأنبياء ، فهم مكلفون بنشر هذا العلم ونقله من جيل إلى جيل ، وحذرهم الله من كتمانه والتساهل فى نشره ، فعن إبن مسعود رضى الله عنه ، قال :

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢١ .
(٢) الشوكانى : فتح القدير ٢٧٠/٤ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى .
(٣) رواه البخارى عن أبى هريرة .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((نَضَّرَ اللهُ امرءاً سمِعَ منا شيئاً ، فبلغه كما سمعه ، فرُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع))(١)٠

ويقول صلى الله عليه وسلم:((مَن سُئل عن علمٍ فكتمه ألجم يوم القيامة بلجامٍ النّار))(٢)،وكان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه رضوان الله عليهم في نقل العلم من جيل إلى جيل ومن شاهدإلىغائب ومن مكان إلى مكان ويتضح ذلك في خطبة حجة الوداع ((لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الغَائِبَ)) (٣)٠

وامتثالا لهذا التوجيه المبارك وحرصا على المثوبة من الله في نشر العلم فقد أنشأ هؤلاء الدعاة والوعاظ عددا كبيرا من الجوامع والمراكز العلمية والكتاب ودور الضيافة والزوايا وكانوا يدرسون القرآن والأحاديث والعلوم الدينية الأخرى فيها وأفادوا الآفا من أبناء المسلمين كانوا يتجمعون فيها ويتلقون الدروس منهم ، ثم ينتشرون لنشره في المناطق البعيدة ، وما زالت آثار تلك المراكز موجوده إلىاليوم" فلولم يقم العلماء الأفاضل برحلات علمية إلى هذه المنطقة الهندية لما وصل إليناعلم الحديث حتى اليوم"(٤)٠

رابعاً : مخاطبة الناس بلغتهم ولهجتهم وعلى قدر عقولهم ، وقد قام هؤلاء العلماء الدعاة بمراعاة الجوانب المذكورة عند أدائهم للدعوة والتبليغ واستلهموا ذلك الهدى من الحديث الشريف" لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا وأبا موسى الأشعرى رضى الله عنهما إلى اليمن ، قال لهما : ((يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا))(٥)٠

---

(١) رواه الترمذى : و قال هذا حديث حسن صحيح ٠

(٢) رواه ابو داود والترمذى ، قال الترمذى : حديث حسن ٠

(٣) رواه البخارى ، عن أبى بكرة عن أبيه ، كتاب العلم ٠

(٤) انظر : د/محمد اسحاق " علم حديث مين باك وهند كاحصة "[خدمات علماء الحديث فى الهند وباكستان ص١٧، إدراة الثقافة الإسلامية ، لاهور ١٩٧١م ٠

(٥) رواه البخارى عن سعيد بن أبي بردة : كتاب المغازى .

وقال أيضا : ((إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين))(١) .

فهؤلاء الدعاة من أهل العلم والمعرفة لما قدموا إلى مناطق البنغال والمجاورة لها أحبوا أن يختلطوا مع سكانها قبل كل شئ فتعلموا لغاتهم ولهجاتهم المحلية ، كما تعرفوا على عاداتهم وسلوكهم ، وحاولوا بهذه الوسائل التقرب إليهم وكسب ودهم ،ومن طبيعة الناس أنهم إذا رأوا غريبا يأتي إليهم ويختلط معهم ويتحدث بلغتهم ويحبهم ويتعاطف بهم فإنهم يكبرونه ويعظمونه ويرفعون شأنه ، وينصتون إليه ويطيعونه في أوامره ونواهيه لذا نرى أن هؤلاء الدعاة عند ما كانوا يخاطبون الناس وينادونهم كان الناس يجتمعون ويلتفون حولهم ويصغون إلى ما يقولون ويدخلون فى دين الله أفواجا متأثرين بحسن كلامهم وأسلوب بيانهم ، حتى أن بعض الحكام المحليين قد أنضموا إلى المعتنقين للإسلام بمجرد الاستماع لكلماتهم .

سادسا : كان صلاح العلماء وإخلاصهم وتقواهم سببا لنشر الإسلام ، وقد ظهر على أيديهم بعض الكرامات (٢) كما يدعى نفر من الباحثين مما جعل كثيرا من الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ،

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة : كتاب الوضوء .

(٢) الكرامة : من الكرم : ضد اللوم ، فالكرامة : طبق يوضع على رأس الحب ويقال حمل إليه اكرامة " الجوهرى : الصحاح ٢٠٢١/٥ ، ت عبد الغفور عطار " .

قال إبن تيمية : " وان كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة فى اللغة ، وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره ، ويسمونها آيات ، ولكن كثيرا من المتأخرين للعادة " مجموعة الرسائل والمسائل ٢/٥ .

قال بعض العلماء: إن المعجزة هى ما يجرى الله تعالى على أيدى الرسول أو الأنبياء من خوارق العادات المستلزمة بالتحدى.

وأما الكرامة:فهى ما يجرى الله تعالى على أيدى أوليائه من المؤمنين من خوارق العادات دون اقتران بالتحدى ولا بدعوى النبوة .

انظر : عبد العزيز السلمان : الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية ص٣٤٩،ط٨١ .

ولكن مما يجب أن ننبه عليه فى هذا المجال أنه ينبغى أن تكون أقوال وافعال صاحب الكرامة موافقة للشريعة وصاحبها ، فإذا كانت مطابقة لها فهى حق وصدق ، وإن كانت مخالفة لشئ من ذلك فليعلم أنه مخدوع أو مستدرج قد طمع فيه الشيطان فلبس عليه ٠

يقول العلامة إبن تيمية : " وجميع ما يؤتيه الله تعالى لعبده من هذه الأمور إن استعان به على ما يحبه الله ويرضاه ويقربه إليه ويرفع من درجته ويأمره الله به ورسوله ، ازداد بذلك رفعة وقربا إلى الله ورسوله ، وعلت درجته ، وإن استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله كالشرك والظلم والفواحش استحق بذلك الذم والعقاب ، فإن لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية وإلا كان كأمثاله من المذنبين " (١)٠

وذكر فى كتب التاريخ – والله أعلم – أن معظم الناس من أهالى المنطقة البنغالية رعاة أو حكاما دخلوا الإسلام متأثرين بالكرامات التى قد أظهرها الله تعالى على أيدى الدعاة كأمثال الشيخ نعمة الله الملقب " كاسر الأصنام " ، ويحكى عنه أنه ذات يوم خرج من البيت ودخل معبدا هندوسيا كان الهنادكة يعكفون حول الأصنام ، ويدقون الطبول والمزامير بصوت عال فمنعهم من ذلك إلا أنهم اصروا على ذلك العمل فوقف الشيخ وأذن بصوت مرتفع فتكسرت الأصنام والآلهة المزعومة التى كانت داخل المعبد ، فخر الناس ساجدين لله وآمنوا به ، وتخلوا عن الهندوكية (٢) ، وكذا الشيخ سلطان الرومى لما تآمر حاكم عصره على قتله دعاه إلى القصر ، وقدم له كأسا من الشراب المخلوط بالسم ، شرب الشيخ ذلك الشراب بعد قراءة الدعاء المأثور عليه ولم يصب بأى أذى فلما رأى الناس ذلك الحدث الغريب تعجبوا منه ، فأسلموا على يديه ونطقوا كلمة الشهادة (٣) وقد ذكر

(١) إبن تيمية : الفرقان بين أولياء الرحمن ص١٣٥ ، دار المدنى للطباعة جدة ٠

(٢) عبد المنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص ٨٨ ٠

(٣) نفس المرجع ص ٧٠ ٠

المؤرخون بعض كرامات الشيخ جلال الدين اليمنى وهى كثيرة وذكر بعضها الرحالة إبن بطوطة فى مذكراته السياحية(١)۰

وهذه الخوارق للعادات استشهد بها المؤرخون الهنود والسؤال هنا هل حدثت فى الواقع أم أنها مجرد أساطير اختلقها الناس من عند أنفسهم ؟

والجواب أن ذلك لايعلمه أحدإلا الله العليم الخبير،ذلك لأن كتب التاريخ المتعلقة بهذه المنطقة بالذات معظمها قد ألفت بعد قرن أو نصف قرن ۰

وإن الذين ألفوا هذه الكتب بعضهم من الهنادكة وبعضهم من المسلمين ممن قل علمهم فى الدين والعقيدة ، فليس بإمكاننا تصديق هذه الكرامات و أخذها بعين الاعتبار،اضافة إلى ذلك أن هؤلاء العلماء والمشائخ وإن كانوا مخلصين فى الدعوة إلى الله ، وحريصين على اتباع الكتاب والسنة وهذا ممالاشك فيه إلا أن هناك بعض الاخطاء كانت فيهم وتؤخذ عليهم كالعزلة وحبهم للفقر واللباس الخشن وعدم الزواج وغير ذلك من الخصال التى توجد فى الصوفية ، والتى لا تتفق مع الإسلام وكان رسولنا عليه الصلاة والسلام شاهدا ومبشرا ونذيرا مع ذلك كان يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ويصوم ويفطر ويقوم من الليل وينام ويتزوج النساء فهذه سنة من سننه صلى الله عليه وسلم فمن رغب عنها فليس منه ،قال الله تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢) فالمطلوب من المسلم التوازن بين الحياة الدنيوية والحياة الأخروية ، " فلم يطلب الإسلام من الفرد المسلم المؤمن أن يكون راهبا فى ديرة أو عابدا فى خلوة ، ليله قائم ونهاره صائم ، كل صمته فكر ، وكل كلامه ذكر وكل نظره تأملات ، لاحظ له فى الحياة ولا حظ للحياة فيه " (٣) يقول الله تعالى أيضا:

---

(١) إبن بطوطة : عجائب الأسفار " اردو " ٣٨٥،٣٨٣/٢ ۰

(٢) سورة القصص آية ٧٧ ۰

(٣) د/ يوسف القرضاوى : العبادة فى الإسلام ص١٨٥ ،مكتبة وهبة/ القاهرة ط١٥ ۰

﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ (١)، وهدي المسلمون إلى ذلك التوازن الجميل بين الدنيا والآخرة وبين الاهتمام بمطالب الجسد ، والاهتمام بمطالب الروح (٢)٠

وقد ورد الحديث في هذا الموضوع وهو أجلى الشرح لما ورد في الآيات القرآنية ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا: وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :((أنتم الذين قلتم كذا وكذا ،أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى))(٣)٠

سابعاً : كما عرفنا من خلال دراسة الموضوع أن من بين هؤلاء الدعاة والوعاظ الذين قدموا إلى هذه المنطقة من كانت لهم صلة بعلماء التصوف الذين كانت بعض البلاد العربية من الشام والعراق مقرا لهم ، بالإضافة إلى بعض المناطق الفارسية ، ولكل منهم فيها مدارس خاصة يتجمع الناس حولها ، ويتلقون منهم الدروس الصوفية ، ثم ينتشرون

---

(١) سورة الجمعة آية ١٠ ٠

(٢) محمد قطب : رؤية إسلامية لأحوال العالم الإسلامى ص٢١٨ ط ١ دار الوطن للنشر الرياض " ١٤١١هـ ١٩٩١ م " ٠

(٣) رواه البخارى كتاب النكاح ، باب الترغيب فى النكاح ، ورواه أيضا المسلم فى صحيحه كتاب النكاح الحديث رقم ٦ ٠

منها إلى آفاق العالم ، وكانوا يهتمون بالتصوف أكثر من الإهتمام بالعلوم الشرعية والتى كان من المفروض أن تكون الأصل والنبع الذى يصدر منه ولكنهم كانوا يتعمقون بالتصوف دون الاهتمام بدراسة الشريعة الإسلامية بالرسالة وكانوا يعرفون منها علما سطحيا ٠

وبسبب نقصهم فى العلم الشرعى وقلة الاهتمام به نجد أن كثيرا منهم لم يقوموا باصلاح الأمة من البدع والخرافات والعقائد الفاسدة التى توارثوها من العصور الماضية ، بل إن معظم أوقاتهم وأعمارهم قضوه بالتعبد فى الأذكار والأوراد بالاضافة إلى تزكية النفوس بالرياضات الروحية والنفسية الخاصة بالصوفية ، وهذا السبب من أهم الأسباب التى من أجلها انتشرت الصوفية فى المنطقة وقويت دعائمها واحتلت مكانتها فى نفوس المسلمين ٠

وكان الشيخ جلال الدين اليمنى المجرد قد قضى حياته متبتلا ، ولم يتزوج فى حياته أبدا ، بل قضى حياته وأفناها فى سبيل خدمة الدين والدعوة الى الله ولقضاء حياته متبتلا حتى لقب " المجرد " (١)٠

ويقول إبن بطوطة عن حياته : أنه كان يقضى طول الليل فى التعبد والصلاة وهو قائم على قدميه ، كما كان يصوم صوم الوصال حوالى أربعين سنة متتالية ولا يفطر أبدا أثناء الصوم إلا بعد عشرة أيام ، ولا يشرب إلا كاسا من حليب البقر (٢) وهكذا معظم الوعاظ القادمين إلى هذه المنطقة

---

(١) شودرى شمس الرحمن : حقائق عن التصوف البنغالية ص١٨١ جمعية البحوث العلمية داكا ط١ ١٩٧١م ٠

(٢) انظر : إبن بطوطة : عجائب الأسفار (اردية)٣٨٣/٢ ٠

كانوا يحبون العزلة ، ويمكثون فى الزوايا ، ويتعبدون فيها ويعظون الناس وينصحونهم ، والقليل منهم قد تزوج وعاش فى حياة أسرية وشارك فى العمل الإجتماعى وفى إصلاح الحكم والأخذ بيده بعيدا عن الانحرافات ·

هذا وثمة أشياء أخرى توجد عند هؤلاء الدعاة والوعاظ يجب نقدها والتنبيه عليها ، وهذا النقد الموجه اليهم قد يكون ضروريا مهما كان العالم كبير الشأن وصاحب الشرف و الفضل وذلك من أجل مصلحة الدين والعقيدة ·

وذلك لا ينقص شيئا من خدماتهم الجليلة التى قدموها للأمة الإسلامية ولا يخرجهم من دائرة المصلحين فلا ننسى أن لهم الفضل بعد الله فى دخول الإسلام إلى أرض البنغال ·

المبحث الثالث
فى
دور السلاطين المسلمين فى نشر الإسلام

نحن المسلمون نؤمن بأن ديننا الإسلامي الحنيف دين منزل من عند الله تبارك وتعالى ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فهو منهج حياة بكل مقوماتها يشمل الأسس التنظيمية التى تقبل التحقيق والتطبيق ، وهى تنبعث من الاعتقاد الحق وتجعل له صورة واقعية متمثلة فى حياة البشر •

ويشمل هذا التنظيم جوانب عدة منها: الجانب الإقتصادى ، والجانب السياسى والجانب الأخلاقى والاجتماعى والدولى وغير ذلك من الجوانب المتعددة فى حياة الناس •

ولقد فطر الله الإنسان فى هذه الدنيا ليكونوا خلفاء لله فى الأرض بإقامة دينه الحنيف بصورة متكاملة ويؤدوا مسئوليتهم التى تعلموها من أنبيائهم ورسلهم ، وكان الرعيل الأول من المسلمين قد حققوا هذه المهمة بإنشاء أول دولة إسلامية مثالية فى المدينة المنورة طبقوا الشريعة الإسلامية بها فى واقع المجتمع حتى صار مجتمعا مثاليا بين مجتمعات العالم •

ومن خلال تلك المميزات تمكن المسلمون الأوائل من السيطرة على معظم أقطار الكرة الأرضية • وبعد فتوحاتهم الشاملة والشاسعة جعلوها تنضم إلى هذه الدولة الإسلامية الأم ، ولم يكن قصد المسلمين بهذه الفتوحات احتلال الأراضى واستبعاد أهاليها كما هو شأن الاستعمار وشيمة القوات التوسعية ، بل كانت فتوحات المسلمين من أجل نشر وإعلاء كلمة الله ، وتخليص الناس من عبادة الطواغيت إلى عبادة الله الواحد الذى لا ندله ولا ضد له ولا نظيرله، هذه مهمة أساسية للمسلم المؤمن فى هذه الحياة الدنيا ، وكان هذا هو شأن أولئك السلاطين المسلمين الذين جاءوا إلى شبه القارة الهندية ليفتحوا أراضيها •

فالأمر الذى حملهم على هذه الفتوحات هوإنقاذ الناس من براثن الوثنية والبوذية التى استبعدتهم منذ فترة طويلة وجعلتهم ضحايا للصراعات القائمة بينهما، تحت وطأة الظلم والحرمان،كالعبيد الزنوج فى عهد الرومان٠

وكان هؤلاء السلاطين المخلصين فى هذه المهمة ، يريدون إدخال الناس فى الدين ، وتوسيع دعوة الإسلام إلى كافة البقاع ، كما كان من أهم أهدافهم استرداد حقوق المظلومين والمحرومين من الناس ، وحل مشاكلهم الإقتصادية والاجتماعية العادلة ٠ نعم وجد أن بعض هؤلاء السلاطين والملوك المسلمين ،لم يمارسوا التطبيق الصحيح والكامل للشريعة الإسلامية على ذواتهم وأسرهم ، لكنهم مع هذا التقصير ، كانوا حريصين على اتساع رقعة الأراضى الإسلامية ، وتوسيع دعوة الدين فى المنطقة التى لم يسبق وصول الإسلام إليها (١) ٠

" وقد بدأ الفتح الإسلامى فى الهند عن طريق أفغانستان والمناطق الجبلية بيد السلطان محمود الغزنوى من نحو عام ٣٩٢هـ /١٠٠١م ٠

فقد استمرت ثغور الملوك والفاتحين من الأفغان والترك والمغول وغيرهم من الذين فتحوا بلاد الهند وأسسوا فيها ممالك وحكومات للمسلمين، واستمرت دولة المسلمين فى شبه القارة الهندية زهاء ثمانية قرون " (٢) ٠

وأول فتح قام به المسلمون فى القارة الهندية بعد الفتح العربى فى السند هو ما قام به السلطان محمود الغزنوى (٣) فى نحو عام ٣٩٢هـ /١٠٠١م ثم تابع حملاته وانتصاراته بعد ذلك حتى قامت الدولة الغزنوية فى الهند ٠

---

(١) عبدالمنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص١٢ ٠ (بنغالية)
أيضا : عبدالكريم : تاريخ الحكومات الإسلامية ص٥٣ ٠ (بنغالية)

(٢) د/ محى الدين الألوى : الدعوة الإسلامية وتطورها فى شبه القارة الهندية ص١٨٥
ط : دار القلم / دمشق ١٣٩٠هـ ٠

(٣) الغزنة : منطقة معروفة فى أفغانستان ٠

وخير ما يوصف به ما اعترف المؤرخ الغربي غوستاف لوبون : " إن الفتوحات التي تمت على يد محمود الغزنوى ، كانت ذات طابع دينى وسياسى ، وأن محمود الغزنوى كان مسلما ، متينا فى عقيدته وتواقا إلى رفع الشريعة الإسلامية ، فأعلن فى كل مكان أنه ناشر لدين الإسلام وحضارة العرب ، فأنعم عليه خليفة بغداد بلقب يمين الدولة " (١) ٠

واستمر حكم الغزنويين فى الهند إلى نحو عام ٥٨٢هـ / ١١٨٦م ، ثم تتابعت على شبه القارة الهندية دول المسلمين واحدة بعد أخرى فقامت فيها الدولة الغورية تحت زعامة شهاب الدين الغورى الذى استولى على الحكم من خلفاء محمود الغزنوى ، بعد أن تسرب الضعف والتناحر الداخلى إلى صفوفهم ، فكان شهاب الدين بفتوحاته وانتصاراته يشبه إلى حد كبير بالسلطان محمود ثم قامت فى الهند دولة المماليك ، إذ استقل " قطب الدين ايبك " أحد قواد المماليك فى عهد الحاكم الغورى محمود بن غياث الدين ٠

وفتح قطب الدين مدينة دلهى فى سنة ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م واتخذها عاصمة لدولته ، وهوالذى بدأ تشييد منارة قطب التاريخية فى دلهى تخليدا لذكرى انتصاراته كما بنى مسجدًا قوة الإسلام بجوار المنارة ٠

---

(١) غوستاف لوبون : حضارات الهند ص٢١٨ ترجمة عادل زعيتر ، الحلبى ، مصر ١٣٦٧هـ ١٩٤٨ م ٠

واستمر حكم المسلمين فى البلاد الهندية نحو ثمانية قرون ونصف قرن منذ أن فتحها المسلمون على يد محمود الغزنوى إلى انتهاء غروب شمس حكم المغول فيها بأيدى الانجليز سنة ١٢٧٢هـ١٧٥٧ م ، وبذلك دخل شبه القارة الهندية رسميا فى مستعمرات التاج البريطانى (١)٠

لقد بدأ الفتح الاسلامى لمنطقة البنغال فى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى عندما اقتحم جيش السلطان محمود الغزنوى أرض شبه القارة الهندية بطريق الجبال الشمالية الغربية (٢) ثم تتابعت بعده غزوات عديدة قام بها المسلمون عن طريق البر ، حيث إنهم ساقوا جيوشهم من بلاد فارس وأفغانستان وتركيا ، لم يكن غرض هؤلاء توسيع الأراضى فحسب بل أرادوا بها تبليغ الإسلام ونشر تعاليمه فى سائر البنغال ، ومن خلال ذلك لم يغفلوا عن استتباب الأمن وتحقيق الاستقرار فى المنطقة ، ووفروا للناس جميع متطلباتهم واحتياجاتهم ، يريدون بذلك جذب النفوس إلى الإسلام وخلق المحبة له فيهم ، ولهذا فلا يقل دور أولئك السلاطين والحكام فى نشر الإسلام فيها عمن ساهم فى هذا المجال من العلماء والمشائخ والوعاظ ٠

وسنذكر هنا تلك الخدمات الجليلة التى قدموا لأهالى المنطقة :

١ - *السلطان محمد بختيار خلجى* (٣) : هوأول من قدم فاتحا وظافرا إلى البنغال وأصله من " شيسان " بفارس ، كان مسلما ورعا وشجاعا وعارفا

---

(١) غوستاف لوبون : حضارة الهند ص٣١٨ ٠

(٢) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ٦ ٠

(٣) محمد بختيار خلجى " ت ٦٠٢ هـ ١٢٠٥ م " " معجم الأنساب والاسرة الحاكمة فى التاريخ الإسلامى " للمستشرق ادوارد فون زامباوه ص ٢١٠ مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥١م ٠

بالسياسية الحربية ومحبا للاستطلاع ونشر الدين ، مما دفعه إلى التوجه نحو القارة الهندية ليجعلها فى حوزة المسلمين ،أرسل جيشه الإسلامى بقيادة السلطان قطب الدين أيبك حاكم دلهى ، إلى شرقى البنغال ٠

فدخلوها فاتحين دون إهراق دم ولم تقف فى وجههم السلطات الهندوسية ، التى اضطرت للهروب خوفا من الغزاة المسلمين ، وأول ما عمله السلطان خلجى فى البنغال أنه جعل مدينة لكنوتى (١) عاصمة لها سنة ١١٠٣م وبعد استكمال الفتح لبعض أجزاء البنغال مكث السلطان خلجى فى العاصمة " لكنوتى " بغية استحكام السلطة فيها ، وبادى ذى بدء قام السلطان بعد فتح البنغال بإنشاء الجوامع والمساجد والمعاهد الدينية فى مختلف أنحائها ، وجعل لأبناء المسلمين مناهج تعليمية على ضوء الكتاب والسنة كما بنى فيها البيوت العديدة على نفقة الدولة للنزلاء والفقراء والمساكين (٢)٠

وكان السلطان خلجى شديد الكراهية للوثنية ، إذ يعتبرها الأشد خطرا على المجتمع الإسلامى وعلى المناطق المفتوحة التى جعل الله للمسلمين فى المنطقة فأمر بهدم جميع المعابد والصوامع الخاصة لها ، وبالرغم من شجاعته وقوة بطشه كان يكره إراقة الدماء دون سبب حتى ولو كانت دماء غير المسلمين ، وكان حريصا على إقامة العدل والمساواة بين الرعاة والمواطنين ، وأراد بختيار بعد استحكام سلطانه فى البنغال أن يواصل الغزو الإسلامى فى المناطق الشمالية منها ، ولكن لم يمهله ولم يتمكن من ذلك حيث ضعفت أحواله وتدهورت صحته ، إلى أن وافته المنية وهو متربع على العرش (٣)٠

---

(١) منطقة تقع فى البنغال الهندية ٠

(٢) د/ عبد الكريم : تاريخ الحكومات الإسلامية فى شبه القارة الهندية ص٣٨-٣٩ ٠

(٣) د/ عبد الكريم : تاريخ الحكومات الإسلامية فى شبه القارة الهندية ص٣٩ مجمع الأدب البنغالى ، دهاكا ، ط١ ١٩٧٤م ٠

وكانت رئاسة البنغال بعد وفاة بختيار خلجى خاضعة للسلطات المركزية بدلهى فى فترة ما بين عام ١٢٦٠ م وعام ١٣٣٨ م ، أى حوالى اثنتين وثلاثين سنة حكمها ثلاثة وعشرون سلطانا يتم تعيينهم من قبل الحكومة المركزية بدلهى،إلا أنها كانت مستقلة تماما فى إدارة شئون الرئاسة وتنفيذ الأحكام فيها دون أى تدخل من القيادة المركزية (١)٠

وعلى كل حال فإن هذه الفترة الطويلة تعتبر فترة إزدهار للحركة الإسلامية فى البنغال،وهؤلاء الحكام والسلاطين الذين قدموا من بلاد فارس وتركيا وغيرهما دفعهم نحو الأرض البنغالية شدة حبهم للإسلام وعقيدة التوحيد، وكانوا حريصين على إقامة نظام إسلامى ونصب راية التوحيد على أرضها٠

وبهذا الحرص الطيب والحماسة المخلصة للدين لم يدخل فى نفوسهم ما دخل فى نفوس رجال السلطات المركزية من المغول وغيرهم الذين حكموا الهند طيلة ثمانية قرون ، من الترف والبذخ والضعف والمهانة ، بل كانوا متحلين بالأوصاف الحميدة التى ينبغى أن يتحلى بها الملوك والسلاطين المسلمون، وبفضل ذلك القدر من الاخلاص والصدق للدين والعقيدة أعانهم الله فى مهمتهم ونصرهم فى نشر الدين فى سائر البنغال ٠

٢ - *السلطان غياث الدين يوزشاه :*

حكم سلطان غياث الدين منطقة البنغال زهاء أربعة عشر عاما وعنى أول ماعنى بتسهيل مهمة نشر الدعوة الإسلامية فى المنطقة ، وكان يشجع العلماء والمشائخ والوعاظ بتقديم مكافآة مغرية لهم ويبعثهم إلى أنحاء البلاد وكان يكرمهم ويقربهم ويستقبلهم بحفاوة وتكريم باعتبار أنهم صفوة الناس وورثة الأنبياء وقد أنشاء السلطان يوزشاه فى حياته معاهد دينية ومساجد وجوامع فى أرجاء البلاد لتوسيع تعاليم الإسلام فيها ، ومن أجل تسهيل

---

(١) عبد المنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص ١٤١ ٠

الاتصال والمواصلات بين أنحاء المنطقة أنشأ طرقا معبدة كثيرة ٠

٣ - *السلطان اختيار الدين (أزبك)* : استولى على الحكم فى البنغال وبعد توليه الحكم قاد المعركة التى احتدمت بين الهندوكيين الحقودين بقيادة " راجه نرشن " وبين المسلمين ، فانتصر المسلمون وانهزم راجه نرشن وجنوده ، ورفعت راية الإسلام فى " جاج نغر " (١)٠

وكان السلطان أزبك حريص على توسيع الدولة المسلمة لنشر الإسلام إلى سائر المنطقة وقد قدم من أجل ذلك خدمات عظيمة رغم معارضة المجتمع الهندوكى له،واخيرا اغتيل السلطان بأيدى الغدرواللؤوم٠

٤ -*السلطان مغيث الدين*:تولى السلطةفىالبنغال فىعام٦٧٠هـ١٢٧١م بموجب تعيينه من قبل غياث الدين بلبن ، حاكم دلهى ، ليحكم البنغال (٢)٠

وقد استمر فى الحكم اثنتا عشرة سنة جعل من خلالها مدينة " سورناركاون " عاصمة للبنغال ، حيث انشأ فيها معقلا حصينا لتدريب جيوش المسلمين كافة أنواع التدريبات العسكرية والحربية ومن ثم كان يرسلهم للفتوحات الإسلامية ، وقد وصل جنوده إلى أقصى شرق البنغال وهم يحملون لواء الإسلام (٣)٠

كان السلطان مغيث الدين حسن الخلق ولين الكلام ، يحبه الناس ويقدرون شأنه ، كما أنه كان معروفا بالعطاء والسخاء يبذل أمواله بلا حساب فى مصارف الفقراء والمحتاجين سواء كانوا مسلمين أو من غيرهم ، ومما ورد من كثرة عطائه أنه كان يهب الدعاة والوعاظ مكافآت مالية تشجيعية تقدر قيمتها بخمسة أطنان من الذهب فى سبيل الدعوة والتبليغ ، فأصبحت مكانته عالية عند الناس مرموقة لدرجة جعلته يفكر فىأن يكون

---

(١) شرى كويلاش شندر شنغ : تاريخ تريبورة ص ١١- ١٢ ، كلكتا ١٨٧٦م ٠
(٢) نفس المصدر والصفحة ٠
(٣) شرى كويلاش شندر شنغ : تاريخ تريبورة ص ١٥ ٠

حاكما للبنغال مدى الحياة دون موافقة الحكومة المركزية بدلهى ٠

وبذلك فقدأعلن استقلال البنغال عنها،ولكن الأمورسارت فيغيرصالحه وانتهى الأمر بهزيمة جيشه أمام القوات التى بعثتها السلطات المركزية (١)٠

٦ - *السلطان ركن الدين فيقاوس:* تولى الحكم ، فى البنغال واستمر حكمه ما بين عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م و ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م وقد خدم الإسلام أيام حكمه ومد يد العون لنشر الإسلام ٠

٧ - *السلطان شمس الدين فيروزشاه* : تولى أمر الحكم فى البنغال عام ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م وقد حسن إسلامه ، وأعزالله الإسلام به٠

بعث هذا السلطان جيشا من المسلمين بقيادة أحد وزرائه إسمه جعفر خان غازى إلى شرق البنغال لإنجاد أهلها المظلومين والمقهورين والمضطهدين من أيدى السلطات الهندوكية هناك ، ونجحوا فى مهمتهم تلك ، ويعتبر الدور الذى قام به " فيروزشاه " أيام حكومته فى المنطقة تاريخياوهاما ، ويعتبر المؤرخون عصره من العصور الذهبية بالنسبة للفتح الإسلامى بشرق القارة الهندية ، وكان دعاة عصره وعلمائه ساعدوه فى تلك المهمة الجبارة (٢) وبفضل جهوده المتواصلة وإخلاصه فى العمل ، فقد انتشر الإسلام فى سائر المناطق٠

٨ - *السلطان فخرالدين شاه* والذين جاءوا من بعده ، أخذوا زمام السلطة فى منطقة البنغال ، ظلوا عليها طيلة مائتى عام ، غير خاضعين للسلطات المركزية ، يسكون العملات المعدنية للبلاد بأسمائهم وألقابهم ، وترفع أسمائهم علىالمنابر فى خطبة الجمعة ٠

---

(١) د/عبدالكريم : الحكومات الإسلامية فى شبه القارة الهندية ، ص٥٩، ط٢ ، ١٩٧٤ ، مجمع الأدب البنغالى /داكا ٠

(٢) جدونات سركار : تاريخ البنغال ، جـ٢ ص ٧٨ ،كلكتا/الهند ٠

وإلى جانب هذا فقد كانت الثروات والمحاصيل الزراعية المحلية تصرف فى المنطقة دون إرسالها إلى السلطة المركزية (١) .

وفتح المسلمون فى عهد فخر الدين شاه مناطق تشيتاكونغ وما يجاورها من المناطق السياحية والجبلية بشرقى البنغال ، وكان الرحالة الإسلامى إبن بطوطة يود مقابلته ، ولكن حال دون ذلك خوفه من سخط حاكم دلهى " تغلق شاه " ، وذكرإسمه فى كتابه المعروف بـ(عجائب الأسفار ، ويشيد فيه بخدماته فى سبيل نشر الإسلام ، كما كان فخر الدين يحب مجالس العلماء ويتحدث معهم فى العلم والأدب والدين ، ويستشيرهم فى أمور الدولة ، وسبل الدعم لنشر التعاليم الإسلامية ، واستمر حكمه فى البنغال حوالى إثناعشر عاما ، وكان موضع تأييد من قبل الكبار والصغار والخواص والعوام ، وبلغت محبته إلى أن الوثنيين الذين يشكلون الأقلية فى البلاد ، يدفعون الجزية للدولة برغبتهم دون إكراه (٢) .

وبعد وفاة السلطان فخرالدين ،تولى إبنه شمس الدين الياس شاه زمام السلطة مابين عام ٧٢٢- ٧٥٠هـ/ ١٣٢٢ - ١٣٥٧م ، وحكم البلاد لمدة سنتين (٣) فتح المسلمون فى عهده مناطق فى شمال البنغال وغربها بما فيها نيبال وجبال هملايا وهدموا جميع المعابد والصوامع وحولوهاإلى مساجد ومراكز للتعليم الإسلامى ، كما بنى فى حياته أكبرجامع فى مدينة " بندوه " غرب البنغال .

---

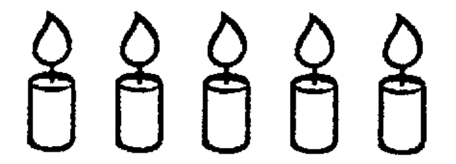
(١) عبد المنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص ١٤٣ .

(٢) الرحالة إبن بطوطة: عجائب الأسفار < اردو > ص ٦١٢ .

(٣) عبد المنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص ١٤٦ .

ثم يأتى بعده دور السلطان غياث الدين أعظم شاه ، وكان فى أيام عهده معروفا بالعدالة ، إلى جانب أنه عالم وفقيه فى الشريعة وامتد حكمه عشرين عاما ، وتعتبر هذه الفترة فترة ازدهار الإسلام ونموه ، وقد طبق الشريعة الإسلامية وإن لم يتوفر لدينا معلومات دقيقة حول كيفية التطبيق ، ولكن عند تتبع سيرته فى بعض كتب التاريخ نجد أنه أنشأ أول محكمة قضائية على أساس الكتاب والسنة ، كما أنه أقام مجتمعا على العدل والمساواة لامثيل له فى سائر الهند ، فالحكام والرعاة كلهم كانوا يقفون أمام المحاكم القضائية ٠

تلك نبذة عن تاريخ و دور الملوك والسلاطين المسلمين فى أرض البنغال الذين أسهموا فى نشر الإسلام وتعاليمه وأظهروا فيها نور الحق والهداية بعد أن كان المواطنون فى ظلمات الجاهلية والطغيان ٠





الباب الثانى

في

الصوفية : نشأتها وتطورها

ويشتمل على ستة فصول

الفصل الأول : حقيقة التصوف ونشأته
وتعريف التصوف ومفهومه

الفصل الثانى : نشأة التصوف

الفصل الثالث : مراتب الصوفية وطبقاتهم

الفصل الرابع : بين الحقيقة والشريعة

الفصل الخامس الأحوال والمقامات

* * * * * * *

* *

الفصل الأول

في

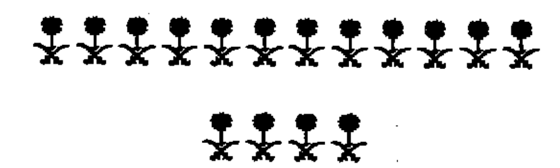
حقيقة التصوف ونشأته

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : التصوف مأخذه اللغوي

المبحث الثاني : معنى التصوف عند العلماء

المبحث الثالث : نقد وتحليل لمعنى التصوف



المبحث الأول
التصوف مأخذه اللغوى

كلمة الصوفى أو التصوف مأخوذة من الصوف ، وهو القماش المعروف المصنوع من أوبار الضأن وغيره " يقال : فلان يلبس الصوف أو القطن أى مايعمل منهما " (١)٠قال إبن سيده : الصوف للغنم كالشعر للمعز، والوبر للإبل ، والجمع أصواف (٢) وقد يقال : الصوف للواحدة على تسمية الطائفة باسم الجميع (٣) ٠

وقد يستعمل الصوف فى معنى الميل والعدل ، فيقال : " صاف السهم عن الهدف " أى مال عنه ، أو كما يقال صاف عن الشر ، إذا عدل عنه (٤) وعند بعض العلماء: هى كلمة مولدة لايشهد قياس ولا اشتقاق فى اللغة العربية (٥) بل هى جامدة غير مشتقة (٦) ثم غلبت على طائفة الصوفية لكونهم يرتدون زيا خاصا ٠

قال القشيرى : " يقال: رجل صوفى ، وللجماعة صوفية ، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له: متصوف وللجماعة متصوفة ، وليس لهذا الإسم من حيث العربية قياسا ولا اشتقاقا، والأظهر أنه كاللقب (٧)٠

---

(١) الزمخشرى : أساس البلاغة ص٢٦٢ ، تحقيق عبد الحليم محمود ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩١ هـ ٠

(٢) مجد الدين الفيروز آبادى ، القاموس المحيط ٣/١٦٩ ط٣ ١٣٧١هـ ١٩٥٢ م مكتبة مصطفى الحلبى /مصر ٠

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة ٠

(٤) نفس المصدر والصفحة ٠

(٥) اين منظور : لسان العرب ١١/١٠٢ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ٠

(٦) دائرة المعارف الإسلامية : تعريب ، أحمد الشناوى وإبراهيم زكى ٥/٢٦٥ ٠

(٧) عبد الكريم القشيرى : الرسالة القشيرية ٢/٥٥٠ دار الكتب الحديثة / القاهرة ٠

المبحث الثاني

معنى التصوف عند العلماء

لقد حاول العلماء المحققون من الصوفية وغيرهم متابعة كلمة التصوف للوصول إلى مدلولاتها ومدى صحة نسبتها إلى وظائف معينة فبعضهم تكلم فى ذلك لإيضاح الحقائق عند عامة المسلمين بعيداعن التعصب والتحيز كالإمام إبن تيمية وإبن القيم وإبن الجوزى البغدادى وغيرهم من الأسلاف رحمهم الله تعالى ، أما البعض منهم فتحدثوا عن ذلك الموضوع حديثا وضح فيه تعاطفهم وميلهم لتلك الطائفة ٠

وللباحثين فى التصوف من حيث المأخذ والمعنى أقوال بعضها على حق وصواب وبعضها بعيد عنه ، لا يخلو من التخيلات والافتراضات التى لاوزن لها فى الشريعة الإسلامية ، نذكر طرفا منها :

القول الأول :

١ - يرى بعض العلماء أن كلمة التصوف نسبة إلى الصوف (١) وهو لباس خاص بالجماعة الصوفية أو الزهاد الذين يرغبون عن متع الحياة الدنيا ولذاتها الموهوبة من الله عزوجل لسائر العباد ، وذلك لأن لباس الصوف كان يكثر فى الزهاد (٢) ، وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله ورجحه فى مجموع الفتاوى ، حيث يقول : " وقيل - وهو المعروف - أنه نسبة إلى الصوف ، فإنه أول ما ظهرت الصوفية فى البصرة ، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبدالواحد بن زيد ، وعبدالواحد من أصحاب الحسن " ثم يقول الإمام إبن تيمية رحمه الله : " وقد روى الشيخ الأصفهانى باسناده عن محمد بن سيرين، أنه بلغه أن قوما يفضلون لباس الصوف ، فقال : إن قوما يتخيرون الصوف ويقولون : إنهم متشبهون

---

(١) أبوبكر الكلاباذى : التعرف لمذهب التصوف ، ص٢٩-٣٠ ، تقديم وتحقيق : عبدالحليم محمود وطه عبدالباقى

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٥ ص٢٦ - سبق بيانه- ٠

بالمسيح بن مريم (١) •

وقال اليافعى (٢):"إن لباس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلف الصوفية،لأنه أقرب إلى الخمول والتواضع والزهد،لكونه لباس الأنبياء"(٣) •

ولعل اليافعى بهذا القول: يعتمد على حديث إبن عباس رضى الله عنهما حيث يقول :

" لقد سلك فج الروحان سبعون نبيا حجاجا،عليهم ثياب(٤) الصوف " (٥)•

وحذا حذوه نجم الدين الكبرى (٦) فقال : " إنه لبس الصوف آدم وحواء، وإذا لبس أحد الصوف ، طالب من نفسه حقه ، لأن الصوف مركب من الأحرف الثلاث ، الصاد والواو و الفاء " (٧) •

---

(١) إبن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١١ ص٦-٧ مكتبة المعارف /الرباط/ المغرب •

(٢) هو : أبو عبدالله محمد اليافعى الشاذلى ، الملقب بشيخ الحرمين ، ولد بمدينة عدن ،وتوفى بمكة المكرمة عام ٧٦٨ م ، ودفن بباب المعلى إلى جنب الفضل بن عياض •
أبو الفيض المنوفى : جمهرة الأ ولياء جـ٢ص٢٥٨،مؤسسة الحلبى وشركاه ط١ ١٩٦٧م•

(٣) د/ زكى مبارك:التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق جـ١ ص٤٠،دارالجيل اللبنانية•

(٤) إن لبس الصوف فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقبله ، لايدل إلا على الفقر والعجز والضيق ، ولا يدل هذا على طائفة تنتسب إلى الصوف كما ورد فى حديث جابر بن عبدالله البجلى رضى الله عنه إذ قال : " جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى لله عليه وسلم ، عليهم الصوف ، فرأى سوء حالهم ، قد أصابتهم حاجة ، فحث الناس على الصدقة " رواه مسلم فى كتاب العلم •

(٥) الحاكم النيسابورى : المستدرك على الصحيحين جـ٢ص٩٥٨ ، ورواه أبوداؤد فى مسنده : كتاب اللباس ٧/٢ •

(٦) نجم الدين الكبرى هو : أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبدالله الخوارزمى ، الملقب بالطامة الكبرى ، المتوفى سنة ٦١٨هـ ، وله مؤلفات كثيرة فى اللغة العربية والفارسة •

(٧) إحسان إلهى ظهير : التصوف :المنشأ والمصادر ص٢٠ ، ط١ عام ١٣٠٦هـ /١٩٨٦م إدارة ترجمان السنة/ لاهور •

وذهب الطوسى (١)إلى نفس هذا المعنى تقريبا فقال: " إن الصوفية ليسوا منفردين فى علم دون سائر العلوم أو متصفين بحال من الأحوال والمقامات دون سواها ، بل إنهم معدن جميع العلوم ومستجمع جميع الأحوال والأخلاق المحمودة الشريفة ، فلذلك تتخذ ظاهرهم مناطا للتسمية ونسميهم صوفية ، لأنهم يلبسون الصوف ، وارتداء الصوف كان دأب الأنبياء والصديقين والحواريين والزهاد (٢) .

وجاء فى الحديث الشريف عن أبى موسى الأشعرى أنه قال : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويأتى مدعاة الضعيف))(٣) .

وقال الحسن البصرى:((لقد أدركت سبعين بدرياً كان لباسهم الصوف))(٤).

وأورد الهجويرى فى كتابه ،أحاديث عديدة موضوعة ،تأييدا للباس الصوف لأهل التصوف منها:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((من سمع صوت أهل التصوف فلا يؤمن على دعائهم كتب عند الله من الغافلين)) (٥) .

قلت : إن ما ورد هنا على لسان بعض الصوفية من بعض الأحاديث والآثار فى لبس الصوف من قبل الأنبياء والصالحين ، لانستطيع أن نجزم به حتى نعتقده أو نقول به . إذ أن المسألة تحتاج إلى دراسة دقيقة فى البحث عن الرواة والمتون ، والأمر الذى نجزم به هو أن لباس الصوف كان معروفا وأنه يختص بهؤلاء الأتقياء .

---

(١) أبونصر سراج الطوسى ، صاحب اللمع ،الملقب بطاووس الفقراء ت ٣٧٨هـ .

(٢) أبو نصر سراج الطوسى : اللمع ص ٢٠- ٢٢ " : ليدن ١٩٣٤م .

(٣) الكلاباذى : التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص٢٣ ، تحقيق : عبدالحليم محمود وطه عبدالباقى ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م / القاهرة ، ولم يرد هذا الحديث فى كتاب الصحاح .

(٤) نفس المرجع ونفس الصفحة .
ويقول الحسن : " وهدى نبينا أحب إلينا ، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يشرع هذا اللباس الصوف ولم يأمر به ، إلا أنه حدث جديد عن المتأخرين ،انظر : عبد القادر السندى:التصوف فى ميزان البحث والتحقيق ، ص ٣٧،ط١،١٤١٠هـ مكتبة إبن القيم .

(٥) على الهجويرى : كشف المحجوب ص٢٢٧ ، دراسة وترجمة دكتورة إسعاد عبدالهادى قنديل ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة التعريف / القاهرة .

والشئ المعروف عندهم أنه كان لباسا شائعا يستعمله العوام والخواص ، وليس من الشرع الذى أنزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا هو من قبيل السنة المطهرة ، وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول فى اللباس بالصوف : " وهدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أحب الينا " معناه أنه صلى الله عليه وسلم لم يشرع هذا اللباس الصوفى ولم يأمر به إلا أنه حدث جديد عند المتأخرين (١) وكان الإمام مالك بن أنس العامرى رضى الله عنه ينكر لباس الصوف ويقول : " لأن اخفاء العمل أولى ، ولم ينحصر التواضع فى لبسه " (٢) كما يدل على أنه يكره هذا اللباس كراهة شديدة ، لو كان اللبس الصوفى جزء من الشرع لوجد ذلك فى الأحاديث النبوية لكونه من فقهاء المدينة الأجلاء ، ثم إن الروايات عن الصوف ولبسه الذى ورد ذكره فى كتب الصوفية وبمفهومهم المعين تعتبر من الأحاديث الموضوعة ، والإمام جلال الدين السيوطى قد ذكر الأحاديث بلبس الخرقة من ضمن الموضوعات (٣) .

ويقول الصوفية: إن عليا رضى الله عنه ألبس الحسن البصرى الخرقة فى حياته ، وهذا لم يثبت فى التاريخ لأن الحسن لم يعاصره وأئمة الحديث لم يثبتوا للحسن بن على رضى الله عنه سماعا (٤).

فقد تبين مما سبق أن لباس الصوف والخرقة الصوفية لغرض خاص ليس من آداب الشريعة الإسلامية ولا من شعار السلف الصالحين ، وإنما أوجدها رجال متصوفة انحرفوا عن الطريق الجادة المستقيمة .

---

(١) راجع عبد القادر السندى : التصوف فى ميزان البحث ص٣٧ ، مكتبة إبن القيم ، المدينة المنورة ط١ ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٨ .

(٣) للتفصيل انظر : عبد القادر السندى ، التصوف فى ميزان البحث والتحقيق ص٣٩ ، ٤١

(٤) نفس المرجع ص ٤٠ .

ينتقد الإمام الجوزى (١) موقف الصوفية من لبس الصوف والخرقة إذ يتحدث عن اللبس الخاص بهذا الشكل وأنه غير وارد فى السنة النبوية الشريفة فيقول : " كان الزهد فى بواطن القلوب ، فصار بظاهر الثياب ، كان الزهد حرمة فصار اليوم خرقة ، ويحك الصوف قلبك لاجسمك ، وأصلح نيتك لامرقعتك (٢)٠

القول الثانى :

تنسب كلمة التصوف إلى قوم يطلق عليهم " صوفية " وهى نسبة إلى رجل اسمه غوث بن مر ، يخدم الكعبة ، ومن هنا سميت به الصوفية لانقطاعهم إلى عبادة الله تعالى ، وإليه ذهب إبن الجوزى ، حيث يقول : " ورأوا أن من انفرد به بخدمة الله تعالى هو " صوفة " وهى إسم لقوم فى الجاهلية انقطعوا إلى الله عزوجل ، وقطنوا الكعبة ، فمن تشبه بهم فهو من الصوفية ، وهم المعروفون بصوفة من أولاد الغوث بن مر أخى بنى تميم ، و سمى الغوث الصوفة لأنه ما كان يعيش لأمه ولد ، فنذرت لئن عاش

---

(١) هو :أبو الفرج عبد الرحمن الجوزى البغدادى " ت ٥٩٧ هـ له كتاب " تلبيس ابليس " وضع فيه با بين العاشر والحادى عشر - حول التصوف ويقول فى هذاالموضوع : " وأما مايروى فى فضل لبسه - الصوف - من الموضوعات التى لا يثبت منها شئ ،ولا يخلو لابس الصوف من إحدى الأمرين أحدهما أن يكون متعودا لبس الصوف وما يجانسه من غليظ الثياب ، فلا يكره ذلك له لأنه لا يشهر به ، وثانيها إما أن يكون مترفا لم يتعوده وهذا مردود لما ورد فى الحديث عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من لبس الصوف ليعرفه الناس ، كان حقا على الله عزوجل ن يكسوه ثوبا من جرب حتى تتساقط عروقه " وايضا عن إبن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الأرض لتعج إلى ربها من الذين يلبسون الصوف رياء " إبن الجوزى : تلبيس أبليس ص١٩٥،إدارة الطباعة،دارالكتب العلمية/ بيروت ٠

(٢) زكى مبارك : التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق ص ٤٥ ٠

لتعلقن برأس صوفة ولتجعله ربيط الكعبة ، ففعلت ، فقيل له ولولده من بعده (١) ويقال أيضا: كان آل صوفة يجيزون الحاج من عرفات ، أى يفيضون بهم ويقال لهم: آل صوفان وآل صفوان ، وكانوا يخدمون الكعبة ويتنسكون (٢) قال ابو عبيدة : " وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئا من غير أهله ، أو قال لشئ من أمر المناسك " (٣)٠

فكلمة الصوفية عند إبن الجوزى لم تكن بداية استعمالها فى عصر الإسلام ، وإنما سبق استعمالها فى العصر الجاهلي، قبل الإسلام ثم جاء أناس فى القرون اللاحقة من المسلمين الزهاد أحبوا أن ينتسبوا إلى قوم اشتهروا بالصوفية ، خدم الكعبة المشرفة من أجل انقطاع أنفسهم للتعبد وانشغالها عن متع الحياة الدنيا ٠

القول الثالث :

وذهب البيرونى (٤) إلى أنها مأخوذة من صوفا أو سوفيا اليونانية ومعناه الحكمة ، فقال:إن قدماء اليونان أى الحكماء السبعة مثل سولن الأثينى وطاليس المالطى كانوا يعتقدون قبل تهذيب الفلسفة بعقيدة الهندود ، بأن الأشياء إنما هى شئ واحد ، وهذا رأى الصوفية ، وهم الحكماء فإن "صوف" باليونان " الحكمة " (٥) وبها سمى الفيلسوف فيلاسوفا ، أى محب الحكمة ٠

---

(١) إبن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ١٦١ ، دار الكتب العلمية /بيروت ٠
لسان العرب ١٠٣/١١ ٠

(٢) الزمخشرى : أساس البلاغة ص ٢٦٢ ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ٠

(٣) إبن الجوزى : تلبيس أبليس ص ١٦١ ٠

(٤) أبو الريحان البيرونى "ت ٤٤٠ " مؤلف عربى من أصل فارسى ، سافر إلى الهند ، ودرس لغة أهلها وثقافتهم وديانتهم ، كان مؤرخا ولغويا وأديبا وعالما بالرياضيات والطبيعيات والفلك والطب ، والفلسفة والتصوف ٠راجع: الموسوعة الميسرة العربية ٤٦٤/٢ ٠

(٥) البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة فى العقل أو مرذولة ص ٢٤ ، مطبعة مجلس دائرةالمعارف العثمانية ، بحيدر آباد " دكن " الهند ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م ٠

وكلمة صوفيا اليونانية معناها:الحكمة ومنها فيلسوف:أى محب الحكمة٠

ويضيف البيرونى : " لما ذهب فى الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سموا باسمهم " (١) ٠

وأيد هذا الرأى المستشرق الألمانى فون همر (ت١٨١٨م)إلا أن مدلول هذه الكلمة يحمل معانى عميقة لايمكن إنكارهاوالهروب منها، ومن هذه النسبة استدل الكثيرون على أن الصوفية ومبادئها تنبثق من الفلسفةاليونانية٠

ويقول الدكتور زكى مبارك:"على أنه ما الذى يمنع أن تكون صوفيا بمعنى الحكمة الروحانية،جاءت من كلمة صوف وهى قديمة فى العربية،وإن التصوف قديم جدا عند العرب، وهو أساس المسيحية ،ولبس الصوف كان علامة التقشف ، فليس من المستبعد أن ترحل إلى معابد اليونان" (٢) ٠

والواضح أن وجود الشبه فى استعمال كلمة " صوفى " وكلمة " صوفيا " اليونانية يبرهن على وجود علاقات قائمة بالصوفية التى اشتهرت فى الإسلام وبصوفيا التى اشتهرت فى الفلسفة اليونانية ٠

ويقول جورج زيدان : " إنها مشتقة من لفظ يونانى الأصل هى صوفيا ومعناها الحكمة ، لأنهم كانوا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثا فلسفيا ، ويؤيد ذلك أنهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة إلا بعد ترجمة كتب اليونان إلى العربية ودخول الفلسفة فيها " (٣) ٠

القول الرابع :

التصوف نسبة إلى " الصفا " فالصوفى هو الذى صفا قلبه لله (٤) ويقال : إن اللفظ مأخوذ من صفا يصفوا صفوا ، ضد الكدر ، وصفوة الشئ

(١) البيرونى : نفس المصدر ونفس الصفحة ٠

(٢) التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق ج١ص ٦٤ ٠

(٣) د/إبراهيم بسيونى : نشأة التصوف الإسلامى ص١٠ ، دارالمعارف /مصر ٠

(٤) الطوسى : كتاب اللمع ص٤٦ ٠

خالصه، يقال:محمدصلى الله عليه وسلم صفوة الله فى خلقه(١) ومنه: الصفى أى ما يصطفيه الرئيس من المغنم لنفسه،ومنه:اصطفاه أىاختاره(٢).

وكان الأصل صفوى ، فانقلبت الفاء واوا ، و الواو فاء ، صار صوفيا ، وذلك لثقل النطق به ، وهذا غير سليم ، والصحيح أن يكون اللفظ " صفوى " دون صوفى ، إلا أن الصوفية ربطوا التصوف بصفاء القلب والنفس ، لأن صفاء القلب لذكر الله تعالى هو سمو روحى ، عمل النبى صلى الله عليه وسلم على تعزيزه فى قلوب أصحابه ، كما ربطوها بالصف ، فمن صفت قلوبهم لله تعالى ، يكرمهم ويصطفيهم ، فيصبحون الصف الأول عنده ، يقدمهم على سواهم ، وكما ذكرنا إن هذا اللفظ غير سليم ، لأنه حينئذ يكون اللفظ صفيا (٣) وليس صوفيا .

وقال القشيرى : هذا بعيد من جهة اللغة .

القول الخامس :

تنسب الكلمة إلى " الصفة " (٤) وهى مكان عند دكة المسجد النبوى الشريف ، كان بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم يسكنون فيها بعد أن هاجروا مكة المكرمة ، يأكلون فيها وينامون ويقضون أوقاتهم فى صحبة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر باسناد عن نعيم بن المجمر عن أبيه عن أبى ذر رضى الله عنه قال : (("كنت من أهل الصفة ، وكنا إذا أمسينا ، حضرنا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر كل رجل ، فينصرف برجل ، فيبقى من بقى من أهل الصفة عشرة أو أقل ، فيؤتينا النبى صلى الله عليه وسلم بعشائه ،فنتعشى ، فإذا فرغنا ،

---

(١) عبدالقادر الرازى : مختار الصحاح ص٢٦٦، دار الفكر/بيروت .

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٣) للتفصيل راجع : الطوسى : كتاب اللمع ، تحقيق : عبدالحليم محمود وطه عبد الباقى سرور ص ٤٦ دار الكتب الحديثة .

(٤) القشيرى : الرسالة القشيرية جـ٢ ص٥٥٠ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ناموا في المسجد))(١) .

وذهبت جماعة من المتصوفة إلى أن تلك النسبة إما لإقترابهم من أوصاف أصحاب الصفة أو لأنهم من بقايا أهلها " وهم رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع " (٢) .

قال شيخ الإ سلام إبن تيمية رحمه الله فيما جاء عن أصحاب الصفة: " وهؤلاء القوم إنما قعدوا فى المسجد ضرورة ، وإنما أكلوا الصدقة ضرورة فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال ، وخرجوا " (٣) .

ثم يقول الشيخ ما مفهومه : إن عدد أهل الصفة أخذ يتقلص عند تقليل الضرورة ، فلم يبق أحد منهم فيما بعد (٤) ،وانتشروا ألى أماكن شتى بعد الفتوحات الإسلامية .

ولو افترضنا صحة نسبة الكلمة إلى الصفة ، فلا تستقيم إذن تلك النسبة ، لأنه عندئذ تكون "الصفى " وليس الصوفى،كما يعترض القشيرى على صحة هذه النسبة بقوله : " فالنسبة إلى الصفة لاتجئ على نحو صوفى"(٦) .

تلك أقوال خمسة فى نسبة كلمة التصوف ، قد ذكرناها بإيجاز ، إضافة إلى ذلك هناك أقوال أخرى فى هذا الموضوع وردت فى كتب الصوفية وذكرها علماء التصوف حسب نزعتهم ومدى فهمهم وإدراكهم (٧) .

---

(١) إبن الجوزى : تلبيس إبليس ص١٥٧، وهذا الحديث ورد فى المسند لأحمد ٤٩٠/٣ .

(٢) السهروردى عوارف المعارف ص١٠٨ ، دار الكتاب العربى ط٢/١٤٠٣هـ/ لبنان .

(٣) إبن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١١ ص٨ ، مكتبة المعارف / الرباط .
أيضا : إبن الجوزى : تلبيس إبليس ص١٥٧ .

(٤) إبن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١١ ص٧ .

(٥) نفس المرجع ص٦ .

(٦) القشيرى : الرسالة القشيرية ، ص٢١٧ .

(٧) للتفصيل راجع : القشيرى : الرسالة القشيرية ص ٥٥١ – ٥٥٧ .

المبحث الثالث :

نقد وتحليل لمعنى التصوف :

عرفنا من خلال هذا العرض الموجز ، تباين الأقوال فى أصل كلمة التصوف، وظل هذا التباين غير المتفق على شئ منه إلى اليوم ، ويصعب التوفيق بين تلك الأقوال ، وهذا يشير إلى عدم استقرار المتصوفة على المناهج ، وعدم ثباتهم على المبادئ التى قرروها لأنفسهم، كما قال إبن العربى: " فالأمر حيرة ، والحيرة قلقة ، والحركة حياة " (١) ٠

ولو أردنا أن نقارن بين هذه الأقوال الخمسة المشهورة ، نجد أن ما قاله شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله فى نسبة كلمة التصوف هو الأصح ، ورجحه فى كتابه الفتاوى ، إذ يقول : " وقيل – و هو المعروف – أنه نسبة إلى الصوف ، فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة ، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد الحسن البصرى " ، ثم يقول الشيخ:" وقد روى أبو الشيخ الأصفهانى بإسناده عن محمد بن سيرين:أنه بلغه أن قوما يفضلون لباب الصوف،فقال: إن قوما يتخيرون الصوف يقولون إنهم يتشبهون بالمسيح بن مريم (٢) وإن أكثرية الصوفية يفضلون هذا القول

وأما قول إبن الجوزى من أن نسبة كلمة التصوف تطلق على قبيلة مفروق فى العصر الجاهلى (٣) لم تكن معروفة فى عصر الصحابة بهذا المفهوم ولا فى عصر التابعين ولا تابعى التابعين ، فلو كانت معروفة فى عصرهم لبادروا إلى اعتناقها ، لأنهم كانوا أزهد الناس وأعبدهم لله تعالى ٠

قال شيخ الإسلام إبن تيمية فيما ذهب إليه إبن الجوزى :" إن صوفة بن بسرة ٠٠٠٠قبيلة من العرب كانوا يجاورون مكة من الزمن القديم، وينسب اليهم النساك ، وهذا وإن كان موافقـــا للنسبة من جهة اللفظ ، فإنه ضعيف

---

(١) إبن عربى ، محى الدين : فصوص الحكم ص٢٠١ ٠

(٢) إبن تيمية مجموع الفتاوى جـ١١ ص٦ – ٧ مكتبة المعارف ، الرباط / المغرب ٠

(٣) إبن الجوزى : تلبيس إبليس ص١٦١ ٠

أيضا ، لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك ، ولأنه لو نسب إلى هؤلاء ، لكان هذا النسب فى زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ، ولأن غالب من تكلم باسم الصوفى لا يعرف هذه القبيلة ، ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة فى الجاهلية لا وجود لها فى الإسلام " (١) ٠

وكما ذهبت دائرة المعارف الإسلامية بهذا القول : " أن نسبة التصوف أو الصوفية إلى الصوف الذى هو لبس خاص بصوف الضأن ، هو أقرب إلى العقل وأرجح الأقوال ، وهو مختار من كبار العلماء من الصوفية مثل : صاحب اللمع وصاحب الرسالة القشيرية (٢) ٠

والغالب على أنه من طلب خشونة العيش والتقلل من الدنيا، والتقشف غيها من ترك الناعم من الثياب ، ويقنع بالخشن منها ، ولبس الصوف والقطن غالب فى هذه الحالة ، والصوف أغلب لعموم وجوده وخشونته أكثر من خشونة القطن (٣) وهو أيضا لباس رجال الدين فى اليهودية والنصرانية من الأحبار والرهبان (٤) ٠

وقال الطوسى : " الصوفية عندى - والله أعلم - نسبوا إلى ظاهر اللباس ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التى هم بها مترسمون لأن لبس الصوف ، كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين ، وشعار السالكين المتنسكين (٥) وقد دافع الطوسى عن رأيه هذا بكل حماسة ، وذلك لأن الصوفية يتخلقون بكل الأخلاق الفاضلة ويتسمون بكل الأحوال الشريفة سالفا ومستأنفا ، فلا محل لتمييزهم بحال دون حال ، ولا بخلف دون خلف ،

---

(١) إبن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ١١ص٦ ، مكتبة المعارف / الرباط ٠

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٥ ص ٢٧٧ - ٢٧٩ ٠

(٣) كمال الدين أبو الفضل الأدفوى : الموفى بمعرفة التصوف والصوفى ص٤٠ ، تحقيق: د: محمد عيسى،مكتبة دارالعروبة للنشر والتوزيع ، لكويت ط١/ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ٠

(٤) د/ عمر فروخ : التصوف فى الإسلام ص١٩ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٤٠١هـ ٠

(٥) اللمع ص٤١ ٠

ولا بعلم دون علم ، فكانت هذه النسبة - نسبة إلى ظاهر اللبسة - اسما مجملا عاما مخبرا عنه جميع العلوم والأخلاق والأحوال المحمودة ، وكما نسب الله طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام ، إلى ظاهر اللبس فيقال لهم الحواريون ، إذ كانوا قوما يلبسون البياض، ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال (١) .

كما اختار هذا الغرض السهروردى (٢) ، وذكر أنه يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق ، يقال : تصوف : إذا لبس الصوف ، كما يقال : تقمص: إذا لبس القميص (٣) .

وهناك نصوص كثيرة تشهد بصحة هذا القول ، فقد حكى أن أبا سليمان الدارمى(ت ٢١٥هـ) قال لرجل لبس الصوف : إنك قد أظهرت آلة الزاهدين فماذا أورثك هذا الصوف ؟ فسكت الرجل ، فقال له : يكون ظاهرك قطنيا وباطنك صوفيا .

ودخل أبومحمد إبن أخى معروف الكرخى على أبى الحسن بن بشار وعليه جبة صوف ، فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد ! صوفت قلبك أو جسمك ؟ صوف قلبك و البس القوهى على القوهى (٤) .

ومن الثابت أن الصوفية أخذوا هذا اللباس كشعار للزهد والخشوع عن رهبان المسيحيين ونساكهم ، ويدل على ذلك قول الجاحظ :" إن النصرانى يلبس الصوف حين يتنسك " (٥) .

وفى إخوان الصفا : " أن راهبا قدم فى ثوب من صوف " (٦) .

---

(١) اللمع ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) عبد القاهر عبدالله (٥٣٩ هـ - ٦٣٢ هـ) صاحب كتاب عوارف المعارف (إبن الملقن : ص٢٦٢ .

(٣) السهروردى : عوارف المعارف ص٦٠ .

(٤) إبن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص١٩٨ (القوهى : الثياب الأبيض) .

(٥) د/زكى مبارك : التصوف الإسلامى ج١ص٥٠ .

(٦) نفس المرجع ص٥٠ .

الفصل الثاني

في

مفهوم التصوف عند الصوفية ٠

***

وبعد أن انتهينا من الحديث عن نسبة كلمة التصوف وأقوال العلماء فيها نود أن نعرض هنا آراء العلماء الصوفية في مفهوم التصوف ، فقد وردت في كتب التصوف وفيما ألفه غير المتصوفة حول هذا الموضوع أقوال كثيرة لا تعد ولاتحصى ، وذكر محمد زروق الفاسي في أحد مؤلفاته : " وقد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو ألفين " (١) ٠

وحاول بعض الكتاب تجميع تلك التعريفات والأقوال وحصرها في مدوناتهم إلا أنهم لم يستطيعوا استيعاب ذلك (٢) ٠

كما أن الكاتب والمستشرق (نكلسون ارنولد رينولدز) سعى سعيا لجمع ما يقارب المائة تعريف للكلمة للوصول إلى نتيجة ، ولكنه في شوطه الأخير من تلك المساعي،عجز عن الاستنتاج والاستيعاب،ثم قال أخيرا:" إن التعاريف المتعددة للصوفية التي وردت في الكتب العربية والفارسية، وإن كانت ذات فائدة تاريخية، فإن أهميتها الرئيسية فيأنهاغيرممكن تحديدها(٣)٠

وأصبح من المعروف لدى العلماء الذين كتبوا عن التصوف ، أن تعريف التصوف بعبارة واحدة جامعة ومانعة ، إن لم يكن متعذرا ،فهو متعسرجدا ٠

يقول الدكتور قاسم غنى : " ٠٠٠هذا وإن لم يكن تعريف التصوف غير ممكن فلا أقل من أن نقول : إن تعريفه صعب عسير " (٤) ٠

---

(١) أبو العباس محمد زروق : قواعد التصوف ، القاعدة رقم (٢) ، ص٣ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، راجعه : علي معبر فرغلي ، ط٢ / ١٣٩٦هـ ٠

(٢) للتفصيل راجع : الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٥٥١ - ٥٥٧ ٠
أيضا : د/ إبراهيم بسيوني : نشأة التصوف الإسلامي ص ١٧ - ٣٥ ٠
أيضا : د/ عبدالرحمن بدوي : تاريخ التصوف الإسلامي ص١٥ - ١٨ ٠

(٣) نقلا من كتاب د/ عرفان عبدالحميد : نشأة فلسفة التصوف وتطورها ص ١١٥ ، المكتب الإسلامي ، ط ١٣٩٤هـ /بيروت ٠

(٤) د/ أحمد محمد البناني : موقف الإمام إبن تيمية من التصوف والصوفية ص٧٣ ، كلية الدعوة وأصول الدين / جامعة أم القرى ، ط٢ / ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ٠

والحقيقة أن كلا من هؤلاء المتصوفة ذكروا من التعريفات ما وافق أذواقهم ووجدانهم وميولهم العقلية والنفسية كقول الشاعر :

" وللناس فيما يعشقون مذاهب " ٠

معنى التصوف عند الصوفية :

قال القاضى زكريا الأنصارى (ت ٩٢٠هـ) فى وصف التصوف :

" التصوف علم يعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن ، لنيل السعادة الأبدية " (١) ٠

ويقول أحمد زروق (ت٨٩٩هـ) :

التصوف علم قصد به إصلاح القلوب ،وإفرادها لله تعالى عما سواه (٢)٠

ويقول الجنيد (ت ٢٩٧ هـ)(٣) :

أ - التصوف : " استعمال كل خلق سني وترك كل خلق دني " (٤) ٠

ب - " أن تكون مع الله بلا علاقة " (٥) ٠

جـ - " التصوف : تصفية القلب عن موافقه البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد صفات البشرية ، ومجانبة الدواعى النفسانية ،ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية " (٦) ٠

---

(١) القشيرى : الرسالة القشيرية ص٧ ٠
وأيضا :عبد القادرعيسى : حقائق عن التصوف ص١٣ ٠

(٢) أبو العباس أحمد زروق : قواعد التصوف ، القاعدة (٣) ص٩، مكتبة الكليات الأزهرية ٠

(٣) هو : ابو القاسم الجنيد بن محمد ، أصله من نهاوند بفارس ، منشأه ومولده بالعراق ، كان أبوه يبيع الزجاج ٠ راجع : القشيرية ص١٣١ ٠

(٤) الطوسى : كتاب اللمع ص٤٧ ٠

(٥) دائرة المعارف الإسلامية جـ ٥ ص٢٨٤ ٠

(٦) د/ ابراهيم البسيونى : نشأة التصوف الإسلامى ص١٩ ، دار المعرفة /مصر ٠

د - " التصوف عنوة لاصلح فيها " (١) ٠
هـ- " هم أهل بيت واحد ، ولا يدخل فيهم غيرهم " (٢)٠
و - " ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع إتباع " (٣)٠
ز - " التصوف كالأرض ، يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح " (٤) ٠

قال الشبلى (٥):
أ - التصوف بدءه معرفة الله ونهايته توحيد الله (٦)٠
ب - " التصوف هو الجلوس مع الله " (٧) ٠
ج - " منقطع عن الخلق ومتصل بالحق (٨) لقوله تعالى: ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾(٩)٠
د - " التصوف اطفال فى حجر الحق " (١٠) ٠
هـ- " التصوف برقة محرقة " (١١) ٠
و - " هو عصمة عن رؤية الكون " (١٢)٠

---

(١) نفس المصدر والصفحة ٠
(٢) نفس المصدر والصفحة ٠
(٣) نفس المصدر والصفحة ٠
(٤) نفس المصدر والصفحة ، وللجنيد فى هذا الباب أقوال أخرى كثيرة كلها تتناقض مع الآخر ٠
(٥) هو من أئمة التصوف في القرن الثالث والرابع الهجرى ، أصله من فارس ، ونشأ فى بغداد وتوفى هناك فى أوائل القرن الرابع الهجرى ٠
انظر : الطبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ٠
(٦) راجع : شهاب الدين السهرودى : عوارف المعارف ت ، د/ عبد الحليم محمود و د/محمود بن الشريف ، ٢٠/١ ٠
(٧) احسان الهى ظهير : التصوف ، المنشأ والمصدر ص ٣٧ ٠
(٨) نفس المصدر والصفحة ٠
(٩) سورة طه الآية ٤١ ٠
(١٠) احسان إلهى ظهير : التصوف ، المنشأ والمصدر ص ٣٧ ٠
(١١) د/ ابراهيم البسيونى : التصوف فى الإسلام ص١٩ ٠
وله أقوال كثيرةغير ما ذكر فى هذه الصفحة ٠

قال أبوالحسن الشاذلى (ت٦٥٦ هـ) :

" التصوف : تدريب النفس على العبودية ، وردها لأحكام الربوبية " (١)٠

قال إبن عجيبة :

" التصوف : هو علم يعرف به كيفية السلوك ،إلى حضرة الملك الملوك ، وتصفية البواطن من الرذائل ، وتحليتها بأنواع الفضائل ، أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة " (٢) ٠

سئل ذو النون المصرى (٣) عن التصوف فقال : " هم قوم آثروا الله عزوجل على كل شئ ، فآثرهم الله تعالى على كل شئ " (٤) ٠

قال الجريرى (٥) :

" التصوف : مراقبة الأحوال ولزوم الأدب " (٦) ٠

قال أبوالحسن النورى (٧) :

" التصوف : قوم صفت قلوبهم من كدورات البشرية وآفات النفس وتحرروا من شهواتهم ، حتى صاروا فى الصف الأول ، والدرجة العليا مع

---

(١) الكلاباذى : التعرف لمذهب أهل التصوف ص٥٥٢ ٠

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ٥ ص٢٨٤ ٠

(٣) هو أبو الفقيه ذوالنون المصرى ، نزل أبوه ابراهيم بأخميم من ديار مصر ،فأقام بها ٠ توفى عام ٢٤٥هـ ٠ انظر : الرسالة القشيرية ص٦٧ ٠

(٤) الكلاباذى : التعرف لمذهب أهل التصوف ص٥٥٢ ٠

(٥) هو أبو محمد أحمد بن الحسين الجريرى ، من كبار أصحاب الجنيد ، توفى عام ٣١١هـ ٠ راجع : الرسالة القشيرية ص١٦٦ ٠

(٦) د/ ابراهيم البسيونى : نشأة التصوف فى الإسلام ص١٩ ٠

(٧) هو: أبوالحسن أحمد بن محمد النورى البغدادى مولدا ومنشأ ، بغوى الأصل ، كان من أقران الجنيد توفى عام ٢٩٥ هـ ٠

راجع : الرسالة القشيرية ص١٤٠ ٠

وهو ممن قال بنسبة التصوف: إلى الصف الأول من صفوف المسلمين فى الصلاة ٠

راجع : دائرة المعارف الإسلامية جـ ٥ ص٢٦٥ ٠

الحق ، فلما تركوا ما سوى الله ، صاروا لا مالكين ولا مملوكين " (١)٠

قال الرويم (٢) : " التصوف مبنى على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والإيثار ، وترك التعرض والاختيار "(٣)٠

قال سهل بن عبد الله التسترى (٤): " التصوف من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله من البشر ، واستوى عنده من الذهب والمدر " (٥)٠

قال على بن سهل الأصبهانى (٦): " التصوف التبرئ عمن دونه والتخلى عمن سواه " (٧)٠

قال عبد القادر الجيلانى (ت ٥٦١هـ) : " التصوف ليس أخذ عن القيل والقال ، ولكنه أخذ عن الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات (٨)٠

قال فريد الدين الملقب بقنج شكر (٩) :

أ - التصوف لا يبقى فى ملكك شئ ، ولا يبقى وجودك فى مكان وإن أهل التصوف يقيمون صلواتهم على العرش يوميا ، وإن الصوفى من لايخفى على قلبه شئ ٠

---

(١) د/ البسيونى : نشأة التصوف فى الإسلام ص ١٩ ٠

(٢) أبو محمد الرويم بن أحمد البغدادى ، من أكابر مشائخ الصوفية ، توفى ٣٠٣هـ : راجع :عوارف المعارف ص٢٠١ الهامش ٠

(٣) السهروردى : عوارف المعارف ٢٠١/١ ٠

(٤) أبو محمد سهل بن عبدالله التسترى ، أحد أئمة القوم ٠

(٥) الكلاباذى : التعرف لمذهب أهل التصوف ص٩،ايضا نشأة التصوف فى الإسلام ص١٨

(٦) أبوالحسن على بن سهل الأصبهانى ، من أقران الجنيد ، توفى ٣١٧هـ،القشيرية ص١٠٧

(٧) عبدالقادر الجيلانى : فتوح الغيب ١٦٧/١ ٠

(٨) فريد الدين قنج شكر :" ت ٦٧٠هـ "من كبار مشائخ الصوفية القارة الهندية ، تتلمذ على يد شهاب الدين السهروردى وسعد الدين الحموى وغيرهم ، دائرة المعارف الإسلامية ٠

(٩) فريد الدين : أسرار الأولياء ص ١٢٨ " باللغة البنغالية " نقله من الفارسية إلى البنغالية محمد عبد الجليل ، مكتبة الفردوس ، داكا ، ط٣ ١٣٩٢ هـ ٠

قال العلامة أشرف على تهانوى (١)٠

" هو كون حال العبد موافقا للزمن " وقال أيضا :"الصوفى الذى لا تحصر أعماله فى المسبحات والأوراد بل إنما تكون أكثر من ذلك حسب الظروف والواقع " (٢)٠

وكلامه هذا يوافق على ماقاله الطوسى ، إذيقول: إن واحدا من الصوفية يتكلم من حيث وقته ، ويجيب من حيث حاله،ويشير من حيث وجده (٣)٠

وقال العطار (٤) : " التصوف هو الذى يسلم قلبه كقلب إبراهيم من حب الدنيا وصار بمنزلة الحامل لأوامر الله ، وتسليمه تسليم إسماعيل ، وحزنه حزن داود ، وفقره فقر عيسى ، وصبره صبر أيوب وشوقه شوق موسى وقت المناجاة وإخلاصه إخلاص محمد صلى الله عليه وسلم (٥)٠

وقال الهجويرى (٦) الصوفى هو الفانى عن نفسه والباقى بالحق قد تحرر من قبضة الطبائع واتصل بحقيقة الحقائق " (٧)٠

فهذه بعض أقوال علماء الصوفية حول تعريف التصوف ، ومن خلال دراستنا أياها نستنتج مايلى :

١ - إن هذه الأقوال حول تعريف التصوف لاتخلو من الغموض والإبهام ولا يستطيع أحد من الباحثين استخراج المعنى المعين والمفهوم الواضح منها ٠

---

(١) أشرف على تهانوى : أشرف على بن عبد الحق الفاروقى ، توفى ١٣٢٦هـ فى الهند ، درس فى دار العلوم ديوبند ، ثم بايع على يد شيخ الطريقة حاجى امداد الله مهاجر مكى٠

(٢) أشرف على تهانوى : روح التصوف " البنغالية " ص٣٨ ، نقله من الفارسية مفتى محمد شفيع ، مكتبة حافظية ، داكا ،بنغلاديش ٠

(٣) راجع : الطوسى : كتاب اللمع ص ١٠٧ ٠

(٤) العطار : هو فريد الدين العطار " توفى ١٢٣٠هـ" ونظم الأشعارفى التصوف الإسلامى٠

(٥) فريد الدين العطار : تذكرة الأولياء ص١٩٢ ، دلهى ١٣١٧هـ ٠

(٦) الهجويرى : هو أبو الحسن على بن عثمان الغزنوى الهجويرى ، ومن معاصرى أبى القاسم القشيرى ، من أقطاب الصوفية فى القرن الخامس الهجرى ٠

(٧) الهجويرى : كشف المحجوب ص٤٠ ، لاهور ١٣٩٨هـ ١٩٧٨ م ٠

كما أن هذه التعريفات يتناقض بعضها مع بعض ، وهذا مخالف لقانون اللغة الذى جعلوه أهلها مبدء أساسيا لصحة التعريف لشئ ما وهو أن يكون ذلك التعريف جامعا مانعا يشمل المفهوم الواضح (١) ٠

٢ -كما ورد بعض التعريفات شديدة الاختصار والضيقة إلى أبعد الحدود مما يصعب للقارئ معرفة المراد منها معرفة تامة إلا لمن يسلك الطريق الصوفى ، فإنه حينئذ يفسر ويشرح تلك الكلمات حسب اتجاهه وطريقته مما قد يؤدى فى كثير من الأحيان إلى التناقض أو المعميات التى لافائدة منها ٠

كما أننا نلاحظ فى تلك التعريفات، تأثرالمتصوفة الواضح بفكرة الحقيقة والشريعة ٠

وبعبارة أخرى إلى قولهم بالعلم الباطن والعلم الظاهر ، وذلك أنه لما كان فهم الإسلام لايتأتى بغير اللغة العربية ، إذ هى الأداة التى تمكن من فهم النصوص - فقد كان بعض الصوفية بعيدين عن دراسة اللغة العربية ، بما يمكنهم من الوقوف على المفاهيم المحددة لكلمات الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

من هنا كان التأويل وانحرافات التفسير والحيل والمخارج فى الفقه والتعطيل والتجسيم فى العقائد ، وذهبوا إلى الظاهر والباطن ، وهذا يدل على أنهم يسيرون فى التخيلات والافتراضات ، ولا يسيرون فى الواقع والبرهان والدليل ، وإن ما قالوه فى هذا الموضوع من نتائج شعورهم النفسى والوجدانى ، يستحيل التعبير عنه بالواقع الحى ، والإسلام وعقيدته

---

(١) انظر: عبد الرحمن الجارمى : شرح الجامى للكافية : ص٧ ، مطبعة الهند ، دلهى٠

بريئة عن هذه التخيلات الواهية ، ذلك لأن الدين الإسلامي دين يشمل الحياة البشرية كلها ويطابق القول العمل تطبيقا واقعيا ، وليس فيه أى غموض فى فهم نصوص القرآن والحديث (١)٠

ومما يؤكد كلامنا هذا ما قاله قاسم غنى فى هذا الشأن : " وإن لم يكن تعريف التصوف غيرممكن ، فلا أمل من أن نقول إن تعريفه صعب عسير ، ذلك لأن التصوف لم يكن له فى يوم من الأيام طريقة منظمة محدودة أو معينة من الناحية النظرية أو العملية بل كان له ، فى كل عصر مفهوم خاص " (٢)٠

قلت : إن ملخص ما جاء فى هذه الأقوال هو أن التصوف عبارة عن ابعاد المتصوفة من الدنيا ومتاعها ، وانقطاعهم إلى عبادة الله تعالى ، وترك المعاشرة والاختلاط بالناس ، والالتزام بالركن والزوايا المهجورة ، إن هذه الأمورتنطوى على مفهوم الرهبانية المسيحية ، والإسلام يرفضها رفضا قاطعا٠

فالإسلام عبارة عن فهم واقعى ايجابى لقانون السيادة فى الحياة وممارسة العمل الواجب وفق فكر مستنير طبقا لأوامر الله ونواهيه وصولا إلى الغاية المثلى وهى رضوان الله تعالى ، بينما التصوف يقوم على ادعاء تلك العالم الروحاني ، بمعنى آخر: إن الصوفية يستمتعون فى التخيلات بما عجزوا عن تحقيقه فى حياتهم ، ولذلك عطلوا أداة العمل وهى الجسد وأعضائها وحطموا مصابيح الهداية بالغاء عمل العقل والحواس ٠

---

(١) انظر: سميح عاطف:الصوفية فى نظر الإسلام ص٨،دارالكتاب اللبنانى ط٢ بدون تاريخ٠

(٢) قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ، ترجمه من الفارسية صادق نشأت ص٢٦٩ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠ م ٠

الفصل الثالث

نشأة التصوف

كان المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حريصين أشد الحرص على امتثال أوامر ربهم عزوجل واتباع رسوله الكريم المبعوث إلى كافة الناس للحصول على مرضاة الله والتقرب إليه وهي أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، ورغم حرصهم الشديد على التمسك بدين الإسلام وشريعته فقد كانوا في عملهم لا يتعدون حدود الله ولا يتجاوزن ما أمرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يخرجون عن دائرة الطاعات والعبودية المطلقة لله تعالى ، فكل ما يتلقونه من تعاليم الإسلام من المأمورات والمنهيات كانوا يجتهدون في تطبيقه جملة في حياتهم الفردية والاجتماعية دون إفراط وتفريط كانوا يبتعدون كل البعد عن كل أمر لم يرد فيه دليل باعتباره أمرا مستحدثا في الدين وذلك لأمر الله سبحانه وتعالى :﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١) وقال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢) ولقوله صلى الله عليه وسلم ((مَنْ أحدثَ في أمْرِنا هذا ما ليسَ منه فهو رَدٌّ)) (٣) وفي رواية لمسلم ((مَن عمل عَملاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ)) وقال صلى الله عليه وسلم ((أمَّا بعد فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله وخيرَ الهدى هَدى محمدٍ صلى الله عليه وسلم وشَرَّ الأمُورِ محدثاتها وكُلُّ بدعةٍ ضلالة .... الحديث)) (٤) وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب مما يحض المسلم على ترك ما لايعنيه في أمر الدين، والعمل على ما يعنيه ويهتم به .

---

(١) سورة الحشر آية ٧ .
(٢) سورة المائدة آية ٣ .
(٣) متفق عليه ، عن عائشة رضى الله عنها ، رواه البخاري ٥/٢٢٢ ، ومسلم ٨/١٨
(٤) رواه البخاري ومسلم ، عن جابر رضى الله عنه .

فأى أمر من الأمور أحدث فى الإسلام وهو ليس منه ولم يشهد له أصل من أصوله فهو رد ولا يلتفت إليه ، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة فى لزوم الطاعات فى الدين،فمنهجهم هذا يقوم على أصول ثلاثة:

أولها : كتاب الله عزوجل الذى هو خير الكلام وأصدقه فهم لا يقدمون على كلام الله كلام أحد من الناس .

ثانيها : سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أثر عنه من هدى وطريقة لايقدمون على ذلك هدى أحد من الناس .

ثالثها : ما وقع عليه إجماع الصدر الأول من هذه الأمة قبل التفرقة والانتشار وظهور البدع والمقالات ، وما جاء بعد ذلك مما قاله الناس ، وذهبوا إليه من المقالات ، ووزنوها بالكتاب والسنة ، فإن وافقها قبلوه وان خالفها ردوه أيا كان قائله (١).

وفيما مضى من حديثنا عن التعريفات لكلمة التصوف قلنا إنها كانت تستعمل فى العصر الجاهلى بالجزيرة العربية كما ذهب إليه إبن الجوزى فكل من كان ينفرد لعبادة الله تعالى فى الكعبة المشرفة يسمونه صوفيا (٢).

وقد مر التفصيل سابقا وذكرنا إنكار الصوفية نسبتهم إلى هذه الطائفة وإننا على سبيل الافتراض لو أخذناه بعين الاعتبار ، وفحصنا هذه الكلمة ، ومن منطلقاتها عبر التاريخ نجد أن التصوف ومصداقيته تشمل الرهبانية التى كانت فى الديانة المسيحية ، التى ذكرها القرآن وأنكرها بقوله تعالى : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٣).

---

(١) محمد خليل الهراسي : شرح العقيدة الواسطية ، ص ١٢٧ ، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط٤ بدون تاريخ .

(٢) انظر : إبن الجوزى : تلبيس ابليس ص ١٦١ .

(٣) سورة الحديد آيــة ٢٨ .

فالتصوف بمفهومه الذى يصطلحه النصارى يشمل الرهبنة (١) والتبتل والانقطاع إلى عبادة الله كان سابقا فى الديانة المسيحية ٠

وهذا المفهوم وجد فى عصر مابعد المسيح بقرن فى الأمة المسيحية ساد فيها الرهبنة كانت سائدة فى الأيام الجاهلية ، قبل الإسلام ، قال الدكتور غلاب : " نستطيع أن نجزم بأن الباحثين قد عثروا على المعرفة الصوفية المسيحية للمرة الأولى عند << دينيس الاريوباجى>> الذى عاش فى القرن الأول بعد المسيح وهى تتلخص فى أنها نتيجة من نتائج الامتزاج بين الحياة المسيحية والفلسفة التى كانت فى ذلك الحين سائدة فى أكثر جوانب العقل القديم ، وهى فلسفة الأفلوطينية الحديثة " (٢) ثم تطورت الأحداث فى الديانة المسيحية كما تطورت مع ذلك حركة الصوفية فيها ، فقال د/ غلاب : " فنشأت فى القرن الثانى عشر حركة صوفية محافظة هامة جعلت نموها ينتشر فى الأديرة على الأخص ، وكان من أماجد ممثليها<< القديس بارنار(٣) وهوج دى سان فكتور>> (٤) وقد صار المثل الصوفى الأعلى عندها عبارة عن حياة التخلى والزهادة بحيث أصبح الوصول إلى الكمال يستلزم الفقر والضعة والطاعة " (٥)٠

ويتضح من العبارة المذكورة أن مفهوم التصوف وإن لم تستعمل الكلمة المصطلحة المتداولة لدى الصوفية ، فيما قبل الإسلام ، كان موجودا فى الديانة المسيحية عبر تاريخها الطويل ٠

---

(١) رهب يرهب رهبا من باب تعب ، والراهب ، عابد النصارى ، والجمع رهبان ، الراهب انقطع للعبادة ٠
وقال الزمخشرى : ترهب فلان ، أى تعبد فى صومعة ، وهو راهب بين الرهبانية ٠
راجع :أساس البلاغة ص ١٨١ والمصباح المنير ٢٤١/١ ، المكتبة العلمية ، بيروت ٠

(٢) د/ محمد غلاب : التصوف المقارن ، ص ١٢٥ ، مكتبة النهضة بمصر ٠

(٣) ولد بارنار فى ١٠٩١م ، وكان مستشارا للبابا أوجين الثالث ، وتوفى سنة ١١٥٢م ٠

(٤) ولد فى سنة ١٠٨٤ ، وتوفى ١١٤١م ، كان استاذا فى دير القديس فكتور باريس ٠

(٥) د/ غلاب : التصوف المقارن ص ١٢٧ ٠

فلما جاء الإسلام ، ودعا الناس إلى عقيدة التوحيد من جديد ، كان من الواجب نبذ كل ما كان موجودا فى الجاهلية وما قبلها من معتقدات فاسدة وتقاليد عمياء حتى صارت مصطلحات التصوف بمفاهيمها البالية ومنبوذة .

وكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يوبخ من كان يحب الاعتزال فى الخلوات أو الغابات لغرض العبادة لله، منقطعا عن المجتمع وعن الأسرة ومخالطة المجتمع ، بل كان يمنعهم عن هذه الأمور ، فقد جاء فى الحديث عن أبى أمامة رضى الله عنه قال :خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية من سرايا ، فمر رجل بغار فيه شئ من ماء، قال: فحدث نفسه بأن يقيم فى ذلك الغار ، فيقوته ماكان فيه ، وفيه شئ من ماء ويصيب ما حوله من البقل ، ويتخلى عن الدنيا ثم قال: لو أنى أتيت نبى الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك ، فإن أذن لى فعلت وإلا لم أفعل ، فقال يانبى الله: إنى مررت بغار فيه ما يقوتنى من الماء والبقل،فحدثتنى نفسى بأن أقيم فيه واتخلى عن الدنيا،قال:فقال النبى صلى الله عليه وسلم:((إنى لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ، ولكن بعثت بالحنيفية السمحة والذى نفس محمد بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ..الخ)) (١) .

ويفهم من الحديث أن التخلى عن الحياة الدنيوية ولزوم الزوايا والانقطاع عن الأختلاط من شيم اليهود والنصارى ، وليس من شيم الإسلام وشريعته كما يظن الغلاة من التصوف ، لأن الإسلام ضد التقشف والرهبنة وهو يرفضه رفضا قاطعا ، ذلك لأن الإسلام يطلب منا التوازن والاعتدال بين الروحية والمادية أو بين الدين والدنيا .

---

(١) انظر : الحديث فى تلبيس ابليس لإبن الجوزى ص ٢٨٩ ، وذكره الإمام أحمد فى مسنده الجزء الخامس ، رقم الحديث ٢٦٦ .

وهو المبدأ الاصلاحى الذى دعا إليه ورعايته يصلح ما أفسده"(١) وكان الصحابة والتابعون لهم بعدهم يؤمنون بذلك التوازن والاعتدال فى الإسلام،دون الغلو فىالدين وكانوا أزهد الناس وأفضلهم وأشرفهم بعد الأنبياء والمرسلين متصفين بالورع والتقوى ،ومع ذلك مستخلفون فى الأرض عاشوا بعمارتها وإصلاح الناس فيها من المفاسد على سبيل التوازن والاعتدال وذلك لقوله تعالى ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٢) •

التصوف بعد الإسلام :

إن نشوء التصوف ظهر فى المجتمع الإسلامى نتيجة لرد فعل بما ورد فى بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التى تحمل معانى التشجيع للمؤمن على العمل من أجل الآخرة وتزكية النفس والتوكل على الله والخوف منه والرجاء الدائم برحمته وغفرانه ، وذلك بعد فترات من رحيل سيدنا محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى •

وكان عهد الخلفاء الراشدين والذين جاءوا من بعدهم نظيفا وسليما من الشوائب والطعون والانحراف والتطرف ، مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام : ((خَيرُ القُرونِ قَرنِى ثم الذين يلونَهم ثم الَّذين يَلونَهم))(٣) ثم لما تطورت الأحداث وتوسعت الفتوحات الإسلامية وانتشرت رقعة الإسلام إلى الآفاق ، ودخل جم غفير من العرب والأعاجم فى الإسلام قوم أحدثوا اسم الزهد والعبادة ، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى عبادة الله ، واتخذوا بذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها (٤)•

---

(١) د/ يوسف القرضاوى:العبادة فىالإسلام ،ص١٨١،مكتبة وهبة القاهرة، ط١٥، ١٤٠٥ هـ•
(٢) سورة القصص آيـــة ٧٧ •
(٣) رواه البخارى ومسلم •
(٤) إبن الجوزى تلبيس ابليس ص ٢٨٩

ومن هنا تطور التصوف فى المجتمع الإسلامى وفهم أناس التصوف على حال بين الزهد الحقيقى والزهد الذى يستوردونه من الأفكار الفلسفية القديمة البالية ، وعند المسلمين فى القرون الأولى مصطلحان واضحان هما: الإيمان والإسلام ، دون غيرهما كما قال إبن الجوزى ، ولكن الناس من بعد هذه القرون أحدثوا أشياء بإسم الزهد ، وإن الزهد الذى ورد فى القرآن الكريم فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام (١) لاينطبق على ماذهب إليه الصوفية وليس هناك أدنى إرتباط بين الزهد الحقيقى والزهد الذى يعنى به أهل التصوف ، ومعنى الزهد فى الآية الكريمة " غير الراغبين ، بل إنها عند المتصوفة هو التقشف " (٢) وهذا التقشف وليد من تقاليد المجوسية وطقوسها الصوفية ، يعود تاريخه إلى ما قبل الهجرة النبوية بقرون ثم تراجعت هذه الفكرة " الزهد " عندما جعلها بعض الطائفة الروحانية وسيلة للتقرب بها إلى الله من العيش المنعزل والرغبة عن الدنيا ومتاعها وتحقيرها ونبذها (٣) وهذا الزهد الذى يدعو إليه الصوفية قد ظهر أيضا فى كل ديانة سماوية وغير سماوية ولكنه حادث فى الملة الإسلامية ، فالإسلام وإن دعا الناس إلى التقوى والقناعة وفضائل النفس والعدالة فإنه لم يدع إلى الترهب والتقشف (٤) فثبت أن الصوفية أخطأوا فى تفسير معنى الزهد وفى مفهومه وذهبوا إلى ما ذهب إليه الفلاسفة وأصحاب أديان أخرى سماوية كانت أو غير سماوية ، وذلك نتيجة لخلط الأفكار والأديان والتأثير والتأثر ٠

---

(١) وهو قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ سورة يوسف آية ٢١ ٠

(٢) د/ سميح عاطف : الصوفية فى نظر الإسلام ص ٦٦ ٠

(٣) نفس المرجع صفحة ٥٧ ٠

(٤) انظر: د/ عبد القادر محمود ، الفلسفة الصوفية فى الإسلام ص ٥ مطبعة المعرفة /القاهرة ط١ ١٩٦٦ م ٠

ولذلك يقول الدكتور عبد القادر محمود : " والزهد الذى يعنيه الصوفية أخذوا فكرته من مجموع أفكار وفلسفات من الأديان والمذاهب الأخرى ٠٠٠٠ وكذلك التصوف الذى يدعونه هو تصفية النفس ومجاهدتها ورياضتها والانتقال بها من حال إلى حال حتى يصل بها إلى المقام الذى يطلق عليه الصوفية مقام الشهود و الوجد أو الفناء وفى هذه الحال لا فرق بين مسلم ومسيحى ويهودى وبوذى ووثنى (١)٠

واتفق الباحثون فى أن التصوف ظهر فى المجتمع الإسلامى فيما بين القرن الثانى والثالث للهجرة النبوية ، وبدأت هذه الظاهرة عندما بعد الزمن وقل عدد الصحابة والتابعين ، وظهر فى المجتمع تدريجيا الرأى والكلام والتشيع وإنهمك المسلمون فى المجالات الكلامية بعيدين عن مناهج السنة النبوية الشريفة وكانت البصرة آنذاك مركزا للصوفية كما كانت الكوفة مركزا للفقه ، وإن أول من بنى دويرة للصوفية هم بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد (٢) من البصرة (٣) ثم انتقل منها إلى العراق والكوفة وغيرهما من بلدان الفرس حسب التوسعات التى نالها المسلمون بالغزو فى المناطق المترامية الأطراف ، وكان من عوامل نشأته فى تلك المناطق الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية ، مما جعل بعض الزهاد يرغبون حياة العزلة ويحرمون أنفسهم من التنعم والملذات ، وجعلهم مميزين عن سائر الناس الذين يميلون إلى بحبوحة الحياة والرخاء فى العيش ، ولذلك يقول الدكتور بدوى : " إن التصوف تأثر من عوامل اجتماعية وفردية ومن أزمات سياسية أو أزمات نفسية " (٤) وتلك العوامل ساعدت على نشأة المدارس الصوفية فى هذه المناطق ٠

---

(١) نفس المصدر والصفحة ٠

(٢) هو عبد الواحد بن زيد البصرى توفى سنة ١٧٧ هـ ٠

(٣) إبن تيمية : مجموع الفتاوى ١١/١١ ٠

(٤) د/ عبد الرحمن بدوى : تاريخ التصوف الإسلامى ص ١٠ ٠

وفى البصرة بالذات،فإن جماعةمن الصوفيةبهاكانت سباقةإلى الزهد والمبالغة فيه بسبب تلك الحالات التىتطرأعليها من المواجيدوالمجذوبية(١)٠

وكان أول من وصف بالتصوف جابر بن حيان الكيمانى الشيعى(٢) وأبو الهاشم الكوفى (٣)وهما من الكوفة ، وكان آخر زعمائها عبدك الصوفى البناتي الذى توفى بغداد سنة٢١٠هـ(٤)وقيل إنه كان على رأس فرقة صوفية شيعية نشأت بالكوفة وقيل إن الفرقة التى كان يرأسها فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام محرم لايحل الأخذمنها بشئ إلا القوت (٥)٠

أما كلمة " الصوفية " بلفظ الجمع فقد ظهرت للمرة الأولى سنة ١٩٩هـ إذ أول ماأطلقت عليه فيما يرى - المحاسبى والجاحظ - على مدرسة تنسكية شيعية نشأت بالكوفة فى ذلك العهد، ولقب الصوفية كان أول الأمر منحصرا فى الكوفة ولم يمض على ذلك خمسون سنة حتى صار يطلق على جماعة متنسكة العراق ، ليميزها عن جماعة متنسكة خراسان التى كانت معروفة باسم الملامتية ، وبعد قرنين تقريبا من هذا التاريخ كانت هذه الكلمة تطلق على جميع النساك (٦)٠

---

(١) راجع : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٦/١١ ٠

(٢) هو أبو موسى جابر بن حيان الكوفى ، تلميذ الإمام جعفر الصادق وقيل :إنه مولى له وتتلمذ على يديه فاشتهر بمعرفة علم الكمياء والطلسمات وقد ادعى الشيعة إن جابرا هذا كان شيعيا لاتصاله بالإمام جعفر ٠

(٣) هو أبو هاشم عثمان بن شريك الكوفى الصوفى ، كانت وفاته سنة ١٥٠هـ والحديث عنه لا يقل فى اضطرابه وتناقضه عما ذكر فى جابر بن حيان ٠
بعض الناس ينسبونه إلى التشيع ، وبعضهم يقولون:إنه يقول بالحلول والاتحاد ، وبعضهم ينسبونه إلى الدهرية والباطنية ، وبنى أول خانقاه فى الرملة بفلسطين ، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة التصوف ، وايضا انظر : د/ أحمد بن محمد البنانى : موقف الإمام إبن تيمية من التصوف والصوفية ص ٨٥- ٨٨ ٠

(٤) انظر : احمد البنانى : موقف إبن تيمية من التصوف والصوفية : ص ٨٩ ٠

(٥) د/ محمد غلاب : التنسك الإسلامى منشؤه وتطوره ومذاهبه ص ٤٥ ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة التعريف بالإسلام ، القاهرة ٠

(٦) د/ محمد غلاب : التنسك الإسلامى ص ٤٥ ٠

الفصل الرابع

في

مراتب الصوفية وطبقاتهم عندهم

كون الصوفية خلال تطور عقيدتهم نظاما هرميا مقدسا يبدأ من القطب الذى يقابل الإمام الشيعى والإسماعيلى ، ويتفرع إلى الأبدال والأوتاد والعمداء والنقباء والنجباء ، وهكذا لقد ربط الكاتب أحمد أمين هذه الأصناف من الناس " بفكرة المهدى وفروعها عنها ، وجعل المهدية أساسا للقطب على اعتبار أن الصوفية صاغتها صياغة جديدة ••• وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح ، وعلى رأس هذه المملكة الروحية " القطب" وهو نظير الإمام أو المهدى فى التشيع " (١) إذن يتضح أن هناك صلة بين التصوف والشيعة والإسماعيلية خاصة فى قضية الإمامة والمهدية وفى تصرف الكون وتسيير الدنيا وتدبير شؤون الخلائق ••• كل من هذه الأفكار يستقونها من الفلاسفة القدماء الذين يقولون: " بالعقول العشرة " ، ومن هنا يزعمون " أن الولى يتصرف فى الأكوان ويقول للشئ كن فيكون ، وكل ولى عندهم قد وكله الله بتصريف جانب من جوانب الخلق ، فأربعة أولياء يمسكون العالم من جوانب أربعة ويسمون الأقطاب وسبعة أولياء آخرون كل منهم يمسك قارة من قارات الأرض السبع ويسمون البدلاء ، وعدد آخر من الأولياء فى كل اقليم ••• فالأرض والسماوات تدار حسب الولاية الصوفية ، وأما الملائكة جميعا فإنهم فى خدمة هؤلاء الأولياء ينفذون أوامرهم ويخضعون لمشيئتهم " •

ويعتبر الصوفية الأولياء ذو المراتب خواص الله فى أرضه ، ورحمة الله فى ملكوته على سائر العباد ، يقول صاحب روضة التعريف :

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام ٢٤٥/٣ •

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق : الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة ص ٢٢٣ ، مكتبة ابن تيمية /الكويت ط٣ ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م •

" إن خواص الله فى أرضه ورحمة الله فى بلاده على عباده : الأبدال والأقطاب والأوتاد والعرفاء والنجباء والنقباء وسيدهم الغوث " (١) ٠

ويقول صاحب الكشف : أهل الحل والعقد وقادة حضرة الحق جل وعلا، فثلاثمائة ، يدعون الأخيار ، وأربعون آخرون يسمون الأبدال (٢) وسبعة آخرون يقال لهم: الأبرار (٣) وأربعة يسمون الأوتاد (٤) وثلاثة آخرون يسمون النقباء (٥) وواحد يقال له القطب (٦) والغوث وهؤلاء جميعا يعرف أحدهم الآخر ، ويحتاجون فى الأمور لإذن بعضهم البعض (٧)٠

قال الشعرانى : أما القطب فقد ذكر الشيخ (إبن عربى) فى الباب الخامس والخمسين ومائتين أنه لايمكن القطب أن يكون فى القطابة إلا بعد

---

(١) انظر : لسان الدين إبن الخطيب : روضة التعريف بالحب الشريف ص ٤٣٢، دار الفكر العربى / بيروت ٠

(٢) هم قوم من الصالحين ، لا تخلو الدنيا منهم ، إذا مات واحد منهم أبدل الله مكانه بآخر ٠ مختصر الصحاح : مادة الباء ، وقال الجرجانى : هم سبعة ، ومن سافر من القوم عن موضعه ترك جسدا على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد ، فذلك هو البدل لاغير ، وهم على قلب ابراهيم ٠ انظر: الجرجانى : التعريفات الدار التونسية للنشر ص ١٣٩ ٠

(٣) ويسمونهم الأخيار ٠

(٤) عبارة عن أربعة رجال ، منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب ، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة ، ويقال لهم أيضا العمداء ٠ انظر : الجرجانى :التعريفات ص ١٣٩ ٠

(٥) هم الذين تحققوا بالإسم الباطن ، فاشرفوا على بواطن الناس ، فاستخرجوا خفايا الضمائر لإنكشاف الستائر عن وجوه السرائر ٠ كذا فى التعريفات للجرجانى ص١٢٨ ٠

(٦) وهو الغوث : عبارة عن الواحد الذى هو موضع نظر الله من العالم فى كل زمان وهو على قلب اسرافيل عليه السلام ٠ راجع : التعريفات للجرجانى ص ١٣٩ ٠

(٧) على الهجويرى : كشف المحجوب ص٤٤٧ - ٤٤٨ ، دار الكتاب /مصر ٠

أن يحصل معاني الحروف التي في أونل السور المقطعة ، مثل : الم ، المص ونحوهما ، فإذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها ، تعينت له الخلافة وكان أهلا لها (١) ٠

ويزعم الصوفية أن مسكن النقباء المغرب ، والنجباء (٢) مصر ، والأبدال بالشام ، والأخيار سياحون في الأرض ، والعمداء زوايا الأرض والغوث بمكة ، فإن عرضت الحاجة من أمر العامة ، ابتهل فيها النقباء ، ثم النجباء ، ثم الأبدال ، ثم الأخيار ،ثم العمداء ، فإن اجيبوا وإلا ابتهل الغوث ، فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته (٣) ٠

يقول صاحب التائية الكبرى : " ولهم مراتب : الأولى المرتبة القطبية : ولايكون فيها أبدا إلا واحدا ويسمى غوثا ، لكونه مغيثا للخلق في أحوالهم ، ثم مرتبة الإمامين (٤) وهما كالوزيرين للسلطان :

أحدهما:صاحب اليمين وهو متصرف بإذن القطب في عالم الملكوت والغيب وثانيهما : صاحب اليسار ، وهو المتصرف في عالم الملك والشهادة، وعند

---

(١) عبد الوهاب الشعراني : اليواقيت والجواهر جـ٢ص٨٣ ، وإن المؤلف لهذا الكتاب أورد تفاصيل هؤلاء الأفراد من الصوفية ، وأوصافهم وللمعرفة على أحوالهم ٠

(٢) هم الأربعون وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق ، وهي من حيث الحملة كل حادث لاتفي القوة البشرية بحمله ، وذلك لاختصاصهم بوفور الشفقة والرحمة الفطرية ، فلا يتصرفون إلا في حق الغير،إذ لامزية لهم في ترقياتهم إلا من هذا الباب ٠
راجع:التعريفات للجرجاني ص١٣٩ ٠

(٣) عبدالقادر حبيب الله:التصوف في ميزان البحث ص٥٢٥،مكتبة ابن تيمية/المدينة المنورة

(٤) قال الجرجاني : الإمامان هما : الشخصان اللذان أحدهما عن يمين الغوث ، أي القطب ، ونظره في الملكوت وهو مرآة ما يتوجه منه المركز القطبي إلى العالم الروحاني من الإرادات التي هي مادة الوجود والبقاء ، وهذا الإمام مرآته لامحالة ، والآخر عن يساره ونظره في الملك ، وهو مرآة ما يتوجه منه المحسوسات من المادة الحيوانية ، وهذا مرآته ومحله ، وهو أعلى من صاحبه ، وهو الذي يخلف القطب إذا مات ٠
راجع : التعريفات للجرجاني ص٢٠ ، الدار التونسية للنشر ٠

إرتحال القطب إلى الآخرة ، لا يقوم مقامه منهما إلا صاحب اليسار لكونه فى السيرة من صاحب اليمين ... ثم مرتبة الأربعة كالأربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

ثم مرتبة البدلاء السبعة الحافظين للأقاليم السبعة ، وكل منهم قطب للاقليم الخاص به ، ثم مراتب الأولياء العشرة كالعشرة المبشرة ثم مراتب الإثنى عشر (١).

فهذه المراتب التى وضعها الصوفية لاتقوم على أساس دينى صحيح ولا هى قائمة على المبادئ الإسلامية ، ولو تأملنا المبادئ الشيعية والإسماعيلية ومعتقداتهما نجد توافقا يشير إلى ما أخذوه من تلك الفرق نتيجة للتأثير والتأثر ، وليست هذه من الدين الإسلامى فى شئ ، ولم تثبت فى عهد الصحابة والسلف الصالحين ، وإن الواضع لهذه المراتب هو على بن عبدالله بن الجهضم الهمدانى الذى قال عنه إبن الملقن فى طبقات الأولياء والذى عند العلماء وضاعا كذابا (٢) .

وقال إبن كثير وإبن جهضم هذا كذاب (٣) ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾(٤) والله تعالى منزه فيما يقولونه فى المراتب .

قال شيخ الإسلام إبن تيمية - رحمه الله - " وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة ، مثل الغوث الذى يكون بمكة والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة ، والأبدال الأربعة والنجباء الثلاثمائة فهذه الأسماء ليست موجودة فى كتاب الله ولاهى أيضا مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم لابإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل ، إلا لفظ الأبدال ، فقد روى فيهم

---

(١) احسان الهى ظهير : التصوف : المنشأ والمصدر ص ٢٣٢ .

(٢) عبدالقادر حبيب الله : التصوف فى ميزان البحث ص ٥٢٥ .

(٣) نفس المرجع ص ٥٢٦ .

(٤) سورة النجم ٢٨

حديث شامي منقطع الأسناد عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن فيهم يعنى أهل الشام الأبدال، أربعين رجلا ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا)) •

ولا توجد هذه الأسماء فى كلام السلف كما هى على هذا الترتيب ، ولا هى ماثورة على هذا الترتيب ، والمعانى عند المشانخ المقبولين عند الأمة قبولا عاما ، وانما توجد هذه الصورة عند بعض المتوسطين من المشائخ ، وقد قالها إما أثرا لها عن غيره أو ذاكرا ، وهذا الجنس ونحوه من العلم الذى التبس على كثير من المتأخرين حقه بباطلة ، فصار فيه من الحق ما يوجب قبوله ومن الباطل ما يوجب رده •

وصار كثير من الناس فيه على طرفى النقيض ، قوم كذبوا به كله ، لما وجدوا به من الباطل ، وقوم صدقوا به كله لما وجدوا فيه من الحق وإنما الصواب التصديق بالحق والتكذيب بالباطل ، وهذا تحقيق بما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من ركوب هذه الأمة سنن من كان قبلها حذو القذة بالقذة ، فإن أهل الكتابين لبسوا الحق بالباطل ، وهذا هو التبديل والتحريف الذى وقع فى دينهم ، ولهذا يعتبر الدين عندهم بالتبديل تارة وبالنسخ تارة أخرى " (١) انتهى كلام ابن تيمية •

وكلام شيخ الإسلام إبن تيمية رائع جدا ومسكت للقائلين بهذه المراتب لعدم استناد مقولتهم على المبادئ الإسلامية ولا على ما قاله علماء السلف المتأخرين و المتقدمين •

وقد وضعها الصوفية إما تخيلا وإما لجهلهم بالدين وتعاليمه ، وإما لغرض إحداث الشرور والفتن فى الأمة المسلمة ، فلم يجترئ أحد إلا شرذمة قليلة من الزائغين والطامعين من الشيعة والإسماعيلية •

---

(١) إبن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل جـ١ ص٥٧ / بيروت •
أيضا : مجموع الفتاوى جـ١١ ، ص ٤٣٩ - ٤٤٣ •

وقد أورد الحديث المذكور ، الإمام أحمد رضى الله عنه فى مسنده ولكنه مقطوع الإسناد وهو من وضع الوضاعين من الرافضة ، وكان الرافضة يدعون أنه لابد فى كل زمان من إمام معصوم ، يكون حجة على المكلفين ، لايتم الإيمان إلا به ، وذلك لأن الإمام المعصوم ، قائم بمهماتهم فى العالم فى كل زمان ومكان ، لايزيد عددهم ولا ينقص إلى يوم القيامة •

يقول الشهرستانى : " قالوا : وما كان فى الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام ، حتى تكون مفارقته الدنيا ، على فراغ قلب من أمر الأمة ، فإنه إنما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق ، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا (١) •

يقول إبن خلدون : " وكان سلفهم - سلف الصوفية - مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم ، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم ، وظهر فى كلام المتصوفة ، القول بالقطب ، ومعناه رأس العارفين ، يزعمون أنه لايمكن أن يساويه أحد فى مقامه فى المعرفة ، حتى يقبضه الله ، ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان •

وهذا الكلام لا تقوم عليه حجة عقلية ، ولا دليل شرعى ، وإنما هو من أنواع الخطابة ، وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به ، ثم قالوا : بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب ، كما قاله الشيعة النقباء ، فانظر كيف

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ١ ص١٦٣ ، دار المعرفة / بيروت •

سرقت طبائع هؤلاء القوم هذا الرأى من الرافضة " (١) •

من خلال هذه النصوص تجلت حقيقة الصوفية فى مصطلح المراتب لهم، وهم أصلا حرفوا معنى الولى الذى أراده القرآن الكريم ،واخترعوا ما يسمونه بالأقطاب والأوتاد والأبدال والنقباء والنجباء ، تسميات ما أنزل الله بها من سلطان ، يرتبون بها أولياءهم ترتيبا وفق المذاهب الشيعية والاسماعيلية ، ومضاهاة للنصارى الذين يرتبون رجال الدين عندهم إبتداء من الشماس وإنتهاء إلى البابا •

لاشك أن هذه العقائد خطيرة جدا ، تمس جوهر العقيدة الإسلامية ، فالاعتقاد بأن أحدا غير الله سبحانه وتعالى يتصرف فى هذا الكون هو شرك جلى لا خفاء فيه ، فكيف يرضى الله عن أمة تشرك به صباحا ومساء ؟!

مع أن الله وصف أكابر أوليائه بالصديقين كأبى بكر ومريم بنت عمران فيأتى هؤلاء ليحادوا الله ورسوله ، ويقولون: بأن القطبية هى مرتبة فوق الصديقية ؟! •

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون جـ١ ص٨٧٥ ، ط ٢ ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٦١م •

الفصل الخامس

بين الحقيقة والشريعة

****

وبما أن التصوف عبارة عن عمل القلب وتزكية النفس وتربية الروح ، فكان من الضرورى أن تتخذلها ضوابط وقواعد وأصول يقوم عليها التصوف ، فقد اخترع الصوفية أشياء غريبة واستحدثوا أمورا عجيبة لاأساس لها فى الإسلام اطلاقا وجعلوها من الدين وهو برئ منها فإن الحقيقة والشريعة واحدة من تلك الأمور فأصبحت اليوم قضية مثارة على المجتمع الإسلامى ، فالشئ الذى لم يكن له أهمية من قبل صار اليوم عنصرا أساسيا للدين الإسلامى ، فإن مصطلح الحقيقة لم يكن فى عصر الصحابة شيئا يذكر ولم تحصل له ميزة على الاطلاق ، ولكن الصوفية جعلوا لها مكانة عالية من الشريعة وتكلموا فى مالايليق لمسلم أن يتحدث به فضلا عن الذين يرفعون قدرهم على الناس ويتفاخرون بالعلوم الظاهرية والباطنية .

وهذه القضية وأمثالها جعلت الأمة المسلمة مشتتة ومتفرقة وأفقدت أواصرها الأخوية وجعلتها فريسة لأعداء الإسلام ، كما نراها اليوم فى عالمنا الإسلامى ، وليس من المبالغة حينما نقول: إن فكرة الحقيقة والشريعة وضعت طريقين مختلفين للوصول إلى الله تعالى ، أحدهما:الشريعة التى كلف الله تعالى الناس بواسطة الرسل أو الانبياء وثانيهما:الحقيقة التى تتحقق بلا واسطة ، اتخذها الصوفية من عند أنفسهم وما أنزل الله بها من سلطان .

كما قال إبن عربى : " ولما مثل النبى صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللبن ، وقد كمل سوى موضع لبنه ، فكان صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة ، غير أنه صلى الله عليه وسلم لايراها إلا كما قال: لبنة واحدة ، وأما خاتم الأولياء فلابد من هذه الرؤيا فيرى مامثله به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى فى الحائط موضع لبنتين واللبن من ذهب وفضة ، فيرى

اللبتين اللتيـن ينقص الحـائط عنهمـا ، ويكملانهمـا لبنـة ذهـب ولبنـة فضــة ، السبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تـابع لشـرع خـاتم الرسـل فـى الظـاهرة وهو موضـع اللبنة الفضية وهو ظاهرة ، وما يتبعه فيه من أحكـام ، كمـا هـو آخذ عن الله فى السرما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه لأنه يرى الأمر ماهو عليه فلابد أن يراه هكذا وهو موضـع اللبنة الذهبية فى الباطن ، فإنه أخذ مـن المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الرسول ، فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء والرسل معه " (١)٠

فابن عربى فى هذا الكلام يقصد أن هناك علم الشـريعة وهـو موضـع اللبنة الفضية ، وهو علم الظاهر ، كمـا أن هنـاك علـم الحقيقـة وهـو موضـع اللبنة الذهبية وهو خاص بالصوفية ، ثم إنه شخصية تكلم عـن الحقيقـة وإن منزلته (أى عندهم خاتم الأولياء) أعلى من الرسـول ، إذ أنـه يـأخذ - حسـب إدعائـه - مـن حيث يأخذ الملك٠ وسـوف نـأتى بيانـه فيما بعد ان شاء الله تعالى ٠

ويحاول الصوفية لإثبات صحة مايقولون فى هذا الشأن إقامـة التـأويل وتقديم البينـة أن الحقيقـة أمـر لاينفـك عـن الشـريعة ، بـل إنهـا جـزء فقــال الطوسى : " إن علم الشريعة علم واحد وهو إسم واحد يجمع معنيين : الروايـة والدرايـة ، فـإذا اجمعتهمـا فهمـا علـم الشـريعة الداعيــة إلــى الأعمــال الظــاهرة والباطنــة " (٢) ، ولكـــن حقيقـــة الأمـــر أن الصوفيـــة لايستعملونهما مترادفتي المعنـى ، بـل يستعملون كـل واحـدة منهمـا لمعنـى خـاص بهـا دون غيرهـا ، ولأجـل هذا يقـول الشـيخ علـى الهجويـرى : " إن الشريعة والحقيقة أمران منفصلان تماما فى الحكم " (٣)٠

---

(١) محى الدين إبن عربى : فصوص الحكم ص٦٣-٦٤ ، الفص الثانى:فص شيثه ٠
(٢) الطوسى : كتاب اللمع ص١٢٩ ، ايضا أبو طالب المكى ، قوت القلوب ٨١/١ ٠
(٣) على الهجويرى : كشف المحجوب ص ٣٣٢ " فارسى " ٠

وإلـى هـذا الانفصـال أشـار القشـيرى إلـى " أن الشـريعة أمـر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشاهده "(١) ، وواضح من كلام القشيرى هى ما يكلف به الفرد المسلم من الأوامر والنواهى ، والحقيقة ما يحصل له من الفضل والعناية والتوفيق أو أن الشريعة إمتثال أوامر الدين ونواهيه ، وإن الحقيقة المحافظة على الأحوال الباطنية التي هى من عند الله سبحانه وتعالى ٠

فهم يقولون : إن العالم نوعان : عالم بالله وعالم بشرع الله : " فالعالم بالشرع موضوع علم الأحكام ، والنظر فى الحلال والحرام ، وما يوافقه الشرع وما يخالفه ، فهو يضبط أعمال الجوارح بعمله ، ويصفها ويدل على كيفياتها ، وأساس العمل به النية (٢) أو القصد الذى يعين غرض العامل من عمله ٠

وأما العالم بالله الذى يحتاج إليه الصوفية ، فهو العالم الذى درس الشرع كما درسه الأول ثم زاد عليه الغوص إلى باطن الشرع بغية عرفان مقاصده الروحية من أوضاعه وكيفياته وحكمته فى أوامره ونواهيه ، وبما تصح به تلك الأوامر والأعمال وبما تفسد به ، ويكون قد درس النفس الإنسانية فى ميولها وتفقه فى مراتب تزكيتها من الأمارة واللوامة إلى الملهمة وإلى المطمئنة ثم الراضية المرضية والكاملة (٣)٠

فالنوع الأول: هم الفقهاء الذين يجتهدون فى الأعمال الظاهرة التى تتعلق بالجوارح كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها ، وأما النوع الثانى: فهم

---

(١) القشيرى : الرسالة القشيرية ص ٥٤ ٠

(٢) جدير بالذكر أن النية عند الفقهاء ما يسبق الفعل من عقد العزم على أدائه ، ولما عند الصوفية ما يصحب العمل من باعث نفسي ومقصد خلقى ٠

(٣) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : جمهرة الأولياء وإعلام التصوف ٨٣/١ مؤسسة الحلبى وشركاه ، القاهرة ط ١ ١٩٦٧م

الصوفيةالذين يعتبرون الأعمال الباطنيةمن بواطن الإنسان كالنفس(١).

وهذا النوع من الكلام يشير إلى الصراع بين الصوفية والفقهاء ، " وهذا الصراع الذى نشأ منذ عصر التدوين ، فبدأ الصوفية يعتبرون أنفسهم أرباب الحقائق ، والفقهاء أرباب الظواهر " (٢).

ولئن نظرنا إلى الصوفية فى شبه القارة الهندية وأقوالهم نجد أن اكثريتهم ذهبوا إلى أن الحقيقة والشريعة مفهومان منفصلان ، قال الشيخ يحيى منيرى وهو من العلماء فى الهند : " فالشريعة متعلقة بالطهارة الظاهرة ، وأما الطريقة فهى أمر تتعلق بتزكية النفس وطهارة القلب والباطن فمثلا طهارة الملابس لأداء الصلاة أمر شرعى ، وأما طهارة القلب من الأكدار والأقذار قبل أدائها فهى طريقة ، وأيضا الوضوء واجب قبل كل صلاة فهو شريعة ولكن بقاوه على الوضوء طول الوقت فهى طريقة (٣).

وقال الشاه ولى الله : " وللدين المحمدى صلى الله عليه وسلم ميزتان ظاهرة وباطنة ، فأما ما يتعلق بالظاهرة فهو الحفاظ على لمصالح العامة وتنفيذها ومقاومة ما يخالفها ويعارضها من الأحكام والمعاملات وما يتعلق بها من الأعمال الصالحة ، وفيما يتعلق بالباطن فهو ما يترتب على القلب من ثمار تلك الأعمال والأحوال من التلذذ والراحة والإطمننان "(٤).

وقال ايضا : " فاما الذين قاموا بالحفاظ على الشريعة والعناية بها فهم يحافظون على ظاهر الدين أى الشريعة وهم جماعة من الفقهاء والمحدثين والغزاة والقراء، فإذا كان هناك معارضة للدين وتحريف فهؤلاء يقومون بردها ومقاومتها ، ويعملون فى خدمة المسلمين فى مجال التعليم والتدريس والمواعظ ،كذلك هناك جماعة أخرى تقوم بالمحافظة على الدين

---

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٢) عبد العظيم شرف الدين : ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه ص٤٢٢ .

(٣) الشيخ شرف الدين يحيى منيرى : مكتوبات صدى ص٨٣-٨٤ "فارسى" لكهنو ١٢٨٧هـ

(٤) الشاه ولى الله دهلوى :همعات "فارسى" ص٢ المطبع الإسلامى ، دلهى .

الإسلامي جعلهم الله تعالى محافظين له بالباطن ، فمهمة هؤلاء دعوة الناس إلى صفاء القلوب وطهارة بواطنهم والاستلذاذ بسائر العبادات (١)٠

ومن هذه الأقوال تبين لنا أن الصوفية قسمت الدين إلى قسمين ظاهر وباطن أو شريعة وحقيقة، فهل هذه القسمة صحيحة وهل تتفق مع الكتاب والسنة ؟ هذا ماسوف نوضحه إن شاء الله ٠

إن الأمر الذى يهمنا هنا أن الفقهاء والأئمة الذين خدموا الإسلام والقرآن والسنة واستنبطوا الأحكام منهما هل من العدل أن نجعلهم المحافظين على ظاهر الدين ؟ وهل يجوز لناأن نقول عنهم أنهم لا يعرفون عن حقيقة الدين التى تتعلق بالباطن والظاهر، فأرغوا الأمور الباطنية وأنهم خاوى العقل والفهم !؟ نعم إنهم لا يعرفون الباطن والظاهر بالمفهوم الصوفي وإنما يعرفونه بالمفهوم الصحيح ، والحقيقة التى لامراء فيها أنه لايوجد تقسيم للدين بهذا المفهوم الصوفي الذى سبق بيانه فنصوص الكتاب والسنة توضح كلها أن أعمال القلوب وأعمال الأبدان متلازمتان لاتنفصلان ، فأساس الإسلام فى كل الأعمال النية الخالصة لوجه الله تعالى ، وهذه النية تترجم بالأعمال الصالحة كما جاء فى حديث ((إنما الأعمال بالنيات))(٢) بالرغم من تصور الدين المقسم بين الحقيقة والشريعة فإن الشيخ ولى الله الدهلوى يعتبرهما من أسس الدين وحاول التوفيق بينهما بأنه كلاهما صحيح بذاتها ، فقال:"إن هناك طريقتين للوصول إلى الله ،أحدهما الوحى الإلهى بواسطة الأنبياء والرسل،وثانيهما الإلهام أو المعارف التى تحصل للأولياء"(٢)٠

فما هو العلم الباطن ؟ و للإجابة على ذلك قال صاحب القوت : "هذاهو العلم النافع الذى بين العبد وبين الله تعالى وهو الذى يلقاه به " (٣)٠

---

(١) نفس المرجع والصفحة ٠

(٢) رواه البخاري

(٣) الشاه ولى الله الدهلوى : التفهيمات الإلهية ٢٨/٢ ، المجلس العلمى ، سورةالهند١٣٥٥هـ

(٤) الشيخ ابو طالب المكى : قوت القلوب ١٩٨/١ ، دار النهضة المصرية ١٣٩١هـ ٠

وقال الطوسى " هذا العلم ليس له نهاية " (١) وقال أيضا " وغاية جميع العلوم إلى علم الحقائق ، فإذا انتهى إليها وقع فى بحر لاغاية له وهو علم القلوب وعلم العارف وعلم الأسرار وعلم الباطن وعلم التصوف وعلم الأحوال وعلم المعاملات ، أى ذلك شئت معناه واحد " (٢)٠

وقال أبو يزيد البسطامى : " أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت " (٣)٠

هذا وهناك جماعة أخرى من الصوفية يحاربون التفرقة بين الشريعة والحقيقة ومن هؤلاء أبو سعيد الخراز ، حيث يقول " كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل " (٤)٠

وذكر إبن الجوزى ماقاله أبو بكر الدقاق :" كنت مارا فى تيه بنى اسرائيل ، فخطر ببالى أن علم الحقيقة مباين للشريعة ، فهتف بى هاتف من تحت شجرة ، كل حقيقة لاتتبعها الشريعة فهى كفر " (٥) ٠

وقال الشيخ أشرف علي تهانوى –أحد الصوفية المعتدلين فى الهند – " الشريعة مجموعة من الأحكام تشمل الأعمال الظاهرية والباطنية ، فالعلماء المتقدمون من السلف يطلقون الشريعة على الفقه كما ورد عن أبى حنيفة رحمه الله فى تعريف الفقه : هو معرفة النفس مالها وما عليها (٦)وقال أيضا : فالعلم الباطنى شعبة من شعب الشريعة ، ذلك لأن الشريعة إسم لإصلاح الظواهر والبواطن ، فأما إصلاح الظواهر فهو إصلاح الأقوال والأفعال والأعمال،وأماإصلاح البواطن فهو إصلاح العقائد والأخلاق "(٧)٠

---

(١) الطوسى : كتاب اللمع ص ١٨ ٠

(٢) الطوسى : كتاب اللمع ص ٣٧٩ ٠

(٣) غبن الجوزى : تلبيس ابليس ص٣٤٤ ٠

(٤) عبد العظيم شرف الدين : إبن القيم الجوزية عصره وآراؤه ص ٤٢٥ ٠

(٥) إبن الجوزى : تلبيس ابليس ص ٣٤٦-٣٤٧ ٠

(٦) اشرف على تهانوى : التكشف مهمة التصوف ص ١١٤ " اردو " ٠

(٧) اشر على تهانوى : التكشف عن مهمة التصوف ص ٧٣ ٠

إن قضية الحقيقة والشريعة ، قضية ما تزال موجودة فى العالم الإسلامى ولو نظرنا إلى المصدر الذى تنبعث منه هذه القضية نجد: " أن هذه الفكرة جاءت إلينا من الباطنية الإسماعيلية ، فهم أول من أعاد صياغة هذه الفكرة ، بل هم المختصون بهذه الخصائص ، ويعدونها من مفاخرهم " (١) ٠

وجاء فى رسائل إخوان الصفا: " اعلم يا أخى ! أن الإيمان يقال على نوعين : ظاهر وباطن، فالإيمان الظاهرهو الإقرار باللسان بخمسة أشياء : الإقرار بالله تعالى ووحدانيته ، وبالملائكة وبالرسل وباليوم الآخر ٠

وأما الإيمان الذى هو باطن ، فهو إضمار القلوب باليقين على تحقيق هذه الأشياء المقر باللسان ، فهو حقيقة الإيمان " (٢).٠

ويستدل الإسماعيلية بقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ، فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ (٣) وهم الباطنيون – على حد تعبيرهم – الذين لهم حظ فى علم الحقيقة ٠

ومصطلح الحقيقة والشريعة أو الظاهر والباطن ، مأخوذ أيضا من معتقدات الشيعة ، ذلك : " لأن عليا رضى الله عنه عند الشيعة صاحب السلطات الروحية والزمنية فى وقت واحد،بعد النبى محمد (ﷺ) وفى اعتقاد الصوفية ، أن عليا(رضي الله عنه) الرئيس الروحى بعد النبى (ﷺ) بحيث : إنه (ﷺ) مدينة العلم وعلى (رضي الله عنه) بابها الذى يشير إلى دور على (رضي الله عنه)فى الباطنية الإسلامية ، وهذا الدور مقبول لدى الشيعة والصوفية " (٤) ٠

---

(١) احسان الهى ظهير : الإسماعيلية ص ٤٧٣ ٠
(٢) رسائل إخوان الصفا وخلال الوفاء جـ٤ ص٦٧ ، دار بيروت للطباعة والنشر / بيروت ١٣٧٧هـ /١٩٥٩م ٠
(٣) سورة آلأ عمران الآية ٧ ٠
(٤) د/سيد حسين نصر : الصوفية بين الأمس واليوم ص ١٢٨ ، ترجمة كمال اليازجى ، للدار المتحدة للنشر والتوزيع / ط١ ، بيروت ١٩٧٥م ٠

ويتضح من ذلك أن مصطلح الحقيقة والشريعة من مخترعات الاسماعيلية وبعض فرق الشيعة ، وليس من أصل الدين الإسلامى ، فهما أمران مختلفان باللفظ ولكنهما واحد بالمعنى والمفهوم ، ولأن الأحكام الشرعية كلها شاملة فى مسمى الإسلام الذى كلفه الله تعالى به من عباده المؤمنين ، فلا فرق بين العبادات والمعاملات والعقائد والأخلاق فى مفهوم الشريعة ، ولم تستعمل هذه الكلمات فى عصر الصحابة والتابعين ، ولكن حينما انتشرت الدعوة الإسلامية إلى آفاق العالم ، واتسعت الفتوحات الإسلامية إلى أرجانه،بدأت النهضة العلمية والثقافية تتقدم وتتطور،وشرع أناس مثقفون فى تدوين الكتب وتدوين اجتهادات العلماء فى الأمور الفقهية والعقيدية ، وذلك وفق مدارسهم الفكرية والعقيدية،وهذه الاختراعات التى حدثت فى الدين ، كانت من نتانج تلك التتبع والاجتهادات، بسبب كثرة إحتكاك المسلمين مع الشعوب الأخرى ،وتأثرهم من أفكار واتجاهات غير إسلامية •

فالشريعة بمفهوم الإسلام معناها : " ما شرع الله تعالى لعباده من الدين ويقال : شرعك هذا : أى حسبك " (١) •

والقرآن الكريم ينظم التشريع الإسلامى على ثلاثة أمور :

• الأول : ما يتعلق بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ••الخ ، وهذه المباحث تسمى علم الكلام ، أو أصول الدين •

الثانى : ما يتعلق بأفعال القلوب والمسلكات من الحث على مكارم الأخلاق مثل : الإخلاص والخضوع والخوف والرجاء وهذه المباحث تسمى علم الأخلاق (السلوك)•

الثالث : ما يتعلق بأفعال الجوارح من الأوامر والنواهى والتخييرات ، وهذه مباحث الفقه (٢) •

---

(١) الجوهرى : الصحاح ، جـ٣ ص٣٢٠ •

(٢) الشيخ خضرى بك : تاريخ التشريع الإسلامى ص١٦ ، ط٩ المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م •

الصوفية

وقال بعض: " إن الشريعة لغة ذات معنيين :
١ – شرعة الماء : أى مورد الشاربة ، ومنه قول العرب : شرعت الإبل ، إذا وردت شريعة الماء ·
٢ – الطريقة المستقيمة التى لا اعوجاج فيها ، مثل : قوله تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ...الآية﴾ (١) ·

فالشريعة : ما شرع الله لعباده من الأحكام التى جاء بها النبى (ﷺ) سواء كانت متعلقة بكيفية عمل أو متعلقة بكيفية اعتقاد " (٢) ·

ووضع الإمام إبن تيمية أصلا لتفنيذ فكرة الظاهر والباطن أو الحقيقة والشريعة وهو : " أن العبادات مبناها على الشرع والاتباع ، لا الهوى والابتداع ، وذلك فإن الإسم مبنى على أصلين :
أحدهما :أن يعبد الله وحده لا شريك له·
الثانى : أن نعبد ما شرعه الله تعالى على لسان رسوله (ﷺ) لا نعبده بالأهواء والبدع " (٣) ·

فلا تتحقق عبادة إلا إذا كان أداتها موافقا للشرع ومطابقا لما جاء به رسول الله(ﷺ) وإلا فتكون العبادة بدعة وغير مقبولة ، فالأعمال الظاهرة والباطنة أمر واحد ، تشملان فى مفهوم العبادة وفى دائرة الشريعة ، فلا فرق بينهما بحيث تتميز عن أخراها ،كما يزعمها الصوفية والشيعة والباطنية ·

ويقول إبن تيمية فى هذا الصدد: " إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فلا تقتصر على الصدق، والأمانة، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد، والإحسان إلى الجار واليتيم، والدعاء، والذكر، والقرآن ، وكلها من الأعمال الظاهرة ، بل تتضمن أيضا حب الله ورسوله

(١) سورة الجاثية الآية ١٨ ·
(٢) بدران أبو العينين : الشريعة الإسلامية ص٢٧ ، مؤسسة شباب الجامعة /جدة ·
(٣) إبن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١١ ص١٢٠ ·

وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له ،والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ،والخوف من عذابه ، إن هذه من الأعمال الباطنة " (١) .

وقال أيضا : " لأن علم الباطن الذى هو علم إيمان القلوب ومعارفها و أحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة ، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة " (٢) .

وكما قلنا: إن قضية الحقيقة والشريعة ترجع إلى الصراع بين الصوفية والفقهاء ، ونشأ هذا الصراع منذ عصر التدوين ، فقسمها إلى فريقين : أرباب الحقائق وأرباب الظواهر ، وكانت الحرب سجالا بين المتنازعين ، حتى قال الإمام الشافعى عنهم: " لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتى الظهر حتى يصير أحمق " .

وقال أيضا:"ما لزم أحد الصوفية أربعين يوما ، فعاد عقله إليه أبدا "(٣).

ولو كان الصوفية يجتنبون مثل هذه المصطلحات ، لما وقع هذا النزاع والحرب الكلامية والفقهاء برءوا من تلك الاتهامات .

وكان العلامة ابن الجوزى من أشد المعارضين للمواقف الصوفية ، ومن بينها موقفهم من الحقيقة والشريعة ،فقال : " وسموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس علم الباطن ، واحتجوا بما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى (ﷺ) أنه قال: ((علمُ الباطنِ سِرٌ من أسرارِ اللهِ عزوجل ، وحُكمٌ من أحكامِ اللهِ تعالى ، يقذفُه اللهُ عزوجل فى قلوبِ من يشاءُ من أوليائه)) " (٤) .

---

(١) ابن تيميـــة : مجموع الفتاوى جـ١١ ص٢٣١ .
(٢) ابن تيميـــة : مجموع الفتاوى جـ١١ ص٢٣١ .
(٣) ابن الجوزى : تلبيس إبليس ص ٣٩٧ .
(٤) ابن الجوزى : تلبيس إبليس ص٣٤٥ .

وقال إبن الجوزى عن هذا الحديث: " وهذا حديث لا أصل له عن النبى (ﷺ) وفى إسناده مجاهيل لا يعرفون " (١) ٠

ثم يستطرد قائلا : " وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة ، وهذا جهل من قائله ، لأن الشريعة كلها حقائق ، فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة ، فكلاهما شريعة " (٢) ٠

ويضيف إبن الجوزى : " وقالوا حقيقة وشريعة ، وهذا قبيح ، لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق ، فما الحقيقة بعد ذلك سوى ما وقع فى النفوس من إلقاء الشيطان ، وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة ، فمغرور مخدوع ، وإن سمعوا أحدا يروى حديثا " (٣) ٠

وأما ما قاله البسطامى من أنهم : " أخذوا علمهم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت " فقال إبن الجوزى : " فأصلح ما ينسب إلى هذا القائل أنه ما يدرى ما فى ضمن هذا القول ، وإلا فهذا طعن على الشريعة ، ولأن كلامه هذا يظهر بغضهم على الفقهاء ، وهذا أكبر الزندقة ، لأن الفقهاء يخطرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم ، وكذلك بغضهم لأهل الحديث ، كما قال إبن الجوزى " (٤) ٠

وأما شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله – كما تقدم معنا– فإنه يبطل التفرقة بين الحقيقة والشريعة ونعنى على إبن عربى عما ذكرنا فى بداية البحث ، وألقى اللوم عليه ، واعتبره علامة من الكفر ، كقول إبن عربى بأنه أخذ من المعين الذى يأخذ منه الملك لذى يوحى به إلى الرسول " ٠٠٠وهكذا كفر يشبه كفر مسيلمة الكذاب إذ ادعى النبوة ٠

---

(١) إبن الجوزى : تلبيس إبليس ص ٣٤٥ ٠
(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة ٠
(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة ٠
(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة ٠

وقال إبن تيمية : " ومنهم من يدعى أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله ، وأن الأنبيا يستفيدون العلم بالله من جهته كما يزعم ذلك إبن عربى صاحب " كتاب الفتوحات المكية و كتاب الفصوص " فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه ، كما يقال لمن قال : ﴿فخر عليهم السقف من تحتهم﴾لا عقل لا قرآن " (١) .

ثم قال :" ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغت رسالة محمد (ﷺ) من له طريق إلى الله ،لا يحتاج فيه إلى محمد (ﷺ) ، فهذاكافر ملحد ، وإذا قال : أنا محتاج إلى محمد(ﷺ) فى علم الظاهر دون علم الباطن ، أو فى علم الشريعة دون علم الحقيقة ، فهو شر من اليهود والنصارى " (٢) .

وذكرإبن تيمية" تحقيق الحقيقة " التى حصل لها الاهتمام الخاص فى مذهب التصوف ، فقال : لفظ " الحقيقة " يقال : على حقيقة كونية وحقيقة بدعية ، وحقيقة شرعية .

فالحقيقة الكونية مضمونها الإيمان بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شئ وربه ومليكه ، وأن الحقيقة البدعية فهى : سلوك طريق الله تعالى فى قلب العبد من الذوق والوجد والمحبة والهوى من غير اتباع الكتاب والسنة ، كطريق النصارى ، فهم تارة يعبدون الله ، وتارة يعبدون بغيرالله ... وأما الحقيقة الشرعية أو الدينية هى : تحقيق ما شرعه الله ورسوله : (٣) .

والحاصل ان إبن تيمية كان يعارض نظرية الحقيقة والشريعة عند الصوفية ، وقال : إن الباطن والظاهر والشريعة والحقيقة ، كل هذا مردود إلى كتاب الله وسنة رسول الله(ﷺ) لا إلى المشائخ والفقراء ، ولا إلى الملوك والأمراء ، ولا إلى العلماء والقضاة وغيره ، فما وافقهما فهو حق ، وما خالف واحدا منهما فهوباطل .

---

(١) إبن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١١ ص٢٢٣ .
(٢) إبن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١١ص٢٢٥ .
(٣) إبن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١١ ص ٥٠٨ - ٥٠٩ .

كذلك كان موقف العلامة ابن القيم رحمه الله ، فهو لا يرضى عن القول بالحقيقة ولشريعة ، إلا أنه لم يكن شديدا كما كان ابن الجوزى وابن تيمية فى موقفهما من الحقيقة والشريعة ، وكان موقفه منه بالنسبة لهما ، موقف تطبيق بين القضيتين ، وفى رأيه أن الشريعة والحقيقة لا تنافى بينهما فلكل منهما جانب، فالشرسعة عبادة الله والحقيقة مشاهدة صفات الحق وقال: " فالشريعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده ، فالشريعة : قيامك بأمره ، والحقيقة : شهودك لوصفه " (١) ولكن بشرط أن لا تكون هذه مخالفة للشريعة .

وبعد ! فكلا النوعين من الأعمال - الظاهرة و الباطنة - مبنية على العبادة التى تشمل جميع الأعمال الصالحة ، وهى مطلوبة من المسلمين لتحقيق العبودية لله عزوجل ، فالتلازم بينهما واضح ، إذ لا يتحقق أحدهما دون الآخر ، كاجهاد فى سبيل الله ، فإنه من الأعمال الظاهرة ، إلا أنه لا يتحقق ولا يثاب عليه ، دون الحب فى الله .

---

(١) إبن القيم الجوزية : مدارج السالكين جـ٢ص٢٠٨ .

الفصل السادس

في

الأحوال والمقامات

ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول : مفهوم الأحوال والمقامات

المبحث الثاني : أقســـام الأحوال ومراتبها

المبحث الثالث : المقامات لدى أهل التصوف

المبحث الرابع : نقد الحال والمقام

❀❀❀

المبحث الأول

مفهوم الأحوال والمقامات

من أهم المصطلحات لدى الصوفية الأحوال والمقامات ٠

فالأحوال :جمع الحال ،وهو فى اللغة: نهاية الماضى وبداية المستقبل ٠

وفى الاصطلاح : ما يبين هيئة الفاعل أو المفعول به لفظا ٠

وعند الصوفية : الحال هو ما يدخل فى قلب السالك بدون اختيار أوتعمد أو جلب أو اكتساب ،وهذا مثل: الطرب أو الحزن أو البسط أو القبض أو الشوق أو الإنزعاج وأمثالها (١) ٠

ويقول السراج الطوسى : " الحال : هو ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار ٠

وأما المقام فمعناه :مقام العبد بين يدى الله عزوجل ، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله تعالى٠

والمقامات مثل: التوبة والورع والزهد وغير ذلك " (٢) ٠

فخلاصة كلامه فى عبارة قصيرة هى: أن المقامات مكاسب ، والأحوال مواهب ، فما للعبد من جهد يدخل فى باب المقامات وما يقاضى عليه من لدن الله تعالى ، فينقله درجة بعد درجة فى رحلة السفر إلى الله سبحانه وتعالى ، يدخل فى الأحوال ٠

وقال الكلاباذى : إن علوم الصوفية ، علوم الأحوال ، والأحوال مواريث الأعمال ، ولايرث الأحوال إلا من صحح الأعمال (٣) ٠

وقال الجرجانى: والحال عند أهل الحق – التصوف– ما يرد علىالقلب

---

(١) السيد الشريف الجرجانى : كتاب التعريفات ص٨ ، دار الكتب العلمية ط٩/لبنان ٠
أيضا : عبدالكريم القشيرى : الرسالة القشيرية جـ١ ص١٩٢ ٠

(٢) السراج الطوسى : كتاب اللمع ص٦٥ –٦٦ ٠

(٣) أبوبكر محمد الكلاباذى : التعرف على مذهب أهل التصوف ص١٠٤ ٠

من غير تصنع ولا اجتلاب ولا إكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هينة ، يزول بظهور صفات النفس ، سواء يعقبه المثل أو لا ، فإذا دام وصار ملكا ، يسمى مقاما ، فالأحوال مواهب ،والمقامات مكاسب،والأحوال تأتى من عين الجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود " (١) ويسمى الوارد مقاما إذا ثبت وأقام ، ويسمى الوارد حالا إذا كان عارضا سريع الزوال ، وهذا فى الخواطر واللمحات التى تسبق المقامات ٠

وفى الحقيقة أن علماء التصوف يضطربون فى تحديد بيان الحال والمقام ، كما كان حالهم فى تعريف التصوف و حقيقته ، فإنهم حيارى فى هذا الموضوع ، فإن هناك آراء كثيرة متشابكة ومتناقضة حوله ، ويكفى أن نعلم أن كل جهد يبذل فى الطريق من جانب العبد ، يصحبه تغير وجدانه ، وقيل : إن أول من تكلم فى الأحوال والمقامات هو ذوالنون المصرى (٢) ٠

ولابد أن نلاحظ أن كتاب التصوف تكلفوا بالتقسيمات والتعريفات للموضوع الواحد،وعذرهم فى ذلك كثرة التغييرات النفسية الطارئة على العبد أثناء المسير كما يقولون،وهى تغييرات متلاحقة،وأعانهم ثراء اللغة العربية بالمفردات المتقاربة فى المعنى و المتقاربة فى نفس الوقت فى الدرجة (٢)٠

ونجد أن المتصوفة قد وضعوا تعريفات كثيرة للحال والمقام ، كما أنهم اختلفوا فى وضع أقسام كل منهما ، فبعضهامتداخلة وبعضها متناقضة ٠

وعلماء التصوف يهتمون بالأحوال والمقامات ،غاية الاهتمام ،بحيث يعتبرونهما من أسس الدين ، تتوقف عليهماجميع الأعمال الصالحة ٠

ويقول أحدهم : " إن جميع مقامات الدين ، إنما تنتظم من ثلاثة أمور: معارف وأحوال ومقامات٠

---

(١) الجرجانى : التعريفات ص٨١ ٠

(٢) نيكلسون : فى التصوف الإسلامى وتاريخه ص٧ ٠
أيضا : دائرة المعارف جـ٩ ص٤١٩ ٠

(٣) د/ إبراهيم البسيونى : نشأة التصوف الإسلامى ص١٢٠ ٠

فالمعارف هى الأصول،وهى تورث الأعمال،والأعمال تحقق المقامات والمقامات تبلغ الأحوال،والأحوال تثمر الأعمال،فالمعارف كالأشجا،والأعمال كالأغصان، والمقامات كالثمرات،وهذا مطرد فى جميع منازل السالكين إلى الله (١) فلا تتصور الأحوال إلا من مقامات، تتمثل بالأعمال والنتائج، ولا تقوم المقامات بوجودها إلا وقد سبقتها الأحوال،والشئ الذى يفرق بينهما أن الحال عارض،وذلك لتحوله من وضع إلى وضع آخر والمقام ثابت ومستقر لا تطرأ عليه عوارض،ومرتبة الحال مقدمة على مرتبة المقامات .

سئل أبوبكر الواسطىعن قول النبى(ﷺ):((الأرواح جنود مجندة))(٢)؟ قال : مجندة على قدر المقامات ، فما تعارف منها فى الله ائتلف فى الله بالحب الإلهى وتلك الأحوال ، وأما المقامات مثل : التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل وغير ذلك ، فهى مكسوبة بالأعمال " .

المبحث الثانى

أقسام الأحوال ومراتبها

صنف أبو نصر السراج مجموع أحوال العارفين على النحو التالى :

١- المراقبة ٢ - القرب ٣ - المحبة ٤ - الخوف ٥ - الرجاء
٦- الشوق ٧ - الأنس ٨ - الاطمئنان ٩ - المشاهدة ١٠ -اليقين(٣).

وقال بعض الصوفية (٤) : إن الأحوال مقتصرة على أمور سبعة :

١ - القرب ٢- الحب ٣- الشوق ٤- الأنس ٥- حالى القبض والبسط
٦ - حالى القضاء والبقاء ٧ - حال الاطمئنان .

---

(١) محمود أبو الفيض المنوفى : جمهرة الأولياء واعلام أهل التصوف ص١٩٠ .
(٢) تخريج الحديث رواه البخارى فى صحيحه : كتاب الأنبياء . أبوداود : كتاب الأدب
(٣) محمود أبو الفيض المنوفى : جمهرة الأولياء واعلام أهل التصوف ص١٩١ .
(٤) أبو نصر سراج الطوسى : اللمع ص٥٥ .
(٥) محمود أبو الفيض : جمهرة الأولياء ص٢٩٢ .

وإليك ملخص البيان لهذه الأحوال من وجهة نظر الصوفية :

المراقبة : يقول الجرجانى فى تعريف هذه الكلمة : " المراقبة: استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه فى جميع أحواله " (١) .

فالمراقبة إذا عبارة:عن يقين العبد بأن الله مطلع فى جميع الأحوال على قلبه وضميره ، ومحيط بأسراره الباطنية " (٢) ولها ثلاثة أنواع :

أ - رؤية الله حاضرا وناظرا إليه فى كل مكان ، وفى ذلك يقول الحارث المحاسبى : المراقبة علم القلب بقرب الحق تعالى (٣) .

ب - أن ينسى السالك عند المراقبة ،الكائنات ،بحيث لا يخطر على باله وذهنه شئ ،سوى وجود الله تعالى ، ولذلك يقول أحمد بن عطاء : " خيركم من راقب الحق بالحق فى فناء ما دون الحق " (٤) .

جـ -أما النوع الثالث من المراقبة هو حال أكابر أرباب المراقبة الذين يراقبون الله تعالى ،ويطلبون منه أن يرعاهم فى حال المراقبة ، وذلك مصداقا لقول الله عزوجل : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (٥) .

وفى هذه المرتبة ينعدم السالك كيانه،ولايبقى بينه وبين الرب أى حجاب(٦) .

القرب : فحال المراقبة تؤدى إلىالقرب من الله تعالى ، يستشهد الصوفية على القرب بالآيات القرآنية التى تتحدث عن قرب العباد من الله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٧) .

وقال تعالى :﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ (٨) .

---

(١) السيد الشريف الجرجانى : كتاب التعريفات ص٢١٠ .

(٢) د/ قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ص٤٥٥ .

(٣) فريد الدين العطار : تذكرة الأولياء جـ٢ص٢٢٧ .

(٤) أبو نصر السراج : اللمع ص٥٥ .

(٥) سورة الأعراف الآية ١٩٦ .

(٦) فريدالدين العطار : تذكرة الأولياء جـ٢ص٣٤ .

(٧) سورة البقرة ١٨٦ . (٨) سورة الواقعة ٨٥ .

قال صاحب اللمع فى الحديث عن القرب : " وحال القرب من أحوال عبد يشهد بقلبه القرب من الله تعالى ، ويتقرب فى الظاهر والباطن إلى الله تعالى عن طريق الاستمرار فى ذكر الله تعالى بالطاعة وجمع الهمة " (١) .

ويقول الجرجانى فى هذا الصدد "القرب " : القيام بالطاعات .

والقرب المصطلح – عند المحققين من المتصوفة كما يقول – قرب العبد من الله تعالى بكل ما يعطيه السعادة لا قرب الحق من العبد، فإنه من حيث دلالته ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ﴾ (٢) وهذا القرب عبارة عن زوال الحس وتلاشى النفس .

المحبة : ثالث الأحوال عند الصوفية هى المحبة ، " وهذه المحبة الصافية – حسب إدعائهم – تتغير بنورها ، نار الطبع ، وغلبة الغريزة وعوائق النفس " (٣). والمحبة والعشق من أسمى صفات " العارف" وأهم أحواله ، ومن الأصول المهمة فى مبانى التصوف " (٤) ولذلك قالوا : " الحب بالنسبة أصل للأحوال كلها " فمن صحت محبته ، تحقق بسائر الأحوال كالشوق والأنس " (٥) .

وتنقسم المحبة إلى نوعين : الحب العام والحب الخاص :

فالحب الخاص الذى هو من أعلى وأرقى الأحوال الموهوبة هو : حب الذات للذات هبة من الله وفضلا، وهم خاصة الله تعالى الذين اصطفاهم الله فى الأزل .

أما الحب العام : فمعناه إمتثال أوامر الله ونواهيه .

---

(١) السراج : اللمع ص ٥٦ .
(٢) الجرجانى: التعريفات ص ١٨١ .
(٣) محمود المنوفى : كتاب الجمهرة ص ٢٤١ .
(٤) د/قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ص٤٤٣ .
(٥) محمود المنوفى : الجمهرة ص٢٤١ .

ومـن شـروط المحـب أن يكـون مطيعـا ، فهـؤلاء أهـل المجـاهدات والمكافحات والقطع لعوائق وعقبات الطريق إلى الله تعالى ، فيترقون إليه درجة فدرجة ، ومقاما فمقاما وحالا حالا " (١) ٠

الشوق : وهو عند الجرجاني ، نزاع القلب إلى لقاء المحبوب (٢) ٠

وقال الطوسي : " وحال الشـوق: حـال شـريف ، فالشـوق هـو لعبـد قـد تـبرم ببقائه شوقا إلى لقاء محبوبه ٠

وسئل البعض عن الشوق ؟ فقال : هيمان القلب عند ذكر المحبوب ٠

وقال آخر: الشوق نار الله تعالى، أشعلها في قلوب أوليائـه، حتـى يحـرق بها ما في قلوبهم من الخواطر (٣) والإرادات والعوارض والحاجات (٤)٠

قال المنوفي : هو الباعث الأعظم لأهل الله على الاجتهـاد فـي الوصـول إلى الله وحسن العمل ، ولولاه لفترت همم السالكين وأحسوا مشـقة الطريـق وطال عليهم أمد الوصول (٥) ٠

الأنـس : قـال الطوسـي : " ومعنـى الأنـس باللـه: الاعتمـاد عليـه ، والسكون إليه والإستعانة به ، ولا يتهيأ أن يعبر بأكثر من هذا (٦) ٠

وقال المنوفي : الأنس بالله هو:الفرح بوجدان حضرته والسكون إلـى عنايته والاستغاثة به على وجد معينة ، وليس في الإمكان التعبير عنه (٧)٠

---

(١) المنوفي : كتاب الجمهرة ص ٢٤١ ٠
(٢) الجرجاني: التعريفات : ص ١٢٩ ٠
(٣) الخواطر : معناه خطاب يرد على الضمائر ، وقد يكون بالقاء ملك أو بالقاء شيطان ٠ راجـع : الرسالة القيشرية ص ٢٤٢ ٠
(٤) الطوسي : اللمع ص ٦٣- ٦٤ ، مطبعة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩١٤ م ٠
(٥) المنوفي : معالم الطريق إلى الله ، ص ٣٨٩ ،دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة
(٦) الطوسي : اللمع : ص ٦٤ ٠
(٧) المنوفي : معالم الطريق إلى الله ص ٣٩٢ ٠

وذكر عن ذى النون المصرى أنه قيل له ماعلامة الأنس بالله ؟ قال:إذا رايته يؤنسك بخلقه فإنه هو ذا يوحشك من نفسه ، وإذا رايته يوحشك من خلقه فهو ذا يؤنسك بنفسه (١)٠

الاطمئنان : من الأحوال الصوفية الاطمئنان،فالاطمئنان وهدوء القلب ثمرة للإيمان الكامل ، والاطمئنان هو حالة اعتماد القلب على الله الذى هو نعم المولى ونعم النصير ، اعتمادا على أنه جدير بفضل الله وكرمه ، كما أنه سيصل إلى ماهو خيرله ، وما هو مطابق للحكمة الإلهية وإذا بلغ العبد هذا المقام فلن يحسن شيئا آخر بعد ذلك بل يحصل له اعتماد التام ويستريح قلبه وتطمئن نفسه (٢)٠

قال الطوسى حكاية عن سهل بن عبدالله: " إذا سكن قلب العبد إلى مولاه واطمأن إليه ، قويت حال العبد ، فإذا قويت أنس بالعبد كل شئ "(٣)٠

وسئل الحسن بن على الدامغانى فى قوله عزوجل ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ...الآية﴾(٤) ؟ فقال : إن القلوب هشت ، وبشت ، وسكنت ، واستأنست ، ثم كشف عنه ، فقال هشت من معرفة إجلال الله تعالى وعظمته ،وبشت من معرفة رحمة الله وفضله ، وسكنت من معرفة غاية الله تعالى وصدقه ، واستأنست من معرفة إحسان الله ولطفه (٥) ٠

وقسم الطوسى الاطمئنان إلى ثلاثة أقسام :

أولها : اطمئنان العامة : فإنهم عند ما يشتغلون بذكرالله ، يطمئنون إلى أن الله سوف يستجيب لدعائهم، ويرزقهم،ويدفع عنهم الآفات،وهؤلاء الأشخاص

---

(١) الطوسى : اللمع ص٦٦ ٠

(٢) د/قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ص٤١١ ٠

(٣) نفس المصدر والصفحة ٠

(٤) سورة الرعد ٢٨ ٠

(٥) الطوسى : اللمع ص ٦٧ ٠

لهم فى هذه الحال النفس المطمئنة أى المطمئنة على الإيمان والاعتماد ٠

ثانيها : اطمئنان الخواص،الراضين بقضاءالله تعالى،الصابرين على بلائه ولهم حال الإخلاص، وسكون الخاطر والاعتماد وربط القلب بالكلام الإلهى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾(١) ٠

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) وإنهم يرجون ذلك ٠

ثالثها : اطمئنان خاصة الخواص الذين يتيهون فى وادى الحيرة ، لأنهم مأخوذون بجلال الله وعظمته ٠

وبعض العلماء من المتصوفين جعل (٣) الاطمئنان فى دائرة آداب القبض والبسط (٤) ٠

المشاهدة : قال الجرجانى : المشاهدة تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ، وتطلق بازائه على رؤية الحق فى الأشياء ، وذلك هو الوجه الذى له تعالى بحسب ظاهريته فى كل شئ ٠

قال عمرو بن عثمان المكى :" المشاهدة : ما لاقت القلوب من الغيب بالغيب ، ولا يجعلهاعيانا ولا يجعلها وجدا ٠

وقال أيضا : " المشاهدة : وصل بين رؤية القلوب وبين رؤية العيان" يعنى مشاهدة الأشياء بعين العبرة والاعتبار ومعاينتها بعين الفكر ٠

وقال أيضا : المشاهدة : يعنى المحاضرة يعنى المداناة " (٥) ٠

وأهل المشاهدة على ثلاثة أحوال :

---

(١) سورة النحل ١٢٨ ٠

(٢) سورة البقرة ١٥٣ ٠

(٣) د/قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ص ٥١١- ٥١٢ ٠

(٤) المنوفـــى : معالم الطريق إلى الله ص ٣٩٥ ٠

(٥) الطوســى : اللمع ص٦٨ - ٦٩ ٠

الأول : الأصاغر: وهم المريدون ، وهم كما قال أبوبكر الواسطى : يشاهدون الأشياء بعين العبرة ويشاهدونها بأعين الفكر •

الثاني : أى الحال الثانى من المشاهدة، الأوساط،وهو الذى أشار إليه أبوسعيد الخزاز، حيث يقول : الخلق فى قبضة الحق وفى ملكه ، فإذا وقعت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد ، لا يبقى فى سره ولا فى وهمه،غير الله تعالى •

الثالث : أى والحال الثالث من المشاهدة ، مأشار إليه عمرو بن المكى فقال: إن قلوب العارفين شاهدت الله مشاهدة تثبيت ، فشاهدوه بكل شئ،وشاهدوا كل الكائنات ، فكانت مشاهدتهم لديه ولهم به ، فكانوا إنما غائبين حاضرين و حاضرين غائبين على انفراد الحق فى الغيبة والحضور ، فشاهدوه ظاهرا وباطنا ، وباطنا وظاهرا ، وآخرا وأولا ، وأولا وآخرا " (١) •

وعلى هذا المنوال يقول بعض الصوفية :المحاضرة لأهل التلوين ، والمشاهدة لأهل التمكين ، والمكاشفة لأهل العين •

والحاصل أن الصوفية يعتقدون أنه إذا ما صفت مرآة القلب من صدأ المعاصى والأفكار الفاسدة ، يسطع عليها عندئذ نور اليقين ولا يمكن حلول الشياطين فى مثل هذا القلب الصافى الطاهر •

اليقين : والحال العاشرة اليقين •

قال الجرجانى : اليقين فى اللغة : العلم الذى لاشك معه •

وفى الاصطلاح : اعتقاد الشئ بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقا للواقع غيرممكن الزوال •

واليقين عند أهل الحقيقة – الصوفية – رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان، وقيل مشاهدة القلوب لصفاء القلوب، وملاحظة الأسرار بمحافظة

---

(١) الطوسى : اللمع ص٦٨-٦٩ •

الأفكار ....وقيل: اليقين ارتفاع الريب فى مشهد الغيب(١)٠
فعندما يتمكن صوفى من المشاهدة ، ويستقر فيها ، ويتحقق فى الفناء و يبقى فى الله يبلغ مقام اليقين ، فاليقين بناء على هذا ،هو أصل جميع الأحوال ومنتهاها ٠
وقال الطوسي : اليقين على ثلاثة وجوه (٢) :
علم اليقين (٣)وعين اليقين (٤) وحق اليقين (٥) (٦) ٠
يقول على الهجويرى : " إن كل ما يحصل اليوم بعلم صحيح يتحقق غدا بالرؤية ٠
وعلم اليقين هو : علم معاملات الدنيا ، بموجب الأحكام والأوامر٠
وعين اليقين هو : حال النزع إبان الخروج من الدنيا ٠
وحق اليقين هو : العلم بكشف الرؤية فى الجنة ٠
فعلم اليقين هو : درجة العلماء ، بحكم استقامتهم على أحكام الأمور٠
وعين اليقين هو : مقام العارفين بحكم استعدادهم للموت ٠
وحق اليقين هو: موضع فناء المحسن بحكم إعراضهم عن كافة الموجودات ٠
فيكون إذا علم اليقين بالمجاهدة ، وعين اليقين بالمؤانسة ، وحق اليقين بالمشاهدة ٠
فالأول عام والثانى خاص والثالث خاص الخاص (٦) ٠

---

(١) الجرجانى : كتاب التعريفات ص ٢٥٩ ٠
(٢) الطوسى : اللمع ص٧١ ٠
(٣) علم اليقين : ما أعطاه الدليل بتصور الأمور على ما هو عليه ٠ التعريفات ص ١٥٩ ٠
(٤) عين اليقين : ما أعطته المشاهدة والكشف ٠ التعريفات ص١٦٠ ٠
(٦) حق اليقين : عبارة عن فناء العبد فى الحق والبقاء علما وشهودا وحالا لا علما فقط ، فعلم كل ما قل الموت علم اليقين ، فإذا عاين الملائكة فهو عين اليقين ، وإذا ذاق الموت فهو حق اليقين ٠
وقيل علم اليقين : ظاهر الشريعة ، وعين اليقين الاخلاص فيها ، وحق اليقين : المشاهدة فيها ٠ راجع : التعريفات للجرجانى ص٩٠ ٠

المبحث الثالث
المقامات لدى أهل التصوف

قال القشيرى : " المقام يحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع التصرف ، ويتحقق به بطرب تطلب ومقاسات تكشف ، فمقام كل أحد، موضع إقامته عند ذلك ، وما هو مشتغل بالرياضة له " (١) .

ذكرنا بعض أقوال العلماء المتصوفة فى تعريف الأحوال والمقامات (٢) وبينا فى تعريف المقامات ما قاله الطوسى : " فإن قيل ما معنى المقامات؟ يقال معناه : مقام العبد بين يدى الله عزوجل فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله " (٣).

فللمقامات عند الصوفية مكانة يهتمون بها للوصول إلى الله تعالى ، لأن طريق الوصول إليه، هو المقامات القلبية .

وقال إبن القيم فى تعريف الأحوال والمقامات : " فالمريد يسلك الطريق الصوفى إلى غايته ، مرحلة بعد أخرى ، وهذه المراحل التى انقسم إليها الطريق الصوفى ، تسمى المقامات ، والمريد فى اجتياز هذه المقامات ، تعرض له أحوال مختلفة من سرور إلى حزن ، ومن فتور إلى نشاط .

فالأحوال النفسية التى تعرض للسالك تسمى أحوالا ، ودرجات العبادة التى يلزمها المتعبدون ، تسمى المقامات " (٤) .

ومن تلك المقامات :

١ - التوبة : قال أبويعقوب حمدان السوسى : " أول مقام من مقامات المنقطعين إلى الله ، التوبة " ثم قال : " التوبة : الرجوع من كل شئ ذمه العلم إلى ما مدحه العلم .

وسئل ذوالنون المصرى عن التوبة ؟ فقال : " توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة " (٥).

---

(١) عبد الكريم القشيرى : الرسالة القشيرية ص١٩٤، ط١/دار التأليف بمصر/١٣٨٥هـ .
(٢) انظر : (الأحوال والمقامات) ص١١٩ . (٣) الطوسى : اللمع ص٤٢ .
(٤) إبن القيم : مدارج السالكين جـ١ ص٧٨ . (٥) نفس المرجع ص٤٤ .

ثم بين الطوسى فى شرح كلمات ذوالنون المصرى أنواع التوبة فيقول :
" شتان بين تائب وتائب ، فتائب يتوب من الذنوب والسيئات،وتائب يتوب من رؤية الحسنات والطاعات " (١) .

فالصوفى لاينظر إلى صغر الذنب ، بل ينظر إلى عظمة الرب ، ولايقف الصوفى عند التوبة من المعصية ، لأنها فى رأيه توبة العوام ، بل يتوب من كل شئ يشغل قلبه عن الله تعالى(٢) ثم يقولون : إن الصوفى كلما صحح علمه بالله تعالى وكثر عمله ، دقت توبته ، فمن طهر قلبه من الآثام والأرجاس ، وأشرقت عليه أنوار الإيناس ، لم يخف ما يدخل قلبه من خفى الآفات وما يعكره صفوه حين يهم بالزلات، فيتوب عند ذلك حياء من الله تعالى الذى يراه (٣) .

٢ ـ الورع : اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع فى المحرمات ، وقيل هو ملازمة الأعمال الجليلة (٤) .

قال الطوسى : " وأهل الورع على ثلاث طبقات :

فمنهم من تورع عن الشبهات التى اشتبهت عليه ، وهى ما بين الحلال البين والحرام البين، وما لا يقع عليه اسم حلال مطلق ولا اسم حرام مطلق ، فيكون بين ذلك ، فيتورع عنهما .

ومنهم من يتورع عما يقف عنه قلبه ، ويحيك فى صدره عند تناولها ، وهذا لايعرفها إلا أرباب القلوب والمتحققون .

وأما الطبقة الثالثة من الورع فهم العارفون والواجدون ، وهو كما قال أبوسليمان الدارانى : كل ما شغلك عن الله فهو مشئوم عليه .

فالورع هو الحذر من وقوع المهلكات والموبقات التى تفسد حياة الإنسان وتبعدهم من الجنة ونعيمها ".

وما سبق من كلام الطوسى عن الطبقات الثلاث من أهل الورع ، يتبين

---

(١) الطوسى : اللمع ص٤٤ وأيضا : القشيرى : الرسالة القشيرية ص٤٧ ،باب التوبة .
(٢) عبدالقادر يحيى : حقائق عن التصوف ص٢٨٦ .
(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة .
(٤) الجرجانى : التعريفات ص٢٥٢ .

أن الورع عندهم على ثلاثة أقسام :
ورع العوام : وهو ترك الشبهات حتى لا يتردى فى حمأة المخالفات ، وذلك مصداقا لقوله (ﷺ) : ((إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ والحَرامَ بَيِّنٌ وبَينَهُما أُمُورٌ متشابِهاتٌ لا يَعلمهُنَّ كثيرٌ من الناسِ ، فمن اتَّقَى الشُّبُهاتَ فَقد استبرأَ لِدينِهِ وعِرْضِهِ ، ومَن وَقَعَ فى الشبُهَاتِ ، وَقَعَ فِى الحَرَامِ كَالرَّاعِى يَرْعَى حَولَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، ألاَ وإنَّ حِمَى الله محَارِمُهُ))(١) .
وورع الخواص : ترك ما يكدر القلب ،ويجعله فى قلق وظلمة ، فأهل القلوب يتورعون عما يهجس فى قلوبهم من الخواطر وما يحيك فى صدورهم من الوساوس ، وذلك مصداقا لقول الرسول (ﷺ) : ((دَعْ مَا يُرِيبكَ إلى مَا لاَ يُرِيبكَ)) (٢) .
وفى هذا قال سفيان الثورى : " ما رأيت أسهل من الورع : ما حاك فى نفسك فاتركه " (٣) وهذا التقسيم قد ذكره الشبلى (٤) .
وورع خاصة الخاصة : وهذا هو ورع العارفين الذين يرون أن كل ما يشغلك عن الله تعالى هو شؤم عليك .
قال الشبلى : الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله (٥) .
٣ - مقام الزهد : الزهد فى اللغة : ترك الميل إلى الشئ .
وفى اصطلاح أهل الحقيقة هو : بغض الدنيا والإعراض عنها .
وقيل هو : ترك راحة الدنيا طلبا لراحةالآخرة (٦) .
قال الشيخ الطوسى : الزهد مقام شريف وهو أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية ، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عزوجل ، والمنقطعين إلى الله ، والراضين عن الله ، والمتوكلين على الله ، فمن لم يحكم أساسه

(١) رواه البخارى عن النعمان بن بشير، كتاب الإيمان ،ورواه مسلم فى كتاب المسابقات .
(٢) رواه الترمذى فى كتاب صفة القيامة ، وقال حديث حسن صحيح .
(٣) القشيرى : الرسالة القشيرية ص ٢٥٤ .
(٤) فريد الدين العطار : تذكرة الأولياء ص ١٣٧ .
(٥) القشيرى : الرسالة القشيرية ص٥٤ . (٦) الجرجانى : التعريفات ص١١٥ .

فى الزهد ، لم يصح له شئ مما بعده (١) •

سئل الشبلي ما هو الزهد ؟ قال : " الزهد نوع من الغفلة، لأن الدنيا عدم والزهد فى اللاشئ غفلة (٢) •

قال سفيان الثورى : الزاهد هو الذى يحقق الزهد بفعله فى الدنيا ، والمتزهد من كان زهده بلسانه •

وقال أيضا: ليس الزهد فى الدنيا ارتداء الخرقة وأكل خبز الشعير ، ولكنه عدم تعلق القلب بالدنيا وتقصير الأمل(٣) •

وقسم الطوسى الزهاد إلى ثلاثة فقال : " والزهاد على ثلاثة طبقات :

١- المبتدءون : وهم الذين خلت أيديهم من الأملاك ، وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم •

فقال الجنيد: " الزهد تخلى الأيدى من الأملاك،وتخلى القلوب من الطمع•

٢ - المتحققون في الزهد : ووصفهم ماأجاب رويم بن أحمد حين سئل عن الزهد فقال : " ترك حظوظ النفس من جميع ما فى الدنيا " •

فمن زهد بقلبه فى هذه الحظوظ ، فهو متحقق فى زهده •

٣ - الزهاد الخواص :وهم الذين زهدوا فى زهدهم وتابوا من زهدهم و تيقنوا أن لو كانت الدنيا كلها لهم ملكا حلالا، ولايحسبون عليها فى الآخرة ولا ينقص ذلك مما لهم عندالله شيئا ، ثم زهدوا فيها لله عزوجل ، لكان زهدهم في شئ منذ خلقها الله تعالى ما نظر إليها (٤) وهم طبقة الزهاد الخواص أى أولئك الذين طافوا أقاليم العشق السبعة ورموا كل شئ وراء ظهورهم ظهريا (٥) •

٤ - مقام الفقر وصفة الفقراء : الفقر: عبارة عن فقد ما يحتاج إليه ، أما فقد ما لايحتاج إليه، فلا يسمى فقرا •

---

(١) الطوسى : اللمع ص٤٦ •
(٢) قاسم غنى : تاريخ التصوف ص ٣٨١ •
(٣) نفس المصدر والصفحة •
(٤) الطوسى : اللمع ص٤٧ •
(٥) قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ص٣٨١ •

فالفقر في نظر الصوفية هو أحوالهم زيادة الميل إلى الوجد و الشوق الروحي في أعمالهم وأقوالهم " (١) •

فالفقر الحقيقي الذي ذكره الجرجاني غير ما يقصد به الصوفية ،وإنماهو عندهم يتحقق بفقدان الميل والرغبة في الغنى والثروة ، مع وجودهما لديه ، يعني لابد أن يكون قلبه خاليا ويده خالية ، بأن يكون بعيدا عن كل ميل ورغبة ، يسبب إنحرافه عن الله تعالى •

والحاصل : أن الفقير لدى الصوفية من الممكن أن يكون له ثروات وغيرها في الظاهر ، ويعد في نفسه من أفقر الفقراء •

" ويعد مقام الفقر من المراحل المهمة للسير والسلوك ، وأول خطوة في التصوف " (٣) •

قال صاحب اللمع: " الفقر مقام شريف ، وقد وصف الله تعالى الفقراء وذكرهم في كتابه : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا ...الآية﴾(٤) •

ثم قسم الفقراء إلى ثلاثة أقسام :

١ - فمنهم من لايملك شيئا ولا يطلب بظاهره ولاباطنه من أحد شيئا ، ولا ينتظر من أحد ، وإن أعطى شيئا لم يأخذ ،فهذا مقامه مقام المقربين (٥) •

٢ - ومنهم من لا يملك شيئا ولا يسأل أحدا ولايطلب ولايعرض ، وإن أعطى شيئا من غير مسألة ، أخذ ، فهذا مقام الصديقين •

٣ - ومنهم من لايملك شيئا،وإذا احتاج انبسط إلى بعض إخوانه ممن يعلم أنه يفرح بانبساطه إليه،فكفارة مسألته، صدقة،وهذا مقام الصديقين من الفقر •

---

(١) الجرجاني : التعريفات ص١٨٦ •

(٢) قاسم غني : تاريخ التصوف في الإسلام ص ٣٨٦ •

(٣) نفس المصدر ص ٣٨٨ •

(٤) سورة الحشر الآية ٨ •

(٥) الجرجاني : التعريفات ١٨٦ •

٥ - مقام الصبر: قال الجرجاني : الصبر هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله إلا إلى الله " •

الفقر يقتضى الصبر ،وإذا لم يتخذ السالك فى طريق الحق محنة الصبر والتحمل شعارا ، فلا تحصل له أية نتيجة ، وليس الفقر من غير الصبر ، خاليا من النتيجة ، بل إن السير فى بقية مقامات التصوف ، يقتضى الصبر أيضا ، فأداء كل فريضة وترك كل معصية ، لا يتم إلا بالصبر ، لأن القلب الصوفي يكون مشغولا فى أى مقام وحال كان عليها ، فهو إما موافقا لرغبته أو مخالفا لرغبته ، فإنه في حاجة إلى الصبر على كلتا الحالتين •

المبحث الرابع

نقد الحال والمقام

هذا بيان للأحوال والمقامات التى يهتم بها الصوفية للبدعة التى أحدثوها مما استهوته أنفسهم وأهواؤهم ، يظنون بها ظن الجاهلية •

فالإيمان عبارة عن تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان (١)•

والتصديق المستلزم لعمل القلب هو:النية والاخلاص،والجوارح هو الخشوع والخضوع،فهذه مجموعة ثلاث، يطلق عليها الإيمان عند جمهور العلماء•

قال الله تعالى :﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾(٢)•

قال الشوكانى فى تفسير هذه الآية : أى لم تصدقوا تصديقا صحيحا عن اعتقاد قلب وخلوص نية وطمأنينته ﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ أى استسلمنا خوف القتل والسبى أو للطمع فى الصدقة ، وهذه صفة المنافقين لأنهم أسلموا ظاهر الأمر ولم تؤمن قلوبهم ولهذا قال الله تعالى:﴿ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم﴾ أى لم يكن ما أظهرتموه بألسنتكم عن مواطأة قلوبكم ، بل مجرد قول باللسان دون اعتقاد صحيح ولا نية خالصة •

قال الزجاج : " الإسلام إظهار الخضوع وقبول ما أتى به النبى (ﷺ)

---

(١) إبن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٦٠ •

(٢) سورة الحجرات الآية ١٤ •

وبذلك يحقن الدم ،فإن كان مع ذلك الاظهار، اعتقاد وتصديق بالقلب ، فذلك الإيمان وصاحبه المؤمن (١) ٠

وذهب شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله : " إلى أن الأعمال – وهى التى تسمى المقامات والأحوال – تجب على المسلمين كافة ، لأن الإسلام أمر بمحبة الله والاخلاص له ، والتوكل عليه ، والرضا عنه ، وما إليها من أعمال باطنة ، مكلف بها العامة والخاصة " (٢) ٠

فالأعمال التى تتعلق بالقول التى يميزها الصوفية عن سائر العبادات التى تؤدى بالجوارح ، لم تنقل عن صحابة رسول الله (ﷺ)والذين يلونهم من السلف الصالحين " (٣) ٠

ومما لاشك فيه أن هذه المميزات من محدثات الأمور والبدع التى حدثت فى الأزمنة المتأخرة حيث تدرجت من الحديث فى الحقيقة بالذوق والكشف والفصل بين الحقيقة والشريعة ، ثم تطورت الأمر بعد ذلك على أيدى بعض الصوفية ، فنادوا بأن المعرفة وحدها تكفى مع المحبة ، دون ضرورة للأعمال التى تعد عندهم بمثابة الحجاب ،فالشريعة يحتاج إليها العوام وحدهم(٣) ٠

ثم إن جميع العبادات بأنواعها تتم وفقا لحكم الله ورسوله ، وما عدى ذلك فهو باطل مردود ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾(٤) ومثلها آيات كثيرة تأمر بطاعة الله ورسوله معا ،وكذلك أحاديث كثيرة تؤكد بصحة العبادة وفق ما أمر الله تعالى ورسوله،وما يخالف هذين المصدرين الأساسيين،يعتبر مرفوضا، لايكون أداؤه لوجه الله تعالى ، والقائمون به يشبهون الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية ، ثم يعلق إبن رجب على ما لاحظه من الصوفية المعاصرين له " وهذا كمن تقرب إلى الله تعالى بسماع الملاهى أو بالرقص

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ٥ص٦٧- ٦٨ ٠

(٢) د/مصطفى حلمى:التصوف والاتجاه الفلسفى فى العصر الحديث ص١٦٤، دار الدعوة/مصر ٠

(٣) نفس المصدر والصفحة ٠

(٤) سورة التغابن الآية ١٢ ٠

أو بكشف الرأس فى غير الإحرام ، وما أشبه ذلك من المحدثات (١) .

ثم إن التقرب إلى الله تعالى لابد أن يتم بـأداء الفريضـة أولا ثـم بـالنوافل وقال إبن رجب تعليقاعلى ما ذهـب إليـه التصـوف بتقديـم النوافـل والزيـادات على الفرائض ، فظهر بذلك أن دعوى طريق يوصـل إلـى التقـرب إلـى اللـه تعالى وموالاته ومحبتـه سـوى طاعتـه التـى شـرعها اللـه تعـالى علـى لسـان رسوله (ﷺ)ممن ادعى ولاية الله ومحبته بغير الطريق ، تبين أنه كاذب فـى دعواه (٢) .

وفى الشريعة الإسلامية أهميـة قصـوى للعلم وحصولـه ونشره ، وحين يسمع المؤمن قوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾(٣) فكيف يتسـنى لـه طاعـة الله ورسوله إن لم يكن على علم بالأوامر والنواهى الواردة فى السـنة نـاهيك عن الكتاب،ولكن الصوفية لا يهتمون بالعلم بقدر ما يهتم به الإسلام.

وروى القشيرى عن أبى بكر الوراق قوله :

" آفة المريد ثلاث:التزويج، وكتابة الحديث ، والأشعار " (٤) .

ويخاطب أبو يزيد البسطامى أهل الحديث بقولم : " أخذتم علمكم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت " (٥) .

وهذه جهالة كبيرة وآفة جسيمة ،ويقول إبن القيم الجوزية فى هذا الباب:

" فإن إنفراد العلم عن الحال ، تعطيل وبطالة ، وإنفراد الحال عن العلم كفـر وإلحاد، والأكمل أن لا يغيب عن شهود العلم بالحال وإن استغرقه الحال عـن شهود العلم مع قيامه بأحكامه ، لم يضره " (١) .

فلو نظرنا إلى الأحـوال والمقـامات وموقف القوم من تقسيم كل منهما

---

(١) الصوفية والإتجاه الفلسفى فى العصر الحديث ص١٦٥ .
(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .
(٣) سورة الأنفال الآية ٢٠ .
(٤) القشيرى : الرسالة القشيرية ص٩٢ .
(٥) إبن القيم الجوزى البغدادى : تلبيس إبليس ص ٣٤٤ ،الطبقات للشعرانى جـ١ص٥ .

والكيفيات التى تطرأ عليهم من جراء تجاربهم لها ، نجد أنهم وضعوها دون برهان ولا دليل معقول ، فمثلا نجدهم مختلفين فى مفهوم الأحوال والمقامات كما أنهم يختلفون فى وضع التقسيم بينهما، والترتيب فى أنواع كل منهما .

قال إبن القيم رحمه الله : " ولأرباب السلوك اختلاف كثير فى عدد المقامات وترتيبها، وكل يصف منازل سيره وحال سلوكه ، ولهم اختلاف فى بعض منازل السير ، هل هى من قسم الأحوال ؟ والفرق بينهما :أن المقامات كسبية والأحوال وهبية ، ومنهم من يقول : الأحوال من نتائج المقامات ، والمقامات نتائج الأعمال ، فكل من كان أصلح عملا ، كان أعلى مقاما ، وكل من كان أعلى مقاما كان أعظم حالا "(٢) .

ثم إن الأحوال والمقامات وما يتفرع منهما من الأقسام التى يتقولها الصوفية ، متشابكة ومتداخلة ومترادفة من حيث المعانى والمفاهيم ، ومن شروط صحة التقسيم ، أن تكون أفراد المقسوم ، متباينة ومتغايرة عن أخواتها، فإن لم تكن كذلك ، فلا يصح التقسيم ، وهذا الأمر مسلم به .

ويقول إبن القيم فى هذا الصدد : " ومن المقامات ما يكون جامعا لمقامين، ومنها ما يكون جامعا لأكثر من ذلك ، ومنها ما يندرج فيه جميع المقامات ، فلا يستحق صاحبه اسمه إلا عند استجماع جميع المقامات .

وعلى سبيل المثال فـ(التوبة) جامعة لمقام المحاسبة ، ومقام الخوف لايتصور وجودها بدونهما .

" والتوكل " جامع لمقام التفويض والاستعانة، والرضا لايتصور وجودها بدونهما .

" والرجاء" جامع لمقام الخوف والإرادة .

---

(١) عبد المنعم العزى : تهذيب مدارك السالكين ص٩٤ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٣ .

و" الخوف " جامع لمقام الرجاء والإرادة •
و " الإنابة " جامعة لمقام المحبة والخشية ، لا يكون العبد منيبا إلا باجتماعهما •
و مقام " المحبة " جامع لمقام المعرفة والخوف والرجاء والإرادة ، فالمحبة معنى يلتئم من هذه الأربعة وبها تحققها •
ومقام " الشكر " جامع لجميع مقامات الإيمان •
ومقام " الأنس " جامع لمقام الحب مع القرب، فلو كان المحب بعيدا من محبوبه ، لم يأنس به ، ولو كان قريبا من رجل ولم يحبه ، لم يأنس به حتى يجتمع له حبه مع القرب منه (١) •

وأيضا نجد بينهم اختلافا فى صفة الحال والمقامات •

فبعضهم يقولون : إن المقامات لها صفة الديمومة ، بينما الأحوال لها صفة التغيير المستمر •

يقول القشيرى فى هذا الصدد :"وصاحب المقام ممكن من مقامه ،وصاحب الحال مترق عن حاله " (٢) •

ومع هذا فمنهم من أشار إلى بقاء الأحوال ودوامه،كما قال القشيرى نفسه: " وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها " (٣) ويوجد فيهم الاضطراب والقلق فى تعيين الصفة لهما •

ثم قولهم : إن المقامات لها صفة الديمومة ، معارض بقولهم إن المرء يترقى من مقام إلى مقام ،وبهذا تنتفى صفة الثبات المذكور ، كما يعتبر بعض الصوفية بعض الأمور كالخوف من المقامات وهو ما ورد عن أبى طالب المكى (٤) ، بينما يعتبره غيره من الأحوال كما ورد عن أبى النصر السراج (٥) واعتبره القشيرى من ضمن الأحوال (٦) بينما اعتبره السراج من ضمن المقامات •

---

(١) عبدالمنعم العزى : تهذيب مدارك السالكين ص٩٤-٩٥ •
(٢) القشيرى : الرسالة القشيرية ص٥٤ • (٣) القشيرى : الرسالة القشيرية ص٥٤ •
(٤) أبوطالب المكى : قوت القلوب ص٣٦٤ • (٥) السراج : اللمع ص٨٩ •
(٦) القشيرى : الرسالة القشيرية ص٥٤ •

المبحث الأول

في

الدعوة الإسلامية بين التطور والخمول

قبل أن ندخل في موضوعنا حول الصوفية في منطقة البنغال رأيت أنه من الضروري إلقاء الضوء على الدعوة الإسلامية منذ دخول الإسلام فيها وإلى بداية عصر الانحطاط فيها ، حتى يتضح لنا تلك الأسباب التي دفعت المتصوفة إلى نشر أفكارهم وبث البدع والخرافات ، وأصبحت الأمة الإسلامية في المنطقة بعيدة عن مبادئ الدين وعن تعاليمها الصحيحة ، وقبل أن نشرع بالحديث ينبغي لنا أن نتحدث عن الدعوة الإسلامية وأنشطتها في المنطقة •

في الفترة بين الفتح الإسلامي لمنطقة البنغال عام ٥٩٨هـ ١٢٠١ م وبين تمكين الاحتلال الإنجليزي لها عام ١١٨١ هـ ١٧٦٧ م فترات طويلة تحمل أهمية قصوى بالنسبة لتطور نشاطات الدعوة وتوسيع نطاقها في الآفاق بجنوب شرق الهند ، ثم الإنحطاط في ذلك النشاط الذي يدفع المغرضين للإسلام والمناوئين له إلى أن يفتحوا الأبواب لادخال أفكارهم الخبيثة في هذه الأمة ، ومرت عليها في هذه الفترة مراحل عديدة تنطوي بالأحداث والتقلبات السياسية والإجتماعية التي مازال المسلمون إلى اليوم يعانون من نتائجها وآثارها ، وتركت للأجيال مشاكل وعقبات ذات أبعاد في الدين عامة والعقيدة خاصة •

وكما ذكرنا فى التمهيد أن سير الدعوة الإسلامية ونموه فى البلاد منذ أن قدم المسلمون العرب تجاراً كانوا أو دعاة إليها ، كان على مايرام فالكل دعا إلى صورة نقية للإسلام ، وكان الناس يتعلمون منهم الدين كما أخذوه من الصحابة والتابعين وعلماء السلف الصالحين •

ولم توجد حينذاك طائفة غير الطائفة المسلمة وأخرى الهندوكية والبوذية ، ولم تعرف البلاد شيعة أو صوفية أو معتزلة أو خوارج وغيرها من الفرق التى نشأت فى المناطق العربية والفارسية نتيجة للصراع السياسى والمذهبى والذى ظل المسلمون عليه فترات طويلة يعانونه ويذوقون منه مذاق الشقاق والتفرقة،وكانت البنغال سليمة من هذه الطوائف والنحل آنذاك•

والذين دخلوا الإسلام فى هذه الفترة إلى فترة ماقبل الفتح الذى فتحها المسلمون مناطق الهند كلها ، كانوا قليلى العدد ، يعيشون فى المناطق الساحلية ، ولم تصل الدعوة إلى مناطق مترامية البعيدة عنها من شمال البنغال وغربها وشرقها ، ونستطيع أن نسميها فترة مضيئة للإسلام والمسلمين ، وظلت على هذه الحال إلى أن بدأ الأتراك والغوريون والغزنويون والمغول، الفتح الإسلامى وغزو أراضى الهند ، عبر درة خيبر فى أفغانستان ، وفى أوائل هذه الفترات ظلت الدعوة الإسلامية تنمو وتزدهر بحيث وصل صوت الإسلام إلى أنحاءالبنغال،ودخل جمع غفيرمن المواطنين

الهندوس الإسلام ، ونشط الإسلام فيها نشطاً يحمد عليه ويشكر القائمون على الدعوة، ولكن هذا الوضع لم يحظ بالدوام ، وأخذ سير الدعوة يضعف ويتقهقر بسبب سلوك أولئك الفاتحين والحكام المسلمين وتساهلهم فى أداء المسئولية ، وانشغالهم فى توسيع النفوذ وجمع الأموال وفى الترف والبذخ ، فأهملوا عملية الدعوة ، وجوانب أخرى تتعلق بتصحيح أفكار المسلمين من العقائد الفاسدة القائمة على مجتمعاتهم ، وهكذا هبت على الأمة عواصف انقلبت بها الأوضاع وتوقف نشر الإسلام وتقاعس المسلمون فى أداء واجبهم ، ومن هنا بدأ الانحطاط فى المجتمع الإسلامى فى المنطقة و حجبته غيوم الظلام والجاهلية وضعفت بنية البلاد التى أرسى قواعدها المسلمون ، وزحف سيل التيارات الهدامة من ثغورها وظلت أبوابها فى المستقبل مفتوحة للمبتدعة و المتصوفة والشيعة ليطمسوا هذا الدين الإسلامى ،ويبثوا فى المجتمع أفكاراً خبيثة ومعتقدات باطلة •

ونحن بصدد ذلك نقسم فترة عملية الدعوة بين الفتح الإسلامى للمنطقة وبين إحتلال الإستعمار الإنجليزى لها إلى ثلاثة مراحل :

أولاً :

فالمرحلة الأولى للدعوة تبدأ من العام الذى فتح فيه المسلمون الأتراك البنغال وأرسوا فيها قواعد حكمهم،كما أدخلوا فيها عدداً كبيراً من الناس فى الإسلام ، وأنشأوا الجوامع والمعاهد الدينية وشاركهم عدد غيريسير من العلماء فى نشر الدين الإسلامى، وتنتهى هذه الفترة عام ٧٣٩هـ ١٣٤٠ م

والتى مجموعها مائة وأربعون عاماً (١) ورجال التاريخ يسمونها فترة نمو الإسلام وازدهاره وإن كان فيما يقولونه شئ من المبالغة •

ثانياً :

ففى المرحلة الثانية ، ويقدر مجموع عدد السنين فيها مايقرب مائتا وثلاث وستون سنة ، وذلك من عام ٧٣٩ هـ ١٣٤٠ م إلى نهاية عام٩٧٦هـ ١٥٧٦م كانت منطقة البنغال فيها تحت الحكام المحليين من المسلمين الذين سيطروا على المنطقة بعد أن أسلموا على أيدى الفاتحين ومن ساندهم من العلماء وهؤلاء الحكام البنغاليون كانوا يعرفون الإسلام بأنه دين حنيف أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، و بذلك أصبح المسلمون أمة مستقلة عن الهندوس والبوذيين ، يؤدون شعائر الدين ونشر تعاليمه وتوسيعها بين المواطنين ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يساعدون الدعاة والعلماء فى عملهم فى تقديم المكافأت المالية وتوقيرهم •

ثالثاً :

أما المرحلة الثالثة فتبدأ من ٩٦٧هـ ١٥٧٦م وتنتهى إلى ١١٨١هـ ١٧٦٧م وذلك مابين عهد أمبراطور أكبر المغولى وإحتلال الإستعمار الإنجليزى للمنطقة والتى يسمونها عصر الظلام والضلال أو عصر الالحادو الفساد •

---

(١) محمد أكرم خان / تاريخ المجتمع البنغالى ، ص ٧٤ •

وإذا القينا النظر على هذه الفترات الثلاث وعلى وضع المسلمين فيها ومدى تطور الدعوة الإسلامية نصل إلى نتائج هى: أن المرحلة الأولى من الدعوة وقبلها لعدة سنوات كانت المنطقة آمنة بحيث إن المسلمين آنذاك كانوا يعيشون فى أمن وقرار ، ولم يتعرضوا لهجوم من قبل الأعداء على دينهم وعقيدتهم ، كما لم يتعرضوا للمشاكل الداخلية والخلافات الدينية - فقهية كانت أو عقائدية - وتمسكوا بالدين وتعاليمه الصحيحة بقدر ماتلقوه من العلماء والمشائخ ومن المواعظ الحسنة، دون تعمقهم فى تفسير الدين وحقائق شعبه المختلفة ، وهذا يدل على أن الدعاة والعلماء إما أنهم لايرون من المصلحة أن لا ينشغلوا فى المسائل الفقهية أو الكلامية أو المذهبية ، نظراً لأن المسلمين الجدد الذين تعرفوا على الإسلام بواسطتهم هم كانوا أشد بحاجة إلى المعرفة عن المبادئ الإسلامية قبل الخوض فى تفاصيل الشريعة، وأما انهم لم يكونوا قد وصلوا إلى المستوى العلمى والدينى الذى ينبغى لكل عالم دين وطالب شرعى أن يصل إليه ، وماكانت لهم قدرة كافية تصلح لتطهير أخلاق الناس وأفكارهم وسلوكياتهم من العقائد الفاسدة وتمكن بغرس فى نفوسهم العقائد السليمة والنظيفة ، وتغيير بيئتهم الجاهلية التى كانوا محيطين فيها منذ قرون ، فلم يستمر الوضع على ذلك الحال ، وبدأ الوضع يتغير تدريجياً ، والمسلمون فى المنطقة بدأوا يعدون أيام الانحطاط ، وكانت بدايته فى الفترة الثانية عندما إنتشر الإسلام فى سائر أراضى الهند ، وأخذت فتوحات المسلمين تتوسع فى أنحائها بأيدى حكام قد سيروا جيوشهم

من إيران وأفغانستان إلى شبه القارة الهندية ، ودخل معهم علماء صوفية كثيرون من تلك البلدان وغيرها من بعض المناطق العربية مثل بغداد والبصرة والكوفة التى يعدها علماء التاريخ معقل التصوف والتشيع.

وهذا العدد الكبير من العلماء الصوفية الذين قدموا المنطقة وسرعة إنتشارهم فى أنحائها أثرعلى المجتمع الإسلامى تأثيراً بالغاً غير متوقع ، لم يؤثر على الأخلاق والسلوك فحسب ، بل أثر أيضاً على العقيدة والأفكار بعد أن كانت صحيحة ونظيفة من آفات الشرك والبدع والإلحاد ، وبعد مرور الزمن ازداد المرض فى المجتمع الإسلامى ، إلى أن عدوى هذا المرض الخطيرجعلته يعم أفراد المجتمع ، بحيث لم يبق أى أمل للشفاء ، وعند ذلك لاسبيل إلا الهلاك والضياع .

ولقد ضرب كاتب مسلم هندى مثالاً رائعاً للأمة الإسلامية المريضة بالبنغال كلها حيث يقول : إن الإنسان حينما يفقد بيئة نظيفة ، وغذاءً صحيحاً خالياً من التلوث ، فيلحق به مرض ربما يجعل حياته فى خطرويهددها ، ثم يشتد ذلك المرض إلى أن يتطور وتخيب الآمال فى الشفاء ، بالإضافة إلى ذلك تكون أعصاب المريض قد إنهارت تماماً وشريان الدم فى جسمه قد فسد ، وهذا المريض إذا لزم الفراش ، ولم يذهب إلى طبيب للمعالجة ، ولم يأخذ الدواء الشافى ، فماذا تقول عنه ؟ تقول دعوه يموت ويهلك ، فعلاً إنه يموت ويهلك نفسه بالضرورة عاجلاً أم آجلاً (١).

---

(١) محمد أكرم خان / تاريخ المجتمع البنغالى المسلم ص ٤٥ .

كذلك كان حال المجتمع الإسلامي في البنغال وفي سائر مناطق الهند في كلتا الفترتين ، إذ أن المسلمين إبتعدوا عن الدين وعن تمسكهم بالكتاب والسنة و إنحرفوا عن العقيدة الصحية والمنهج الرباني الأصيل •

وسرعان ما تأثروا بالأوضاع المحيطة بهم من الوثنية والبوذية بالإضافة إلى الأفكار المستوردة من بلدان فارس وأفغانستان وسمرقند وبخارى ومن من الصوفية والرافضة وعلماء الكلام ورواد الفلسفة العقلانية ، وتلاشوا واضمحلوا بكيانهم في تلك الأفكار والبيئة المحيطة بهم ، وكان المسلمون من شأنهم أن يتمسكوا بالدين ويحافظوا على كيانهم وشخصيتهم ، ويكونوا كما سماهم الله ((خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)) (١)•

وهم بهذا الطغيان وبسبب ذلك التأثر فقدوا الإيمان وحميتهم الإسلامية، وفقدوا قدرتهم على مواجهة التحديات والتهديدات التي يرهب بها الأعداء•

وهذا الوضع الخطير دفع المسلمين إلى أن يقعوا في الهاوية والظلام الحالك (٢) ، وهذا الضعف والإنحطاط يساعد أعداء الإسلام لفتح أبوابهم أمام الأمة الإسلامية ليدخلوا فيها الكفر والضلال •

قال العلامة الندوى " أمران لاتحدد لهما الوقت بدقة : النوم والغفلة

---

(١) محمد عبد المنان طالب : الإسلام في البنغال ص ٨٥ ، وأيضاً راجع السطر السابق•

(٢) سورة آل عمران : ١١٠ •

(١)
فى حياة الفرد والإنحطاط فى حياة الأمة " فإذا وصلت الأمة إلى هذا الحد من الإنحطاط بحيث تفقد كيانها وشخصيتها وتذوب فى البيئة الفاسدة المحاطة بها فأنى ينالها المجد والعز والكرم الذى شرفها الله تعالى به ، وفى هذا الشرف العظيم عمل مهم وهوعمارة الأرض بمقتضى المنهج الربانى وغرس العقيدة الإسلامية ودحض الشرك والبدع •

يقول الشيخ محمد قطب : لو بقيت الأمة على الحد الأدنى الذى فرضه الله لبقى الخير فى الأرض ، ولكان التاريخ قد سار فى غير خطه الذى سار فيه ، لابالنسبة للأمة الإسلامية فحسب بل لكل البشرية ، فقد شاء الله منذ أخرج هذه الأمة إلى الوجود أن يرتبط بها مصير البشرية كله ، فإن كانت قائمة برسالتها على النحو المطلوب تحقق الخير لها وللبشرية من ورائها ، وإن تقاعست عن رسالتها برزت الجاهلية فى الأرض وسيطرت عليها ، والذى سجله التاريخ على أى حال ، أن هذه الأمة لم تهبط فقط عن المستوى المثالى الذى حققه فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين إنما هبطت - فى كثير من المجالات - حتى عن الحد الأدنى المفروض فأصابها وأصاب البشرية من ورائها كثير من الشر (٢)•

---

(١) أبو الحسن على الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص١٨٤ • الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م •

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر ص ١١١ -١١٢ ، مؤسسة المدينة للطباعة جدة ط ٢ ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م •

المبحث الثانى

فى

دور القادة المسلمين فى إنتشار التصوف

إن للملوك والرؤساء والقادة أثر عميق فى المجتمع الذى يتقبل منهم ما كانوا يريدونه مستغلين سلطتهم التنفيذية ، وعلى هذا الضوء نحاول مناقشة سلوكيات بعض القادة والحكام الذين تولوا السلطة فى البنغال خاصة وفى الهند عامة والتى قد أثرت على الفرد والمجتمع وساهمت وضع البلاد فى تدنى الدينى والسياسى والفكرى •

إن الفاتحين لشبه القارة الهندية وأراضى البنغال أكثرهم كانوا من مواطنى فارس وتركيا ، ينطقون باللغة الفارسية ، وكانت طبائعهم وعاداتهم وأفكارهم طابعة بهذه اللغة باعتبارها ذات تأثير بالغ فى الفرد والمجتمع ، لذا فإن معرفتهم عن الدين الإسلامى كانت سطحية وغير نقية ونظيفة ، لأن عقولهم كانت خليطة بالفلسفات والأفكار القديمة البالية بعيدة عن المنهج الإسلامى الأصيل ، وكانت مهمتهم توسيع رقعة سلطاتهم والهيمنة على الشعوب والموارد الطبيعية قبل كل شئ ، ثم إدخال الناس فى الإسلام على الوجه الذى يريدونه وكيفما يرونه •

يقول المؤرخ الأديب المعروف الأستاذ/ عبد المنان طالب وهو يشرح عقلية هؤلاء الفاتحين المسلمين ومدى إنتمائهم للإسلام: " فإن معظم حكام البنغال القدامى أصلاً من سلالة الأفغان والأتراك ، ولأنهم كانوا حديثى

الدخول فى الإسلام وكانوا قبل ذلك معاندين للإسلام وقد حاربوا المسلمين العرب ، ومعرفتهم للإسلام قليلة جداً ولا تصل إلى المستوى الصحيح ، ولكنهم مع ذلك القدر من النقص والفتور كانوا مؤمنين بالله عزوجل وبالدين الإسلامى إيماناً دون الخوض فى تفصيله وشعبه وحقائقه ومستلزماته وفى مايفرقه بين التوحيد والشرك وبين الحق والباطل وبين الحلال والحرام ، لذا نراهم أيام الغزو للبنغال قد بذلوا جهوداً فى غرس عقيدة الإسلام ومحو آثار الوثنية من الأراضى المفتوحة وتطهيرها من عبادة الأصنام والأوثان(١)٠

وهؤلاء القادة والزعماء مع كون همومهم فى نشر الدين وتعاليمه وحرصهم الشديد فى تشييد الجوامع وإنشاء المعاهد الدينية فى أرجاء المنطقة كانوا طامعين فى السلطة وزعامة المسلمين والسيطرة على موارد البلاد بالإضافة إلى حب الترف والبذخ وجمع الثروات والمال ، كعادة معظم الملوك والرؤساء ، يقول الدكتور/ الالوائى فى كتابه المشهور: " إن الملوك والأمراء والحكام المسلمين الذين قاموا بفتوحات عسكرية فى شبه القارة الهندية ، وشيدوا دولتهم الإسلامية فيها ما إهتموا بنشر الدعوة الإسلامية فى قليل ولاكثير ، وإنما كان همهم فى توطيد ملكهم وتنفيذ حكمهم ، منهم من كانوا ينفقون الأموال الطائلة فى الترف والبذخ ولذائذ العيش ومتع الحياة الدنيا الفانية ، بيد أن بعض هؤلاء الحكام تركوا بعض الآثار والمعالم

(١) عبد المنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص ٧٦ دكا ٠

للحضارة الإسلامية من المساجد الفخمة والقلاع الحصينة ، كما أسدوا الخدمات لإحياء بعض العلوم والفنون والآداب " .

إن جماعات من الملوك الذين دخلوا الهند فاتحين وحاكمين من المغول وغيرهم لم يكن لهم علم صحيح وتام بمبادئ الدعوة الإسلامية ، وماكانوا متشبعين بروحها الحقة ، وذلك لأنهم كانوا حديثي العهد بالإسلام ولم تسمح لهم الظروف المحيطة وإنشغالهم بالفتوحات وشؤون الدولة من الإعتناء بالتعاليم الإسلامية وقوانين الإسلام ، ومما زاد الطين بلة أنه ماكان يهمهم إلا السلطان والحكم " (١).

أضف إلى ذلك أن بعضا من هؤلاء الحكام قد كانوا معاندين للإسلام ومحاربين لعلماء الدين ، كانوا يضايقونهم فى نشر الدعوة ويعارضون فيما كانوا يقومون بمحو البدع والخرافات ، إذ أن الحكومات التى قامت فى عهد المسلمين فى الهند كانت ملكية شخصية لاتستند إلى الشريعة الإسلامية فى نظام حكمها، ولا فى القوانين التى تحكم بها ، وعلينا أن نذكرها – مع الأسف الشديد – أن بعض هؤلاء الملوك المنتمين إلى الإسلام قد ظهر منهم إضطهاد للدعاة المسلمين المصلحين (٢).

---

(١) د / محى الدين الالوائى : الدعوة الإسلامية وتطورها فى شبه القارة الهندية ص ٣١٢ ط١ ، دار القلم بدمشق ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

" فالذين دخلوا الهند من الملوك والفاتحين بطريق درةخييرمانوا يعرفون من مزايا الإسلام إلا قليلاً،وما اصطبغت قلوبهم بالصبغة الربانية مثل المجاهدين الفاتحين من الصحابةوالتابعين رضوان الله عليهم أجمعين "(١)٠

وهؤلاء لم يستطيعوا تغيير النظام الجاهلي الوثني الكائن في المنطقة إلا بقدر ماكانوا يعلمون عن الدين من علم سطحي ، بل إنهم شوهوا صورة الإسلام بعد، أن صوره العلماء والمجاهدون العرب بصورته الحقيقية،ولم يؤثروا في عقائد البراهمة الراسخة تأثيراً ملحوظاً،ولم يحدثوا تغييراً مدهشاً كما أحدث العرب المسلمون في البلدان التي بلغوا أهلها كلمة التوحيد وفتحوها ثم سكنوها وعمروها،فما كان يهمهم من الغزو والقتال إلا توطيد دعائم مما لكهم ، ولو إعتنى هؤلاءالفاتحون من الأتراك والأفغان والمغول بدعوةالإسلام معشار ماإعتنوا بحطام الدنيا لكان للإسلام شأن في بلاد البراهمةغيرشأنه اليوم ٠

نعم إن هؤلاء قد نشروا الإسلام وأدخلوا جما غفيراً من المواطنين في الدين الحنيف وعملوا على بناء المساجد والمعاهد ، وأقاموا دوراً للضيافة وغير ذلك من الخدمات التي قد تكون منفعتها لصالح الإسلام ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى الهدف المنشود ، بل فشلوا في أمر الدعوة ونشرها بين المواطنين ،الذين دخلوا في الإسلام ولكن الأمراض مازالت موجودة

---

(١) مسعود الندوي : تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص ٤ ، دار العربية ، لاهور ٠

فى قلوبهم ، وعاداتهم الشركية والجاهلية لم تمح آثارها كما يجب •
وفى هذا الصدد يقول الأستاذ مسعود الندوى: " والذين أسلموا من سكان البلاد ودخلوا فى دين الله من تلقاء أنفسهم أو بجهودالصوفية والوعاظ لم تعن الحكومات المسلمة بتعليمهم وتثقيفهم،فكانت النتيجة أن الآلاف المؤلفة من الذين أسلموا ما إنفكواعاكفين على شعائرهم الدينية القديمة،متسكعين فى ضلال الشرك والوثنية غيرمتزحزحين عما كانواعليه فى جاهليتهم(١)•

وللتعليم أثر عميق فى نمو الفرد والمجتمع دينياً وفكرياً وحضارياً وثقافياً فنجد المجتمع المسلم فى شبه القارة بعد إسلامه لم يستفد شيئاً من تعاليم الإسلام التى من شأنها قوام الأمة وبقاؤها،وعملها من أجل عمارة الأرض وإصلاح الإنسان،ودفع الظلم والعدوان ولكن حكام المنطقة إهتموا فى تعزيز سلطاتهم وتقوية نفوذهم أكثرمماكانوا يهتمون ناحية تعليمه وثقافته، وللمنهاج التعليمى الذى جرى العمل به فى عصر الحكومات الهندية المسلمة يد عظيمة فى بقاء الآلاف المؤلفة من المسلمين الجدد على عقائدهم الباطلة وعاداتهم الممتزجة بخرافات الوثنية فإنهم لم يعيروا التعليم الدينى حقه من العناية ولم يهتموا أصلاً بتثقيف الناشئة المسلمة تثقيفاً دينياً (٢)•

ومن نتيجة ذلك الإهمال إمتزج دين التوحيد الخالص بالعقائد الوثنية

---

(١) مسعود عالم الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ٨ •

(٢) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ١٠ •

وأوهام المتصوفة البرهمية ، وإنحصر الدين في كتب الفقه التي ألفها المتأخرون من الفقهاء ، كما كان خلفاء وعلماء الدولة العثمانية يعارضون فتح باب الإجتهاد أو قيدوه في دائرة التراث المأثورعن فقهاء الحنفيةالسابقين وفي الوقت الذي كان الفقه فيها جامداً كانت الحياة حسب سنة الله جارية متطورة (١) ، وقد دب في عقولهم داء التقليد الجامد دبيب الديدان في صفحات الكتب ، فاعتقدوا كتب المتأخرين من الفقهاء وإتخذوها أصل الدين وملاكه دون الكتاب والسنة (٢) .

وأي عجب إذا مسخ دين الله مسخاً في بلاد البراهمة ، وحامت حوله أوحام وأقاويل لا أصل لها في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبلغ من تغلغل تلك العقائد الباطلة في نفوسهم وامتزاجها بلحومهم ودمائهم أن يتعصبوا لها ويدافعوا عنها دفاع من يذب عن حمى الإسلام وشعائره .

وفي هذا الصدد كان من الجدير أن نذكر أن هؤلاء الملوك الذين كان همهم توسيع رقعة الأرض وكسب الأموال وجذب النفوس،وأخصهم بالسلطان تيموروأمبراطور أكبر، وهما من أسرة المغول التي حكمت الهند كلها زهاء قرنين من الزمن،وهذا تيمور(٨٠٧هـ ١٤٠٤م) كبيرأسرة المغول حينما تولى السلطة أعلن للناس دواعي توليالسلطة وحملته عليالهند

---

(١) سفر بن عبد الرحمن الحوالي : العلمانية ص ٥١٢ .

(٢) مسعود الندوي : تاريخ الدعوة ص ١٦ .

وقال:"والغرض من حملتى على الهند وتجشم عناء السفر ينقسم إلى نوعين :

الأول مقاتلة عبدة الأوثان الذين هم أعداء الإسلام وثانى اثنين يتعلق بحطام هذه الدنيا الدنيئة وهو أن يدخر الجيش الإسلامى مايتيسر له بنهب أموال عبدة الأوثان وسلبهم إياها (١) .

ولقد تشدق تيمور فى إحدى ملفوظاته بأنه لم يسق جيوشه الجرارة إلا لقتال المشركين وعبدة الأصنام ، ولكنه وجنوده لم يفرقوا فى سفك الدماء وإنتهاب الأموال بين الوثنيين وجيرانهم المسلمين (٢) .

والواضح من هذه الاقتباسات أن هؤلاء الملوك والفاتحين لم يهتموا بشؤن المسلمين ولم يعتنوا بتطوير أوضاعهم وحياتهم من الوعى الإسلامى فيما بينهم وإصلاح عقائدهم ، بل كان همهم توسيع دائرة الفتوحات وبسط النفوذ وجمع الأموال والثروات وبحبوحة الحياة والإسراف والتبذير من أموال الشعب .

وأمامافعله أمبراطورأكبر بعد الاستيلاء على العرش فى الهند فمعروف لدى الجميع .

ويعد المؤرخون المسلمون عصره عصر الضلال والإنهيار للأمة المسلمة فى شبة القارة ، وعندما ماتبوأ " أكبر " عرش الحكومة المركزية

---

(١) راجع مقالة الكاتب الهندى س، ن ، شين : الزنادقة المسلمون والهندوكين المنشور فى كتابه Studies in Indian ص ٥١٦ .

(٢) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص٤٨ .

بالهند بعد وفاة والده همايون بن بابر سنة ٩٦٤هـ - ١٥٥٨ م إنقلبت الأرض ظهرالبطن ، وتنكرت وجوه الأعيان والأمراء للدين الحنيف وطمى سبل الإلحاد وطغى ونجم قرن الفتنة وطال ، فكانت فتنة عمياء وداهية دهماء ذهبت بكثير من العلماء والمشايخ في سيلها الجارف "(١) •

وكان أكبر وأسرته وحواشيه ممن قدموا من الفرس إلى الهند كانوا رافضة (٢) ، وإنتشرالتشيع فى البنغال وسائر أقطار الهند فى عصرهذه الأسرة المغولية "وعندما ضعفت بنية الحكم المغولى فى الهند ، سرعان مادخل إلى الهند جحافل من الجنود الشيعة من إيران لدعمه وتقوية نفوذه فى الهند ، حاملين معهم الأفكار الشيعية والتصوف الإيرانى ، وأخذت تلك الأفكار تنتشر تدريجياً فى سائر الأنحاء •

ومن هنا نجد كثيراً من الأمراء والحكام الذين تم تعيينهم من قبل الحكام المغول فى البنغال وغيرها من المناطق الأخرى معظمهم كانوا شيعة (٣)•

وكان أمبراطور أكبر الذى تولى العرش لايتجاوز عمره من الثالثة عشرة، قليل الفهم والإدراك وأمياً لايعرف القراءة والكتابة ، نشأ على حب الاستطلاع يجمع حوله جمع من العلماء والمثقفين من نزعات شتى وأفكار مختلفة ، من السنة والشيعة والصوفية والبراهمة واليهود والنصارى

---

(١) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية ص ٥٩ •

(٢) د / انعام الحق : الأدب البنغالى المسلم ص ٢٨٥ - ٢٨٦ •

(٣) انعام الحق : الأدب البنغالى المسلم ص ٢٨٦ •

ويستمع منهم إلى المناقشات والمناظرات فى المسائل التى تتعلق بالأديان والعقيدة والخلافات الفقهية ولكنه لايستطيع الاقتناع منها كما لايستطيع الاستفادة إلاَّ الاستلذاذ والاستمتاع من تلك المناقشات وماكان يدور فيها من تنقيص الشأن ، ومظاهر التغلب على الآخر ، وتسابق فى الجدل والبراهين وتبادل إتهام الكفر بين العلماء السوء خاصة (١) لغرض الحصول منه المال والمتاع ، " فكان من ثمرات تنابزهم وجدالهم فيما بينهم أن الملك " أكبر" بدأ يجنح شيئاً فشيئاً إلى عدم التدين بدين الحق وأخذ يركن إلى ماكان يلقنه نواب الطوائف الأخرى من آرائها ومعتقداتها المتضاربة ، ومما غض من شأن الدين وحط من كرامة أهله فى عين الملك وحاشيتهم أعمال علماء السوء المزرية بالدين ، وهؤلاء العلماء السوء قد ساعدوا " أكبر " فى استباحة أشياء قد حرمتها الشريعة الإسلامية وإستحداث لأمور لا أصل لها من الدين ، وجعلوها من الدين " (٢)٠

بالإضافة إلى نقدهم الشديد إلى العلماء الصالحين والهجوم عليهم

---

(١) مثل عبدالنبى الكنكوهى (٩٩٣هـ) ومخدوم الملك الملا عبدالله سلطان بورى (ت ٩٩٠هـ) ومن نحا نحوهما من أقرانهم و أحزابهم ممن الذين استكانوا وأذلوا ، وبلغوا الغاية فى حب المال واكتناز الذهب وادخاره واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ٠

راجع : The Religious of the maghul Emperors. Sir Ram Sharma.p21.Tndia 1943

(٢) نفس المصدر والصفحة ٠

وإصدار الفتاوى على كفرهم وضلالهم ، وهذه الأشياء ساعدت " أكبر " على خطته وشدت عضده فى مهمته المشؤومة ، وترعرعت فى ظل حكمه البدع والخرافات وزحف سيل التصوف ، وانتشرت إلى أنحاء المنطقة ، وأعلن ديناً جديداً مناوئاً للدين الإسلامى الحنيف تحت مساندة هؤلاء •

وأول ما عمل به الأمبراطور " أكبر" فى مملكته أنه فتح باب الارتداد عن الدين وأباح للمسلمين الجدد بالذات أن يعودوا إلى ديانتهم الأولى التى كانوا عليها قبل الإسلام ، وأزال الحائل الذى يمتاز به الإسلام عن الأديان الأخرى•

ثانياً : إنه يتلقى مساعدات ويستفتى علماء الإسلام والصوفية والهندوس والبوذيين وغيرهم فى شأن من شئون المملكة ، وبذلك فإن فى مملكته تتناول الأديان كلها حقوقها الكاملة •

ثالثاً : ماكان للتشيع وجود فى المنطقة وفى عهده فتح للشيعة الأبواب لكى يدخلوا إليها من إيران •

رابعاً : وبالتشيع دخل أيضاً جمع غفير من علماء التصوف من إيران وغيرها من المناطق الفارسية ، وهؤلاء العلماء نشروا التصوف فى أنحاء المنطقة حيث إن المسلمين وقعوا فى الانحرافات العقائدية والفكرية والسلوكية فى ذلك الحين •

خامساً: منع المسلمين من تزوج بنات العم والعمة والخالة •

سادساً: منعهم من الختان •

سابعاً : أصدر أمراً ملكياً بمنع تعليم اللغة العربية وأجبر عليهم تعليم الفارسية ، وبالغ فى تطهير الفارسية من الكلمات العربية الخالصة •

ثامناً : ومن أكبر المنكرات التى فشت فى عهد "أكبر" سجدة التحية للملك ، فكان العلماء والمشائخ والصوفية والأمراء والأعيان كلهم يخرون للملك سجداً كلما دخلوا عليه الباب ، ومن البلية أن علماء السوء الذين يترددون على مجالسه جعلوا يؤلونها ، وأرادوا أن يستروا وراء كلمات سجدة التحية (زمين بوسى)أى تقبيل الأرض •

تاسعاً : حظر على الناس أن يصوموا فى شهر رمضان •

عاشراً: منع الناس من أداء فريضة الحج وبلغ الأمر فى ذلك عام ١٠٠٤هـ أن كان يعاقب من اجترأ على ذكره بأشد أنواع العقوبة •

حادى عشر: تعطلت أعياد المسلمين وانقطع الاحتفال بها فىعصره•

ثانى عشر:غيرأسماءالنبى صلى اللّه عليه وسلم والصحابة(رضىالله عنهم)التى يتسمى بها المسلمون عامة،واستبدل بهاأسماءأخرى غيرها،ليشفى بعض ما فى صدره من بغض وحقد وعناد للإسلام والمسلمين(١)•

ثالثة عشر : أصدرمرسوماً على عصمة الملك " أكبر "، وإعلانه أنه خليفة الله وظل الله فى الأرض ، وفى سبيل هذا المرسوم أصدر فتوى

---

(١) راجع : دكتور شرما : The religious policy of The Mughul Emperers page 37 - 50

من قبل علمائه السوء الذين كانوا حواشى فى ديوانه لصالح الإعلان،وإليكم مقتطفات نص المرسوم بعد التعريب " ومن حيث إن الهند العزيزة - وقاها الله شرورالدهر - أصبحت اليوم فى غاية الدعة والأمن ويكاد يضرب بها المثل فى العدل والكرم ، قد نزح إليها عدد غير قليل من رجال العرب والعجم ،العامة منهم والخاصة ، وفيهم من تبوأ ذروة المجد العلمى وصار قصب السبق فى مضمار البحث والتحقيق، نزحوا إليها وتوطنوها بعدما هاجروا من بلادهم وفارقوا منابت عزهم ، والآن جمهور العلماء من الذين تضلعوا من العلوم النقلية وفاقوا أقرانهم فى الفنون العقلية وعرفوا بالورع والأمانة وصدق الطوية ، يعلنون بعد ما تدبروا معانى الآية الكريمة " أَطِيْعُوا اللَّهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ (١)٠

وأمعنوا فى مغزى الأحاديث الشريفة:

" إن أحب الناس إلى اللّه يوم القيامة إمام عادل " (٢) ٠

" ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى " (٣)٠

---

(١) النساء : ٥٧ ٠

(٢) رواه الترمذى فى باب الاحكام ٠

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ٠

فإذا عرضت مسألة من المسائل التى تضاربت فيها أقوال الأئمة المجتهدين ، وأراد الملك أن يعزز جانباً أو يرجح رأياً ، مستنداً إلى ذهنه ونضوج رأيه ، إذا عرضت مسألة كهذه وقطع الملك فيها بشئ تسهيلاً للعامة وتحسيناً لإدارة الملك ، وجب على الجميع الخضوع لأمره والعمل به ... وقد كتب هذا المرسوم" إبتغاء مرضاة الله " وأعلاء كلمة " الدين " وهانحن علماء الإسلام فى هذا العصر قد زكيناه وصدقناه ، وذلك فى رجب سنة ٩٨٧هـ (١).

هذه بعض المقتطفات حول ازدراء أمبراطور " أكبر" وكيده بالدين الإسلامى ، وفى ضوء ما قلنا عنه يتضح أن هذا الملك المغولى كان فاقد العلم والوعى والحنكة وعدواً لدوداً للإسلام ، قد أتى إلى شبه القارة الهندية غازياً لها لنشر أفكاره الضالة ومعتقداته الباطلة بين المواطنين المسلمين ولك أن تقول كما يقوله المؤرخون المسلمون: إن عصره كان عصراً مظلماً قد كثرت فيه الفتن والشرور ، وطغى الصوفية والشيعة فى صفوف المسلمين ووضعوا فى مجتمعاتهم أفكاراً إستمدوها من الأفكار الهندوسية والبوذية والمزدكية واليهودية والنصرانية ، وهذا الداء المعضل الذى نشأ فى عصره قد عم المجتمع الإسلامى فى سائر مناطق الهند ومازال أثره مما يعانيه المسلمون حتى هذا اليوم .

---

(١) د/ شرما ٤٥ p .

المبحث الثالث

في

دور علماء التصوف في انتشاره والدعوة إليه .

****

لقد أسلفنا فيما سبق البيان لسلوكيات حكام المسلمين وقاداتهم ومعاملتهم مع المواطنين الذين اعتنقوا الإسلام وإهمالهم جوانب هامة تتعلق بالعقيدة الصحيحة وترسيخها في نفوس هؤلاء الناس وإنقاذهم من براثن الشرك والبدع ومن حطام الجاهلية ، ومساندتهم للفرق الضالة كي تلعب دوراً في المجتمع الإسلامي في بث الإلحاد والشرور والفتن .

إضافة إلى ذلك هناك طائفة أخرى من الناس لها نشاطات في نشر أفكار التصوف ومايترتب منها من البدع والعادات السيئة في ذلك المجتمع ، بل إنهم كانوا أكثر فعالية في هذا المجال من القادة والعلماء المسلمين وأقصد بها طائفة العلماء السوء أو الذين تلقبوا بأهل العلم ، وفي الحقيقة هم دونه بكثير .

فالعالِم الصحيح هو الذي يكون مصداقاً للعلم الديني الأصيل ، يخاف الله تعالى في أداء أمانة العلم ، وعمله يكون مطابقاً لعلمه وأن يكون قدوة في امتثال أوامر ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما ورد في الحديث الشريف ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن مثل العلماء في الأرض

كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا طمست النجوم أوشك أن تضل الهداة " (١) ٠

فالعلماء أداة إصلاح للناس كافة ، وفى أقوالهم وتوجيهاتهم ومواعظهم صقل للنفوس ، وجلاء لما علق من عوالق الشر والفساد ، فأعانوا الناس على شياطينهم حينما ذكروهم بربهم وأبعدوهم عن كل سبيل يؤدى بهم إلى الهلاك ، فالناس بلا علماء فى جهالة عمياء تعصف بهم رياح الباطل من كل حدب وصوب،وتتخطفهم شياطين الأنس والجن،وإذا غاب المخلصون عن ساحة الإصلاح تسود الفوضى وتعظم الفتن وتحل المصائب٠

هذه مكانة العلماء والمشائخ فى الإسلام وهذا دورهم الذى يطلب منهم أداؤه فى المجتمع الإسلامى ، ولكن لو نظرنا إلى علماء المسلمين فى الهند وأحوالهم، نجد أنهم ماكانوا على ماكان عليه أسلافهم من الدعاة والعلماء العرب الذين جاءوا إلى المنطقة فى الفترة الأولى من تاريخ دخول الإسلام فيها ، ولم يكونوا علماً وعملاً بمثل ماكان عليه العلماء السابقون ، بل معظم هؤلاء لم يكن لهم نصيب من العلم والسنة ، كما كانوا أيضاً مقتصرين على كتب فقهية لاتروى الغليل ولا تشفى العليل ٠

وأماالمتصوفةمنهم الموجودون فيها سابقاًكانوامنحرفين عن السنة النبوية الشريفةوواقعين بتهافتهم فىمزاعمهم الباطلةالبعيدةعن الكتاب والسنة ٠

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده ١٥٧/٣، والمنذر فى الترغيب والترهيب١/١٠٠ - ١٠١ ٠

فالعلماء والمشائخ الذين كانت مسئولية الدعوة على عاتقهم لم يحملوها بل إنشغلوا فى أمور تافهة تحط بهم إلى الهاوية ، وكان جلهم يهتمون بالفقه والأصول ، ودب فى عقولهم داء التقليد الجامد دبيب الديدان فى صفحات الكتب ، وإعتقدوا كتب المتأخرين من الفقهاء وإتخذوها أصل الدين وملاكه ، دون الكتاب والسنة (١)٠

وبذلك أهملوا جوانب هامة من عقيدة الإسلام وقعدوا عن تصحيحها فى نفوس المواطنين المسلمين ، الذين تُركوا ليغرقوا فى الكفر والإلحاد وفى العقائد المختلطة بأوهام المتصوفة ، والهندوكية والبوذية ، كما أن هؤلاء لم يقوموا بإصلاح قادة المسلمين وأمرائهم من عقائدهم الباطلة وسلوكياتهم الفاسدة، كما لم يقدموا لهم نصائح طيبة ، بل تركوهم على حالهم للحصول على رضاهم والتقرب إليهم للمنافع المادية والمناصب العالية ، بالإضافة إلى أن هؤلاء العلماء انشغلوا فى المناظرات والمجادلات فى المسائل الفقهية الفروعية التى كان ينبغى عليهم تجنبها، حتى ظن الناس أن مهمة هؤلاء ليست إلا المناظرات والمجادلات والسب والشتم وتنقص شأن بعضهم البعض ، ولك أن تقدر عدم إعتنائهم بأصل الدين ومبادئه وبعدهم عن الكتاب والسنة بما جرى بين العلماء والشيخ الصوفىالمعروف والمسمى نظام الدين (توفى سنة ٧٢٥ هـ) فى مسألة السماع، وقد عقدوا مجلساً خاصاًلتحقيق

---

(١) سيد مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ١٦ ٠

هذه المسألة ، ولما عرض عليهم الشيخ حديثاً مستدلاً به على شئ مما ادعى قالوا: لانسلم بهذا الحديث فإنه حديث إستدل به الشافعى وهوعدومذهبنا(١) •

وفى هذه القصة نستطيع أن نتعرف عن مدى إنحطاط مستوى العلماء العلمى والعصبية المقيتة فى حق الأئمة الفقهاء الأربعة ويتبين جمودهم فى مذهب التقليد الأعمى،وعدم إكتراثهم للحديث •

ذكر المؤرخ " فرشته "

التفت القاضى ركن الدين إلى الشيخ " نظام الدين " ما دليلك على جواز السماع والغناء ؟ فاستدل الشيخ بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : السماع مباح لأهله (٢) ، فأجاب القاضى : مالك والحديث ، أنت رجل مقلد تقتدى بأبى حنيفة ، فأت بقول من أقواله حتى نراه فقال الشيخ : سبحان الله العظيم ، أنا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطالبنى بقول من أقوال أبى حنيفة ؟ (٣)•

هذا نموذج من نماذج لو تعد لاتحصى ، فلوكان علماء فى ذلك العصر مخلصين فى الدين وجادين فى عمل التبليغ والدعوة وغير متهاونين

---

(١) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ١٦ - ١٧ •

(٢) والصحيح أن هذه المقولة ليست حديثاً وإنما هذه للإمام الغزالى ذكرت فى كتابه إحياء علوم الدين ، ولعل صاحب تاريخ فرشته قد أخطأ حيث عده حديثاً •

(٣) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ١٧ •

فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لما وصلت الأمة إلى هذا الحد من الضلال والفساد والانحلال ، ولكن الحقيقة التى لا يمكن إنكارها أنهم ماقاموا بما كان عليهم من واجب الدعوة وبث محاسن الدين المبين وتطهير عيونه الصافية من أدران الجهل والبدع والتصوف والخرافات ، وذلك لعدم وجود علماء المسلمين المحققين والمضطلعين بعلوم الكتاب والسنة •

وحينما نتكلم عن العلماء والمشائخ ودورهم فى مجال الدعوة فى المناطق الهندية فأنا لاأقصد إحتواء العلماء كلهم فى مورد النقد فيهم وبيان السلبيات ، بل هناك علماء آخرون قد أدوا واجباتهم فى سبيل نشر الإسلام ودعواتهم إلى الناس فى المنطقة ، وإن خدماتهم الهائلة مازالت موجودة بآثارها فى جميع أراضى الهند فى المدونات (١)

---

(١) للتفصيل راجع تاريخ علماء هند : ذوالفقار أحمد قسمتى ، وتاريخ دعوت وعزيمت لأبى الحسن الندوى ، وعلم الحديث فى الهند وباكستان / للدكتور محمد إسحاق •

كان سبب إنشائه وإدعائه هو تصرفات العلماء الذين كانوا حواشيه فى بلاطه وكان الملك " أكبر " يجمعهم فى بلاطه ويستضيفهم للاطلاع على حقيقة الإسلام ومبادئه وعقائده ، ولكنهم بدأوا يتشاجرون فيما بينهم ويتهافتون على حطام الدنيا ، ويعيبون بعضهم البعض ويسبون ويشتمون ، فأصبحوا من أجل هذه السلوكيات موقع الضحك والسخرية أمام الناس ، ولم يكن هذا الخلاف منحصراً فى دائرة الفروع ، بل ويالللأسف كانت آراؤهم ومذاهبهم متضاربة ومتشبعة فى أصول الدين أيضاً ، ومما يسيل له القلب حزناً ودماً من أمر علماء السوء أولئك ، أن أول نزاعهم بين يدى الملك كان على تبوء المقاعد والدنو من مجلسه ، كل منهم يود أن يكون من الملك قاب قوسين أو أدنى ولا يكاد يرضى أن يؤثر غيره عليه (١).

ومن الطامة الكبرى أن هؤلاء العلماء ماكانوا يستحييون باستباحة أشياء قد حرمها الله ، وتحريم أشياء قد أحلها الله تعالى (٢) فحطوا أمانة علمهم وازدروا بمكانتهم ، ويذكر أن العلماء والمشائخ فى عصر الملك " أكبر"كانوا عندما يدخلون البلاط يطأطئون رؤوسهم ويخرون له سجداً ، ويؤولون ذلك العمل الشنيع بأنه ليست سجدة العبادة له وإنما هى سجدة التحية ، بئس

---

(١) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة ص ٦٢ .

(٢) للمزيد عن العلم فى هذا الموضوع راجع كتاب:Cultural Fellowship p25-50 By: Atulnada , India.

ماحرفوا الكلم عن مواضعه وقد أفتى بجوازه العالم الكبير فى عصره تاج الدين الدهلوى (١)٠

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى هناك جماعة من العلماء كانوا يلتزمون الصمت إزاء هذه المنكرات ، مستقرقين بأنفسهم فى العبادات والذكر جالسين فى الحجرات والزوايا بعيدين عن متاهات الدنيا وما يجرى فيها من المنكرات والبدع والخرافات،كما قال اللّه تعالى فى شأن بعض بنى اسرائيل ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(٢)٠

وهم طائفة المتصوفة التى إختارت الأمان والاستقرار فى العزلة والخوانق٠

ولهذه الأسباب إمتزج دين التوحيد الخالص بالعقائد الوثنية وأوهام الصوفية البراهمة ، وتغلغل فى المجتمع الإسلامى بالمنطقة تلك العقائد الباطلة ، والعادات البالية والتقاليد الجاهلية مما جعل الأمة مصابة بمرض خطير ليس لها أمل بالشفاء إلا بعد بذل جهد جهيد يتمثل بإعادتها إلى أصل الدين ودعوته الصحيحة ، هذا المرض هو مرض البدعة والهوى ٠

---

(١) كان يلقب بتاج العارفين ، كان على طريقة الصوفى المعروف بابن عربى ، ولم يكن يتقيد بأوامر الشرع ٠
أنظر: كتاب الشيخ بدايونى : منتخب التاريخ فى الهند ط٢ ص ٢٥٨ ٠

(٢) الاعراف : ١٦٤ - ١٦٥ ٠

المبحث الرابع
في
أثر اللغة الفارسية

* * * * *

من الواقع أن الحقد والتعصب العنيد تجاه هذا الدين نشأ في المجتمع البنغالي المسلم نتيجة لعوامل عديدة بعضها خارجية وبعضها داخلية ، ثم إن تلك العوامل تتعلق بعضها بالسياسة أو بالاجتماع أو بالثقافة ، إلا أن الثقافة لها دخل كبير في زعزعة العقيدة ونفور الطبائع من مبادئ الدين في المجتمع المسلم ، وإذا قلنا إن للثقافة دور كبير في هذا المجال ، وأعني بها الثقافة الفارسية وأدبها ، فليس من المبالغة ، ففي المرحلة الثانية والثالثة من الدعوة في المنطقة أصبحت الفارسية لغة الديوان والبلاط ولغة الشعب والمجتمع ، وهذه اللغة كما إحتلت فيها بمثابة اللغة الرسمية فيها كذلك أثرت بما فيها من معتقدات فارسية وعاداتها في الشعب البنغالي المسلم ، فكيف نجحت هذه اللغة في تحويل عقول المسلمين وما دورها في إنحرافهم ، ماذا عملت في سبيل تشويه الإسلام ومسخ صورته ، وللإجابة على هذه الأسئلة ينبغي أن نلقي الضوء على الحقائق التالية :

١ - ومن المسلم لدى الجميع أن محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله تعالى في هذه الدنيا رسولا إلى كافة الناس ، وهو من البشر كسائر الناس إصطفاه الله تعالى منهم للعمل في الدعوة والتبليغ ، وهو من جنس البشر كسائر الناس يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، وقد بين الله

هذه الحقيقة فى كثير من الآيات القرآنية ، كقوله تعالى ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌمِثْلُكُمْ يُوْحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)) (١) وقوله تعالى أيضاً ((فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)) (٢) وقال تعالى أيضاً ((وَمَاأَرسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ المُرسَلِينَ إلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسوَاقِ))(٣)٠

مما هو يدل على أن محمداً عليه الصلاة والسلام ماكان إلا من جنس البشر ، وليس من جنس الملائكة ، ولا مما هو فوق ذلك ، ولكن لما سطت الشعوب الفارسية على المجتمع البنغالى وجاء الأدباء والشعراء الفرس أدخلوا فى الناس فكرة جديدة " وهى أن محمداً ليس بشراً خلق من تراب و إنما هو دونه ومكانته مثل مكانة الله تعالى " ٠

وقالوا: " محمد بشكل عرب آمده – عين را حذف كن كه رب آمده(٤) ترجمته : جاء محمد بشكل عرب ، فإن حذفت العين صار هو بمنزلة الرب ، ويقول البريلوى : (٥)

وهىجومستوى عرش تها خدا هوكر – أتربرامدينة مين مصطفىهوكر(٦)٠

---

(١) الكهف آية ١١٠ ٠

(٢) يونس آية ١٦ ٠

(٣) الفرقان آية ٢٠ ٠

(٤) تاريخ المجتمع البنغالى ص ١٥٣ ٠

(٥) مؤسس البريلوية : أحمد رضا خان بريلوى ٠

(٦) إحسان الهى ظهير : البريلوية عقائد وتاريخ ص ١٠٥ ٠

ترجمته : أي إن الذى كان مستوياً على العرش لصورة الإله هو الذى نزل فى المدينة بصورة المصطفى •

وهذه الفكرة تؤدى إلى الشرك الصريح باعتبار أنه صلى الله عليه وسلم ليس من جنس البشر ، بل هو نور من أنوار الله تعالى فهو جزء من الله تعالى ، وتؤدى أيضاً إلى الإعتقاد بأنه ليس له ظل ولا فئ كظل الإنسان ، وكذلك إنه حى لا يموت يعلم الغيب والشهادة كما أنه حاضر وناظر •

ويقول البريلوية : "إن الله تعالى خلق نبينا محمداً من نوره وفتق الأنوار منها من لمعات ظهوره ، فهو صلى الله عليه وسلم نور الأنوار وممد جميع الشموس والأقمار سماه ربه فى كتابه الكريم نوراً وسراجاً منيراً فلولاه لما إستنارت شمس " (١)•

ونقل من أئمة البريلوية : أن ظله كان لا يقع على الأرض وأنه كان نوراً فكان إذا مشى فى الشمس أو القمر لاينظر له الظل ، أما بالنسبة لكونه حاضراً وناظراً فيستنبط البريلويون والمبتدعة من فكرة الفرس من أن الرسول ليس بشراً وأنه حاضر فى كل مكان وناظر كل شئ ، ويقولون : "لايخلو مكان ولا زمان إلا والرسول صلى الله عليه وسلم موجود فيه " (٢)

---

(١) أحمد رضا بريلوي : نفى الفئ عمن أنار بنوره كل شئ مندرجة فى مجموعة رسائل ص ١٩٩ نقلاً عن كتاب إحسان الهى ظهير : البريلوية ص ١٠٤ •

(٢) أحمد سعيد الكاظمى : تسكين الخواطر فى مسألة الحاضر والناظر : ص ٨٥ •

ولهم فى هذه المسألة خرافات أخرى تجعلهم فى أعداد المشركين (١)٠

وفى شأن النبى يوسف عليه السلام أنه ماكان أيضاً بشراً ، ولكن الشاعر الفارسى الملاجامى فى إحدى منظوماته قال عنه :

جوآن بى جون درين جون كرده آرام * بى رويوش كرده يوسفش نام

ترجمه: فلمالزم الذات عديم المثال الراحة * أرادأن يخفى نفسه فظهر بصورة يوسف (٢)٠

٢ - كلمة " محمد " و " أحمد " اسم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكلتا الكلمتين قد وردتا فى القرآن الكريم ، ولكننا إذا نظرنا بعض الأبيات الفارسية التى تتلى فى مجالس المولد أو غير ذلك من المناسبات الأخرى ٠

وهم يقولون فيها إن " أحمد " كان فى الأصل أحداً ، فلما جاء فى هذه الدنيا صار أحمداً وهكذا قد حرفوا فى القرآن فقد ورد فيه " قل هوالله أحد " وهذا أيضاً من الشركيات التى أدخلها شعراء الفارسية ، وهذا شبيه ماقلناه من كلمات البريلوية : الذى كان مستوياً على العرش بصورة الإله ، هو الذى فى المدينة بصورة المصطفى ، وقد قال الله تعالى الرحمن على العرش المستوى ٠

وقال شاعر الفارسى آخر :

فهين در شريعت كامين صاف كهدون * خدا خود رسول خدا بن كى يا

---

(١) للتفصيل راجع : إحسان الهى ظهر : البريلوية ص ١٠٦ - ١٠٨ ٠

(٢) المجتمع البنغالى المسلم ص ١٥٥ ٠

ترجمة : أنا أقول صراحة ولست بخائف* إن الله بنفسه جاء إلى الدنيا بصورة رسوله •

وقال غيره :

محمد كو حو جو بيدان كرتا قسم هــى خداكى خدائى نه هو تى

إن لــم يخلق الله محمــداً فاقسم بالله لم يظهر بصورته الإلهية

قال الشاعر الصوفى العطار :

ما مقيمان كونى ولد ريام رخ به دنيا ودين نمى آرم

ترجمة:نحن نعيش فى زقاق معشوق فلم أستطع أن أنظرإلى دين ودنيا

فإن العطار فى مثل هذه الأبيات يبدى عقيدته بوحدة الوجود أو الحلول التى يتبناها الصوفية •

ويقول الشاعر الصوفى " الرومى " جلال الدين " :

من زقرآن مغز را برداشتيم استخوان بيش سكان انداختيم

ترجمة: إننى أخذت الأصل من القرآن وتركت العظام للكلاب

وفى هذا الشعر يبدى تصوره بأن للقرآن معنى ظاهر وباطن ، أى الحقيقة والشريعة ، وهذا التصور قد أخذها الصوفية من الباطنية والشيعة ، كما أنه فى مثل هذه الأبيات يضع التفريق بين المتصوفة وأهل الفقه •

وقال الشاعرالفارسى فى إحدى الابيات يبدى بهاعقيدة وحدةالوجودوالحلول :

خود كوزه وخود كوزه كر وخود كل كوزه وخود رند سبوكش

خود بــــرسرآن كــــوزه خريدار برامد بشكست وروان شد

ترجمة: هو إبريق وهو صانعه ، وهو طين (يصنع به الإبريق) وهو أيضاً شارب الخمر،ثم هو بنفسه صارمشترياً لهذا الإبريق ثم قام بتكسيره وذهب •

وقال شاعر فارسى آخر : مدرسة تها يادريتها ، كعبة تها يابتخانة تهـــا

هم سبهى مهمان تهى ايك توهى صابخانه تها

ترجمة : سواء أكانت مدرسة أو معبداً ، أكانت كعبة أم صومعة نحن كلنا ضيوف لصاحب الدار ، وقال الحافظ الشيرازى :

حافظا كر وصل خواهى صلح كن باخاص زوعام

بامسلمان اللّـــه اللّـــه بابرهمـــن رام رام (١)

أى حافظ : إن كنت تريد الغناء فصالح مع أهل الخاص والعام

فقل اللّه اللّه مع المسلميـــــن وقـــل رام رام مع الهنـــــــدوس

ومما يجدر بالذكر أن حكمة اللّه تعالى اقتضت أن تكون لغة العربية هى لغة الدعوة الإسلامية ، وأن تكون هى الوسيلة المباشرة الأولى لترجمة معانى القرآن الكريم والأحاديث النبوية وإبلاغهما إلى الناس كافة ، ولو أمعنا فى خصائص اللغة العربية وقارنا بينها وبين اللغات الأخرى لوجدنا أن اللغة العربية تمتاز بكثير من الخصائص التى يعز وجودها فى اللغات الأخرى فأجدربها أن تكون لغة المسلمين الأولى فى مختلف ربوعهم وبلادهم •

لم يكن المسلمون وقاداتهم يهتمون باللغة العربية،بل إنهم قصروا فى حقها

---

(١) راجع : د/ انعام الحق : أثر الفارسى على المجتمع البنغالى ص ٧٢ •

تقصيراً عظيماً لايغتفر،وكان من الواجب لهم أن ينشروا الدين باستخدام هذه اللغة ، فلم نجد فى عصرهم أى كتاب دينى قد ألف بالعربية أو ترجم باللغة البنغالية ليتعرف المسلمون على حقائق الإسلام ويتبصروا فيها بمنظار الواقع " وكان المسلمون آنذاك والعلماء منهم يعدون ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة المحلية بدعة مستحدثة فى الإسلام ، حتى إن بعضاً منهم قد أفتوا بالخروج عن الملة الإسلامية إذا قام أحد بترجمته " (١)٠

أضف إلى ذلك أنه فى الفترة الثانية والثالثة تدفقت آلالف من الكتب الصوفية نحو المنطقة ومعها مجموعة من القصص والحكايات والمواعظ والارشادات وآيات الحكم ، وكل هذه جاءت من المناطق التى تنطق بها اللغة الفارسية ، مثل كلستان ، وبوستان ، وبندنامه ، ومثنوى وغيرها معظمها مشتملة بالفلسفات الصوفية وأقوال علمائهم ، ونجد المسلمين كانوا يعتبرون تلك الكتب ، المصادر الأساسية الإسلامية أى المستنبطة من القرأن والسنة ، وكثير منهم يفضلون قراءتهم ويجعلونها باعث الأجر والثواب ٠

ومازال هذا التأثير موجود فى أواسط العلماء والمشائخ حتى فى المعاهد الدينية تدرس الفارسية فى المناهج كمقرر أساسي لهذه المعاهد (٢)٠

---

(١) تاريخ المسلمين فى الهند:ويليم هنتر ص ١٢٨ كلكتا ، الهند ١٩١٥ ، وأيضاً أكرم خان : تاريخ المجتمع البنغالى المسلم ص ٧٥ ٠

(٢) مناهـــج تعليمية للمدارس العربية النظامية ١٩٩٢م الصادرة من هيئة وفاق المدارس العربية ، دكا ، بنغلاديش ٠

المبحث الخامس

بين التأثير والتأثر

لقد إختار الله تعالى الدين الإسلامى خاتماً للديانات السماء وجعله مهيمناً على سائر الأديان وجعل له الغالبية المطلقة على الجميع، فالإسلام يعلو ولا يعلى، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾(١) •

وفى سبيل تحقيق مطالب هذا الدين جاهد المسلمون وصابروا وصبروا حتى حقق الله تعالى لهم النصر العظيم على سائر الأديان كلها ، وبعد فترات من الزمن تقاعس المسلمون عن أداء مهمتهم ، وإبتعدوا عن منهج الله تعالى وخصوصاً أن العلماء منهم لما ركنوا وتقاعسوا عن التبليغ وأهملوا فى إنتشال الأمة من براثن الجاهلية والشرك والبدع إنقلبت النصر إلى الهزيمة وبدأ الانحطاط فى صفوفهم ،وتغلغل أعداء الإسلام الذين كانوا متربصين منذ زمن فى المجتمع الإسلامى مستغلين الفرصة الثمينة ، ولا يزال هؤلاء يشنون حملاتهم الشرسة عليهم حتى يومنا هذا ، فأصبحت هذه الأمة بأعدادها الهائلة غثاء كغثاء السيل ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال بل إنكم غثاء كغثاء السيل"(٢) •

وهذا الغثاء لايحتاج إلى مجرد موعظة وإرشاد ، وتقديم حقائق الإسلام

---

(١) الصف آيـة ٩ •

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه عن ثوبان ٤/٤٨٣

إليه فى الدروس الدينية سواء فى المسجد أو الإذاعة أو الكتاب أو المحاضرة وإنما يحتاج إلى إنتشاله من الجاهلية التى تحيط به وتضغط على جسمه بثقل " الأمر الواقع " وتنشأته نشأة جديدة على حقائق الإسلام ، ليعيشه بالفعل ، لا " ليتحدث " عنه أو " يفكر فيه " أو " يعجب به " أو يتمناه " وهو قاعد عن العمل لتحقيقه (١)٠

فإذا رجعنا إلى تطور وضع المسلمين فى شبه القاره الهندية وفى منطقة البنغال بالذات،وجدنا عقادئهم مختلطة بأوهام المتصوفة والأعمال المدنسة بأنواع الشرك والبدع والخرافات ، والسبب يرجع إلى جهل الناس بالكتاب والسنة ، لأن الكتاب الذى جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لهداية البشرية كافة قد نبذه أتباعه وراء ظهورهم ، وجعلوه زينة لصناديقهم وخزائنهم ، وكذلك السنة المطهرة ، ونجد أن العلماء المسلمين قد أخفقوا فى أداء مهمتهم تجاه نشر الإسلام وتصحيح عقائد المسلمين ، ورأينا أن المسلمين الذين دخلوا حديثاً فى الإسلام لم يزيلوا العقائد الوثنية والمعتقدات السائدة فيهم قبل ظهور الإسلام فى المنطقة (٢)٠

فنرى المسلمين حكاماً وأدباء ومثقفين كانوا متأثرين بالديانات الموجودة فى هذه المنطقة والكتب التى تتعلق بعقائدها ، وقام هؤلاء المسلمون بقراءتهاوالعكوف على ما جاء فيها من المواعظ والحكم ، وتعجبوا

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر : ص ٣٠ ٠

(٢) الإسلام فى بنغلاديش : محمد عبد المنان طالب ، ص ١٠٢ ، دكا ٠

منها ، وأحبوا أن ينقلوها إلى المجتمع الإسلامى ، وفى سبيل هذه المحاولة ألفوا كتباً حول هذا الموضوع ، ونقلوا بعض كتبهم إلى اللغة البنغالية أو الفارسية ، وذلك نتيجة لإهمال المسلمين شؤون الدين الحنيف ، وعدم الإهتمام باللغة العربية ، ويقول الكاتب الإسلامى محمد أكرم خان " وأن الفراغ الهائل التى تركته اللغات الإجنبية كالفارسية ، وعدم الاهتمام باللغة العربية أوجد للهندوس فرصاً سانحة لغرس معتقداتهم ولتأثير عاداتهم وتقاليدهم فى المجتمع الإسلامى من خلال نشر الأدب الهندوسي وهو ذو طابع دينى هندوسي ، بالإضافة إلى عدم التطابق السلوكى للأسر الحاكمة بالمنهج الإسلامى " (١)٠

ومن خلال تصفحنا كتب التاريخ المتعلق بالمنطقة نجد بعضاً من القادة المسلمين كانوا أكثر إهتماماً بالكتب الهندوسية التى تحظى بالقداسة عند الهندوس، من متابعة القرآن والسنة والكتب الفقهية (٢)٠

ومماتجرح به القلوب وتدمع العيون مماجاءفيهاأن كتاب"مهابهاراتيا"(٣)

---

(١) محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع البنغالى المسلم ص٧٥ ٠

(٢) محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع البنغالى المسلم ص ٧٥ ٠

(٣) ملحمة الهند الكبرى ، تشبه الالياذة والادويسة عند اليونان وهى من الكتب الهندية القليلة التى يعرف مؤلفها ، ان اسمه " وياس" وهو ابن العارف الكبير " برسرا " وقد أملى "وياس" هذا النشيد المقدس على " كينت " الذى دونه ،وهذا الكتاب يحتوى صفة الحرب بين أمراء أسرة ملكية واحدة / والحكايات والقصص والحياة الإنسانية وغايتها راجع أحمد شلبى : مقارنة الأديان ج ٤ ص ٧٧ ٠

و " رامايانا " (١) وغير ذلك من الكتب الهندوسية المقدسة عند الهندوس ونقلت معانيها إلى اللغة البنغالية بمساندة بعض الحكام المسلمين آنذاك ، ويذكر أن فى عهد السلطان ناصر الدين خان (١٣٢٥م) نقلت "مهابهاراتيا"إلى البنغالية بأمره ونفقته الخاصة ، كما أن السلطان حسين شاه(١٥١٨م) أحد حكام البنغال نقل كتاب " رامايانا " إلى البنغالية(٢) وكان هذاالحاكم يتأثر ببعض المعتقدات الهندوسية مثل الحلول والتناسخ ، ويعتبر " شرى شوتنو" (١٥٣٣م) " رجل الدين الهندوسى فى القرن السادس عشر ميلادى "رمزاً لتجسيد الإله ومظهراً لوجوده تعالى (٣)٠

هناك بعض الشعراء المسلمين أثناء كتابة أشعارهم حاولوا التقريب بين الهندوس والمسلمين ، وادعوا من أجل ذلك بتوحيد الأديان وإزالة الحائل الذى يفصل بين الإسلام والهندوس لتحقيق الوحدة القومية الهندية ، وهذا مالم يجترء أحد من الهندوس أن يقولونه علناً ، ويعنى هذا أن هؤلاء الشعراء يدعون عقيدة وحدة الوجود والحلول والاتحاد (٤)٠

---

(١) كتاب قديم لايعرف مؤلفه ولا تاريخ تأليفه بالضبط ، رامايانا يعنى بالافكار السياسية أو الدستورية للحياة الهندية ، فهو يتحدث عن تكوين مجالس الشورى وطرق إختيار الملوك وولاة العهود ، راجع أحمد شلبى : مقارنة الأديان ج٤ ص ٩٣ ٠

(٢) د/ انعام الحق : حقائق عن الصوفية ص ٣٦ ٠

(٣) محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع البنغالى المسلم ص ٩٨ ٠

(٤) إن فلسفة وحدة الوجود التى بناها إبن عربى الصوفى المعروف لم تتوقف خطورتها على الدين الإسلامى فحسب،بل على الأديان كلها وذلك بما يتولدعنها من قضية خطيرة ====

وهذه العقيدة استمدوها من الهندوس (١) فقال الشاعر محمد أكبرخان " إن الهندوكية والإسلام إسمان لشئ واحد لافرق بين هذا وذلك في أمور اعتقادية كالذات والصفات والنبى والملائكة وغيرها ، ثم يقول :

الله للمسلمين وللهندوس " ايشر "

الحواء للمسلمين وللهندوس " كالى "

"الصحابة " للرسول عند المسلمين وعند الهندوس " الحراس الثانىعشر"

القرآن عند المسلمين وعندهم " الفيدا "

كما أنه جعل"شرى شوتنو"(٢)فى مكان النبىمحمد صلىالله عليه وسلم

==== جـــداً وهى قضية وحدة الأديان إنطلاقاً من النظر إلى كل معبود كمجلى للحق سبحانه وتعالى " ويقول إبن عــربى إن الأديان واحدة ، مستدلاً على ذلك بقول أن الدين دينان ، دين عند الله وعند من عــرفه الحق ، ومن عرف من عرفه الحق ، ودين عند الحق وقد اعتبره الله ، راجع : إبن عربى " نصوص الحكم "٩٤ ، تحقيق أبى العلاء العفيفى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ط٢، ١٤٠٠/ ١٩٨١ م ٠

(١) يذكر الكتاب الهندوس المعروف المقدس لديهم " الفيدا " أن الإله براجاباتى هو خالق وفى نفس الوقت خلق ، لأنه كان فى أول الأمر واحد فاشتاق إلى التكثر وتمناه ، فلم يكن من بقية الآلهة إلا أن أجابوه إلى سؤاله ، فضحوه وقطعوه ارباً ، ونشروا أجزاءه فى جميع البقاع فتكون العالم كله من هذه الأجزاء ، ولكن أفراد هذا العالم المتباعد لاتزال تشتاق إلى قربها ، راجع : محمد غلاب الفلسفة الإشراقية ص ٩٤-٩٥ مكتبة الانجلو المصرية ط٢ بدون تاريخ ٠

(٢) محيي المذهب " الفشنو " الهندوسي

(العياذ بالله) (١) •

وقال أحد الشعراء البنغال متأثرا بالمعتقدات الهندوسية :

" أقدر النبى " صلى الله عليه وسلم " وعلياً(رضى الله عنه) ولكنى مع ذلك لن أتساهل فى تعظيم آلهة الهندوس وأمكنتهم المقدسة (٢) •

وهناك الشاعر المسلم المسمى محمد يوسف قال فى احدى أبياته :

أنا أسجد بيت الله فى مكة – قبلة المسلمين
وتحياتى فى صميم قلبى لكل الهندوس والمسلمين
ولكنى أسجد لآلهة الهندوس قبل السجود للبيت
ليس فرق بين الهندوس والإسلام (٣)

وفى القرن السادس عشر تقرر عقد المناقشة بين الهندوس والمسلمين وكان ذلك فى عهد السلطان على مروان خان ، حاكم البنغال فبدأت المناقشة بين عالم إسلامى معروف آنذاك الشيخ القاضى ركن الدين سمر قندى من جانب المسلمين وبين رجل الدين الهندوسى ، وجرى بينهما تبادل الآراء والدلائل ، فتأثر الهندوكى من المناقشة العلمية ودخل فى الإسلام ، وبعد ذلك بدأ يكتب عن الإسلام بمنظار رجل دين برهمى ، لأنه إعتنق الإسلام متأثراً

---

(١) محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع البنغالى المسلم ص ٨٥ •

(٢) Gowrnal of the Asiatique Society of Bengal .p143-51 1917 Tndia .

(٣) نفس المرجع والصفحة •

بالمناقشة ، ولم يتعمق في العقائد الإسلامية والشريعة ، ولكن العلماء في ذلك العصر إنبهروا فيما كتبه عن الإسلام وفلسفته حتى أسندوه على كرسي العلم ، وهذا الكتاب يسمى " امرت كوندو " (الحياة الأبدية) ، وهذا الرجل البرهمى المسلم حديثاً ألف هذا الكتاب لغرض نشر المعتقدات الهندوسية في المجتمع من التقشف ، والتبتل ، وأفعال القلوب وحركات الأنفاس والرياضة البدنية وغير ذلك من الأفعال التى كانت سائدة في المجتمع الهندوسي ويحتوى الكتاب بالموضوعات التالية :

١ – العلم عن الكون •

٢ – العلم عن عالم الصغار

٣ – معنى النفس وحقيقتها

٤ – المجاهدة وطريقتها

٥ – العلم عن الأنفاس وكيفية استعمالها

٦ – العلم عن أصل النطفة وحقائقها

٧ – العلم عن الإرادة

٨ – الموت وعلاماته

٩ – إستعمال الطاقات الروحية

١٠– الأبدية والأزلية واجب الوجود والممكن (١)•

---

(١) محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع البنغالى المسلم ص ١٥٨ •

فقام القاضى ركن الدين سمر قندى بترجمة هذا الكتاب باللغة الفارسية والعربية أيضاً ، ثم حاول قراءة الكتب الهندوسية ومعرفة ما ذكر فيها من تعاليم مجاهدة النفس والتفكر و الروح والنفس والعيش فى الغابات والحياة فى المنفى والزوايا ، ثم بدأ يحاول تطبيقها على حياته ، وفى فترة غير قصيرة أثر هذا الكتاب وسلوك " الشيخ " سمر قندى فى المجتمع المسلم البنغالى (١)٠

هناك بعض المعتقدات تسود فى المجتمع البنغالى المسلم أخذها المسلمون من الهندوس متأثرين بهم ومن البيئة التى يعيشون فيها،حتى تلاشت تلك المميزات والمقومات التى تفصل بينهما ، ولنضرب هنا بعض الأمثلة للمزيد من الوضوح كزيارة القبور للأولياء والعكوف عليها والاستغاثة بهؤلاء بزعمهم أنهم المقربون إلى الله،فلا يصل إليه شئ من الأعمال والدعاء إلا بواسطة هؤلآء الأولياء وتقديم الأضاحى إلى الأضرحة (٢)٠

ومن عادات الجاهلية التى أخذها المسلمون أيضاً من الهندوس الاحتفال بالمولد والأعياد بمناسبات عديدة أخرى ، والرقص بين الرجال والنساء وشرب الخمور فى تلك المناسبات معتقدين بأن هذه الأمور تفرح أرواح أصحاب القبور وتسبب لنجاتهم من عذاب النار ، وكذلك بناء القبة الخضراء تشبه قبر الحسن والحسين فى يوم عاشوراء وتمثيل قبر نبينا

---

(١) د / انعام الحق : حقائق عن التصوف ص ٧٩ ٠

(٢) د / عبد الحى : تاريخ الأدب البنغالى ص ٧ ٠

محمد صلىالله عليه وسلم فى الثانى عشر من ربيع الأول ، وأخذه المسلمون من الهندوس الذين ينحتون أصناماً فى ذكرى آلهتهم " دورغـا " وفـى آخر يوم يرمونها فى البحيرات (١) تقرباً إلى الله •

كما أن هناك بعض المصطلحات ومفهومها يتقارب مع مفاهيم هندوكية وذلك مثل :

عند المسلمين	عند الهندوس
إعظام المشائخ والاولياء	عبادة الكبار بالسجود لهم
الاحتفال بالمولد والعرس	إعتكاف حول المعابد والاحتفال بها
اللقاءمع الخضر فىمياه البحر	العبادة لإله البحر
الانس بالحيوانات المفترسةوالركوب عليها	كذلك لدى الهندوس حيوانات مفترسة ويتباركون بها
النذور فى أيام الكسوف والخسوف	الاستعانة ببعض الآلهة عند إصابة العين والأمراض المعدية(٢) •
وذكر الشيخ عند السفر فى البحر	

إن هذه العادات قد أثرت فى المسلمين بصفة عامة نتيجة للاختلاط والاحتكاك بين الهندوس والمسلمين ، كما هو واضح فى البيان العالى •

و توضيحاً للحقيقة التى أوردناها آنفاً نذكر ماقاله الدكتور شلبى فى كتابه مقارنة الأديان " ويمكن القول أن عامتهم إنحرفوا بالاسلام ،

(١) د / عبد الحى : تاريخ الأدب البنغالى ص ٨ •

(٢) د / انعام الحق : حقائق عن التصوف ص ٨ •

فجعلوه إسلاماً فيه إتجاهات هندوسية ، ويعد من الإنحراف بعض إتجاهات الاسماعيلية ، وبعض إتجاهات الأحمدية وإتجاهات أتباع معين الدين شيشتى (١) .

ثم يقول المؤلف: "هناك وثيقة تجعل زيارة ضريح هذا الشيخ (شيشتى) تنوب عن الحج إلى بيت الله الحرام ، وتقرر أن الطواف حول ماسماه إبن الشيخ " الروضة الشريفة " كالطواف حول الكعبة،ويسمى الباب المؤدى لساحة الضريح " باب الجنة " (٢) وهناك بعض شائعات أن هؤلاء الذين سيعبرون باب الجنة إلى الروضة ستفتح لهم أبواب الجنة بعد موتهم (٣) وإذا نظرنا إلى الهندوسية نجد أن الاحتفال بالمزارات وتقديسها وتقديم القرابين لها موجود فيها ، ويصف كتاب Hinduism وصفة رائعة للاحتفالات بالمعبودات الهندية ، حيث جاء فيه: إن أهم الشعائر الدينية أن يعد التمثال أحسن إعداد وأن يقام فى المعبد ويعامله عباده كأنه حى يسمع ويعى ، ويدهنون بالزيوت ويضمخونه بالطيب ••• ويكسى بأحسن اللباس ويزين بالجوهر واللؤلؤ ويوضع أمامه أحسن طعام وأشهى شراب وتطوف به الجماعات منحية ضارعة على أنغام الموسيقى ، ودخان البخور

---

(١) د / أحمد شلبى : مقارنة الأديان ٩٧/٤ .

(٢) والمعروف أن مايسمى " باب الجنة " موجود عند ضريح فريد الدين شكرعنح فى ولاية بنجاب بباكستان ويسمونه بهشتى دروازة .

(٣) د / شلبى : مقارنة الاديان ٩٧/٤ .

وأصوات الغناء ٠

ويستمر هذا الكتاب فى بيان بعض المراسيم الهندوسية التى يحتفون بها عند العبادة مثل أن بعض الهندوس يرون فى التمثال آلهتهم ويراه الآخرون رمزاً للآلهة ويخضع العابد إلى شعائر دقيقة لتقبل توسلاته وعباداته (١)٠

وإذا كنا تحدثنا عن قضية التأثرو التأثير وما يترتب عليهما من نتائج خطيرة من التطرف والإنحراف عند المسلمين بالبنغال ، وبُعدهم من تعاليم الإسلام الصحيحة ، فإننا نشير إلى جانب آخر مساهمته فى نشر التصوف فى المنطقة ، فهناك أناس نشأوا فى العزلة والغابات والصحراء متأثرين من حياة زعيم البوذية غوتا وأتباعه المنتشرون بأعداد كبيرة فى سائر المنطقة ، فلما نظروا إلى تلك المظاهر التى فى الصوفية ومشايخها وإلى سلوكياتهم ونشاطاتهم التى تتمثل بالديانة البوذية والهندوسية فى الهند ، أحبوا أن ينشئوا ديناً جديداً يجمع فيه المسلمون والهندوس وغيرهم ، ويعيشون تحت مظلة الأمن والاستقرار كأمة هندية واحدة ، إذ أن تاريخ الهند منذ قديم الزمان ملئ بالصراعات الفكرية والقومية و الحروب بينهم كانت مستمرة لعدة سنين ، وللإستفادة من التجارب المريرة الماضية قررهؤلاء تطور دين جديد و حاولوا التقريب بين المواطنين المنقسمين بين الديانات الرئيسية فى الهند ٠(٢)

---

(١) نفس المرجع والصفحة ٠

والهندوكية والبوذية، و بذلك تركوا آثاراً سيئاً فى المجتمع الإسلامى وعملوا عملاً شنيعاً فى إنحراف الشريعة ، ومن بين هؤلاء الناس " كبير " و " رام موهن " المصلح الهندوكى و " غرونانك " المؤسس الأول لمذهب السيخ ، وأما أكبر (الامبراطور المغولى) الذى ذكرناه سابقاً (١)٠

يقول الدكتور عبد المنعم الشرقاوى عن هذه الظاهرة : " ولا تختلط الهندوكية بالاسلام إختلاطاً جغرافياً فحسب ، بل يتداخلان ثقافياً أيضاً ، حقاً أن الدينين يختلفان إختلافاً واسعاً من عدة وجوه ، فالإسلام دين وحدانية ، على حين أن الهندوكية تعترف بعبادة عدد من الآلهة وتؤمن بالأصنام ، بينما يدعو الإسلام إلى اخوة عالمية بين كل الذين يتبعونه ، تقوم الهندوكية على نظام الطبقات والتفاوت بينها ، ومع كل هذا استعار كل دين من الآخر أشياء وتأثر به وعقائده ، فقد استبق الهنود المسلمون بعض عقائد الهندوكية ، إذ أن التحول إلى الدين الإسلامى نادراً ما كان تحول أفراد ، بل كان دائماً تحول أسر أو مجموعات من الأسر جلبت معها عاداتها الاجتماعية الخاصة بالزواج وبالوراثة وغيرها " ٠

ومن جهة أخرى أثر الاسم فى نظام الطبقات الهندوكى ٠٠٠ ولم يقف التأثير عند حد المظاهر بل تأثرت العقيدة فى صميمها ،فمما استعاره المسلمون من الهندوكية التصوف وتقديس الأولياء تقديساً يكاد

---

(١) راجع الفصل الأول (دور القادة المسلمين فى نشر التصوف) من هذا الباب ص ١٥٣

يرفعهم إلى مرتبة التأليه ، وقد قوى الإسلام من جهة فكرة الإله الواحد فى الهندوكية التى وجدت دائماً فى هذه العقيدة ، رغم تعدد الآلهة من الذكور والأناث ، وقد أدى هذا إلى أن يظهر بين الهنادكة من يدعون إلى إله واحد كما حدث فى السيخ ، بل هناك من رجال الدين من يدعيه العقيدتان ، مثال ذلك " كبير " الشاعر الصوفى الذى عاش فى القرن الخامس عشر (١)•

وهذا الخلط بين الدين الإسلامى وبين الهندوكى نتج عن التأثر والتأثير وعن الأخذ والرد فيما بينهما ، ونجم عنه فئة ثالثة حاولت التقارب بينهما فشتان مابين الإسلام والهندوكية فبئس المحاولة ، ويقول غوستاف لوبون فى هذا الصدد: " فالحق أن كثيراً من الهندوس المسلمين يؤلهون محمداً ، ثم أخذوا يؤلهون صهره علياً ، وإن أبناء طبقات المسلمين يؤلهون كثيراً من الأولياء ،فيخالطونهم بالآلهة البرهمية القديمة ، وخلط بين المعتقدات كهذا الخلط المؤدى إلى أسخف الخرافات وإلى الوثنية •

ذلك " كبير " الذى ظهر فى القرن الخامس عشر ، فثار على القرآن والويد (الفيدا) فجد فى إقامة ديانة روحية واحدة مقامهما ، وكذلك أمر " نانك " مؤسس مذهب السيك (السيخ) ، وكذلك أمر " رام موهن "

---

(١) د / عبد المنعم الشرقاوى : ملامح الهند والباكستان ص ١٥٢ ، دار المعارف بمصر ط ١٣١٧هـ ١٩٥٢ م •

الذى مارس ديانة مقتبسة من النصرانية والإسلام والبرهمية (١)٠

أما " رام موهن " فقد حاول إزالة التطرف الذى يوجد فى الهندوكية ، وإصلاحها على أساس أنها دين هندوكى يدعو الناس إلى التسامح وعدم التفريق بين الشعوب وحاول هدم الجدار الذى أنشئ تحت ستارة نظام الطبقات ، وأما " غررونانك " زعيم المذهب السيخى الذى تشعب من الديانة الهندوكية ، وهو أيضا مؤسسه (٢) ، أما الرجل الثالث وإسمه " كبير " فله دور كبير فى ذوبان الشخصية الإسلامية فى الكيان الهندوكى كما قال ذلك رجال التاريخ فى الهند ، وشأنه كشأن عبدالله بن سبأ اليهودى الذى دخل فى المجتمع الإسلامى لاستئصاله من الجذور (٣)٠

---

(١) غوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٦٢٦ ، تعريب عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ط١، ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨ ٠

(٢) وقد ولد " نانك " فى القرن الخامس عشر ، ولما شب دعا لمذهبه الجديد ناس كثيرون ٠ راجع : د/ أحمد شلبى : مقارنة الاديان ١٠١/٤ ٠

(٣) رام موهن RAMMOHON ROY(١٧٧٢-١٨٣٣م) الملقـــب " بابي الهند " فقد كان رجلا معروفا فى عصر رجال مرموقين ، درس الفارسية والعربية ، كما أتقن الانجليزية أثناء عمله فى خدمة شركة الهند الشرقية ، أحد المصلحين الدينييـن الهندوس ومؤسس فرقة براهمو سماج ، ولد فى البنغال ، ونشر عام ١٧٩٠م كتابا ضد الوثنية ، وفى عام ١٨٢٨م كون رامهوهن جمعية " براهموسماج " من مجموعة مثقفى البنغال كانت تتجمع اسبوعيا لقراءة " اليوباتشاد " وتلاوة المواعظ والاناشيد والتراتيل الدينية ٠
راجع:المعتقدات الدينية لدىالشعوب،مجلةعالم المعرفة ص١٨٩،العدد ١٧٣ ،الكويت٠

* مذهب السيخ (Sikhism) " غرونانك " (Guru Nanak) مؤسس هذا المذهب ، ويعتمد المذهب على ثلاثـــة عناصر أولية: أولا:النظام الدينى الذى علم للناس فىالبنجاب خلال العقـــودالمبـــكرة من القرن السادس عشر ٠ ====

فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن كبير (١٣٩٨ - ١٤٤٨ م) صوفي معروف بالهند في القرن الخامس عشر الميلادى ، يعتقد عنه كل من المسلمين والهندوس أنه مرشد لهم ، أما تاريخ حياته فغامض ، يقال: إنه كان مسلما ، تبناه بعد إسلامه رجل ذو مهنة رخيصة ، ثم تتلمذ على مصلح

=== ثانيا : بنية المجتمع في البنجاب ولاسيما في المجتمع الريفي البنجابي .
ثالثا : حقبـــــة التاريخ البنجابي التي تمتد من زمن المعلم الروحي " نانك " حتى يومنا الراهن ، ومذهب " السيخ " لا يتوحد تماما مع التراث الهندوسي ولا يتميز تماما عنه . تعـــــرض تعاليم المعلم الروحي " نانك " في العادة على أنها مزيج من تراب الهندوس وإيمان المسلمـــين وقد وجدت على عهده مجموعة متنوعة من الإيمان الديني يشار إليها الآن بإسم " نرجونا سمبراديا " Nirguna Saampradaya
ويعبر " نانك " عن فهمه لله بعدد من المصطلحات المكررة من قبل المصطلح الأول هو نرنكز Nirankar ، أي مالا شكل له ، ومن أبرز ما يوصف به الله أنه هو الواحـــد الذي لاشكل له والصفة الثانية لله هي " أكال " أي " الازلي والثالثة هي "" الخ " Alakh أي مالايوصف ، كيف يمكن للمرء أن يعرف الله ؟ الجواب الأول للمعلم " نانـــك " أن المرء لايستطيع أن يعرف الله لأن الله في تمامه يجاوز كثيرا فهم الموجودات الفانية ، غير هناك إجابة ثانية : تقول إذا كان الله في تمامه لايمكن معرفته ، فليس عدم إمكـــان معرفته تماما ، ذلك لأنه أيضا هو إله النعمة الذي بعث بوحي يمكن للإنسان العـــادي محدود العقل فهمه وهو الوحي الذي يتجلى في الخلق ، فالله " حاضر في كل مكـــان " (ساراب فيباك) Sarab Viapak هو محايث في كل مخلوقاته ويمكن لعين الشخص اليقظ روحيا أن تراه في كل مكان ، ولهذا الوحي العام بؤرة مركزية معينة هـــي القلب البشري ، ولابد للمرء أن يكون قادرا على الرؤية بعينه الخارجية ولابد له ، كذلك ، أن يكون قادرا على الرؤية بعينه الداخلية ، وللوحي المتجلي في الخلق أهمية بالغة عنـــد المعلم نانك إذ يمكن عند هذه النقطة أن يتم الاتصال بين الله وبين الموجودات البشرية
راجع : المعتقدات الدينية لدى الشعوب : مجلة عالم المعرفة عدد ١٧٣ص٢٠١-٢٠٣

هندوسى " رامانندا " وكان يحب مجالسته والالتزام به فى مدينة " بنارس الهندية " ، كما كان الحضور فى المناقشات الفلسفية والعقائدية ويشاركه فيها عدد كبير من المتصوفة المسلمين ورجال الدين الهنادكة ، ويحكى عنه أنه كان يعارض بشدة موقف الإفراط والتفريط فى أى من الدينين الإسلامى والهندوكي ، كما أنه يردد كلمات الصوفية المسلمين التى يرددونها فى مايسمى بذكر الله تعالى ، ويؤمن بالتوحيد والثناء للبارى عزوجل .

فكثير من الناس إختلفوا فى الديانة التى اعتنقها " كبير " أكان مسلما أم كان هندوكيا ومازالت القضية مبهمة ، ذهب مؤلفان إنجليزيان هما: ولسن والسيد آر، بى ، جى بهندكرا إلى أنه كان أصلا هندوسى ، وذهب الآخرون مثل السيد ج ، هـ ويست كوت و غريرسون أنه كان مسلما (٢) وهو الرأى الصحيح .

ومن أقواله : خلونى أن أقوم بتحلية نفسى ، دعونى أركب على مطايا العشق الالهى " ويقال:إنه كان داعيا لنشر عقيدة الآلهة الهندوكية فى الهند ، كما أنه يستعمل لفظ الجلالة فى " رامانندا " و" هريرام " و" على " كماأنه

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (اردو) ج ١٧ ص ٩٣ - ٩٤ ، جامعة بنجاب لاهور ط١ ١٩٧٨ م .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (اردو) ج ١٧ ص ٩٣ - ٩٤ جامعة بنجاب لاهور ط١ ١٩٧٨ م .

كان معارضا لمبادئ القرآن وزيارة بيت الله فيالحج وعملية الختان ويدعى أن الله موجود في كل مكان ، وكذلك كان يقول:" العشق فقط يكفي للتقرب إلى الله ، ولا يحتاج له مراسيم العبادات كالصلاة والصيام وغيره(١)٠

ومن خلال دراسة حياته يتبين أن " كبير " تربى في بيت هندوكي ونشأ فيه وعند الهندوس كان رجلا زاهدا في الدنيا ومحبا لحياة العزلة،مع ذلك كان ميالا إلى المطالعة عن كثب في الدين الإسلامي وعقائده ،ولكنه مع كونه منفتح القلب كان ناقص العقل ومضطرب النفس ، لذا فإنه كان يتردد بين حين وآخر في مجالس البراهمة والكهنة الهندوكية والمتصوفة المسلمين ، ومن خلال هذه الزيارات استطاع ابراز شخصيته عند كلا الجانبين حتى تمكن من جذب النفوس إليه وإبراز مكانته فيهم كما أننا نؤكد أن كبير من خلال ممارسته بالتصوف استطاع تحويل التصوف إلى صورة مشبوهة وأدخل في الدين الإسلامي المعتقدات الهندوكية وفلسفاتها والبدع والخرافات ، فضعف شأن الإسلام والمسلمين بسبب التفاف العلماء المتصوفة حوله والاستماع منه لكلماته وأبياته التي تثير مشاعر الناس نحو العيش في الزوايا والغابات والصحراء ٠٠٠ وتعذيب النفس والرياضات الروحية لينالوا بها الحياة السعيدة ، وفي ذلك العصر الذي عاش فيه ظهر التصوف في الهند بصورة غريبة مزيجة بالأفكار والفلسفات الهندية بعيدة عن الدين الإسلامي الصحيح، والأمر الذي ظهر في المجتمع الإسلامي والذي سبب إنحراف الناس عن عقائد الدين كما هوالحال في عقيدة وحدة الوجود والحلول ، وأصبحت هذه العقائد شائعة في اوساط المتصوفة في سائر البنغال ، فنظرا لخطورة الوضع الذي ينتج عنها نود أن نعرض هذه القضية المثيرة في العالم الإسلامي ٠ (٢)

---

(١) دائــرة المعارف الإسلامية ، نفس الصفحة ، وكذلك راجع حقائق التصوف في البنغال لسيد غلام ثقلين ص ٥٧ ٠

(٢) راجع ص ٢١٠ من هذه الرسالة

المبحث السادس

في

دخول المتصوفة في منطقة البنغال

***

إن العلماء والمشائخ الذين توافدوا إلى منطقة البنغال وإلى أقطار شبه القاره الهندية في المرحلتين الأخيرتين معظمهم من سكان بلدان فارس وأفغانستان وتركيا والبصرة وكوفة ، وهي المناطق التي نشأ بها التصوف والتشيع(١) وإن عقلانية الفرس وثقافتهم كانت مسيطرة عليها ، فهؤلاء العلماء والمشائخ لم يسلموا من المؤثرات الفارسية وعقلانياتها لسبب ارتباطهم فيها ومشاركاتهم في تقلبات سياستها وحضارتها وثقافتها ، لذا نجد نقصهم في العلم والدين والعقيدة الصحيحة ، وخاصة أنهم في الفترة التي عاشوا فيها قد كثرت الفتن وازدادت الفرق وإنتشرت الاضطرابات السياسية (٢) التي تعم المسلمين عوامهم وخواصهم ، الشئ الذي أصاب المسلمين بإصابة خطيرة هو فتنة التصوف والتشيع وظهور البدع والخرافات وإنتشارها في جميع أنحاء المنطقة ، فإنهم تعلموا الدين والعقيدة والشريعة بما هو معروف في تلك المناطق الفارسية ، ونظروا إليها بمنظار الفرس وعقلانيتهم ، فانى يجدون العلم الصحيح للدين والعقيدة والشريعة التي أنزلها الله على رسوله الكريم وشرحها علماء السلف الصالحين ٠

ولنا وقفة قصيرة في هذا النقطة كي نتعرف على طبيعة المناطق الفارسية ونتعرف على الوضع الذي يسود فيها ، ليتضح لنا مدى تأثيرها في

---

(١) السيد وليام هنتر : تاريخ مسلمي الهند ص ٨٥ ٠

(٢) دكتور غلام ثقلين : الصوفية في بنغلاديش ص ٤٦ ٠

المجتمع الإسلامي وخاصة في البلدان التي فتحها الغزاة المسلمون الفرس ، وأخصها شبه القارة الهندية ونشأت فيها من أجل ذلك التأثيرات الصوفية وغيرها من الانحرافات والالحاد في الدين .

ففي المرحلة الثانية والثالثة من الدعوة الإسلامية في منطقة البنغال كانت الأراضي الفارسية وما يجاورها من البلدان العربية لها صلة كبيرة مع شبه القارة الهندية ، فرجال الفرس كانوا يتاجرون معها ويتبادلون مع الهنود السلع التجارية وبهذه المناسبة كانوا يلتقون بعضهم بعضا ويتناقشون القضايا الثقافية والادبية والعلمية ويتبادلون الآراء حولها .

وفي العصر العباسي كانت فارس وبغداد ملتقى للتجار العرب والهند (١) ومنطقة الأبلة والبصرة كانت من أكبر الموانى والمراكز التجارية الهندية والصينية (٢).

فنظرا لملتقى التجار العرب والفرس والهنود كان الحكماء والادباء والفلاسفة من المسلمين والمسيحيين واليهود والهندوس يتجمعون في هذه المناطق ويناقشون في موضوعات مختلفة ، ومن بينها الأمور العقائدية والفلسفية والأدبية ، وذلك في ظل الخلفاء العباسيين ، وكان الحكام يباركون هذه الاجتماعات والمنتديات ، وبهذا صارت منطقة فارس وما يجاورها محور الالتقاء والتأثر في الموضوعات التي تناقش فيها .

وعقلية الفرس ومن كان يعيش في ظلهم تجاه الإسلام وتعاليمه كانت قائمة على الحقد والبغض والعناد ، ودخولهم الإسلام لم يكن كدخول

---

(١) انظر : دكتور أحمد شلبي : الفكر الإسلامي ومنابعة وآثاره ص٨٠ ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة ط٦ ، ١٩٨٧ .

(٢) القاضي مباركفوري : العرب والهند في عهد الرسالة ص ٨٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

غيرهم من العرب ومع أنهم كانوا مسلمين ولكنهم كانوا غير واعين للإسلام وعقائده ، وكانت معرفتهم به معرفة سطحية غير راسخة فى نفوسهم كما كان حال العرب المسلمين ، و كانوا على العقائد الفارسية التى حصلوا عليها وراثة من آبائهم وأجدادهم الذين اعتقدوها فى المجوسية ، ومازالوا على تلك الافكار التى كانوا عليها قبل تحولهم للإسلام ، يقول قاسم غنى :

" إن الايرانيين (أى الفرس) بعد رضوخهم لسيف العرب إثر حروب القادسية وجلولاء وحلوان ونهاوند ، بذلوا استقلالهم وشوكتهم عن يد وهم صاغرون ، وسواء شاءوا أم أبوا دخلوا الإسلام بحكم غريزة المحافظة ، غير أن العرب الذين نظر إليهم الايرانيون بعين الاحتقار من قديم لم يستطيعوا مع غلبتهم أن يحملوا الايرانيين على مشاركتهم طراز التفكير والعقيدة السليقة والمنطق والآمال والمطالب الروحية ، لأن التباين كان عظيما فى العنصر وطريقة المعيشة والأوضاع الإجتماعية ..الخ(١) .

ويقول أحمد أمين : " فلا تظن أن هؤلاء من الفرس الذين دخلوا فى الإسلام من الأمم الأخرى ، فهموه بحذافيره كما فهمه العرب من المسلمين حتى المخلصون منهم فى إعتناقهم للإسلام ، إنما فهمه كل قوم مشوبا بكثير من تقاليدهم الدينية القديمة " (٢) .

وكانوا يأخذون من الإسلام ماتشتهى شهواتهم وتتلذذ ألسنتهم ويرمون مايشعرون من كبت وضغط وثقل .

ويقول د .سميح عاطف في شرح نفسيات الفرس والأعاجم ممن دخلوا الإسلام من رقعة إنتشاره إلى الآفاق:-

---

(١) انظر : كامل مصطفى الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ص٣٤٢-٣٤٣ط١ دار المعارف المصرية ١٩٦٩ م .

(٢) أحمد آمين : فجر الإسلام ص ٢٧٠ .

"ولكن ميراث المجوسية كان فى دمـاء بعض الأعـاجم وأفكـارهم ،ورواسـب العادات والتقاليد الصوفيـة كـانت فـى أخلاقهم وطبـائعهم ،وقدحـال كـل ذلـك دون اجتلاء الإسلام الصحيح فى نفوسهم ،فأخذوامن تعاليمه مايلائم طبيعتهـم وألفوا قوانين مـايرون أذواقهـم ، واصطنعوافـي ذلـك مـن الأشـكال والألـوان مايجدونـه سـهلاً علـى مداركهـم،مـايقيمون بـه جسـراً ممتـداً إلـى القديـم من معتقداتهم " (١)٠

وإن اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والحديث ولغـة الديـن والشـريعة لها شأن عظيـم فـى الإسـلام ، ويثـاب مـن يتعلمهـا ويعلمهـا ويقـوم بترويجهـا فى المجتمع الإسلامى (٢) وعندما نلقى النظر على عادات الفرس وثقافتهم ، نجدهم - مع كونهم من المسلمين ومع أنهـم أعطـوا ولائهـم لـه - فهم قليلـو الإهتمام باللغة العربية ، وبعبارة أخرى فـإن اللغـة لعـدم الإعتنـاء بهـا كـانت عاجزة عن القيام بثورة فيهم ، ولأنه من شأنها أن تؤثر فى كل قوم وفى كـل فرد يؤمن بالدين الإسلامى اعتقاداً جازماً ٠

يقول أحمدأمين :

" دخل كثير من الفرس فى الإسلام وتعلم كثـير منهـم ، حتـى كـان منهـم

---

(١) سميع عاطف الزين : الصوفية فى نظر الإسلام ص ٢٨ ، دار الكتب اللبنانى المصرى ط٢ ، بدون تاريخ ٠

(٢) كما ورد فى القرآن الكريم :" وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِيْنَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْنٍ " الشعراء : ١٩١ - ١٩٤ ٠

فى الجيل الثانى من يتكلم العربية كأحد أبنائها ، ولكنهم برغم هذا كله لم يصبحوا فى جملتهم مثل العرب (المسلمين) فى عقيدتهم ولا كالعرب فى مطامعهم وطموحاتهم ونزعاتهم ، ولا كالعرب فى عقليتهم ، بل اعتنقوا الإسلام فصبغوه بصبغة فارسية ، ولم يتجردوا من كل عقائد الدين القديم وتقاليده ، ففهموا الإسلام بالقدر الذى يسمح به دين قديم ، اعتقه قوم ونشأ فيهم ناشئهم وشب عليه ، كذلك تعلم الكثير منهم العربية ، ولكن لم يترك لخياله الفارسى ، ولم ينس لقومه من شعر أو مثل أو حكمة ، وكان من أثر ذلك طبيعياً أن تدخل تعاليم جديدة فى الإسلام ، ونزعات دينية جديدة وظهر أثرها فيما بعد وأظهرها فى الإسلام التشيع والتصوف (١)٠

ولما كان الفرس يشغفون الفارسية أكثرمما سواها من العربية وغيرها ، كان من الطبيعى أن يتأثروا مما يكون تحتها من الأثرات والمنفعلات التى هى من وليد الفارسية وخصائها ، إننا لو لاحظنا الثقافة الفارسية بالذات نجد أن لها دورا عظيماً فى المجتمع الإسلامى ، وذلك فى إبعاد المسلمين عن أساس الدين وعن عقائده الصحيحة المستقيمة ، وفى زرع بذور الشقاق والافتراق بينهم ، وتصوير الإسلام أمامهم بصورة مشوهة ومسخها عن الحقائق والواقع بخلق الشكوك فيها وإحداث أفكار ذات طابع فارسى مزدكى ومنحرف ، ولعب الفرس فى هذه المجالات دوراً هاماً عندما انتشر الإسلام

---

(١) أحمد أمين فجر الإسلام ص ٩٨

فى المناطق البعيدة وخاصة أيام العصر العباسى حيث نشطت حركة نقل العلوم العربية إلى الفارسية وبالعكس •

وفى ذلك العصر الذى يعتبره رجال التاريخ عصر الإزدهار العلمى والثقافى نشطت الحركات العلمية وتنقلاتها إلى لغات شتى وإلى انحاء متفرقة من العالم ، وكان الخليفة العباسى المنصور أول من وضع لبنة نقل الكتب العربية إلى اللغات كالسنسكرتية ، والفهلوية (١) والسريانية واليونانية فى العاصمة بغداد ، إذ جمع حوله لفيفاً من العلماء يجيدون الترجمة وشجعهم على نقل العلوم والآداب (٢)•

فلما إنتشر الإسلام وتوسعت الفتوحات الإسلامية حول العالم دخل الأعاجم فى الإسلام من أهل الملل والنحل وأخص منهم الفرس ومن كانوا يعيشون بجوارهم بدأوا يدخلون وينشرون بين الناس بعض العقائد الموروثة التى تؤدى إلى ذبذبة الرأى وبلبلة الفكر ، وإضعاف الوحدة والصف ، وشاعت فى الدين البدع والخرافات والشبهات ، وتعدى نقل العادات والتقاليد الأعجمية إلى محيط الإسلام ، وأُلصق بالدين ماليس منه " وقد بلغ ذلك (الوضع) أقصاه عند تسلط الأعاجم على أمور الدولة وقاموا بتوجيه سياسة الأمة وثقافتها ، مما أيقظ فى الشعوب الأعجمية العصبية لأجناسها ،

---

(١) السنسكرتية : لغة الهندوس وهى لغة ديانتهم ، والفهلوية : لغة المجوس الفرس •

(٢) د / أحمد شلبى : الفكر الإسلامى ومنابعه وآثاره ص ٨٠، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط٦، ١٩٧٨ •

وجراها على منازعة العرب ومناوأة المسلمين (١)٠

وكما أشرنا سابقاً إن عقلية الفرس قائمة على البغض والعناد للإسلام ، فهم بناء على عصبيتهم البغيضة كانوا يريدون التأثير بعقلياتهم وتراثهم على الإسلام بعقائده وصبغها الصبغة الفارسية ، ولعل السبب في ذلك عدم التفات المسلمين إلى هذه النوايا الخبيثة ، وتركهم دون محاولة التأكيد على ترسيخ العقائد الإسلامية في نفوسهم والوقوف ضد الموروثات القديمة التي كانت موجودة لديهم أو بعض الذين تقطعت قلوبهم حقداً وغيظاً على الإسلام ٠

ومن الطبيعي أن الهزائم التي ذاقها الإيرانيون من المسلمين العرب في الحروب العديدة أوجدت فيهم إنفعالات روحية وتأثرات معنوية على شكل صراع فكري ظهرفيالتاريخ الأدبي والمذهبي والإجتماعي والسياسي (٢) ٠

واشتد ذلك الصراع حتى نجح الفرس في التأثير على العرب والمسلمين ومن هنا إنقلب الوضع لصالح الإيرانيين،وكان التصوف والتشيع من أهم ردود الفعل الذي ظهرفيالمجتمع الإسلامي موروثاًمن ذلك الصراع الفكري

وقد أوضح د/قاسم غني هذه الفكرة بقوله : " ويجب أن نبين هنا أن رد الفعل هذا لم يأت عن عمد وإختيار وإرادة على خطة مرسومة يراد

---

(١) سميح عاطف الزين : الصوفية في نظر الإسلام ص ٢٥ ٠

(٢) د/ كامل مصطفى الشيبي : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٤٢ ٠

بها الإنتقام ، بل كان أكثره متأتياً بحكم الإنفعال النفسي وتحت تأثير العواطف والأحاسيس الخفية التي يعرفها علم النفس ، أي إن ذلك قد حدث غالباً دون أن يجد له الناس علة واقعية ودون أن يحللوه ، ولكن ذهنهم كان مسوقاً إلى هذا العمل بهذه الطريقة (١) ٠

ومن خلال التغيير السياسي والفكري والإجتماعي نشأ التصوف وترعرع في المناطق الفارسية بما في ذلك البصرة والكوفة وخراسان(٢) ٠

ولما ضعفت الدولة الفارسية في الحكم في البلاد الإسلامية ، وقام الإنتهازيون باستغلال الفرص والاستيلاء على الحكم والسيطرة على الأمة وتناسى المسلمون جوانب العقائد الإسلامية وقام شيوخ خراسان وبلخ (٣)

---

(١) قاسم غني : تاريخ التصوف في الإسلام ص ٨ ٠

(٢) خراسان :بلاد شاسعة الرقعة إلى الشرق من إيران تشمل الأراضي التي إلى الجنوب من نهر جيحون وإلى الشمال من هندوكش ، والإقليم الذي يعرف باسم خراسان يضم أقل من نصف خراسان القديمة ، أما بقيتها فتابعة لأفغانستان، وكانت خراسان المعقل الذي حشد فيه أبو مسلم الخراساني ودعاة العباسيين الجيوش التي قضت على الخلافة الأموية وكانت المنطقة هذه معقلا للصراع بين المسلمين ونشوب الفتن ٠
انظر : دائرة المعارف الإسلامية ج٨ص٢٨٢ ، دار الفكر ، أيضاً انظر القاموس الإسلامي ج٢ص٢٢٢ ٠

(٣) بلخ :مدينة قديمة تقع على نهر ضحل بهذا الإسم في شمال أفغانستان ، كانت مركزا للبوذية ، كما أنها كانت مركزاً للديانة الزرادشتية ، غزاها العرب بقيادة قيس ابن الهيثم عام ٤٣هـ ٠

====

ينادون بالتصوف على أنه من صميم الدين ، وأنه مذهب الصفوة المختارين متأثرين فى ذلك بما كانوا عليه من العادات والطباع أجيالاً ،واختلطت التعاليم الإسلامية بالتقاليد الفارسية والهندية ، ومن هنا أى بسبب الإختلاط والامتزاج نشأ ما يسمى بالتصوف (١) ٠

ومن خلال ماذكرناه فى هذا الموضوع يتبين لنا أن الصوفية وعقليتها المنحرفة أو الذين يحاولون مسخ صورة الإسلام الأصيلة قد ترعرعت فى العراق والمناطق الفارسية على وجه العموم ، وما نراه اليوم من إنتشارهذه الفرقة الصوفية إلى آفاق بعيدة من العالم قد نبع وترعرع من تلك المنطقة٠ والجدير بالذكر أن الكتب والمؤلفات التى تتعلق معظمها بالتصوف صنفت فى تلك المنطقة باللغة الفارسية ، كما كانت الحال فى الكتب الشيعية ، باعتبار أن معظمها ألفت بتلك اللغة بسبب نشأتهما وتطورهما فيها ، وللغة الفارسية شأن عظيم فى أداء دور كبير فى إنتشار الفرق وخلق الفتن فى المجتمع الإسلامى ، وفى تقديم الإسلام بصورة مشبوهة وممسوخة عن حقيقته وواقعه ، ومازال المسلمون الفرس يعانون حتى اليوم من تلك الفتن ،وإن العلماء الذين نادوا إلى التصوف ومعتقداته معظمهم كانوا

---

(١) انظر : د/ سميح عاطف : الصوفية فى نظر الإسلام ص ٢٤ دار الكتاب اللبنانى ط٢ ، تاريخ بدون ٠

من أصل فارسى(١) مثل أبويزيد البسطامى(٢) ومعروف الكرخى(٣)، وجلال الدين الرومى(٤) وغيرهم من أكابر المذهب وشيوخه،مما يوحى أن التصوف تأثر بالفلسفات الإيرانية القديمة التى هىعبارة عن خلط الاتجاهات الفكرية لكل من اليونانية والمسيحية والهندوسية والمجوسية،ولذلك يقول :

---

(١) فلو تتبعنا قوائم طبقات الصوفية نجدأن أكثرية شيوخ الصوفية من أبناء الفارس والهند : مثل أبى عبد الرحمن السلمى من خراسان (ت ٤١٢هـ) وفضل بن عياض من خراسان (ت ١٨٧ هـ) بشر بحامى (ت٢٢٨ هـ) من بغداد وغيرهم من الطبقة الأولى وأبو القاسم الجنيد من نهاوند (ت٢٩٣ هـ) وأبو الحسين النورى من خراسان وأبى عثمان الحيرى النيسابورى من نيسابور من الطبقة الثانية،والحسين بن منصور الحلاج من أهل بيضاء فارس (قتل ٣٠٩) ببغداد وأبى حمزة الخراسانى من أقران الجنيد (ت٢٩٠ هـ) وأبى عبد الله الصبيحى من أهل البصرة من الطبقة الثالثة وأبى بكر الشبلى هراسانى (ت٣٣٤هـ) من أصحاب الجنيد وأبى الحسين بن هند الفارسى من مشائخ الفرس ومحمد بن عليان النسوى من الطبقة الرابعة ٠

(٢) ابو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان ، كان جده سروشان مجوسيا فأسلم ، والبسطام بكسر الباء بلدة كبيرة بقومس على جادة الطريق إلى نيسابور (ت ٢٦٠) انظر طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ، نور الدين شريبة ص ٦٧ ، أيضاً : الرسالة القشيرية ج ١ ص ٨٠ أيضاً حلية الأولياء ١٠ ص ٣٣ ٠

(٣) معروف الكرخى هوأبومحفوظ معروف بن فيروزالكرخى،كان أستاذالسرى السقطى (توفى٢٠٠هـ) وقبره فى بغداد،يستشفى منه ويتبرك بزيارته،أسلم على يد على بن موسى الرضا،انظر:طبقات الصوفية ص٨٥،الرسالة القشيرية ج١ص٦٠،حلية الأولياء٨/٣٦٠

(٤) جلال الدين الرومى : صوفى مشهور تنتسب إليه الطريقة الجلالية أو المولوية ، ويلقب بالبلخى الرومى نسبته إلى بلاد الروم التى كانت قونية إحدى المدن الإسلامية الكبرى (ت٦٧٢هـ) انظر : القاموس الإسلامى ٢/٦٢٠ ٠

المستشرق غولدزيهر"إن بعض الاصطلاحات التى عرفت فى التصوف الإسلامى قد وردت للتفكير الإسلامى من هذه الثقافات أى الثقافات المسيحية والهندوسية والفيثاغورية ، وذلك مثل الفناء والطريقة والمراقبة والكرامة وغيرها " (١)، فأصبحت هذه الاصطلاحات شائعة فىأوساط المتصوفين، وعقيدة الإسلام وتعاليمه بريئة من كل هذه المصطلحات ٠

بعد هذا العرض الطويل نعود إلى حديثنا حول موضوع دخول المتصوفة فى البنغال خاصة وفى شبه القارة الهندية عامة ، فنقول: إن الذين قاموا بغزو البنغال من المسلمين ليسوا من الهند ، بل إن معظمهم كان من أصول فارسية وتركية وأفغانية ، ينطقون باللغة الفارسية باعتبارها اللغة الأم ، فهؤلاء الدعاة والعلماء والمشايخ
فأناروا طريق الحق والهداية والحياة السعيدة ، مع كل هذه الخدمات النافعة إلا أنه يؤخذ عليهم أنهم أهملوا جانباً مهماً هو العقيدة الإسلامية الصحيحة من التوحيد ، وحقيقته إفراد العبادة لله وحده،وإبطال الشرك والبدع ومايترتب عليها من المهالك والمخاطرات التى لها أثر سئ فى حياة الإنسان ذلك لأن الإسلام دين شامل يصلح لكافة الناس ولكل زمان ومكان ،ولذا أمرنا الله تعالى أن نعود إلى الإسلام وندخل فيه جملة ، قال تعالى :

---

(١) نقلاً عن د / أحمد شلبى : الفكر الإسلامى فى منابعه وآثاره ص ١٧١ ٠

﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾(١) •
وقال أيضاً: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾(٣) وفى ضوء هذه الآيات المباركة فإنهم لم يكونوا على مستوى صحيح فى أخذ العلوم الشرعية ، وما أخذوا منها إما كانت ناقصة أو مزيجاً بالافكار الفارسية أو العادات التى كانت سائدة فيها ، فقاموا بنشر الإسلام وتعاليمه وفق ماكانوا يتلقونه من تعاليمه فى بلادهم الفارسية بنقص وعيب ، وهذا ماسنعرفه من خلال دراسة نشاطاتهم فى منطقة البنغال •

وكانوا يكتفون بدعوة الناس إلى الإسلام بإقامة مجالس الوعظ والإرشاد والحفلات الدينية بالمناسبات المعروفة لديهم ،و يجذبون عواطفهم ببعض خرق العادات أو ما يسمى بالكرامات التى كانت تظهر فى أيديهم بالاضافة إلى زهدهم عن متع الحياة الدنيا وركنهم فى التكايا والخوانق (٤) •

نتيجة لتلك الأعمال الدعوية والخدمات الدينية نجد كثيراً من الناس تأثروا بهم ، واعتنقوا الإسلام بمجرد مشاهدة تلك الخوارق والسلوكيات الزهيدة كما أشرناه فى الفصول السابقة ، وأما الجوانب الأخرى من الإسلام

---

(١) البقرة : ٢٠٨ •
(٢) الصف : ٩ والتوبة ٣٣ •
(٣) المائدة : ٣ •
(٤) عبد المنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش . ص ٨٣

التى لابد من بيانها لكل إنسان مثل تبيان الحقائق للناس عن الشرك والبدع وإبطالها بالبراهين القاطعة وإفهامهم العقيدة الإسلامية الصحيحة ، ومساعدتهم فى حل مشاكلهم الإجتماعية والإقتصادية والسياسية التى كانوا بحاجة إلى تغييرها من الجذور وفق ما شرعه الله سبحانه وتعالى ، إننا نلاحظ أنهم كانوا يبتعدون عن الناس وعن المعايشة معهم ، ويفضلون الانزواء بالزوايا والحجرات ، أما البعض منهم فكانوا يتمسكون بتدريس علوم الدين فى المعاهد فقط ، مما يؤكد أن هؤلاء العلماء والمشايخ كانوا من الجماعة المتصوفة ، ورغم انتمائهم إلى التصوف إنه لمن الواقع أن الإسلام قد انتشر بهم وبهذا الوضع وبهذه الصورة فى البنغال ، وأسرع فى إنتشاره إلى حد لم يتصوره أحد من قبل ، وهذا الخلل ما زال قائماً على ما كان قبل ذلك .

وفى المرحلة الثانية والأخيرة من نشر الإسلام فى المنطقة تباطأت حركة العلماء فى نشر الدعوة ، و توقفت نشاطاتهم بشكل بطئ وخاصة فى الفترة التى فيها ازداد العلماء والمشائخ من بلدان فارس وأطرافها إلى أراضى البنغال " وان ازدياد هم بهذا الشكل الرهيب وإنتشارهم فى المنطقة فى حين كان الهند تحت سلطات أباطرة المغول ، وفى تلك الأيام كانت إيران تتشغل فى الاضطرابات السياسية الشديدة " (١) فاضطركبار العلماء

---

(١) د/ انعام الحق : الأدب البنغالى المسلم ص ١٨٦ .

المتصوفة إلى ترك أوطانهم والهجرة إلى أماكن تصلح لاستقرارهم وتؤمن لهم ممارسة نشاطاتهم فيها ، وما كان لهم من بد إلا أن يرتحلوا إلى الهند كمنطقة آمنة ومستقرة بعد أن أصبحت كلها تحت قيادة مغولية، يقول المودودى " لقد امتدت آثار التصوف بسرعة خاطفة من العراق وإيران إلى الهند حيث وجدت تربة خصبة هناك ،وأصبحت أرض الهند مأوى لعدد ضخم من الأولياء رجالاً ونساءاً ، حيث تحولت مقابرهم بعد موتهم إلى مزارات وأضرحة يؤمها المسلمون والهندوس معاً (١) ولقد وجد هؤلاء المتصوفة فى أراضى الهند موقعاً ممهداً وفرصة مواتية لنشر أفكارهم كما وجدوا ميداناً شاغراً فتقدموا لملء الفراغ •

---

(١) أبو الأعلى المودودى : تجديد الدين واحيائه ص٩٢ •

وأيضاً للتفصيل : راجع د/ مصطفى حلمى ،التصوف والاتجاه الفلسفى ص ٢١٣ •

إستقرار التصوف فى البنغال :

بدأ التصوف وأثره ينتشر شيئاً فشيئاً فى البنغال منذ القرن الحادى عشر الميلادى ، عندما إنتشر الإسلام بفتوحات المسلمين الأتراك لطول المنطقة ، أصبح طريق الاتصال بين الهند وبين بلاد فارس وسمر قند وبخارى سهلاً وميسوراً ، وبعد أن لقوا أراضى الهند كلها خصبة تصلح لنمو الإسلام وإنتشار دعوتها على نهج التصوف •

فعلماء التاريخ تعرضوا لصعوبات فى جمع المعلومات الوافية عن الرعيل الأول من المتصوفة المنحرفين الذين دخلوا المنطقة ، ولكننا بعد البحث العميق فى هذا الموضوع والوقوف الطويل على المصادر والمراجع بغية الوصول إلى المعرفة الصحيحة وجدنا أسماء بعض الذين قدموا من بلاد فارس وما يجاورها من المناطق الأخرى إلى الهند أولاً ثم إلى البنغال ثانياً ومنهم الصوفى السلطان الرومى (ت١٠٥٣ م) والشيخ سيد نثارشاه (ت١٠٣٩م) ويقال إنه أول من دخل فىالهند بأفكار التصوف وأنظمته وطرقه، والشيخ على الهجويرى (ت١٠٧٢م) ويقول بعض الناس: إنه كان من العلماء المتصوفة الذين حملوا معهم أفكار التصوف وأنظمته فى أراضى الهند ، وهؤلاء يعتبرونهم من الرعيل الأول (١)•

---

(١) Eneyclopedia of Religion and Ethics Edited by Games Haslings . Volx10 p69

ثم توالى الصوفية ب دهم بأعداد كبيرة ، ولم يمكثوا فى مكان معين ، بل تجولوا المناطق كلها وإنتشروا حيث أرادوا وشاؤا وفى خلال مدة قليلة ذاعت شهرتهم وأصبحوا ذا مكانة وتقدير بين المواطنين الهنود ، واستقر معظمهم فى المناطق الجبلية وهضبتها الممتدة من الغرب إلى الشرق مثل بنارس والبنغال وكشمير ، ومن بين المتصوفة المشهورين الذين قدموا إلى الهند فى هذا القرن، الشيخ معين الدين خشتى (١١٤٢ - ١٢٣٦ م) المؤسس لطريقة الخشتية فى الهند / توفى فى أجمير بالهند ، ومقبرته مازالت موجودة بها ، وكثير من أتباعه يأتون إليها للزيارة والحصول على المراد عندها ، وبعد قدومه جاء إليها الشيخ بهاء الدين زكريا (١١٦٩ - ١٢٤٠ م) الذى يعتبر أول من حمل الطريقة السهروردية فى أراضى الهند (١)٠

ومن القرن الثالث عشر حتى بداية القرن الخامس عشر توقف تحرك الصوفية نحو الهند سوى عدد ضئيل منهم إستمر وصولهم إليها ، ومن خلال فترات التوقف استحكمت طائفتى الصوفية الخشتية والسهروردية فى المنطقة ، واحتلت مكانة مرموقة لدى المواطنين الهنود (٢) ٠

---

(١) Ain -e- Akbari .vol.3. p- 363.Colnel H.S.jerratt.col 1894 .

(٢) تذكرة أولياء هند (اردو) ١٨/٣ ، مطبعة ديلى ، الهند ٠

وفى بداية القرن السادس عشر الميلادي بدأت الصوفية فى الهند تظهر بثوب جديد بواسطة طائفة من المتصوفة القادرية التى أسسها الشيخ عبد القادر الجيلانى (١٠٧٨-١١٦٦م)هذا الشيخ لم يأت إلى الهند قط فىحياته،والذى جاء بالقادرية إليها رجل من سلالته ويسمى محمد غوث شاه الجيلانى (١٤٨٢-١٥١٧م) وتوفى فى مدينة راجيوتانة بشمال الهند (١)٠

وفى أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر للميلاد دخلت الطريقة النقشبندية المنطقة وتوالت بعدها طرق أخرى من الأدهمية،والبكتاشية والقلندرية والباولية (٢) لاستغلال الارض الخصبة لتوسيع التصوف وأفكاره فيها ٠

وهذا التطور الذى نلاحظ عند تدفق هؤلاء المتصوفة نحو المنطقة لم يكتب له الدوام ، بل حدث فيه مد وجزر، حسب الظروف والتطورات السياسية فى تلك البلدان التى غادروها نحو البنغال والمناطق الهندية ، رغم إنتشار التصوف فى سائر الأطراف فى أنحاء البنغال لم يكن الوضع مستقراً ، فبعد أيام قلائل من ممارستهم الدعوية فى المنطقة عادوا من حيث أتوا ،والأمر الذى عملوه خلال إقامتهم فيها أنهم نجحوا فى غرس البذور الصوفية وتأسيس قواعدها فى أرض لم تؤت ثمارها ولم يجنوها فى حياتهم

---

(١) فريد الدين عطار : تذكرة الأولياء ١٨/٣ ٠

(٢) حقائق عن تاريخ التصوف : الدكتور غلام ثقلين ص ٣٦ ٠

إذ لم يتوفر لديهم عدد كاف من المريدين يكفى لتغطية المنطقة ،وذلك بسبب نقص العلم فى علم التصوف وعدم تكافؤهم فى الرياضة الروحية وتعذيب النفس والممارسات البدنية التى يمارسها المتصوفة ، وهذا لايدل على أن أفكارهم وآثارهم قد محيت من المنطقة محواً تماماً، كما لم تكن هناك قوى معارضة للصوفية يخشى عليها ، بل كانت الظروف والأوضاع ملائمة لهؤلآء ، لأن الأصل والأساس ما دام ثابتاً ومادام البذور قد تم غرسها فى عمق الأرض وتصل إليها كل ما يغذيها ، فلابد من تلك البذورأن تنبت وتكبر وتثمر وتنفع الناس فيما بعد ، وإن طال الوقت لجنى الثمار منها •

وقد ضرب أحد الكتاب البنغاليين مثالاً رائعاً لهؤلاء المتصوفة والوضع السائد فيها ، حيث إنه يقول : " إن مثلهم كمثل العندليب والطيور ذات أصوات جميلة وتخرج من أعشاشها لتغنى وتبشر الناس بقدوم الربيع ثم تعود إلى أعشاشها ، الربيع لم يأت بعد لتتفتق فيه الزهور،ولم يحن الآوان لتخضر الأغصان والأوراق ، وهكذا فإن هؤلاء الصوفية قد أتوا إلى المنطقة ليبشروا الناس بنسيم التصوف وجماله ومحاسنه ، ولكنهم فى أيام قلائل عادوا من حيث توافدوا، إلا أن آثار هؤلاء مازالت باقية فيها ، وإن

الخدمات التى قدموها للشعب البنغالى موجودة فى أتباعهم من أهل البنغال •

وفى القرن السادس عشر الميلادى قام أتباع هؤلاء المتصوفة من بعدهم بدفع حركاتهم ونشاطاتهم الصوفية بين أبناء الوطن البنغاليين (١)•

ومن بداية هذا القرن إلى نهاية القرن السابع عشر بدأ زحف المتصوفين نحو البنغال وبعدد كثير كالسيل الجارف فأغرقت بهم البلاد،وإن الصوفية اليوم التى نراها فى أرض البنغال وسائر المناطق الهندية والباكستانية لهى أثر لهؤلاء المتصوفة القادمين من بلاد ما وراء النهر ومن بلاد الفرس والبلاد المجاورة منها ، فأصبحت بنغلاديش تعرف اليوم ببلاد المتصوفة ولم أبالغ فى ذلك ، فلا توجد شبر من أرضها تخلوا من المتصوفة وآثارهم ، مما يدل على أن هؤلاء الدعاة والمشائخ الصوفية الذين غرسوا بذور التصوف وغذوها لتنموا وتزدهر، وقد أينع غرسهم وبدت ثمارهم فى المجتمع البنغالى ونحن سنرى فى الباب التالى آثار ذلك التصوف فى المجتمع الإسلامى البنغالى الذى نستطيع أن نصفه بالمجتمع المصاب بالمرض المعدى ، ولا يرجى شفاؤه إلا أن يتخذ له تدابير حكيمة لإصلاح المسلمين وإعادتهم إلى الدين الأصيل الذى جاء به رسول الله صلى الله علي وسلم •

---

(١) دكتور/ إنعام الحق : تاريخ التصوف فى البنغال ص ٧٢ •

المبحث السابع

في

عقيدة وحدة الوجود

****

نظرية وحدة الوجود خيال يقوم على أن هذا العالم المختلف فى أشكاله ليس سوى مظاهر متعددة لحقيقة واحدة هى الوجود الإلهى (١) والواقع أن التصوف الإسلامى بعد نشأته الأولى أخذ يتقدم شيئاً فشيئاً " نحو التسوية بين كون الله فى العالم وبين الفكرة التى تقول: بأن القوى والخصائص الإلهية قائمة فى الأشياء المادية والأشخاص ، ثم حاول أن يوفق بين هذه الفكرة وبين فكرة وجود إله خالق منزه متعال ، وذلك بأن يضع بدل وجود الله فى العالم ، فكرة وجود العالم فى الله وبالنص على أن كل الأشياء المادية تجليات له " (٢).

فعقيدة وحدة الوجود من المسائل المعضلة التى يقولها المتصوفة ، وهى التى جردتهم عن المجتمع الإسلامى وجعلتهم أسرة ذات كيان مستقل ، وهى أخطر عقائدهم على الاطلاق ، والقائلون بها ليسوا من القدامى فحسب بل إن عدواها قد سرت فى تعاليم الصوفية فى كل عصر وفى كل جيل.

---

(١) د: عمر فروخ : التصوف فى الإسلام ص١٧٣، دار الفكر ، بيروت ١٩٨١م .

(٢) هاملتونجب : دراسات فى حضارة الإسلام ص ٢٨٠، ترجمة عباس ورفاقه بيروت١٩٧٩م .

ووحدة الوجود ، هذه الكلمة تعنى فى العقيدة الصوفية أنه ليس هناك موجود إلاَّ اللّه ، فليس غيره فى الكون ، وما هذه الظواهر التى نراها إلا مظاهر لحقيقة واحدة ، هى الحقيقة الإلهية ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ هذه الحقيقة التى تنوعت موجوداتها ومظاهرها فى هذا الكون المشاهد، وليس هذا الكون – فى هذه العقيدة الباطلة – إلا اللـه فى زعمهم ، ولقد إستمرت هذه العقيدة معلومة عند أناس مخصوصين فقط ممن بلغواالنهاية فى الطريق الصوفية،ولكنهم لايعبرون عنها إلابتعبيرات ملفوفة غامضة لايفهمها إلا من سارعلى نهجهم وسيرتهم وذاق ذوقهم وكشف غوامض كلامهم .

ولكن القرن السادس الهجرى شهد فى أواخره ، وبداية القرن الذى يليه رجلاً عجيباً إستطاع أن يصوغ هذه العقيدة صياغة كاملة ، ويضرب لها آلاف الأمثلة ، ويبنى عليها فروعها المختلفة فى الإعتقاد والتصور ، ذلك الرجل هو محى الدين إبن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ (١).

---

(١) إبن عربى أبو بكر محمد بن على بن محمد بن أحمد الحاتمى الطائى المرسى الاندلسى ثم الدمشقى ، ويلقب بمحى الدين والشيخ الأكبر والكبريت الأحمر ذو المحاسن التى تبهر وسلطان العارفين وخاتم الأولياء والوارثين، العارف المحقق الكامل المدقق، برزخ الحكيم الإلهى إبن أفلاطون ويعرف بإبن عربى بالتنكير عند أهل المشرق ، تميزاً له عن القاضى إبن العربى.

ولد بمدينة مرسيه ليلة اثنين ١٧ رمضان ٥٦٠هـ فى عهد خلافة المستنجد بالله ، ولما

====

ولعل أخطر كتاب يدعو إلى هذه العقيدة هو كتابة فصوص الحكم ، فهذا الكتاب من ألفه إلى يائه ليس إلا صوراً هزيلة لهذه العقيدة الضالة ، وإن فلسفة إبن عربى الصوفية تدور حول نظرية فى وحدة الوجود ، وفى رأى أنه لم يكن لهذه النظرية قبل إبن عربى صورتها الواضحة، فهو رائدها والواضع لأسسها والمبين لمعانيها ومراميها ، فقد رأى إبن عربى أن الحقيقة الوجودية واحدة فى جوهرها وذاتها (الحق) متكثرة بصفاتها وأسمائها وظهورها فى أعيان الممكنات (الخلق)٠

ويدعى ذلك الرجل الصوفى أن ماقاله فى كتابه الفصوص قد نقله بلازيادة ولا نقصان عن الرسول الذى أمره بتبليغ ذلك للناس حيث يقول : " أما بعد ! فإنى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مبشرة رأيتها فى العشر الأواخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق ، وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب فقال لى: " هذا كتاب

==== بلغ الثامنة من عمره إنتقل إلى اشبيلية مع أهله فقضى فيها أطول حياة فى المغرب إلى أن رحل عنها إلى مشرق سنة ٥٩٧هـ ولم يعد إلى وطنه ، وفى أيام حياته تلقى العلوم عند العلماء والفقهاء الصوفية والمدارس الباطنية وتجول أثنائها كل من المغرب وتونس ومراكش ومكة المكرمة والمدينة المنورة ومصر والخليل وبيت المقدس وبغداد والموصل وإلى بلاد الأناضول وفوتيه، توفى فى دمشق ٢٨ ربيع الآخر سنة ٦٣٨ ودفن فيها بصفح جبل قاسيون ٠

راجع : إبن الملقن : طبقات الأولياء ص ٤٦٩ ، الطبقات الكبرى للشعرانى ١٦٦/١ ٠

فصـوص الحكـم ، خـذه واخـرج بـه إلـى النـاس ينتفعـون بـه ، فقلـت السـمع والطاعة لله ولرسوله ولأولى الأمر منا كما أمرنا " •

ثم يقـول:"فحققتُ الأمنيـة وأخصلـتُ النيـة وجـردتُ القصدَ والهمـةَ إلـى إبراز هذا الكتاب كما حده لى الرسول صلى الله عليه وسلم مـن غير زيـادة ولا نقصان " (١) ، يبدأ إبن عربى فى بيان مذهبه بالعبارة الآتية :

" لما شاء الحق سبحانه ، حيث أسماؤه الحسنى التـى لايبلغهـا الاحصـاء أن يرى أعيانها ، وإن شئت قلت أن يرى عينه فى كون جامع يحصر الأمـر كله لكونه متصفاً بالوجود" (٢)•

ومن أبرز الأسس التى قام عليهـا مذهـب وحدة الوجـود – كمـا وضعـه إبن عربـى – هـو أن العـالم كلـه بمثابـة شـبح لاروح فيـه أو كـالمرآة القابلـة للصور ، ويصبح بذلك عملية الخلق عنده فيضاً دائماً ، وحتى لايقر بالاثنينية فأنه جعل العالم يفتقر إلى الحق فـى وجـوده ، لأنـه يسـرى فـى الموجـودات بـالصور وبـالمثل فـان الحـق مفتقر إلى الأعيـان الثابتـة وهـى أشـبه بالصور الأفلاطونية •

يقول إبن عربى :

الرب حق والعبـد حق ‏ ‏ ‏ ‏ ياليت شعـرى من المكلف

---

(١) إبن عربى : فصوص الحكم ص٤٧ بتعليق أبى العلاء عفيفى •

(٢) إبن عربى : الفتوحات المكية ج١ص٢ •

إن قلت عبد فذاك ميت أوقلت رب فاني مكلف(١)

ويقول أيضاً :

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا وليس خلقاً بهـا الوجه فاذكروا

جمع وفرق فإن العين واحـدة وهيالكثيرة لا تبقى ولا تذر(٢)

ويقول أيضاً : فسبحان من أظهرالأشياء وهو عينها ، وأنشد :

فما نظرت عينى إلى غير وجهه ولا سمعت أذنى خلاف كلامه(٣)

ويعتقد إبن عربى أن الذوات بأسرها كانت ثابتة فى العدم،فذاتها أزلية، حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن والحركات والسكنات ، وإن وجود الحق أفاض عليها ، فوجودها هو وجود الحق ، وذواتها ليست ذوات الحق ، فهو يفرق بين الوجود والثبوت (٤) ،يقول إبن العربى تأييداً لموقفه فى تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (٥) ، وهو ما كنت به فى ثبوتك ظهرت به فى وجودك ، هذا إذا كان لك وجود، فإن ثبت أن الوجود للحق، لالك ، فالحكم لك بلا شك فى وجود الحق (٦) .

(١) إبن عربى : الفتوحات المكية ج١ص٢ .

(٢) إبن عربى : فصوص الحكم ج١ ص٢٦ .

(٣) إبن عربى : فصوص الحكم ج١ ص٢٦ .

(٤) إبن تيمية : مجموعة الرسائل ج١ص ١٧٢ .

(٥) الصافات الآية ١٦٤ .

(٦) إبن عربى فصوص الحكم ج١ ص٨٣ .

ثم يقول: وإن ثبت انك الموجود ، فالحكم لك بلا شك ، وإن كان الحاكم الحق ، فليس له إلاّ إفاضة الوجود عليك ، والحكم لك عليك ، فلا تحمد إلا نفسك ، ولا تذم إلا نفسك ، وما يبقى للحق إلا حمد إضافة الوجود ، لأن ذلك له لا لك ، فأنت غذاؤه بالأحكام وهو غذاؤك بالوجود (١) •

تلك هى أقوال يتقولها إبن عربى فى مؤلفاته ، مخالفة صريحة لما ذهب إليه العلماء السلف من أهل السنة والجماعة ، يفسر الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة دون نهج صحيح ودون أساس مستقيم ، وما يدعيه من الكشف والالهام فى موضوع وحدة الوجود ماهو إلا زيف وأباطيل •

ويهاجم العلامة إبن تيمية(رحمه الله)إبن عربى وأعوانه وأتباعه وينقدهم نقداً شديداً ، ويضعهم فى مصاف الزنادقة المتشبهين بالعارفين أتباع فرعون والقرامطة الباطنيين • (الرد على ابن عربي)

لأن أهل الكذب – كما يخبرنا القرآن الكريم – ينزل عليهم الوحى أيضاً بواسطة الشياطين ، كما قال تعالى:﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (٢) ، ولأن إبن عربى بهذا القول–أى وحدة الوجود – يهدم مبادئ الإسلام ويعطل إرادة الإنسان ويوقف تفكيره ويمنع التفرقة بين الخير والشر والتمييزبين الثواب والعقاب ، فماذا

---

(١) ابن عربى : فصوص الحكم ، ص ٨٣ •

(٢) الأنعام : ١٢١ •

بقى من إسلامه ودينه من قال هذا القول،وإن مسألةوحـــدة الوجود تدور حول فكرة أن الوجود واحد ، ومن ثم فـإن عبـادة قوم موسى للعجل ، هى عبادة لله تعالى أيضاً ، وهكذا يساوى بين عبادة الأصنام وعبادة الله تعالى .

ويحتج القائلون على وحدة الوجود بقوله تعالى:﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾(١) ، فأجاب إبن تيمية رحمه الله على قولهم : بأن لفظ " مع " لا يقتضى فى لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر ، كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ ﴾(٣) .

ولفظ " مع " جاءت فى القرآن عامة وخاصة ، فالعامة فى آية المجادلة ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ ، إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم ولهذا قال إبن عباس ، والضحاك وسفيان الثورى وأحمد بن حنبل : هو معهم بعلم .

---

(١) الحديد : ٤

(٢) التوبة : ١١٩ .

(٣) الفتح : ٢٩ .

(٤) المجادلة : ٧ .

وأما المعية الخاصة ففى قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (١) ، وقوله تعالى لموسى:﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (٣) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه ، فاللّه تعالى مع موسى وهارون دون فرعون ، ومع محمد صلى الله عليه وسلم دون أبى جهل وغيره من أعدائه ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين ، فلو كان معنى المعية أنه بذاته فى كل مكان تناقض الخبر الخاص والخبر العام ،بل المعنى انه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك، فهو سبحانه مع الخلق بالعلم والقدرة والسلطان ، ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد (٤)٠

هناك فرق بائن بين الخالق والمخلوق فلا يمكن الاتحاد والتوافق بينهما فشتان مابين الخالق وبين مخلوقه ، وقد حصر الإمام إبن تيمية الفروق بينهما حيث يقول :

١ - إنه سبحانه وتعالى أغنى بنفسه عما سواه ، فالله تعالى ليس مفتقراً إلى غيره بينما تحتاج المخلوقات إلى غيرها حاجة ضرورية ٠

٢ - إنه سبحانه يحب الأعمال الصالحة وتوبة المذنبين ، لكنه تعالى

---

(١) النحل : ١٢٨ ٠

(٢) طـه : ٤٦ ٠

(٣) التوبة : ٤٠ ٠

(٤) إبن تيمية : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ٩٦ بيروت ١٤٠١ هـ ٠

هو الذى يخلقها وييسرها ، فلم يحصل ما يحبه ويرضاه إلا بقدرته ومشيئته ، وقد يحصل المخلوق على ما يحبه ولكن بفعل غيره •

٣ - إنه سبحانه وتعالى أمر عباده بما يصلحهم وبما فيه خيرهم ونهاهم عما يفسدهم ومافيه ضررهم ، أما المخلوق فإنه يأمر غيره بما يحتاج إليه هو وينهاه بخلا عليه •

٤ - إنه سبحانه أنعم على البشر بالرسل والكتب السماوية ، كما أنعم عليهم بالحواس وبالقدرة وبكل ما يحصل به العلم والعمل الصالح ، وهو الذى أنعم عليهم بالهداية ، فلا حول ولا قوة إلا به ، أما المخلوق فلا يقدر على شئ من ذلك

٥ - إنه سبحانه وتعالى أنعم على عبادة بنعم لاتحصى،وأن مايقوم به المخلوق من عبادة لايقوم بشكر قليل منها ، فكيف والعبادة من نعمته أيضاً•

من هنا كان تقصير العباد وإحتياجهم إلى عفو الله ومغفرته حتى يدخلوا الجنة ، لهذا فقد ضل كل من ظن أنه يدخل الجنة بعمله ولا يحتاج إلى مغفرة الله لقوله صلى الله عليه وسلم "لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ قَالُوا وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِىَ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ"(١) •

فجماهير المسلمين يميزون بين الخالق والمخلوق ، ويعتبرون الخلق

---

(١) ابن تيمية : قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة ص ٥٩ - ٦٠ ، المكتب الإسلامي بيروت ١٩٧٠ م •

فعل الخالق ،والمخلوق مفعوله " فقد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن " (١) .

إلى جانب هذا فإن لعقيدة وحدة الوجود مفاسد كثيرة تترتب عليها ، وأهمها :

أولاً : إبطال كل مافى الأديان السماوية وتكذيبها ، إذ أن الأديان السماوية كلها تدعو إلى عبادة الله تعالى بصورة بسيطة تتقبلها العقول ، أما القائلون بوحدة الوجود فلا عبادة عندهم ولا طاعة لأنهم من سيعبدون وإلى من سيتوجهون بالطاعة والعبادة ، فإن عبدوا فإنهم فى الحقيقة لايعتبرون غير ذاتهم ، والإله لايكلف بشئ ولا يفرض عليه شئ .

ثانياً : إبطال التكاليف الشرعية المتضمنة بالأوامر والنواهي التى هى مناط الثواب والعقاب ، ولاشك فى ضلال هذا القول وبطلانه لأنه يتصادم مع الشرائع التى أنزلها الله تبارك وتعالى .

ثالثاً :وقد تولدت عن عقيدة وحدة الوجود عقيدة خطيرة جداً وهى وحدة الأديان ، وهذه العقيدة تصوب كل الآديان قديماً وحديثاً سماوياً وغير سماوى ومؤلفاته فى هذا الباب واسعة لايحتاج إلى البيان ، وعند ملاحظة كلامه

---

(١) ابن تيمية : فتاوى ٢٣٠/٦ .

المنثور والمنظوم نجد أنه يعاتب نفسه عندما كان يؤمن ويعتقد بدين واحد ويكفى عما سواه من الأديان ، أما أنه فيما بعد صار قلبه قابلاً لأى دين بأى صورة كانت •

وقضية وحدة الوجود أصابت الأمة الإسلامية فى العالم بصفة عامة ومسلمى شبه القارة الهندية بصفة خاصة ،فالآلاف منهم يعتقدون بصحتها ويحبذون توسيعها ، وتجد جمعاً غفيراً من العلماء المسلمين والحاذقين فى العلوم الشرعية خدموا تلك العقيدة بترجمة كتاب إبن عربى وشرحه مفصلاً ومبسطاً وهم بذلك يشعرون بالسعادة ويترقبون الأجرفى الدنيا والاخرة (١)•

---

(١) للمزيد من الاطلاع على ذلك راجع الملحقات فى آخر الرسالة •

الحلول والإتحاد عند المتصوفة :

تطورت فكرة وحدة الوجود لفكرتى الحلول والاتحاد ، لأن الذات الإلهية إذا كانت تقبل الحلول فى الخلق أو الاتحاد معهم ، فليس هناك مايمنع أن يكون هذا الحلول والاتحاد فى جميع الكون ، بحيث لايكون شئ من هذا الكون الله ، بحيث " إن الحقيقة الوجودية واحدة فى الذات ، وهى متكثرة بصفاتها وأسمائها لاتعدد فيها إلا بالاعتبارات والنسب والاضافات ، فإذا نظرنا إلى الحقيقة الوجودية من حيث هى ذاتها قلنا هى " الحق " وإذا نظرنا إليها من حيث صفاتها وأسمائها أو من حيث ظهورها فى المخلوقات قلنا هى الخلق والعالم ، فهى الحق والخلق الواحد والكثير ، القديم والحادث ، الأول والآخر ، الظاهر والباطن ، وغيرذلك من التناقضات (١)٠

إذا فهذا العالم بكل مافيه هو التجلى الإلهى الدائم الذى كان ولايزال، فالموجود واحد هو الله تعالى عين المخلوقات ،فكل شئ هو الله واختلاف الموجودات هو إختلاف الصور والصفات مع الوحدة فى الذات ، وهذا ما تعنيه مفهوم وحدة الوجود ، ولكى نتعرف على هذه الفكرة ، كان من الضرورى أن نتحدث عن معانى الحلول والاتحاد وموقف الصوفية منهما ٠

---

(١) د: محمد جلال شرف : دراسات فى التصوف الإسلامى ص٤٣٨، دار الطباعة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٧٢م ٠

قال الصوفى الحلاج (١) :

" من هذب نفسه بالطاعة ، وصبر على اللذات والشهوات إرتقى إلى مقام المقربين ، ثم لايزال يصفو ويرتقى فى درجات المصافات حتى يصفو عن البشرية ، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ ، حل فيه روح الإله الذى حل فى عيسى بن مريم ، ولم يرد حينئذ شيئاً إلا كان كما أراد وكان جميع فعله فعل الله (٢)٠

ويقول أيضاً :

مزجت روحك فى روحى كما — تمزج الخمر فى الماء الزلال

فإذا أمسك شئ مسنى — فإذا أنت أنا فى كل حال (٣)

---

(١) الحلاج :أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج ،اختلف فى أصله فقيل إنه من أصل عربى يتصل بأبى أيوب الأنصارى الصحابى الجليل رضى الله عنه ، وقيل إنه حفيد مجوسى من أهل فارس يرجع أصله إلى مدينة البيضاء بفارس ، وقيل إنه من خراسان ، وقيل من نيسابور ، حفظ القرآن وهو فى سن العاشر وأظهر ذكاء خارقاً ، تردد على قلة ، وصحب جماعة من الصوفية كالجنيد وعمرو المكى ، واتصل بالشبلى وسهل بن عبدالله التسترى،اعتقد الحلول وقيل:ادعى النبوة ثم ادعى الألوهية والربوبية ، صرح بحلول اللاهوت فى الناسوت ، قتل مصلوباً فى بغداد بأمر الخليفة المقتدر بالله سنة ٣٠٩ هـ (راجع : طبقات الصوفية للسلمى ص٣٠٧ - ٣١١ ، طبقات الأولياء لإبن الملقن ص ١٧٨ - ١٨٨) ٠

(٢) عبد القادر طاهر البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٨٢، دار المعرفة ، بيروت ٠

(٣) د / عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية فى الإسم ص٣٥٨،دار الفكر العربى١٩٦٦م٠

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحـــان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصـــرتـــه   وإذا أبصرته أبصرتنا(١)

وقال فريد الدين عطار : فى معنى الحلول " أقول لك السر اعلـم يـاأخى النقش هو النقاش ، أنا الحق ، أنا الله " (٢)٠

قـــال الشـــاذلى : " الحلـــول هـــو ظهـــور تجلـــى الحقيقـــة الإلهيـــة ، إذا تجلى للحقيقة الإنسـانية محـا منهـا ثانويـة الناسـوت وأثبتـت فيهـا فردانيـة اللاهوت " (٣) ٠

أما الاتحاد فهناك أقوال لبعض الصوفية منها :

قال النقرى : انتقب بى كما انتقب بك ، تسرى إلى كل عين فـلا تـرى عندك وتسرى إليك ، فإذا أسرت فلا ترى عندك سواى ٠

قال أبويزيد البسطامى : للخلق أحوال ، ولا حال للعارف ، لأنـه محيت رسومه وفنيت هويته بهوية غيره ، وغيبت آثاره بآثار غيره (٤)٠

(١) د/ عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية فى الإسم ص٣٥٨،دار الفكرالعربى١٩٦٦م٠

(٢) جمال الدين الشاذلى : قوانين حكم الاشراق ص ١٦ مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ط١ ، ١٩٦١م ٠

(٣) محمد عبد الجبار النقرى : كتاب المواقف وكتاب المخاطبات ص٥، مكتبة الخانجى ، القاهرة ط١ ، ص ١٩٥١ ٠

(٤) القشيرى : الرسالة القشيرية ٤١ ٠

وروى عن أبييزيد البسطامى : حيث يقول :

رفع بى مرة حتى قمت بين يديه، فقال : أبا يزيد ،إن خلقي يحبون أن يروك ، قلت : ياعزيزى وأنا أحب أن يرونى ، فقال :يا أبايزيد إنى أريد أن أريكهم ، فقلت : يا عزيزى ! إن كانو يحبون أن يرونى وأنت تريد ذلك وأنا لاأقدر على مخالفتك ، قربنى بوحدانيتك ، والبسنى ربانيتك ، وارفعنى إلى أحديتك ، حتى إذا رآنى خلقك ، قالوا : رأيناك •••فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ، ففعل بى ذلك فأقامنى وزينى ورفعنى ، ثم قال : اخرج إلى خلقى فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق خارجاً، فلما كان من الخطوة الثانية غشى على نادانى ردوا حبيبى ، فإنه لايصبر عنى ساعة "(١) •

وروى إبن الجوزى عنه مقولته أيضاً : " سبحانى ! ما أعظم سلطانى ، ليس مثلى فى السماء يوجد، ولا مثلى صفة فى الأرض تعرف وأنا هو وهو أنا وهو هو " •

هناك إتجاهان فى تحديد معنى الحلول والاتحاد :

الاتجاه الأول : خلط بين الحلول والاتحاد وجعلهما مترادفين ، بحيث أصبح الفرق بينهما لفظياً ، لأن كلاً منهما لايتحقق إلا إذا اتصفت الذات الإنسانية بالصفات الإلهية بعد تجردها من الصفات البشرية ، وبذا تصبح الذاتان ذاتاً واحدة ، كما قال هاشم معروف الحسينى : " الاتحاد يعنى اتحاده

---

(١) إبن الجوزى : تلبيس إبليس ص ٣٤٥ - ٣٤٦ •

مع شئ آخربنحو يصبح الإثنان شيئاً واحداً "(١) وهذا الرأى يشبه رأى الحلاج لمعنى الحلول •

الاتجاه الثانى:فرق بين معنى كل من الحلول والاتحاد،وقال بتغايرهما •

فالحلول: هو حلول الذات الإلهية فى أجساد طائفة مختارة من البشر وامتزاجها بها بحيث تصبح ذاتان ، ذاتاً واحدة •

وأما الإتحاد : فهو اتحاد الخالق والمخلوق مع احتفاظ كل منهما باستقلالية ذاته ، بحيث يبقى الخالق خالقاً، والمخلوق مخلوقاً، فيكون الاتحاد بهذا المعنى والمفهوم معنوياً روحياً لا حقيقياً جسدياً •

هذا مفهوم الحلول والاتحاد لدى الصوفية ، استمدوه من الديانات اليهودية والنصرانية و المجوسية والهندية والفلسفة اليونانية والرافضة ، ومزجوها بالعقائد الإسلامية ، ومما لاشك فيه أن هذه الفكرة ، مخالفة لعقيدة الإسلام الصحيحة ، " وقد حكم العلامة أبو منصور عبدالقاهر على قائلها بالكفر والإلحاد ، وقال : بأن الهدف من هذه العقيدة إفساد عقيدة المسلمين بالتوحيد ، كما أفتى فقهاء الشريعة فى زمن المقتدر بالله بإباحة دم الحلاج "•(٢) •

---

(١) هاشم معروف الحسينى : بين التصوف والتشيع ص٨٤ •
وراجع سميح عاطف : الصوفية فى نظر الإسلام : ص ١١٩ •

(٢) محمد بن عبدالوهاب : كتاب التوحيد • تعليق : الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ ص٨ط٣ ١٤٠٨ هـ •

وعقيدة الحلول والاتحاد تعارض عقيدة التوحيد للّه عزوجل ، وآيات القرآن ونصوص الحديث فى التوحيد كثيرة وأجلى من وضوح الشمس ، فقال الله تعالى : " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً " (١) ٠

هذه الآية وأمثالها تبين أن العبادة يجب أن تكون خالصة لله تعالى، فإن سبحانه قرن الأمر بالعبادة التى فرضها بالنهى عن الشرك الذى حرمه وهو الشرك فى العبادة فدلت الآية على أن إجتناب الشرك ، شرط فى صحة العبادة ، فلا تصح بدونه أبداً ٠

---

(١) النساء : ٣٦ ٠

الفصل الثانى

فى

الطرق الصوفية فى بنغلاديش

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : الطـــــــــرق المشهـــــــورة

المبحث الثانى : أهم الطرق التى تتواجد فى البلاد

المبحث الثالث : الطـــــــــرق غير المشهـــــــورة

* * * * * * * *

* *

المبحث الأول

فى

الطرق المشهورة

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول : معنى الطريقة

المطلب الثاني : ظهور الطريقة

المطلب الثالث : مقام الشيخ فى الطرق

المبحث الثاني

في

أهم الطرق التي تتواجد في البنغال

ويشتمل على اربعة مطالب

المطلب الأول : الطريقة السهروردية

المطلب الثاني : الطريقة الجشتية

المطلب الثالث : الطريقة القادرية

المطلب الرابع : الطريقة النقشبندية

* * * * * * *

* *

المبحث الثالث

في

الطرق غير المشهورة

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول : القلنـــدريـــــة

المطلب الثاني : الأدهميـــــــــة

المطلب الثالث : التعليق على الطرق الصوفية

المبحث الأول

في

معنى الطريقة

من الأمور التى شغلت الأمة الإسلامية اليوم ،الصوفية والطرق التى يسلكونها ، فاصبحت هذه البدعة شائعة فى المجتمع ، فما من بلد من البلدان ومنطقة من المناطق فى العالم الإسلامى إلا وهى مصابة بهذا المرض ، وهذه الظاهرة ما كان لها وجود فى القرون الأولى من الإسلام ، بل هى مستوردة من أعداء الإسلام ، وهذه الطرق التى من مظاهرها المراقبة وحلقات الذكر الخاصة بالقوم والاحتفالات بما يسمى الدينية وغيرها التى تعم البلاد ، وضعها الأغيار لصرف المسلمين عن متابعة الشريعة الإسلامية ، ولئن قلنا إن الطرق التى يهتم بها المتصوفة فى أحيان كثيرة تخدم الإستعمار وأصحاب الأهواء والمناصب فى الدول المستعمرة ، فلسنا بمبالغين ، إذ أنه فى معظم تلك الدول الإسلامية كان موقف الصوفية فى مواجهة الإستعمار مشيناً، وكان موقفهم فى مواجهة الاستعمار الصمت فقد قعدوا من اتخاذ التدابير لإنقاذ المسلمين من الانحطاط والانحلال فكرياً وخلقياً وعقائدياً واجتماعياً،ومن صور ذلك يحكى أنه كان لأحد مساجد القاهرة خطيباً وكان موضوع الخطبة الحكم الجائر(الاستعمار) والأوضاع الفاسدة وسكوت الرأى العام الذى تخلف عن واجبه ، وبعد أن إنتهى من صلاته أتى إليه شيخ ... وأخذ – فى أسلوب لين – يعترض موضوع الخطبة وهو يقول: ما علينا إلا أن نسلم بكل وضع ، لأن مشيئة الله تقتضى ذلك ، وليس فى الإمكان

أبدع مما كان " دع الملك للمالك والخلق للخالق والدين للديان "(١) •

هناك شواهد أخرى لمواقفهم فى البلدان الإسلامية نجدها فى كتب التاريخ،كموقفهم من الاستعمار الإنجليزى ، وقبل ذلك فى العهد المغولى كان نفس الموقف الذى كان فى مصر والدول الإفريقية ، أما ما حدث فى تركيا عند سقوط الخلافة الإسلامية بأيدى العلمانيين فليس عنا ببعيد •

قال الجرجانى : " الطريق هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب ، والطريقة معناها هى السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقى فى المقامات "(٢)،فهى أسلوب خاص بالسالك ينفرد عن غيره من الجماعة الصوفية ، بحيث إنه يلزم المتابعة لصاحبهافى السلوك من الذكر والمراقبة والمجاهدات الروحية وتزكية النفس ، فلكل من أهل الطريقة أسلوب يجب الاتباع والالتزام به وعدم التعدى منه حتى لايلزم له الخروج على الشيخ •

يقول إبن خلدون فى مقدمته : وصار علم التصوف فى الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط ، وكانت أحكامها إنما تتلقى من صدور الرجال كما وقع فى سائر العلوم التى دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك ،ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر

---

(١) محمد فهر شقفه : التصوف بين الحق والباطل (الهامش) ص٢٣٥ •

(٢) الجرجانى : التعريفات ص٧٥ ، الدار التونسية للنشر ١٩٧١ م •

يتبعها غالباً كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله ، ليس لصاحب الحس شئ منها " ثم يقول إبن خلدون " ثم إن قوماً من المتأخرين انصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب والمدارك التى وراءه ، واختلفت طرق الرياضة عنهم فى ذلك بإختلاف تعليمهم فى إماتة القوى الحسية وتغذية الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس إدراكها الذى لها من ذاتها بتمام نشوتهاوتغذيتها،فإذاحصل ذلك زعموا أن الوجودقدإنحصرفى مداركهاحينئذوأنهم كشفوا ذوات الوجود،وتصوروا حقائقها كلها من العرش إلى الطش"(١)٠

وبما أن أعمال الصوفية تتعلق بالقلب والباطن للوصول إلى معرفة الله وإدراك حقيقته وأسراره ، ولأجل الحصول على الهدف المطلوب " فإنهم وضعوا قواعد وتعاليم خاصة يتميزون بها عن غيرهم ، وهذا فى إصطلاح الصوفية يسمى " الطريقة " أو " الخانوادة "أو" السلسلة "مثل شجرة الأنساب، وهذه الطريقة عبارة عن سلاسل الشيوخ الصوفية والتى تنتهى إلى علي رضى الله عنه ومن ثم إلى النبى صلى الله عليه وسلم (٢) ٠

ويقول الصوفية : إن الطريق الموصل إلى الله تعالى نوعان :

النوع الأول : ماجاء بالوحى بواسطة النبى أو الرسول ٠

---

(١) إبن خلدون : المقدمة ص ٤٦٩ ، مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ، بيروت ، بدون تاريخ٠

(٢) د/ شورى شمس الرحمن : حقائق عن أسرار التصوف ص ٨٤ جمعية الابحاث الإسلامية الباكستانية ط١، ١٩٧٠م دكا ٠

النوع الثانى: ما يأخذه الأولياء بواسطة الالهام أو الكشف (١)٠

يدعى الصوفيـة أن مشـائخ الطـرق يتلقـون تعليمـاتهم مباشـرة أو إشـارة من الرسول (ﷺ)ولهذا السبب فهم يحبذون أصالة نسبتهم إلـى الرسـول(ﷺ) ، ثم إن طريقتهم تنصب إلى علي (رضي الله عنه) قبل إنتهائها إلى الرسـول (ﷺ) ، ماعدا البكتاشية والنقشبندية والبسطامية ، وهذه الطرق تنصب إلـى أبـى بكـر الصديق(رضي الله عنه) وهؤلاء يفضلون علياً(رضي الله عنه) لكونه أعلـى مرتبـة فـى العلـم والحكمة ، وقد حصل عليها من الرسول (ﷺ) " بقوله (ﷺ): أنا مدينة العلـم وعلي بابها " (٢)٠

ولذلك يقـول علـي الهجويـرى فـى شـأن علـي (رضي الله عنه) بأنـه كـان أعلـى مرتبة وأفضل مكانة على سائر الصحابة ، وهذه الفكرة معارضه لرأى أهـل السـنة والجماعـة ،لأن أفضـل الصحابـة بعـد رسـول اللـه (ﷺ)أبـو بكـر الصديق(رضي الله عنه)، ولكـن الشـيعة الإماميـة والباطنيـة يفضلـون عليـاً(رضي الله عنه) علـى الجميـع ، يقـول صـاحب الطحاويـة " ونثبـت الخلافـة بعد رسـول اللـه (ﷺ)أولاً لأبـى بكـر الصديـق (رضي الله عنه)تفضيـلاًله، وتقديمـاً علـى جميـع الأمـة ،أمـا الرافضـة فيقدمـون عليـا(رضي الله عنه)

---

(١) الشاه ولى الله : التفهيمات الإلهة ٢٨/٢ ، المجلس العلمى دهابيل ، الهند ١٩٦٣م ٠

(٢) وهذا الحديث موضوع ، ذكره إبن الجوزى القرشى فى الموضوعات ، راجع إبـن الجوزى القرشى الموضوعات ج٣ص٣٥٤ ، دار الفكر ، بيروت ج١، ١٩٦٦ م ٠

علىأبى بكرالصديق وعمروعثمان بل التبرؤ من هؤلاءالثلاث أمرواجب (١) ونحن لا نتبرأ من أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين •

ونستطيع الجزم على أن هناك إرتباط وثيق بين التصوف والشيعة فى أخذ نظام الطريقة والاهتمام بها " فالشيعة يرون أنه ليس أفضل من علي بن أبى طالب ، وهم يدعون أن علياً فى مذهبهم صاحب السلطة الروحية والزمنية في وقت واحد بعد النبى(ﷺ) وهوكذلك عند الصوفية فجل الطرق الصوفية تعود فى إنتسابها إليه ، فهو بناء على ذلك الرئيس الروحى بعد النبى صلى الله عليه وسلم،والحديث الذى يدعونه " أنا مدينة العلم وعلي بابها " الذى يشير اشارة مباشرة إلى دور علي(رضي الله عنه) فى الباطنية الإسلامية مقبول لدى الشيعة والسنة والصوفية (والقصد منها الصوفية)(٢) •

وقد إتضح من النص أن الصوفية يستندون على أفكار التشيع فى مذهبهم وبملازمة الشيوخ وقولهم بالطرق بالذات ، مما هو مخالف صريح لمسلك أهل السنة و الجماعة •

وهناك شخصية أخرى تحتل مكانة مرموقة بعد علي (رضي الله عنه)

---

(١) على بن أبى المعز : شرح العقيدة الطحاوية ص٣٦٠ ، مطبعة العاصمة •

(٢) للتفصيل انظر : د/ سيد حسين نصر ، كمال خليل اليازجى ، الصوفية بين الأمس واليوم ، ص ١٢٦ •

يوصل الصوفية شجرتهم إليها وهى الحسن البصرى (رضي الله عنه) (١) وإن الطرق المعروفة فى أوساط الصوفية تشعبت من الإمام الحسن البصرى وتلميذيه ، أحدهما المسمى: خواجه عبد الوحيد بن زيد والثانى: حبيب الأعظمى ، ولكل منهما طريقة ، الطريقة الزيدية والطريقة الحبيبية ، وتفرعت من الزيدية أربع طرق ومن الحبيبية ثمانى طرق (٢)٠

هناك رأى آخر فى أول من قال بالطريقة ، فقالوا: إن معروف الكرخى أول من شرع فى التصوف طريقة كما كان أول قائل بالولاية ، وهو الصحيح والمرجح (٣)، ومعروف الكرخى هذاكان تلميذا للإمام علىالرضا ومولاه٠

يقول الحاج معصوم على : إن معروف أخذعن حضرة إمام العالمين وقطب دائرة الامكان على الرضا الغيض،ومنه تعلم الطريقة وعنه تسلم منصب مشيخة المشايخ ٠

يقول الدكتور الشيبى : فالإمام على الرضا قدسلم الطريقة إلى معروف الكرخى وإختص بها فانتقل القسم الباطن من العقيدة وتأويل النصوص إلى المعروف والمتصوفة (٤) ، ويتضح بهذا أن سلاسل سند التصوف يلتقى مع دائرة الشيعة من هذا الرجل وكان قبره أقدم مقام صوفى يزوره الناس،ويتبركون به، يقول القشيرى:قبرمعروف ترياق مجرب (٥)٠

---

(١) د/ شمس الرحمن شودرى : حقائق عن أسرار التصوف ص٨٣ ٠

(٢) نفس المصدر والمرجع ٠

(٣) د/ كامل الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ١٤٢/١ ٠

(٤) نفس المصدر والمرجع ٠

(٥) القشيرى ٦٥/١ ٠

المبحث الثانى

فى

ظهور الطرق عند الصوفية

يرى بعض الناس أن ظهورها كان فى القرن الحادى عشر الميلادى ، " وأن أول من وضع نظام الطرق هو الصوفى الإيرانى محمد أحمد المهمى(المتوفى سنة ٤٣٠ هـ) والمعروف بإسم أبو سعيد ، فقد أقام فى بلدته نظاماً للدراويش وبنى خاناً بجوار منزله للصوفية ، وجعل نظام تسلسل الطريق عن طريق الوراثة " (١)٠

وفى هذا القرن إنتشرت الطرق وتشعبت منها طرق عديدة ، ولكن الحقيقة التى يميل إليها معظم الصوفية أن ظهورها والتفرع فيها حصل قبل القرن الحادى عشر وحصول ذلك ليس صدفة بل تدريجياً حسب تطور المذهب ونشأته ، يقول الأستاذ مكدونالد فى كتابه " ثيولوجيا ":كان المسلمون فى أوائل العصر يعيشون فى خشية من عذاب الله تعالى بزعمهم أن الدنيا دنيئة ورذيلة ، وأصل الحياة للإنسان فى الآخرة ، فتركوا الدنيا وفضلوا الآخرة عليها ، ومن أجل الحصول عليها لجؤوا إلى العزلة فى الغابات والأماكن المهجورة والزوايا ، وذلك خشية من الدنيا وملابساتها ، وبدأ

---

(١) عبد الرحمن عبد الخالق : الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة ص٣٤٩ ، مكتبة ابن تيمية ، الكويت ط٣، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م ٠

الصغار يلتفون حول كبار الصوفية ، ليتلقوا منهم الوعظ والارشاد ، فافترق هؤلاء الشيوخ وافترق معهم تلاميذهم بطوائف ، ولكل منهم طريقة خاصة تتميز عن غيرها ، وأول ماظهر عند القوم الطريقة الجنيدية (١) ، والكرخية(٢) والسقطية (٣) وكان ذلك قبل القرن الحادى عشر الميلادى تقريباً وقبل الخامس الهجرى تقريباً ببضع سنين (٤)٠

وقد إنتشرت وتوسعت الطرق الصوفية فى أنحاء العالم٠

المبحث الثالث
فى
مقام الشيخ لدى الصوفية وسلطته

وعند الحديث عن الطرق الصوفية كان لا بد من الحديث عن مقام الشيخ وسلطته لدى الجماعة الصوفية ، لما له من علاقة وطيدة بالموضوع ، ولذلك نقول:إن للصوفية فى تصور الشيخ "مقام كبير" وهو المقام الذى لايكون فوقه مقام ، ربما يجعلونه فوق مقام النبوة إن لم أكن مبالغاً، ويزعم المريد

---

(١) نسبة إلى : الجنيد البغدادى (توفى ٩٧٠ م) ٠

(٢) نسبة إلى : معروف الكرخى (توفى ٨١٥م) ٠

(٣) نسبة إلى : حسن سرى سقطى (توفى ٨٦٧ م)٠

(٤) انظر : د/ شمس الرحمن شودرى ، حقائق عن أسرار التصوف ص ٨٤ ٠

أنه من الواجب عليه أن يعتقد للشيخ سلطة مطلقة على كل شؤون المريد ، وله حرية كاملة للتصرف في أمور تتعلق به ، فلا يجوز للمريد أن يتصرف بنفسه في أمر من الأمور إلا إذا أذن له الشيخ في ذلك ، حتى إن التحركات والسكون والتفكير والقصد والإرادة محظور مالم يوافق عليها الشيخ ، كما يجب أن يكون هواه تبعاً لما جاء به الشيخ ، معتقداً بأن له الفضل العظيم عند الله سبحانه وتعالى بسبب مايحصل له من العلم الباطني واللدنى ، وبهذا الكمال ربما يصل إلى الله تعالى تقرباً ، ثم إنه يوصل الآخرين من المريدين له إليه سبحانه وتعالى ، بل على الأقل يكون في دور الواسطة بين المريد وبين الله تعالى ، كما يزعمون أن مجرد العلم الشرعى غير كاف لهذا الاتصال ، بل لابد من اللزوم بالشيخ وجعله واسطة بين المريد وبين الرب (والعياذ بالله) لكونه معاوناً للقاء والقربى والشوق ، كذلك من الضرورى للمريد مصاحبة شيخه وملازمته دائماً ، وهذا عند بعض الناس فرض ، لوجود فوائد كثيرة فيها من تطوير الروح وتزكية النفوس التى بسببها يصل السالك إلى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، قال على الهجويرى: " ملازمة الشيخ ومصاحبته فرض على المريد(١) ، وقال أبو طالب المكى: " لابد من مجالسة عالم بالله ، وعلامة ذلك ايثاره على ماسواه(٢) فمن لم يلتزم بالمصاحبة كاد أن يقع فى إغـــواء الشياطين ويضل عن السبيل المستقيم ،

---

(١) على الهجويرى : كشف المحجوب ص ٢٩٠ (فارسى) لاهور ١٩٧٨ م ٠

(٢) ابو طالب المكى : قوت القلوب ١٤١/١ ٠

ومن ثم يعد من عبدة النفس ، فلاينال النجاح والسعادة قطعاً (١) وقال الغزالي: " فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لامحالة (٢) ، ومن الشروط التي وضعها الصوفية للمريدين أن يتخلى عن جميع العلوم إن كان عالماً بعلم ما حتى يكون قلبه صافياً منها ، ثم يستجيب لما يقوله الشيخ ، فتصور الشيخ بدون ذلك يكون إثماً عظيماً ، ولذلك يقول الجنيد: المريد المخلص من كان مجرداً من العلم الذي يتلقاه من العلماء (٣) وذكر السهروردي في كتابه المعروف العوارف آداب المريد مع الشيخ فيقول:"ومن أدب المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لايتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره (٤) كذلك ينبغي للمريد الالتزام بالسكوت والخمود والجمود (٥) وكلما أشكل عليه شئ من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام (٦) وهناك آداب أخرى اخترعوها بغير ماأنزل الله ، فمن شاء أن يطلع عليها فليراجع الكتاب (٧)٠

---

(١) انظر : القشيري : الرسالة القشيرية ص ٢٣٨ ٠

(٢) ابو حامد الغزالي : احياء علوم الدين ج ٣ص٦٥ د ١٣٣٤هـ القاهرة ٠

(٣) راجع : الرسالة القشيرية بتصرف ص ١٢١ ٠

(٤) عبد القاهر بن عبدالله السهروردي : عوارف المعارف ص٤٠٣ ، دار الكتاب العربي بيروت ٠

(٥) نفس المرجع ص ٤٠٥ ٠

(٦) نفس المرجع ص ٤٠٩ ٠

(٧) عوارف المعارف (الباب الحادي والخمسون) ص٤٠٣ - ٤١٤ ٠

يقول الصوفية: إن من حق شيخ الطريقة أن يكون نائباً للرسول كما ورد فى كشف المحجوب " الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته " (١) ومن هنا يدعون أن البيعة فى يد الشيخ نيابة من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تهافتهم على المريد النطق بالشهادة عند البيعة وإستبدال كلمة " محمد رسول الله " باسم الشيخ الذى يأخذها عنده ، كما فعل الصوفى " شبلى " لحق المريدين له بأن يذكر اسمه عند النطق بالشهادة (٢)٠

ويقال: إن معين الدين جشتي وافق لأحد مريديه على البيعة حينما نطق بالشهادة أن لاإله إلاّ الله جشتى رسول الله (٣) وهم يزعمون أن المريد حينما ينطق بها تتجلى أمامه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدث ذلك فى واقعة شبلى فى حق المريد ، ويذكر أن أحد مريدى الشيخ أشرف على تهانوى ، يذكر فى رسالة بعث بها إليه الحلم الذى رآه ، بأنه مهما يحاول النطق بالشهادة ينطق فى لسانه بعد كلمة " لااله إلا الله "بأشرف على رسول الله (٤) فيرده الشيخ تهانوى ، أن مارأيته فى المنام لايدل إلا على عمق المحبة بى ونتائجها ٠

---

(١) الهجويرى : كشف المحجوب ص ٤٦ ٠

(٢) فريد الدين غنج شكر : فوائد السالكين ص٢٣، دلهى ١٣١٠هـ ٠

(٣) نفس المصدر والصفحة ٠

(٤) مجلة البرهان (اردو) فبراير ١٩٥٢ م ص٧ ٠

هذا ما حدث فى المنام وتعبير الشيخ له ، وأما فى اليقظة فإن ذلك المريد لما أراد أن يقرأ الصلاة على النبى صلىالله عليه وسلم فيسبق على لسانه اللهم صل على سيدنا ونبينا ومولانا أشرف على مرتجلاً دون قصد.

وعندما سمع ذلك قال الشيخ تهانوى وهو يسليه: إن ذلك يدل على أنك تحب إتباع السنة (١) فماذا بعد الحق إلا الضلال .

(١) مجلة " رسالة تهانهبهون " شوال ١٣٣٥ ص ٣٤ دلهى .

المبحث الثانى

فى

أهم الطرق التى تتواجد فى البنغال

****

لم تكن منطقة البنغال مكاناً لنشأة التصوف ، والتصوف الموجود فيها اليوم تسرب إليها بأيدى الصوفية الموجودين فى شمال الهند القادمين معظمهم من الفرس - كما أسلفنا - ففى القرن الثالث عشر الميلادى بدأ تدفقهم منها نحو المنطقة ، فى حين كانت البلاد تحت إمارة المسلمين الأتراك وسرعان ماإنتشروا فى سائر أقطار البنغال ، وصارت ضفتى نهر " الكنكا " الذى يشق طريقه بين شطرى البنغال الغربى والشرقى مكتظة بهؤلاء الوافدين من الصوفية ، ولم تبق إمارة الاتراك فيها سوى بضعة عقود من الزمن ، ولكن آثار التصوف فيها بقيت فى نفوس المواطنين لفترات طويلة .

وقد عرفنا أن التصوف الموجود حالياً فى المنطقة كان وافداً دخلت به جحافل الصوفية بشمال الهند ، وغرسوا فيها قواعده غرساً بحيث لايكاد تمحو آثارها حتى يومنا هذا ، وكان لهؤلاء القوم من الصوفية خططاً لنشر أفكارهم فى المنطقة منذ القرن الثانى عشر الميلادى .

ولكنهم بعد مرور قرن من الزمن نجحوا فى تحقيق خططهم ، وفى تذليل جميع العقبات وإزالة كافة الصعوبات التى كانوا يواجهونها للحيلولة دون

الوصول إلى المنطقة •

وهكذا دخل فى البنغال عدد كبير من الصوفية لنفس الغرض وعلى رأسهم تلاميذ خواجة معين الدين جشتى (١١٤٤-١٢٣٥ م) والشيخ خواجة قطب بختيار كعكى (١١٤٢-١٢٣٦ م) وشيخ فريد الدين شكركنج (١١٧٦-١٢٦٩م) والشيخ نظام الدين ، ويسمونه بشيخ المشايخ (١٢٣٦-١٣٢٥) وشرف الدين المعروف بعلى شاه قلندر (المتوفى ١٣٢٤م) وبديع الدين المعروف بشاه مدار (١٣١٥- ١٤٣٦ م) وشيخ أحمد سرهندى والذى يلقبه أهل الهند من المسلمين بمجدد ألف ثانى (١٥٦٣-١٦٢٤م) وغيرهم من كبارعلماءالتصوف الذين لهم باع طويل فى نشرأفكار التصوف•

والذين زرعوا بذور الطرق بشتى الأنواع والألوان ومعهم مئات الالآف من تلاميذ هؤلاء الذين قضوا حياتهم فى نيل العلوم والمعرفة الصوفية ساعدوهم فى بث التصوف وإشاعته بين المواطنين البنغاليين ، وتلك الطرق بعضها نالت شهرة كبيرة ووصلت إلى مواقع النفوذ فى المجتمع وبعضها اضمحل حتى أضحى من النوادر،محصوراً فى دوائر محدودة ، ونحن بصدد الحديث عن تلك الطرق ومدى نفوذها فى المنطقة فيما يلى :

المطلب الأول
الطريقة السهروردية

****

تنتسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الحقيقى شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردى البغدادى (توفى سنة ٦٣٢هـ الموافق ١٢٣٤م) وجاء فى الموسوعة الميسرة : " كان له مجلس الوعظ والطريقة الصوفية تعرف باسم السهروردية نسبة إليه "(١) وتعد هذه الطريقة ضمن أشهر الطرق الصوفية فى القرن السادس والسابع الهجرى،ويقال: " إن شيخ السهروردى السيد عبد القادر الجيلانى يعتبر هو المؤسس الأول والحقيقى للطرق الصوفية المنظمة بشكلها الجماعىالمتفاعل مع الذكر المجرد القائم على أساس جمع المريدين

---

(١) ولد بسهرورد ونشأ بها إلى أن بلغ تقريباً ستة عشر سنة ، ثم توجه إلى بغدادلنيل العلوم والمعرفة ، وسهرورد كما جاء فى المصادر فهى بلدة قريبة من " زنجان " بالعراق ، تقع على طريق بين همذان وزنجان فى جنوب سلطانية ومن مشائخه عمه أبو النجيب السهروردى (٤٩٠-٥٦٣هـ) وعبد القادر الجيلانى (٤٧١-٥٦١ هـ) شيخ الطريقة القادرية أو الجيلانية ، كما أنه زار أحمد الرافعى فى أم عبيدة ، وكان شاباً ، وبشره بالفتح الناجح والعز ورفعة الجاه ودوام الصيت ، وكان شهاب الدين السهروردى كثير الترحال ، فقد سافر إلى كل من الشام والبصرة ومكة المكرمة وبغداد ، وفى سنة وفاته يختلف المؤرخون ولكن الارجح أنه توفى سنة ٦٣٢ هجرية .
(راجع دكتورة عائشة يوسف المناعى : أبو حفص عمر السهروردى حياته وتصوفه ص٥٤-٦٠، دار الثقافة الدوحة ١٩٩١ م .

وإرتباطهم بشيخ ومرشد (١) وهذه الطريقة توجد فى شبه القارة الهندية وبلدان شرق آسيا وبعض الدول العربية •

ومن المعلومات التى إستقيناها من كتب التاريخ لصوفية البنغال ، تفيدنا أن أول طريقة دخلت المنطقة هى السهروردية •

١ - وأول من جاء بها إلى شبه القارة الهندية هو خواجه بهاء الدين زكريا ملتانى (١١٦٩ - ١٢٦٦ م) ويعدونه مؤسساً لهذه الطريقة فى شبة القارة الهندية (٢) وكان له زميل فى الطريقة اسمه مخدوم جلال الدين تبريزى ، ذهب إلى البنغال وهو يحمل معه السهروردية لنشرها هناك ، وجلال الدين قد سبق له العيش مع بهاء الدين فى مكتان (٣) ثم ذهب إلى دلهى قبل وصوله إلى البنغال ، ثم إنتقل إليها ، وكان قدوم جلال الدين إلى البنغال فى وقت كان " لكهمن شين " الهندوسى حاكماً لها،فلم تمض أيام قلائل إلا وسقطت سلطته عندما استولى عليها المسلمون (٤) وبعد أن وصل

---

(١) جعفر صادق سهيل : عبد القادر الجيلانى ومذهبه الوفى ، رسالة الماجستير بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م ، ونقلته من كتاب عائشة المناعى : ابو حفص عمر السهروردى ص ٢٨ •

(٢) آتيــن أكبرى ، ألفه أبو الفضل أحد وزراء أمبرطور"أكبر"بأمره ، نقله إلى الانجليزية الكاتب الانجليزى اس ام زيريط ٣٦٦/٣ ، وأيضاً راجع : عبد الحى الحسنى الندوى : الثقافة الإسلامية فى الهند ص ١٨٣ ، دمشق ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م •

(٣) مدينة فى بنجاب الباكستانية •

(٤) آئين أكبرى ٣٦٦/٣ •

تبريزى إليها أنشأ فيها أول زاوية للسهروردية،وأنشأ داراً لضيافة النزلاء ليتلقوا منه التعاليم الصوفية ، ويحكى أن الشعب البنغالى قد تأثر بكثير من "كراماته" ومنها أنه هدم كثيراً من المعابد الهندوسية بمجرد الإشارة باليد ، وأنشأ محلها مساجد ومعاهد دينية (١)٠

وكانت دائرة عمله فى مدينة " بندوه " بمحافظة مالده فى إقليم البنغال الغربى (الهند) حيث توفى هناك بعد ذلك وأقيمت على قبره قبة بيضاء ، ولايزال المسلمون المحبون له يزورونها ويعكفون حولها (٢)٠

٢ - مخدوم جهانيان جهان كشت (١٣٠٧-١٣٨٣ م) :

ومن كبار مشائخ السهروردية فى البنغال مخدوم جهانيان جهان كشت (سائح فى العالم) إسمه الأصلى سيد جلال الدين و " جهانيان "إسم مستعار، حتى أصبح معروفاً به دون إسمه جلال الدين ، ويذكر أنه كان ميالاً إلى السياحة والتجوال ، خاصة فى البلدان التى يتمركز فيها التصوف ، وزار منطقة البنغال ، ثم أقام هناك بقية حياته ، إلى أنه فارق الحياة ، ودفن فى مدينة " بندوه " وفى أثناء سافرإلى محافظة "رنكبور" بالجزء الشرقى من البنغال و بعض المناطق الأخرى منها ، وتقديراً لقدومه

---

(١) د/ انعام الحق : أثر التصوف فى البنغال ص ١٠٣ ٠

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة ٠

فإن أهالى المحافظة أنشـأوا مزاراً بمكـان إقامتـه فيهـا ، حيث إنهـم مـازالوا يحتفلـون بمـا يسـمى العـرس (١) ومـن العجيـب أن الرجـل هـذا مدفـون فـى "بندوه" وبينها وبين محافظة رنكبور كالبعد بين المشرق والمغرب •

٣ – شاه جلال المجرد (توفى سنة ١٣٤٦ م) :

هو فى الأصل من اليمن ، ولم يعرف تاريخ ميلاده ، ويذكر أنه نشأ فى اليمن وترعرع هناك ، ثم ذهب إلى البنغال ، ولكن قبل ذهابه هناك أقـام فـى دلهى لفترة قصيرة ، ولما غزا السلطان فيروزشـاه(٢) منطقـة شـرق البنغـال بما فيها مدينة سلهت سنة ١٣٠٣م صاحبه شاه جلال ، وبعد ماعاد السلطان إلى دلهى بقى شاه جلال فى المدينة ، والرحالة إبن بطوطة أثناء رحلتـه إلـى شرق الهند ذهب إلى سلهت لزيارته ، وقبره مازال موجوداً بها ، و معظم أهالى البنغال يعتبرونه مقدساً، يأتون إليه للزيـارة والحصـول علـى البركـة ، وإيفاء النذورهناك ، والاستغاثة به وغير ذلك من الشركيات والبـدع، ويعظـم هـؤلاء الآلاف مـن الحمـام الموجـود حـول قـبره ، حيـث يعتقـدون إنـه حـرام عليهم صيدها، وأكل لحومها،كما أن هناك حيتان فى الحوض المجاور للقـبر، يعتقدون أنها ذات قداسة ، ويجب إحترامها (٣) •

---

(١) فريد الدين عطار : تذكرة أولياء الهند ١٤٧/٢ (اردو) دلهى١٩٦٠ م •

(٢) أحد الملوك فى السلطنة الهندية •

(٣) د/ انعام الحق : أثر التصوف فى البنغال ص ١٠٤ •

الذكر عند السهروردية :

أهمية الذكر : وللذكر عند السهروردية مكانة عظيمة فى طريق الوصول إلى معرفة الله ، وهو أكمل الفضائل وأعظم الوسائل العملية لهذا الطريق •

" وهو ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة فى هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر " (١)•

يذهب السهروردى إلى أن الذكر نوعان : ذكربالجنان وذكر باللسان ، والأفضل عنده الجمع بين الذكرين ، وإذا لزم التخيير بين أحدهما فهو يفضل ذكر القلب •

تلقين الذكر لدى السهروردية :

أهمية تلقين الذكر : من شيخ ناصح ، يقول السهروردية تلقين الذكر تلقين باطن المريد الصادق بنفس الشيخ الصديق ، وإنما يصح هذا التلقيح من شيخ كامل ذى قلب تام النور •

طريقةتلقين الذكر: وهو إغماض المريد عينيه ليسمع من شيخه لفظ الذكر وهو يكررها ثلاث مرات ، ثم يعيدها المريد ويسمعها شيخه وتكون أيضاً ثلاث مرات •

---

(١) القشيرى : الرسالة القشيرية ٤٦٥/٢ •

الذكر المفضل هو " لاإله إلا الله " قال سهل بن عبدالله : إذا قلت " لاإله إلا الله " مد الكلمة وانظر إلى قدم الحق فأثبته وابطل ماسواه (١)٠

ولإتمام الذكر وحسن أداءه يجب مراعاة الشروط التالية :

أ - التصديق : فمن لم يكن له تصديق فهو منافق

ب - التعظيم : ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع

ج - الحلاوة : فمن لم تكن له حلاوة فهو مراء

د - الحرمة : ومن لم تكن له حرمة فهو فاسق(٢)

يجب أن يكون الذاكر عند الذكر فى الخلوة ، ولها أساس فى بداية الطريق إلى الله ، إذ بها تتضح مجاهدة المريد ورياضته لنفسه ، وقبل دخول المريد الخلوة يجب أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة ، طالبا رضا الله وصلاح قلبه(٣) كما يجب أن يتخذ مكانا بعيدا عن الخلق ويغتسل غسلا كاملا ، ويصلى ركعتين بنية الدخول فى الخلوة وأن يكون المكان ضيقا ولا يدخل فيه شعاع الشمس ولا ضوء القمر ، وأن تكون مدة الخلوة أربعين يوما (٤) وتخصيص الأربعين لدى الصوفية السهروردبين ليزول عن المريد كل يوم حجاب ، وعلى قدر زوال الحجب ينجذب المريد ويتخذ منزلا فى القرب من الحضرة الإلهية " فإذا تمت الاربعون زالت الحجب وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبابا(٥)٠

---

(١) السهروردي : عوارف المعارف ص ٢٠٤ ٠

(٢) السهروردي: جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب ص٩، مطبعة البهاء ، حلب ج ١٣٢٨هـ٠

(٣) عائشة يوسف المناعى : أبو حفص عمر السهروردى ص ١٤٢ ٠

(٤) نفس المرجع والصفحة ١٤٥ ٠

(٥) السهروردى : عوارف المعارف ص ١٩١ ٠

المطلب الثاني

الجشتية / الخشتية

****

ومن الطرق التي توسعت شهرتها وكثر إنتشارها في البنغال هي : " الجشتية " (١) بل نستطيع القول: أنها كانت أكثرتأثيراً في الشعب البنغالي من السهروردية والطرق الأخرى في المنطقة، رغم أن السهروردية كانت معاصرة للجشتية و تزامنا في وصولهما للمنطقة، ولكنها كانت قليلة التأثير في الشعوب •

لذا نرى أن مراجع ومصادر السهروردية والكتب الأخرى حولها قليلة ، وصعب الحصول عليها ، بينما المعلومات حول الجشتية في الكتب والمدونات كثيرة تتداول في المكتبات والأسواق •

وتنسب هذه الطريقة إلى عالم صوفي،معين الدين حسن السنجرى (٢) الجشتي (١١٤٢-١٢٣٦م) وجشتي نسبة إلى قرية أحد شيوخه (٣) ذهب منها إلى دلهي عام ١١٩٣م ، بعد أخذ الإجازة من المشايخ في أفغانستان ،

---

(١) The Contributions of the Geography and History of(مخطوط) Bengal . p69 and p 85 Calcutta .

(٢) منطقة تقع على جنوب افغانستان •

(٣) الثقافة الإسلامية في الهند ، عبد الحي الحسنيص١٨٠ •

ثم ذهب إلى " اجمير " وأقام بها إلى آخر حياته ، فعلم الناس هناك التصوف وطريقته،وقام بتزكية النفوس ونشر تعاليمه إلى آفاق الهند، بما فيها البنغال وتوفى جشتى فى " اجمير"، ومازال مدفوناً بها ، حيث تجد آلافاً من المسلمين يقدمون إلى قبره من كل فج عميق طالبين منه البركات والفيوضات ، وأصبحت مقبرته مكاناً للحج٠

وحينما نلاحظ السهروردية والجشتية ونشاطاتهما فى المنطقة بالذات وفى المناطق الهندية على وجه العموم، نجد أن كلاً منهما قد تأثرت بالبيئة الهندوكية الشائعة فى شبه القارة الهندية آنذاك ، والذى لعب دوراً هاماً فى إلتقاء التصوف مع التقاليد الهندية هو رجل مشبوه الهوية يسمى " كبير " وقد المحنا عن ذلك فى الفصل الأول من هذا الباب (١) رغم أنه حسب إدعاءات الهندوس كان تلميذاً لـ (رامانندا) - أحد البراهمة فى الديانة الهندوكية- ويدعى المسلمون أنه كان تلميذاً للمدرسة الجشتية (٢) وأخذ الحرفة من أحد المشايخ لها ٠

ولهذه الطريقة التى إنتشرت فى جميع أراضى الهند شعبتان :

---

(١) راجع : ص (١٨٧)

(٢) راجع A History of Persia Language and Literature V.1 m.d.Abdul Ghani pp 121-127 . calceutta .

النظاميــة : المنسوبة إلى الشيخ نظام الدين البدايونى •

والصابرية: المنسوبة إلى الشيخ علاء الدين على أحمد الصابر •

أما النظامية فلها شعب كثيرة منها :

الكيسودرازية :

المنسوبة إلى السيد محمد يوسف الحسينى الدهلوى،المدفون بـ (كلبرك) وأستاذه تلميذ نظام الدين ، إسمه نصير الدين محمود •

الحسامية :

المنسوبةإلى الشيخ حسام الدين المانكبورى،الذىأخذعن الشيخ نورالحق عن أبيه الشيخ علاءالحق عن الشيخ سراج الدين عن الشيخ نظام الدين المذكور •

الصفوية :

المنسوبة إلى الشيخ صفى الدين سائنبورى ، أخذ عن الشيخ سعد الدين عن الشيخ محمد مينا وعن نظام الدين المذكور •

والفخرية : المنسوبة إلى مولانا فخرالدين الدهلوى ،وهو أخذ عن الشيخ نظام الدين (الوالد) عن الشيخ كليم الله •••عن نظام الدين •

وأما الصابرية: فلها شعبة واحدة من جهة الشيخ عبدالقدوس كنكوهى وهو أخذ عن الشيخ محمد بن أحمد العارف بن الشيخ أحمد عبدالحق الردولوى وهلم جراً إلى أن وصل إلى علاءالدين الصابر(١) •

---

(١) محمد عبدالحى الحسينى : تاريخ الثقافة الإسلامية فى الهند ص١٨١ •

وأول من نشر هذه الطريقة فى شبه القارة الهندية عامة وفى منطقة البنغال خاصة هو :

١- فريد الدين كنج شكر (١١٧٦-١٢٦٩م) :

ويعد من قدامى أهل الطريقة الذين قاموا بنشرها فى البنغال كما عرفنا ذلك من خلال بعض المخطوطات والآثار القديمة المتعلقة بها ، وقد زار المنطقة وخاصة فى محافظة "تشيتاكونج" و" فريد بور" لهذا الغرض ، وفى تشيتاكونج عين جارية ، أصبحت مورداً لمعتقديه من الرجال والنساء يشربون منها الماء ويحملونه معهم للحصول على التبرك ، ويقال : انفجرت مياهها بفضل كراماته ، كما أن محافظة " فريدبور " سميت باسم فريد الدين مما يدل على أنه كان يعيش بها لفترات طويلة ، وفى محل إقامته أنشأوا مزاراً ، معتقدين أنه مدفون فى ذلك المكان ، ولكن الواقع أنه مدفون فى "باكبتن " بالبنجاب فى باكستان (١) .

٢ - عبدالله الكرماتى :

وتاريخ ميلاده ووفاته مجهول ، ولكن قد ورد عنه أنه كان أحد تلاميذ خواجة معين الدين جشتى (١١٤٢-١٢٣٥م) البارزين وركز عمله ونشاطاته فى غرب البنغال فى حين كان فريد الدين كنج شكريعمل فى شرق البنغال(٢) والطريقة الكرمانية المتفرعة من الجشتية منسوبة إليه،

---

(١) The Preacling of Islam . T.W.Arnold Page 67 . Calcutta .

(٢) فريد الدين العطار : تذكرة أولياء هند ج١ ص١٠٣ .

وتوجد فى المناطق بغرب البنغال التى كانت فى دائرة عمله وهو مدفون فى محافظة : بيربوم " فى شرق الهند (١) •

٣ - أخى سراج الدين بديوانى (المتوفى ١٣٥٧ م) :

يعتبر من كبار مشائخ الطريقة الجشتية ، الذين نشروا التصوف فى أنحاء البنغال ، وكان تلميذاً لنظام الدين الدهلوى (١٢٣٦- ١٣٢٥ م) وبعد الحصول منه على الإجازة والخرقة ، ذهب بأمره إلى البنغال ليعمل هناك ، وكان نظام الدين يلقبه بـ (آئينه حق) أى مرآة الحق بالهند •

ولم يتمكن أخى سراج الدين من الوصول إلى البنغال إلا بعد وفاة أستاذه (٢) وكان محلاً للإحترام والتقديرعند كل من المسلمين والهندوس حتى يقال : إن السلطان شمس الدين الياس حاكم البنغال ومعه كبار رجال الدولة والأعيان تتلمذوا عليه وأخذوا الجشتية منه وساعدوه فى نشرها فيما بعد ، وهو مدفون فى منطقة " غور " بالبنغال الغربي (٣) •

٤ - علاء الدين علاءالحق (المتوفى ١٣٩٨م) :

وعلاء الدين هذا كان تلميذاً لأخى سراج الدين ، وكان والده معروفاً فى الثروة والغناء إلا أنه بعد أن تتلمذ أنفق جميع ما حصله منه من الإرث،

---

(١) نفس المصدر والصفحة •

(٢) نفس المصدر : ج١ ص١١٢ •

(٣) Cortribution of Geagraphy and History of Bengal . page 52 Culcutta .

وهو مدفون فى منطقة " غور" فى البنغال الغربى (١) •

إنتقل علاءالدين علاء الحق من غرب البنغال إلى " سوناركاون " العاصمة القديمة لبنغلاديش و هى تبعد حوالى أربعين كيلو متراً من مدينة " داكا " العاصمة الحالية ، وأقام هناك عامين لنشر التصوف ،ثم عاد إلى " بندوه " غرب البنغال ، وتوفى بها وقبره ما زال موجوداً هناك •

٥ - ومن كبار رجال الطريقة الجشتية نور الدين قطب العالم توفى ١٤١٦م وقطب الدين لقبه ، حيث سماه بهذا اللقب المواطنون البنغاليون ، وكان ذا نفوذ فى البنغال ، يقال : كان المسلمون فى البنغال تحت قهر السلطة الهندوسية آنذاك ، فقام نورالدين بإنقاذهم من بطشها وعدوانها (٢) وله عدد كبير من التلاميذ الذين عملوا من أجلها فى شطرى البنغال (٣) •

الذكر عند الطريقة الجشتية :

والذكر عند أصحاب هذه الطريقة نوعان : جلى وخفى ، ولكل منهما أسلوب خاص فى الرياضة الروحية وتدريب النفس حتى يصل بها السالك إلى التقرب إلى الله تعالى •

فإذا أراد الشيخ أن يلقن تلميذه ، أمره أن يصوم يوماً ، فإن كان يوم

---

(١) مخطوطات : ١٨٦٣ Amemories of Gaur and Pandua (govt . of Bengal)

(٢) د/ إنعام الحق : حقائق عن التصوف فى البنغال ص ٩١ •

(٣) نفس المصدر والصفحة •

الخميس فهو أولى ، ثم يأمره بالاستغفار عشر مرات ، والصلاة والسلام على النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، عشر مرات ، ثم يقول : إن الله تعالى يقول فى كتابه : ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾(١) فاجتهد ،وأن لا يأتى عليك زمان إلا وأنت ذاكر ، واعلم أن قلبك موضوع تحت ثديك الأيسر بأصبعين على صورة زهرة الصنوبر ، وله بابان:
باب فوقانى وباب تحتانى ، أما الباب الفوقانى ففتحه بالذكر الجلى ، وأما الباب التحتانى ففتحه بالذكر الخفى (٢) .

فإذا أردت الذكر الجلى، فينبغىأن يتجلى قلبك من أفكار الدنيا وما يتعلق بها ، بل يكون خاشعاً وخاضعاً لله تعالى (٣) ثم اجلس متربعاً وجذ العرق الذى يسمى "كيماس " بإبهام قدمك اليمنى والتى تليها - وسمعت سيدى الوالد يقول : هو عرق فى بطن الركبة يهبط من حاجز الفخذ وأخذه بهذه الكيفية يفيد نفى الخواطر ويجمع الهمة ويسخن القلب تسخيناً عجيباً - ثم اجلس جلسة الصلاة مستقبل القبلة ، واطفئ النور أو المصباح إن كان المحل الذى أنت فيه مضاءً ، ثم اتبع مايلى :
أولاً : توجه إلى قلبك، ثم تصور أن قلبك يتوجه إلى الله تعالى بواسطة

---

(١) آل عمران : ١٩١ .
(٢) شاه ولى الله الدهلوى : شفاء العليل ص ٨٠ .
(٣) مرآة التصوف ص ١٥١ .

قلب شيخ الطريقة ، وذلك للحصول على الفيوضات والبركات التى تصل إلى الإنسان من الحى القيوم •

ثانياً : قل لاإله إلا الله بالشد والمد ، واخرجها بقوة من داخل القلب واخرج لفظة " لا " من السرة ومددها إلى المنكب الأيمن ، ثم اخرج لفظة " إله " من أم الدماغ ،ويتصور عند ذلك الأداء أن جميع الحب لما سوى الله قد زال من قلبك ، فتنفس نفساً آخر فاضرب " إلاَّ اللَّه " فى القلب بالشدة والقوة ، ويلاحظ المبتدئ نفى العبودية عن غير الله ، والمتوسط نفى المقصودية والمنتهى نفى الوجود •

والشرط الاعظم فى هذا الذكر ، جمع الهمة وفهم المعنى وينبغى لصاحب الذكر الجلى أن لايقلل الطعام جداً ، بل يكفيه أن يخلى ربع المعدة ، كما ينبغى أن يأكل شيئاً من الدسم لئلا يشوش دماغه ، وإذا أردت بأس أنفاس (مراقبة الانفاس) فكن مستيقظاً واقفاً على أنفاسك ، فكلما خرج النفس فقل مع خروجه " لاإله " كأنك تخرج محبة كل شئ سوى الله من باطنك ، وإذا دخل النفس فقل مع دخوله " إلا الله " كأنك تدخل وتثبت محبة الله فى قلبك (١)•

---

(١) انظر : شاه ولى الدهلوى : شفاء العليل ص ٨١ -٨٢ •

أما الذكر الخفى : فهم يقولون: لايجوز الذكر الخفى إلا إذا مارس قبله الذكر الجلى ، فإنه عند الذكر الجلى قد يحصل له نور خاص ينفعه ويساعده فى ممارسة الذكر الخفى ، كما يجب عند البدء به تصور الشيخ بحيث إن صورته منقوشة فى قلبه وأن لا يتغيب عنه أبداً •

والذكر الخفى عبارة عن الذكر بالنفس دون التلفظ باللسان ، أى أن السالك حينما يقوم به، يذكر الله بالنفس عند أخذه ولفظه ، بحيث يأخذ نفسه ويقول: " لاإله " ثم يطلقه بقول " إلا الله " دون صوت (١)•

---

(١) مرآة التصوف : ص ١٥٢ •

المطلب الثالث

القادريـــــة

****

تنسب طريقة القادرية إلى الصوفى المعروف فى أصقاع الهند وباكستان وبنغلاديش الشيخ عبد القادر الجيلانى (١٠٧٨ -١١٦٦م)(١) •

يقول المؤرخون: إن الطريقة القادرية دخلت شبه القارة الهندية فىالقرن الخامس عشر للميلاد بواسطة السيد محمد غوث (المتوفى٩٢٣هـ) •

---

(١) هو أبو محمد محى الدين عبد القادر بن موسى بن عبدالله ، ويعرف جده بالإسم الفارسى(جنلكى دوست)، ولد فى جيلان سنة ١٠٧٨م ، وهو إقليم فارسى ، يقع فى الجنوب الغربى لبحر قزوين ، ويرويه نهير يعرف بهذا الإسم ، وتقع بالقرب من قصبة مدينتى (رشت و بهلوى) •

إنتقل عبد القادر إلى بغداد عام ١٠٩٥م فى خلا فة المستظهر بالله العباسى ، وتوفى سنة ١١٦٦م ، ودفن هناك •

راجع أحمد عطية : القاموس الإسلامى ج١ ص٦٨٨ ، مكتبة النهضة المصرية •

ويقول عبد القادر الجيلانى باللطائف : العشرة تكمن فى كل إنسان وهى : القلب ، والروح ، والسر ، وخفى ، وأخفى ، والنفس ، والماء ، والنار ، والتراب ، والهواء •

فالقلب مكانه يسار الصدر ، والروح مكانه يمينه ، والسر فى وسطه ، والخفى ومكانه فى الجبهة ، والأخفى فى الرأس ، والنفس عند السرة •

وأما العناصر الأربعة الأخيرة وهى : الماء والنار والتراب والهواء ، فمكانها فى سائر الجسد • انظر : مرآة التصوف ص٥٨ •

الذى قدم إليها عام ١٤٢٨ م لنشر هذه الطريقة (١) ، واستوطن بمدينة " اوج " وبه إنتشرت القادرية فى أنحاء القارة ، ومعظم البدع والخرافات والأساطير التى تهيمن اليوم على المجتمع قد أتت بواسطة هذه الطريقة ورجالها يصعب عدهم واحصائهم لكثرتهم، منهم بهاء الدين الجنيدى (٩٢١هـ) والذى أخذ عن أبى العباس أحمد بن الحسن بن موسى بن على بن محمد بن الحسن بن محمد أبى النضر بن أبى صالح بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلانى هلم جراً ، ومنهم الشيخ قميص بن أبى الحياة (توفى ٩٩٢ هـ) إبن محمود بن محمد بن أحمد بن داود بن على بن أبى صالح النضر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر المذكور عن أبيه وهلم جرا ، ومنهم كمال الدين الكيتهلى (توفى ٩٧١هـ) أخذ عن فضيل عن كدا رحمن عن شمس الدين العارف عن كدا رحمن بن أبى الحسن عن شمس الدين الصحرائى عن عقيل عن بهاء الدين عن عبد الوهاب عن شرف الدين القتال عن عبد الرزاق عن أبيه عبد القادر الجيلانى المذكور(٢)٠

و أول من قدم بالطريقة القادرية إلى البنغال هو شاه قميص (٣) من سلالة شيخ الطريقة ، واستوطن فى مدينة مرشد آباد فى البنغال الغربى ،

---

(١) د/ شودرى شمس الرحمن : حقائق عن التصوف ص ٩١ ٠

(٢) عبد الحى الحسنى : تاريخ الثقافة الإسلامية فى الهند ص ١٨٥ ٠

(٣) تذكرة أولياء الهند ص ٢٧ ، ج ٣ ٠

وساعده غير قليل من تلاميذه في نشر هـذه الطريقـة فـي سـائر المنـاطق ، وأشهرهم الشيخ عبد الرزاق حيث احتل مكانة بعد وفـاة شـاه قميص ، وبعد الشـــيخ عبـــد القـــادر لايوجـــد تـــاريخ أســـلافه مـــن الطريقـــة القادرية (١) إلا أن لهذه الطريقة أثر عميق في المجتمع الإسـلامي فـي الهنـد وبنغلاديش ، وإن كثيراً من البدع والخرافات كإحتفال العرس في القبور وبناء الصخور والقبب على المزارات وحفل الموسيقي وشد الرحال إلى مزارعبد القـادرالجيلاني وإلـى منـاطق الهنـد وباكسـتان لزيـارة أكـابر الصـوفيـة كعلـى الهجويري ، فريد الدين العطار ، وفريد الدين كنـج شـكر فـي لاهـور ونظـام الدين ومعين الدين جشتي، كل هذا خرج من تحت عباءة هذه الطريقة .

الذكر عند القادرية :

قال الشاه ولي الله الدهلوي في كتابه شفاء العليل :

" في أشغال المشائخ الجيلانية (القادرية) وهم أصحاب إمـام الطريقـة الشيخ أبي محمد محي الدين عبد القادر الجيلانـي ، فـأول مـا يلقنونـه للمريـد الجهـر بذكر الله ، والمراد بهذا الجهر هو غير المفرط،ولا منافاة بينه وبيـن نهي رســول الله صلى الله عليه وسلم (٢) حيث قال: اربعوا على أنفسكم،

---

(١) تذكرة أولياء الهند ٢٧/٣ .

(٢) الشاه ولي الله : شفاء العليل : ٤٩ .

فانكم لا تدعون أصم ولا غائباً ... الحديث (١) فمنه اسم الذات إما بضربة واحدة ، وصفته أن يقول " الله " بالشد والمد والجهر بقوة القلب والحلق جميعاً ، ثم يلبث حتى يعود إليه نفسه ، ثم يفعل هكذا وهكذا .

وإما بضربين ، وصفته ان يجلس جلسة الصلاة ، ويضرب لفظ الجلالة مرة فى الركبة اليمنى ومرة فى القلب ، ويكرر ذلك بلا فصل ، وينبغى أن يكون الضرب لاسيما القلبى بقوة وشدة ليتأثر به القلب ويجتمع الخاطر .

وإما بأربع ضربات ، وصفته أن يجلس متربعاً فيضرب مرة فى الركبة اليمنى ومرة فى الركبة اليسرى ومرة فى القلب ومرة أمامه .

ولكن الرابع أشد وأجهر ، ومنه النفى والإثبات ، وهو كلمة " لاإله إلا الله " وصفته أن يجلس جلسة الصلاة مستقبل القبلة ويغمض عينيه ويقول: " لا " كأنه يخرجها من سرته ثم يمدها حتى يبلغ إلى المنكب الأيمن فيقول : "إله " كأنه يخرجها من أم دماغه ، ثم يضرب " إلا الله " بالشدة والقوة ، ويلاحظ نفى المعبودية أو نفى المقصودية أو نفى الموجود من غير الله تعالى وإثباتها له تعالى .

ومن واظب على ذكر إسم الذات فى كل يوم وليلة أربعة آلاف مرة مع تقديم الشروط التى أسلفناها واستمر على ذلك شهرين أو نحواً من ذلك فإنه

---

(١) صحيح البخارى : ٤/٢٧٥ عن أبي موسى الأشعرى فى باب غزوة خيبر و كتاب المغازى جـ٥

يشاهد فيه الأثر لامحالة سواء كان غبياً أو ذكياً •

وأما الذكر الخفى: فمنه إسم الذات مع أمهات الصفات ، وصفته أن يغمض عينيه ويضم شفتيه ، ويقول: بلسان القلب " الله سميع " " الله بصير" " الله عليم " كأنه يخرجهامن سرته إلى صدره ، ومن صدره إلى دماغه ثم إلى العرش، ثم يقول: " الله عليم " " الله بصير " " الله سميع " هابطاً على تلك المنازل كما صعد عليها ، فهذه دورة واحدة ثم يفعل هكذا وهكذا •

ومن أهل الشأن من يزيد " الله قدير " ومنه النفى والاثبات ، وصفته إما كذكرنا فى الجهر ، وإما أن يكون مستيقظاً مطلعاً على أنفاسه ، فإذا خرج النفس بطبيعته من غير قصده وإرادته قال مع خروجه " لا إله " بلسان القلب ، وإذا دخل قال مع دخوله " إلا الله " قال الأكابر: وهذا حبس أنفاس وله أثر عظيم فى نفى الخواطر وزوال حديث النفس (١)•

أسلوب المراقبة فى هذه الطريقة :

وقبل الاشتغال بالذكر لابد من السالك لهذه الطريقة أن يمر بالمراحل الأتية :

أولاً : أ - الاستغفار •

ب - قراءة الفاتحة مع البسملة ثلاث مرات •

ج - سورة الإخلاص ثلاث مرات •

د - الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم ، عشر مرات •

---

(١) الشاه ولى الله : شفاء العليل ص ٥٠ - ٧٠ •

هـ - إيصال الثواب أولاًإلىالنبىصلىالله عليه وسلم وأصحابه وأهله ثم إلى شيخ الطريقة عبدالقادر الجيلانىومن ثم إلىجميع أتباع هذه الطريقة •

و - الدعاء إلى الله تعالى طالباً منه حبه والعلوم والمعرفة •

ثانياً :

أ - التوجه إلى القلب ، بحيث يقول السالك: إنى أتوجه إلى قلبى ، وقلبى متوجه إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة شيخ الطريقة ، ثم يقول يارب : ارزقنى زيارة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وحبه •

ب - الصلاة والسلام على النبى خمسمائة مرة ، وذلك كل يوم دبر صلاة العشاء دون توقف ، ومضمونها " اللهم صلى على سيدنا محمد معدن الجود والكرم ، وعلى آله وسلم " •

ثالثاً :

والصلاة والسلام على النبى كل يوم مائة مرة عقب صلاة الفجر وذلك بعد أن يقول:أتوجه إلى قلبى ، وهو متوجه إلى قلب شيخ الطريقة عبد القادر الجيلانى بواسطة قلب شيخى ، ثم يقول:يارب أسألك حب النبى ومشاهدته •

ومضمون الصلاة والسلام:اللهم صلى على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى أرشد أولاده الشيخ عبد القادر إمام الطريقة والأولياء الكاملين (١)•

---

(١) ابو بكر الصديق : مرآة التصوف ص ١٨٥ •

المطلب الرابع

النقشبندية

***

ومن أشهر الطرق الصوفية فى البنغال و أقدمها النقشبندية ، نسبة إلى الشيخ بهاء الدين محمد نقشبندى البخارى (١) (١٣١٨-١٣٨٩م)ولد فى قرية تسمى قصر عارفان بمدينة بخارى (٢) يقال : إنه كان يقوم بعمل التطريز فى الملابس والأقمشة ونقشها ، ومن ثم لقب " نقشبندى " (٣) وهو حجة عظيمة عند النقشبنديين بل وأساس الطريقة ، فهم يمتدحونه ويعظمونه أشد توقير ، ويقول عنه الشيخ الكردى " هو غوث الأعظم وعقد جيد المعارف الانظم ، إنزاحت بأنوار هدايته أعيان الأغيار وعادت الأشرار ببركة أسراره من أخيار الأعيان وأعيان الأخيار " (٤)٠

وللطريقة النقشبندية شعبتان مشهورتان فى بلاد الهند:

إحداهما: الباقية : وتنسب إلى رضى الدين أبى المؤيد عبدالباقى بن عبدالسلام النقشبندى الدهلوى ٠

---

(١) عبد الحى الحسنى : الثقافة الإسلامية فى الهند ص ١٨٢ ٠

(٢) د/ شمس الرحمن شودرى أسرار التصوف ص ٩٢ ٠

(٣) نفس المصدر والصفحة ٠

(٤) عبد الرحمن دمشقية : النقشبندية : عرض وتحليل ص ٢٥ دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ج ١ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ٠

وثانيهما : العلائية : المنسوبة إلى الأمير أبى العلاء بن أبى الوفاء النقشبندى الأكبر آبادى •

وأما الطريقة الباقية : فهى أشهر الطرق ببلاد الهند ، ولها شعبتان : المجددية و الأحسنية :

اما المجددية ويقال لها الأحمدية : وهى للشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى الذى أخذ الطريقة عن عبدالباقى المذكور ، ثم أفاض الله سبحانه وتعالى عليه الطريقة الجديدة بعرضها وطولها، فألقاها ولديه : محمد سعيد ومحمد معصوم ، ومن ثم شاعت طريقته فى مشارق الهند ومغاربها •

وانشعبت من المجددية طرق أخرى ، منها:

الطريقة الزبيرية: للشيخ زبير إبن أبى العلا بن محمد نقشبند بن محمد معصوم المذكور•

والمظهرية : لشمس الدين حبيب الله جانكانان العلوى الدهلوى•

أما الأحسنية : فهى منسوبة إلى آدم بن اسماعيل البنورى والذى أخذ عن أحمد السرهندى وعن بعض خلفائه ، ومنها انشعبت طرق أخرى :

كالطريقة العلمية : لعلم الله بن فضيل البريلوى •

و الولى اللهية: لولى الله بن عبدالرحيم الدهلوى •

و المحمـــدية: لأحمد عرفان البريوى الشهيد(١) •

---

(١) محمد عبد الحى الحسنى : الثقافة الإسلامية فى الهند ص ١٨٣ •

هذه بعض الطرق الصوفية التى انشعبت من النقشبندية الأم ، ووصلت النقشبندية إلى المنطقة بواسطة الشيخ أحمد السرهند الملقب بـ (مجدد الألف الثانى ١٥٦٣- ١٦٢٤م) وقد سبق ذكره فى الفصول السابقة ، وبما أنه عرض النقشبندية بلباس جديد خاص به وبأسلوب مميز ، فاشتهرت بالنقشبندية المجددية ، ومن الرجال الذين أسهموا فى نشر هذه الطريقة من البنغال تلميذه الخاص " الشيخ حميد دانشمند " البنغالى الأصل (١) •

وفى " المكتوبات الربانية " التى ألفه السرهندى جاء فيها بعض المكاتبات التى بعث بها إلى " حميد دانشمند " فى البنغال •

ودفن حميد فى " منغول كوت " بمحافظة " بردهمان " بغرب البنغال ، وبجوار قبره مسجد قد شيده الأمبراطور" شاه جهان " فى عام ١٦٥٧م (٢) تخليداً لذكراه ولما قدمه من الخدمات فى نشر هذه الطريقة •

وثم ما ذا بعد موته هل قام أحد بمتابعة عمله ؟

إننا لم نعثر على شئ يؤكد لنا ذلك ، نعم لقد كان هناك أتباع كثيرون غير معروفين ممن بذلوا الجهود فى إحيائها ونشر

---

(١) أحمد السرهندى : المكتوبات : ج١ ص١٩٢ (المكتوب) ٢٢٠ طبع استانبول ، تركيا •

(٢) د/ إنعام الحق : الصوفية فى البنغال : ص١١٦ •

تعاليمها بين المواطنين ، ولكنهم بعد مرور الزمن تقلص عددهم بحيث لم يعد حال دعوته كما كان عليه من قبل ، وذلك للحركات النشطة التى قامت بها الطرق الجشتية والقادرية وغيرها •

وعدد النقشبنديين اليوم قليل جداً وفى دائرة محدودة ، وتجمعات النقشبندية توجد اليوم فى محافظة " راج شاهى " ببنغلاديش (١) •

---

(١) Bengal District Gazzetters . Rajshhi P-65 . 1918 . Culcutta .

المطلب الأول

في

الطريقة القلندرية

****

الطريقة التي دخلت في البنغال بعد الطريقة الجشتية والقادرية والسهروردية هي الطريقة " القلندرية " نسبة إلى رجل صوفي هندي معروف إسمه شرف الدين بوعلي قلندر (المتوفى ١٢٢٤م) في منطقة " باني بت " بجنوب الهند،بعض الناس يقولون: إنها فرع للطريقة الجشتية، ولايوجد دليل على صحته ، والحق إنها طائفة صوفية مستقلة بكيانها وتشخصاتها ٠

والقلندرية هذه من قدامي الطرق الصوفية ، وهي إحدى الطريقة " الملامتية " (١) ٠

وقال صاحب العوارف : إن القلندرية والملامتية إسم لطائفة صوفية

---

(١) الملامتيه : قال البعض : الملامتي هو الذي لايظهر خيراً ولا يضمر شراً ، وشرح هذا هوأن الملامتي تشربت عروقه طعم الإخلاص وتحقق بالصدق ، فلا يجب أن يطلع عليه أحد على حاله وأعماله ، فالملامتية لهم اختصاص بالتمسك بالإخلاص ، يرون كتم الأحوال والأعمال ، ويتلذذون بكتمها ، حتى لو ظهر أعمالهم وأحوالهم لأحد لاستوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصي من ظهور معصيته ٠

قال السهروردي: " فمن أولئك القوم يسمون نفوسهم قلندرية،تارة و ملامتية تارة أخرى ٠

راجع : السهروردي : عوارف المعارف ص٧١ - ٧٢ ٠

لكن هناك فرق بسيط بين هاتين الفئتين هو أن يعمل فى كتم العبادات ، والقلندرى فى تخريب العادات ، والملامتى يتمسك بكل أبواب البر والخير ويرى الفضل فيه ، ولكن يخفى الأعمال والأحوال ، ويوقف نفسه موقف العوام فى هيئته وملبوساته وحركاته وأموره ، وستراً للأحوال لئلا يفطن له ، وهو مع ذلك متطلع إلى طلب المزيد ، باذلاً مجهوده فى كل ما يتقرب به العبيد •

والقلندري لا يتقيد بهيئة ولا يبالى بما يعرف من حاله، وما لا يعرفه ، ولا ينعطف إلا على طيبة القلوب وهو رأس ماله (١) •

فأما القلندرية: فهى إشارة إلى قوم ملكهم سكر طيبة قلوبهم ، حتى خربوا العادات ، وطرحوا التقيد بآداب المجالس والمخالطات ، وساحوا فى ميادين طيبة قلوبهم ، فَقَلَّتْ أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض ، ولم يبالوا بتناول شئ من لذات الدنيا من كل ما كان برخصةالشرع (٢) •

فإن هؤلاء يخفون عباداتهم عن أعين الناس ، ولا يهتمون باللباس والمظهر ،ولا يبدون اهتماماً فى أن يطلع الآخرون على باطن حالهم أو لايطلعون على ذلك ، وهم يحلقون رؤوسهم ولحاهم حتى الحواجب والشوارب •

---

(١) السهروردى : عوارف المعارف ص ٧٧- ٧٨ •

(٢) السهروردى : العوارف ص٧٨ •

لقد بدأ إنتشار الطريقة القلندرية فى مناطق بنغالية بأيدى تلاميذ بو على قلندر ، بعد وفاته مباشرة ، وفى القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد إنتشرت بسرعة خاطفة وبصورة مؤثرة على الناس ، حتى أن المغول قد تأثروا بها كثيراً وساعدوها بدعم من المال ، ويقال : إن هؤلاء هم سموها بـ (القلندرية) (١) ٠

وكان شرف الدين بو على قلندر يعتقد أنه يجب على أتباع طريقته أن يتركوا الدنيا ومتاعها،وأن يتخلوا تماماً عن مشاغل البيت والأسرة ، ويبتعدوا عن الناس، وعن العلاقة بالمجتمع إن كان غرضهم الحصول على مرضاة الله والتقرب اليه ، وكان يقول : لا يجوز لإنسان أن يكون غرضه وهدفه الدنيا والآخرة معاً ، ومستحيل أن يجمع النقيضان فى مكان واحد وآن واحد ، ويقول لأتباعه: كيف يمكن أن تعيش مع عائلتك وأنت طالب مرضاة ربك ؟ ذلك وهم وخيال ، بل إنه جنون محض (٢) ٠

والقلندريون يؤدون الأعمال التى أوجبتها الشريعة الإسلامية كالصلاة والصوم ولايجيزون الزيادة عليها،كما لا يقيدون أنفسهم بأحكامها التى تكون شديدة عليهم–حسب زعمهم–ولا يرتضون لأنفسهم الإفراط فى جمع الأموال وحطام الدنيا،وأما الشئ الذى يهتم به هؤلاء فهو صفاء القلب للّه (٣)٠

---

(١) د/ أنعام الحق : الصوفية فى البنغال ص ٢٨٦ ٠

(٢) نفس المصدر والصفحة ٠

(٣) تعليمات بو على قلندر فى كتاب د/ إنعام الحق : الصوفية فى البنغال ص١١٣ ٠

وأشهر التلاميذ الذين مدوا يد المساعدة فى سبيل تأسيس القلندرية فى أرض البنغال هو: شاه شفيع الدين (المتوفى ١٢٩٠ م) وبدأ بعمله أولاً فى مدينة " بندوة " غرب البنغال ، ثم توسع بدعوته إلى أنحاء المنطقة بعد جولات عديدة وجهد متواصل •

توفى فى مدينة " بندوه " ولا زال قبره موجوداً هناك وأصبح مزاراً يؤمه الناس، وبعد وفاته توقفت حركة القلندرية هنيهة ،ثم استأنفت نشاطاتها من قبل بعض أتباعها،إلا أننا لم نجد المعلومات المفصلة عن هوية هؤلاء،لكنهم موجودون اليوم فى البنغال،معظمهم يعيشون فى الصحراء والغابات، يتنقلون من مكان إلى آخر ، كحياة البدو ، ويصطحبون معهم الحيوانات الأليفة مثل:الحمار والبقرة والقطة (١) ،وهناك احتفال سنوى باسم " بوعلى قلندر" يقام فى كل من بنغلاديش وباكستان والهند رسمياً ، حيث يجتمعون فى مكان وينشدون الأبيات التى كتبها " بوعلى " بالفارسية والأردية بالطبول والمزامير ، ويرقصون رجالاً ونساءاً •

على الرغم من أن بوعلى مات فى " بانى بت " ودفن بها ، ولكن أتباعه صنعوا مقابر خيالية فى تلك البلدان لكى يقوموا بالاحتفالات عند تلك القبور (!!) •

---

(١) د/ إنعام الحق : الصوفية فى البنغال ص ١١٣ •

المطلب الثانى

فى

الطريقة الأدهمية

تنسب هذه الطريقة إلى صوفى معروف المسمى بـ (إبراهيم الأدهم) من بلخ ، وأتباع هذه الطريقة بالمنطقة يحبذون إيصال نسبتهم إلى " الخضرية "(١) وتاريخ وصولها إلى المنطقة غير معروف ، لعدم توافر المعلومات المفصلة حولها ، إلا أننا بعد البحث والتمحيص فى الموضوع ، نستطيع أن نؤكد أن هذه الطائفة قد نشأت فى المناطق الشمالية للهند بأيدى بعض الصوفية القادمين من مدن فارس ،ومن ثم إنتقلت إلى البنغال مؤخرا (٢) وما زال أتباع هذه الطريقة يعيشون فى دوائر محدودة من شرق البنغال وغربها، وخاصة بالمناطق الساحلية من خليج البنغال ، ويزعمون أن لـ (الخضر) سلطات موسعة فى عالم البحار، حيث إنه يقدر على إنقاذ السفن و من بداخلها من الغرق أو من الحوادث المائية ، مثل إله " نيردا " (NEREIDS)لدى الهندوس(٣) ، عنده المعلومات عن المغيبات والأسرار والرموز(٤) ، ويدعون

---

(١) نسبة إلى الخضر عليه السلام الذى ذكرت قصته فى القرآن الكريم بما جرى من الحوار بينه وبين النبى موسى عليه السلام فى سورة الكهف .

(٢) د/ إنعام الحق : الصوفية فى البنغال ص٢٨٧ ، (البغالية) .

(٣) " نيردا " مجموعة من حوريات البحر ، تزعم الأسطورة الإغريقية إنهن من بنات إله البحر نيروس . انظر : مجلة عالم المعرفة " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ص٤٠٨ ، العدد١٧٣ ، ذى القعدة ١٤١٣هـ ، الكويت .

(٤) د / انعام الحق : الصوفية فى بنغلاديش ص ٢٨٧ .

أن " الخضر " مازال حياً ، و قد وضعوا مجسمات رمزاً لحياته وتصرفاته في عالم البحار وسائر الكون ويقيم عشاق الخضر عندها عرساً سنوياً ويسمونه إحتفال " بيرابهاسون " (١) أى الرجل المنقذ العظيم ، وكان أباطرة المغول في الهند يحتفلونه رسمياً، ويقال: إن صوبيدار (٢) مكرم خان (١٦٢٧م) كان شديد الاهتمام بمثل هذا الاحتفال معتقداً أن الخضر يقدر على الاغاثة من الغرق والهلاك ، ولكنه في الواقع لما مات غرقاً في إحدى البحيرات لم يستطيع " الخضر " أن يلبى دعواته لينقذه من الغرق ، وكذلك الآخرون من الحكام البنغاليين كمرشد قلى خان (١٧٢٧-١٧٠٤م) وغيره يمجدون تلك المجسمات للخضر ، ويقيمون عندها عرساً سنوياً (٣)

---

(١) د/ انعام الحق : الصوفية في بنغلاديش ص ٢٨٧ •

(٢) لقب لحكام البنغال الذين يتم تعيينهم من قبل الاباطرة •

(٣) هكذا إعتقاد بعض الصوفية في شأن الخضر ، حتى أصبح لديهم ذو مكانة مرموقة ، إذ يعتقدون بولايتة ، لابنبوته ،وإنه لازال حياً يرزق ، وهم يعطيهم الاوامر والنواهي ، وبعض الناس يقولون أنه يسير سائر الكون في كل يوم ، ويصلى عصر يومه في المدينة المنورة ، لايعرفه أحد غير السالكين إلى طريق الله ، وإنهم احياناً يتناجون به ويتشاورون معه و يستفهمون منه الحاضر والمستقبل من الغيبيات وغير ذلك من الأساطير التي لابرهان لها ، وقد أراد الصوفية بنشر هذه العقيدة عن الخضر أغراضاً منها إثبات الولاية للخضر و أن الولى أعلم من النبي ، مادام أن موسى عليه السلام تقدم إلى الخضر ليتعلم منه،وقد علمه بالفعل أموراً كثيرة ، ويرون إثبات الحياة الابدية له كما يرون أن له القدرة على الكون وعلى عالم البحار،تلك القدرة لم يعطها الله لأحد سواه ويقول : الإمام إبن تيمية " إنه لاحجة في قصة الخضر(أى للمتصوفة) بوجهين :====

وهذا غاية الفساد والضلال •

وعند الشاه ولي الله الدهلوى تفسير غريب للذكر لم يقل به أحد من السلف ، حيث يقول : " ومن الأمور التى تحققت بعد المشاهدة والتجارب أنه إذا قرأ أحد لفظ الجلالة ، و ردده باللسان من أ كثر من مرة وداوم عليه ، فإنه يرسم فى قلوب الملائكة القائمين على ذكر الله صورة الجلالة بشكل نورانى ، ثم فى قلوب الملائكة الذين هم أعلى مرتبة من الملائكة القائمين على ذكره ، وكلما كثر فى ترديده يصعد شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى العرش الكريم وهو منقوش عليه ، ومن ثم يلحق بنور من أنواره سبحانه وتعالى

=== أحدهما: أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ولا كان على الخضر إتباع موسى ، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بنى اسرائيل ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جميع الثقلين فليس لأحد الخروج عن مبايعته ظاهراً وباطناً ولا عن متابعة ماجاء من الكتاب والسنة فى دقيق ولا جليل لافى العلوم ولا فى الأعمال •

والثانى : أن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة ، بل الأمور التى فعلها تباح فى الشريعة ، إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك ، ولو كان فيها مخالفة للشريعة لم يوافقه عليه •

ثم إنه لم يثبت فى الكتاب والسنة استمرار حياة الخضر ، والإنسان مهما كان شأنه لايخلد فى الأرض وإنما الخلود لله عزوجل ، قال الله عزوجل " وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ " سورة الأنبياء الآية ٣٤ " كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " سورة القصص الآية ٨٨ ، ولو كتب لأحد من الأنبياء الخلد لكان جديراً بالنبى الخاتم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم الأنبياء وكتابه خاتم الكتب •

راجع : إبن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ٦٧/٤ •

والتى هى بمنزلة قلب الذاكرين (١) .

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(٢) فكل فعل من الأفعال وعمل من الأعمال ، يرفع ويصعد إلى السماء ، إن كان ذلك موافقاً للشريعة الإسلامية ، يستحق الأجر وشرف القبول عندالله تعالى ، وإن كان مخالفاً للكتاب والسنة ، فلا يصعد ولا يستحق الأجر والثواب ، بل إنه يعاقب عليه .

وأما ما ذكره الشيخ الهندى / شاه ولى الله الدهلوى من نقش صورة لفظ الجلالة فى قلوب الملائكة ثم فى العرش الكريم ، ثم فى نور من أنوار الله ، فهذا أمر لم يثبت فى القرآن والسنة ولا فى كتب علماء السلف الصالحين ، بل إنه أمر خيالى وافتراضى ، فإن الملائكة الكرام لاتدركهم أبصار الإنسان فى هذه الدنيا، فإنهم فوق طاقات الأبصار، فكيف يستطيع إنسان أن يقول شيئاً يتعلق بملائكة الله تعالى وهو بعيد عن رؤيتهم وإدراكهم .

---

(١) شاه ولى الله الدهلوى : همعات ص٢١ ، اسلامى بريس تحفه محمدية ، دلهى .

(٢) فاطر : ١٠ .

المطلب الثالث
في
التعليق على الطرق الصوفية والذكر

*****

ومن شواهد تأثير التصوف بالتشيع وعلائمها أن سلاسل التصوف و طرقها تنتهي إلى علي(رضي الله عنه) دون سائر أصحاب رسول(صلى الله عليه وسلم) ، وفي طرق إسنادها إلى علي (رضي الله عنه) أسماء أئمة الشيعة المعصومين - حسب زعمهم - من أولاد علي (رضي الله عنه) ، دون غيرهم ، وإن رؤساء هذه العصابة يذكر لهم إتصال وثيق ، وصلات وطيدة مع أئمة القوم ، كما يذكر في تراجمهم و سيرهم وأحوالهم .

هذا وكان في أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وسلم) زهاد آخرون ، ولكن المتصوفة لم ينهوا سلسلة سندهم إلاّ لعلي بن أبي طالب(رضي الله عنه) مثل الشيعة الذين يجعلونه أول إمام لهم ، ومن المسلم فيه أن أبابكر(رضي الله عنه) كان أزهد الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ثم عمر الفاروق (رضي الله عنه) ،ثم عثمان بن عفان ذو النورين (رضي الله عنه) ، ثم تأتي مرتبة علي (رضي الله عنه) ، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال العلامة إبن تيمية رحمة الله عليه: " أزهد الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)-الزهد الشرعي- أبوبكر(رضي الله عنه) وعمر(رضي الله عنه)،وذلك أن أبابكر،كان له مال يكسبه فانفقه كله في سبيل الله ، ولقد تلا أبابكر(رضي الله عنه)

عمر (رضي الله عنه) فى هذا الزهد، وكان فوق علـي(رضي الله عنه) فـى ذلـك ، يعنـى فـى إعراضه عن المال واللذات (١) .

ومع تفضيل أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم على علـي (رضي الله عنه) وعلى سائر أصحاب رسول الله (ﷺ) ، يفضل الصوفيـة علياً كمـا يفضلـه جماعة من الشيعة .

قال الهجويرى عن الجنيد: " شيخنا فى الأصول والبلاء علي المرتضى ، أى أن علياً بن أبى طالب(رضي الله عنه) هو إمام هذه الطريقة فى العلم والمعاملـة ، فأهل الطريقة يطلقون على علم الطريقة إسم الأصول ، ويسمون تحمل البلاء فيها بالمعاملات (٢) .

ويقـول أبـو العبـاس المرسـى تلميذ الشـاذلى : " طريقتنـا هـذه لا تنسـب للمشارقة ولا للمغاربة ، بل واحد عن واحـد إلـى الحسـن بـن علـى بـن أبـى طالب (رضي الله عنه) وهوأول الأقطاب (٣) .

هناك أمر مهم نراه فى المتصوفة ، وهو تصور الشيخ وشيخ الشـيخ إلـى أن يصل إلى منتهى السلاسل عند الذكر ، بل عند تأدية أية عبادة مـن عبـادة الله وحده ، كما نلاحظ فى بيان الذكر عند أهل الطرق ، مما هو واضح أنه أيضاً من الأمـور المسـتحدثة التـى أخذوهـا مـن الشـيعة ، نتيجـة لغلوهـم فـى

---

(١) إبن تيمية : منهاج السنة النبوية ج٤ ص١٢٩ .

(٢) على الهجويرى : كشف المحجوب ص ٢٧٤ .

(٣) إحسان إلهى : التصوف – المنشأ و المصادر– ص١٥٣ .

تقديس وتوقير المشائخ الصوفية ، وقد ظنوا أن الذكر من الأذكار حينما يردده المسلم ،لايصل إلى الله قطعاً إلا بتوسط على من بويعت يده واستسلم أمامه إستسلاماً كاملاً •

وذكر الدكتور الشيبى فى هذا الصدد :لقد الشيعة عن الإمام الثامن –وهو الشيخ معروف الكرخى عندهم–أنه أوصى المريد قبل أن ينطقوا بتكبيرة الإحرام فى الصلاة أن تَذْكُرَ رسول الله(ﷺ) واجعل واحداً من الأئمة نصب عينيك ، وهذه هى مراقبة الذكر حيث أن من شروط الذكر حضور صورة أى صور الشيخ الروحانية النورانية التى هى هيكل رسول (ﷺ) ومظهره (١) ولذلك قال الإمام جعفر الصادق: " ومن لم يكن له قرين مرشد تمكن عدوه من عنقه (٢) ولاشك أن هذه الفكرة تدعو إلى توسل بالمشائخ الذين هم فى مرتبة الأئمة عند الشيعة ، وهذه نفس الفكرة الإسماعيلية الباطنية فى حق الأئمة عندهم ،إذ يقولون : "فأخبر جل ثناؤه أن مغفرته لمن ظلم نفسه ، لاتكون إلا من قبل أوليائه ، إذ هم أبواب رحمته وأسباب مغفرته لعباده ، ومن استشفع بهم شفع ومن استرحم بهم رحم ومن توسل بهم وصل ، والذي جعل الله عزوجل من ذلك لرسوله (ﷺ) وآله فهو لمن وصل طاعته بطاعة الأئمة

---

(١) انظر : د/ كامل الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٣٧ •

(٢) نفس المصدر والصفحة •

من أهل بيته ولولم يكن ذلك لانقطعت رحمة الله عزوجل عن عباده ، وإرتفعت مغفرته لخلقه وسدت أبواب التوبة دونهم،وعدموا عفوه عنهم(١) •

وقد ذكرنا فيما قد سبق السلاسل الموجودة فى أوساط المتصوفة ، كما ذكرنا أن لكل واحد منهم شجرة نسب لشيوخه تصل إلى على(رضي الله عنه) ثم إلى النبى(ﷺ) ، وهم يثبتون هذه السلاسل للتعرف على قرب المشايخ الذين ينتمون إليهم ولتحقيق غرضهم ومعرفتهم الكاملة وتحديد إتجاهاتهم الصحيحة، وليس من المستبعد أن يكون أصل هذه البدعة من الشيعة ، وهى لم تكن فى عصر النبوة ولا فى عصر من بعدهم من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين ، وإنما قالها المتصوفة مستمدين ذلك من أقوال الشيعة ومتأثرين بهم •

فقد نقل الحاج معصوم علي عن المرحوم ميرزا محمد تقى، الملقب بمظفر على شاه (المتوفى سنة ١٢١٥هـ ١٨٠٠ - ١٨٠١م) ومن متصوفة الطريقة النعمة اللهية فى كتابه " بحر أسرار " أنه قال : لقد جرت الطريقة الحقه بواسطة أربعة أولياء من الشيعة المختصين بأهل البيت ، وإنتشرت بين العباد والبلاد •

أولاً : من مولانا أسد الله الغالب أمير المؤمنين عليه السلام بواسطة كميل إبن زياد •

---

(١) احسان الهى ظهر : الاسماعيلية : ص ٣٧٣ ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ط١ ١٤٠٦-١٩٨٦ م •

ثانياً : من سيد الساجدين (يعني على بن الحسين) بواسطة السلطان إبراهيم بن أدهم •

ثالثاً : من مولانا الإمام جعفر الصادق بواسطة أبى يزيد •

رابعاً : من مولانا شمس الشموس أبى الحسن على بن موسى عليه السلام المدفون بأرض طوس بواسطة الشيخ كامل معروف الكرخى (١)•

وذكر الواسطى (المتوفى سنة ٧٧٤-١٣٧٢) فى سلاسل الطريقة الرفاعية إتصالها بعلي من ثلاث طرق ، أولها عن الحسن البصرى والأخرى عن طريق معروف الكرخى ثم على بن موسى الرضا فآبائه إلى علي ، والثالثة عن طريق جابر الأنصارى (٢)•

ثم يقول الدكتور الشيبى فى نهاية الحديث عن السلاسل: "ويتضح من هذه السلاسل التى أوردناها أن التصوف قد إعتمد فى جملته على الأخذ عن طريق معروف الكرخى الذى أخبر المتصوفة على إختلاف مشاربهم باتصاله بالإمام الثامن علي بن موسى الرضا ، وذلك ينبئ باتصال التصوف بالتشيع ، ذلك الاتصال الظاهر الذى تكرر فى هذه الرسالة (٣)•

---

(١) د/ الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٤٠ •

(٢) راجع د/ الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٤١ •

(٣) نفس المصدر ص ٤٤٢ •

فكما علمنا من أن التسلسل الصوفي مستورد من منابع التشيع ولم يكن الإسلام منبعاً لها قطعاً ، كذلك الحال في الطرق الصوفية التي وصفها الدكتور / فليب حتي بالهيئات المنظمة (١) وما جعلوها من نظم وقواعد - ذكرناها سابقاً - لا تستقيم على أساس ، بل إنها ممتلئة بالغموض والتعقيدات ، كل منهم يقومون بتفسيرها حسب مفهومه الخاص وتعبيره الذاتي •

فمهما يكن من أمر الطرق الصوفية ، فقد كان أول من نادى بها وأسسها الشيخ/عبد القادر الجيلاني الذي ينقل الشعراني له نسباً علوياً(٢) سواء صح هذا أم لا، لكن الأمر الواقع أن الطرق الصوفية بكل نوع من أنواعها ، لها علاقة وثيقة بالإمامة الشيعية ، فقد أخبر توفيق البكري : أن المتصوفة من تلك الطرق الصوفية - التي في السودان - يعتقدون في إمام يخرج آخر الزمن ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً (٣) وهذه من أهم العقائد الشيعية وهي عقيدة الإمام الغائب عند الشيعة والغلاة،كذلك الحال لجميع الطرق الصوفية التي تتوسع في أقطار العالم تصل أسناد مشائخها

---

(١) د/ فليب حتي : تاريخ العرب ج٢ ص٥٢٥ •

(٢) الشعراني: الطبقات ج١ص١٠٨، نقلاً من كتاب الصلة بين التصوف والتشييع ص٤٤٣ •

(٣) إن الشيعة الإثنا عشرية يزعمون أن محمد المهدي قد اختفى في سرداب دار أبيه وأنه لايزال مختفياً وسيعود فيما بعد•(أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ٣ ص٢١٢ دار الكتاب العربي ، لبنان د ١) •

بالأئمة الشيعية (١)، كما ورد أن الطريقة المولوية التى يتزعمها جلال الدين الرومى والتى هى أحد الفروع للقادرية ، تعتقد بالإمامة الشيعية ، كما أن البكتاشية يدينون بإمامة الأئمة الإثنا عشرية وسائر تفاصيل العقيدة الشيعية المذكورة ، وهكذا نستطيع أن نجزم أن الطرق التى يتبناها المتصوفة مستمدة من غلاة الشيعة والباطنيين ،وليس لها علاقة بالدين الإسلامى ، وهذا أمر خطير بالنسبة للمسلمين لأن الشيعة بقولهم العصمة للأئمة يجعلونهم فوق مرتبة الأنبياء والمرسلين ، كما قال ذوالنون المصرى : ليس مريداً البتة من لم يكن أطوع لأستاذه من ربه ، وكان أبوعلى الدقاق يتساءل " هل يحتمل أن يكون مقام النبى الذى يبعثه الله فوق مقام شيخه ؟ .

والواقع أن تلك الكلمات التى يقولونها تأتى من الثقة العمياء فى الشيخ وفى عصمته التى تجعل له مقام الشرح والتأويل فى النصوص الشرعية ، لما قد يفهمها المريد فهماً خاطئاً ، فالمريد لايستطيع بنفسه أن يتفهم ما أراده الله بأسراره وآياته ، ولكن الشيخ يفهم ، ولذلك يجب على المريد أن يطيعه تلك الطاعة التى لاطاعة فوقها ، والصلة بين هذا المقام ومقام الإمام المعصوم الصادر عن الله واضحة جداً (٢) ولذلك كانت طاعة المريد للشيخ فوق طاعته للرب (٣) .

---

(١) للتفصيل راجع : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٤٥- ٤٤٧ .

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٧٣ - ١٧٥ .

(٣) د/ الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٣٦ .

إذاً فنظام الطريقة الذى أوجده الصوفية والذى ألزموا به أنفسهم يخالف الكتاب والسنة كما يخالف علماء السلف والأئمة الكرام ، إنه بدعة أحدثها الروافض من الشيعة وأدخلوها فى المجتمع الإسلامى لغرض خلق الفتن وإضعاف قوى الأواصر والمحبة بين المسلمين وإبعادهم عن مبادئ الدين الأصيلة ، كما ذكر أن الصوفى الشيعى أحمد المهيمى (المتوفى سنة ٤٣٠هـ) والمعروف باسم أبى سعيد هو أول من قام بايجاد الطريقة (١) وإن أول طريقة أسست بنظام خاص بها فى منتصف القرن السابع الهجرى وما زال لها أتباع إلى اليوم وهى طريقة "بكتاشية" (٢) منسوبة إلى خنكار الحاج محمد بكتاش الخراسانى النيسابورى،وهى طريقة شيعية قلباً وقالباً .

و نحن المسلمون مأمورون بإتباع كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)،وكل ما يخالفهما فهو مردود .

قال العلامة إبن تيمية : " فلم يبق طريق إلى الله إلا باتباع محمد (ﷺ) فما أمر به من العبادات أمر إيجاب أو إستحباب فهو مشروع ما رغب فيه وذكر ثوابه وفضله (٣) ، فأما الفعل الذى لم يشرعه لنا هو لنا ، ولا أمرنا به ولا فعله فعلاً سن لنا أن نتأسى به فيه فليس من العبادات

(١) عبدالرحمن عبد الخالق : الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب و السنة ص٣٤٩ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٣٢ .

(٣) ابن تيمية : مجموع الرسائل والمسائل جـ٥ ص٨٣ مطبعة المنار ط١ ١٣٤٩هـ

والقرب ، فاتخاذ هذا قربة مخالفة له صلى الله عليه وسلم (١) •فأمر الله تعالى ورسوله أساس لصحة الأعمال ورضا الله تعالى والمثوبة عنده، وهذه الطريقة وأنظمتها من أفعال الناس ومن نتائج أعمال المغرضين الذين يستهدفون الإسلام والشريعة الإسلامية ، وفى الأمة أناس يتبعون أهوائهم، ويحبون الإتباع لها دون الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله(ﷺ) •

وقد زين لهم الشيطان أعمالهم ، فهم يعتبرونها من العبادة وهى ليست منها ، إن مثل هؤلاء الناس كما قال العلامة إبن تيمية : " وأهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويبغض إليهم السبل الشرعية حتى يبغضهم فى العلم والقرآن والحديث ، فلا يحبون سماع القرآن والحديث ولاذكره "(٢) والطريق الأسلم هو ماكان عليه النبى(ﷺ)وصحابته الكرام وعلماء السلف •

إن ذكر الله تعالى أمر مشروع فى الإسلام ، إنه سبب للتقرب إلى الله وإطمئنان القلب ، والحصول على الترغيب إلى العمل الصالح والمداومة عليه ، وهذا إذا كان ذلك موافقاً للشريعة ، فإن خالفها فلا يقال إنه ذكر •

---

(١) إبن تيمية : مجموع الرسائل والمسائل : ٥/٩٥ ن مطبعة المنار ط ١ ١٣٤٩هـ •

(٢) إبن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ٥/٩٨ •

فالذكر نوعان : مشروع وغير مشروع :

أما الذكر المشروع : فهو كما ورد في القرآن والسنة ، وينبغي للمؤمن التأسي بهما ليكتب عند الله من الذاكرين ، وقد أمرنا الله تعالى بذكره دوماً وبكثرة العدد ، يقول الله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(٣) •

وقد ورد في الحديث القدسي : ((مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ))(٤) •

وأيضاً في الحديث :((لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تعالى إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ عِنْدَهُ))(٥)•

وفي الحديث أيضاً : ((إِذَا رَأَيْتُمْ رِيَاضَ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا فِيهَا ، قِيلَ: لَه ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ)) (٦) •

---

(١) الأحزاب ٤١ •

(٢) البقرة ١٥٢ •

(٣) العنكبوت ٤٥ •

(٤) رواه البخاري في كتاب التوحيد ، ومسلم في الدعوات والترمذي الحديث رقم ٣٥٩٨ ، وابن ماجة في الأدب ك ٣٣ •

(٥) رواه مسلم و إبن ماجة والترمذي •

(٦) رواه الترمذي ، الحديث رقم ٣٣٧٥ •

وهذه النصوص التي ذكرناها والتي لم نذكرها تدل على أن الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح تتفق على الذكر المشروع ، ثم يكون هذا الذكر: كلاماً تاماً مفيداً مثل : " لا إله إلا الله " ومثل : "الله أكبر " ومثل : " سبحان الله والحمدلله " ومثل : " لا حول ولا قوة إلا بالله " ومثل : " تبارك اسم ربك ، وتبارك الذى بيده الملك ، وسبح لله ما فى السموات والأرض ، تبارك الذى نزل الفرقان •

فإن لم يكن تاماً ، بل مقطوعاً ، بحيث لا يفهم الذاكر مفهومه ومراده ، فإنه حينئذٍ يكون مكروهاً،كذكر الله باسم المفرد والمضمرواشغال النفس بالمد والخفض وتعذيب الأعضاء عند النطق باللسان أو بالقلب،أو بكليهما وتخصيص التوقيت لأدائه والإهتمام بالمجلس وغير ذلك مما يفعله المتصوفة، بدعة •

قال العلامة إبن تيمية : " فأما الإسم المفرد مظهراً مثل: " الله " " الله " أو مضمراً مثل : " هو " " هو " فهذا ليس بمشروع فى كتاب ولا فى سنة ولاهو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة ولا عن أعيان الأمة المقتدى به وإنما نهج به قوم من ضلال المتأخرين •

وربما اتبعوا فيه حال شيخ مغلوب فيه ، مثلما يروى عن الشبلى أنه كان يقول : " الله " " الله " فقيل له : لم لا تقول : " لاإله إلا الله " فقال : أخاف أن أموت بين النفى والإثبات •

وهذه من زلات الشبلى التى تغفر له لصدق إيمانه وقوة وجده وغلبة الحال عليه ، فإنه كان ربما يجن ويذهب به إلى المارستان ويحلق لحيته ، وله إشياء من هذا النمط التى لا يجوز الاقتداء به فيها (١) .

وقال رحمه الله أيضاً : وأما الإسم المفرد مظهراً أو مضمراً ، فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهى ، ولم يذكر ذلك أحد من السلف ، ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعطى القلب معرفة مفيدة ولا حالاً نافعاً، وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً ، لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات ، فإن لم يقترن به معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه ، وإلا لم يكن فيه فائدة ، والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد ، لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره .(٢)

إن أفضل الذكر " أن لاإله إلا الله " مع العمل الصالح الذى يوافق الكتاب والسنة ، وهذا الذكر بمعناه الشامل يتضمن جميع الأعمال من الفرائض والواجبات والسنن ،مع الاجتناب من المحظورات والمنكرات ، ومثل هذه الأعمال تصعد إلى السماء ، كما قال تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(٣) .

وأما الذكر الذى يقرره الصوفية وما يفترضونه على أتباعهم من أنواعه

---

(١) إبن تيمية : مجموعة الفتاوى ج ١٠ ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

(٢) إبن تيمية : مجموعة الفتاوى ج ١٠ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٣) فاطر ١٠ .

ومستلزماته لم يوافق الشرع ولم يعمل به أحد من الصحابة أوالتابعين أوتابعى التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وعلماء السلف رفضوا ذلك لأنه بدعة أحدثه الخلف والمبتدعون ٠

قال شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله : " لم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم " (١) ، وعنده لا تطلق كلمة الذكر على الإسم المفرد ، والمفرد لا يفيد المعنى ، والعرب لايسمون المفرد ذكراً ، لعدم إكتمال الجملة والكلام الذى يعطى المفهوم الصحيح ، ولذلك قال : " إن العرب يحكون بالقول ما كان كلاماً ، لا يحكون به ما كان قولاً ، فالقول لا يحكى به إلا كلام تام أو جملة إسمية أو جملة فعلية " (٢) ٠

وإنه رحمه الله قال : " إن الذكر باسم المفرد أو باسم الضمير الذى جعله المتصوفة خاصة لهم ، ماهو إلا بدعة وضلالة لم يشرعها الإسلام ، فقال: " الذكر باسم المضمر المفرد أبعد عن السنة وأدخل فى البدعة وأقرب إلى ضلال الشيطان ، فإن من قال: ياهو ياهو، أو هو هو ونحوذلك ، لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره قلبه ، والقلب قد يهتدى وقد يضل (٣) ٠

(١) إن تيمية : العبودية ص ١٥٧ ، بيروت ١٣٩٢ ن هـ ٠

(٢) أبن تيمية : العبودية ص ١٦٠ - ١٦١ ٠

(٣) نفس المصدر ص ١٥٩ ٠

وقال رحمه الله أيضاً : وأما الاقتصار على الإسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين ، بل هو وسيلة إلى البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات وأحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد " (١) •

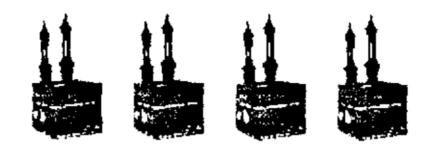
ثم إن ما ذكرنا من الطرق الصوفية وأنظمة الذكر لكل منها وما يستلزم منها من تعذيب النفس وأعضاء الجسم ، والالتزام فى الخلوة والعزلة وقراءة الأوراد وغيرها التى يوجبها الصوفية على أنفسهم وعلى أتباعهم ، تعتبر أموراً بدعية ، إنما جعلوها لأنفسهم نتيجة للتأثر البيئى ، وذلك لمخالطة المسلمين مع الهندوس والمعاشرة بينهم فى المجتمع ،كأنهم أمة واحدة جمعهم لواء الوحدة القومية •

وهذه الأشياء المستحدثة أيضاً إنما أخذوها من الديانة الهندوكية والبوذية بسبب الاحتكاك و المداهنة لهم ، كنظرية وحدة الوجود والفناء ، واللطائف الأربعة وغير ذلك من المصطلحات التى يستعملونها •

كذلك الذكر لله عزوجل وإيجاد الأنظمة المختلفة والهيئات المتنوعة التى أوردناها فى الطرق الصوفية المعروفة ، فهم أخذوها من الديانات الهندوكية والبوذية التى كانت منتشرة بين الناس ، فإن اللطائف وإشتغال

(١) إبن تيمية : العبودية ص ١٦٩ •

القلب عند النقشبندية وتعذيب الجسد والرياضة الشاقة للروح عند الخشتية والقادرية للإنسان والتى يقوم بها الصوفية عند أداء الذكر هو نفس الأسلوب الذى يتخذ الهندوس عند أداء الطقوس الهندوكية ، لأن الهندوس لهم ممارسات روحية عند طقوس العبادة لآلهتهم ، وبهذه الممارسة الروحية يشعر بأن نوراً أمامه ، يتجلى فيه جميع الرموز والأسرار ، ويكشف من الغيبيات (١) كذلك الصوفية عندما يمارسون الذكر - الجلى أو الخفى - كما يدعون أنه يسطع فى أعينهم نور بألوان شتى حسب القدر من بذل المجهودات ، يقول الشيخ السرهندى: " ثم بعد ذلك ظهر (لى) نور محيط بجميع الأشياء فظننته الحق سبحانه وتعالى ، وكان لون النور سواداً ، فعرضت عليه فقال الحق سبحانه وتعالى مشهود ، ولكن ذلك الشهود فى حجاب النور (٢) بذلك يذوب مع الذات البارى تعالى ، وينظر حقيقته فى كل الموجودات والمشهودات •



---

(١) ارنولد نيلكسون : The Mistic of Isiam P. 17

(٢) السرهندى : المكتوبات ٣٣٣/١ (المكتوب ٢٩٠) •

الباب الرابع

فى

دراسة تحليلية لآثار التصوف على المجتمع

ويشتمل على خمسة فصول

الفصل الأول : أثر التصوف على الأخـــــــلاق والمجتمـــــع

الفصل الثانى : أثر التصوف فى البدع والخـــــــــــــرافات

الفصل الثالث : أثر التصوف فى تعطيـل الجهاد الإسلامـــــى

الفصل الرابع : حركات المقاومة ضد التحديات الصوفية وغيرها

الفصل الخامس : أهمية حركات البعث الإسلامي في العصر الحديث



الفصل الأول

في

أثر التصوف على الأخلاق والمجتمع

ويشتمل على خمسة مباحث

المبحث الأول : تحويل الأضرحة إلى المعابد

المبحث الثاني : السماع والغناء

المبحث الثالث : خرق العادات

المبحث الرابع : تشويه صورة الإسلام

المبحث الخامس: الكسل والبطالة عن العمل

****

الفصل الأول
أثر التصوف على الأخلاق والمجتمع

*****

امتلأت ديار المسلمين اليوم بعناصر صوفية ، انضوت تحت مذاهب وطرق ، بعضها نقيض الآخرمن حيث الممارسة وفن التعبير ممايسمى بالطريقة التى سبق ذكرها ، وذلك أن بعضهم لم يجدوا وسيلة للتعبير عن علاقته بربه ، بعد أن انطفأ نور العقل عندهم وقهرت الشريعة الإسلامية فى حياتهم ، وأصبحوا نماذج افساد فى مجتمعاتهم ، يمارسون الرقص والغناء وتبجيل المشايخ وتقديس قبورهم وتعذيب النفس والجسد وغير ذلك من العادات والطقوس ، وهذا النهج الفكرى الصوفى الذى أراده المتصوفة ، لايتفق مع القواعد الشريعة الإسلامية فى العبادات والمعاملات وغيرها ، وهو خروج عن نطاق الإلتزام بعقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، وهذا مستهدف من الغزو الفكرى الذى تغلغل فى المجتمع الإسلامى، وهذا هو الدور الرئيسى للمنهج الذى قامت به المذاهب الصوفية وطرقها على امتداد ديار المسلمين ، حين عملوا على استقطاب أجيال المسلمين وحالوا بينهم وبين منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة ، فهلم لنرى ما مدى الإنحراف والفساد والتعطيل فى دين الإسلامى الذى سببته الصوفية وأيضاً تعالوا نشاهد عن مدى تأثر المسلمين منها •

وفى سياق الحديث عن أثر الصوفية فى المجتمع البنغالى ، كان من الجدير بالذكر أن عملية التأثير والتأثر وظاهرتها فى المنطقة قد بدأت منذ نهاية القرن العاشر الميلادى ، إلاَّ أنها كانت بطيئة ومحدودة •

وفى القرن الثالث عشر عندما استولى الحكام الأتراك على مقاليد السلطة فى البنغال بالذات، اشتدت تلك الحركة باتساع رقعتها ونفوذها بين الناس (١) إذ دخل فى تلك الفترة جمهرة من المتصوفة بشمال الهند الذين كانوا قد أتوا إليها، ومكّنوا فيها من المناطق الفارسية حتى كانت منطقة شمال الهند تعرف آنذاك بالمجتمع الصوفي (٢) •

وكان لهؤلاء المتصوفة الأثرالكبير فى تأثير معتقداتهم وفلسفاتهم فى مسلمى البنغال ، وأخصهم بأولئك التلاميذ والمريدين الذين كانوا يتلقون منهم تعاليم التصوف ، وينشرونها فيما بين المواطنين ،ولهم دور عظيم فى ذلك التأثير ، ونحن بصدد ذلك نذكر بعضاً من تلك المؤثرات فى المجتمع فى خمسة مباحث تالية :

---

(١) د/ إنعام الحق : أثر الصوفية فى البنغال ص ١٨٧ •

(٢) نفس المرجع والصفحة •

المبحث الأول
تحويل القبور والأضرحة إلى المعابد

*****

يتعاطف المسلمون البنغاليون مع الصوفيه الوافدين من المناطق البعيدة تعاطفاً شديداً لما يرونه فيهم من الأخلاق الفاضلة والمثل العليا والسلوكيات الطيبة التى تركت فى نفوسهم أثراً عميقاً بحيث لا يكاد يمحوها الزمان وانصرامه واشتد ذلك حينما علموا أن هؤلاء القوم تركوا أوطانهم وأهاليهم وقدموا إليهم لنشرالدين وتعاليمه ولإصلاح أحوال المواطنين،لا يطلبون منهم جزاءً ولاشكوراً،وأيضاً عنما شاهدوا فيهم بعض العادات والطقوس الغريبة التى يمارسونها أثناء العبادات والرياضات الروحية من العزلة والخلوة والرقص والغناء ، وظنوا أن هذه الأشياء تساعد الإنسان فى تسكين القلوب وتخليصهم من المصاعب والمتاهات التى كانوا يعانونها منذ فترات طويلة وعندئذ توجهوا إلى هؤلاء المتصوفة والدراوشة ، وطرقوا أبوابهم معتقدين أنه لا سبيل للخلاص من تلك المتاعب والمتاهات إلا باللجوء إليهم وباعتبارهم أولياء الله المقربين ، ولهم مكانة خاصة عنده لا يمكن الوصول إليه لأى عبد من العباد الآخرين دون واسطة هؤلاء كما ذكر ذلك العلامة الشهرستانى ، حيث يقول: " ومن أهل الهند جماعة أثبتوا متوسطات يأتونهم بالرسالة من عندالله عزوجل فى صورة البشر من غير كتاب ، فيأمرهم بأشياء وينهاهم عن أشياء ، ويسنُّ لهم الشرائع ويبين لهم الحدود، وإنما يعرفون صدقه بتنزهه عن حطام الدنيا واستغنائه عن الأكل والشرب

والبعال " (١) فأصبح هؤلاء القوم من المتصوفة المسيطرين على عقول الناس كوابيس على رؤوسهم لا خلاص لهم إلاّ بأخذ أيديهم طوعاً أو كرهاً وإلاّ قد يواجهون الهلاك والضياع ، فأى شخص ،سواء كان ذكراً أو أنثى ، صغيراً أو كبيراً ،غنياً أو فقيراً ، صحيحاً أو سقيماً- إلا ماشاءالله منهم - همومه الأخذ بأيدى الشيخ أو الولى ، سواء أكان حياً أم ميتاً ، فإن أصابه مرض ، أو نقصان ،أو لحقه ضر أو أية مشكلة من المشاكل التى يواجهها عندها لابد له من الاسراع إلى هؤلاء أو إلى قبورهم ، فيطلب الناس منهم الإغاثة والعون ، وهكذا جعلوهم شركاء لله تعالى ، وتركوا معبودهم الحقيقى الذى خلقهم ورباهم ورزقهم ، فصار هؤلاء الأولياء والمتصوفة وقبورهم قبلة للمسلمين يعبدونها ويركعون لها ويعتكفون حولها ، وفى بنغلاديش اليوم حوالى الألفين من تلك القبور والأضرحة (٢) جعلوها مزارات مقدسة •

فإنك لو سافرت إلى تلك البلدة تجد هذه المزارات مكتظة بالسواد الأعظم ،يذهبون إليها قاصدين الأمن والاستقرار والخلاص ، وإطمئنان القلب، ويقضون فيها أياماً معدودة ، ويبذلون عندها أموالاً باهظة ويزعم المتصوفة فى هذا الصدد أن الفيوض والبركات تأتى إلى الناس من مقام " الشيخ " حياً كان أم ميتاً •

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ج٢ ص ٢٥٦ ،دار المعرفة -بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

(٢) حسب الاحصائيات الحكومية : انظر : صحيفة انقلاب البنغالية الصادرة فى داكا ٣، يونيو ١٩٨٢م

يقول العالم الهندى المسلم: " شاه ولى الله الدهلوى " هناك عوامل كثيرة لاتخاذ القبور مساجد أو لجعلها مزارا يلتف حولها العوام من المسلمين ، منها وأهمها : هناك اعتقاد فى أوساط الصوفية أنه تحصل الفيوض والبركات مباشرة من شيخ الطريقة أو الصوفية ، سواء كان ذلك الشيخ حيا أو ميتا ، وهذا الإعتقاد موجود عند أهل الطريقة الجشيتة ويزعم أصحابها أن تسلسل الفيوض والبركات يستمر ولا ينقطع من الشيخ ولو كان مدفونا فى المقابر ، وللحصول على ذلك يجب العكوف عليها ، والجلوس حولها مستدبر القبلة ومستقبل المقابر ثم تلاوة بعض الآيات القرآنية ، ثم يقول: " ياروح " عدة مرات ، ثم يقول " ياروح الروح " وبهذا الشكل من المجاهدة والعمليات تتحرك الفيوض من المقابر نحو قلب الطالب (١) وللعالم الهندى كتاب المسمى " فيوض الحرمين " ومن محتوياته مجموعة من المناجات والمحادثات التى جرت بين مؤلفه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم،وقد ألفه وهو واقف فى المدينة المنورة وبين يدى روضة الرسول عليه الصلاة والسلام،مدعيا أنه تلقى العلوم منه مباشرة عن طريق اتصال الروح بالروح كما أنه استشاره ببعض الأمور التى يصعب فهمها فهما صحيحا (٢)٠

هكذا أصبحت تلك المزارات أمكنة للعبادة والسجود وطلب المدد والإغاثة ، هناك بعض المتصوفة المتطرفين المنحلين يفضلون تلك المقابر على المساجد ، فنجدها مليئة بالرواد ولكن حاضري المساجد قليلون ، فأى ضلال بعد هذا ٠

---

(١) شاه ولى الله : القول الجميل ص ٤٩ ، وهمعات ص ٢٦ ٠

(٢) للقراءة كتاب للشاه عبد العزيز الدهلوى : " فيوض الحرمين " أصل الكتاب بالفارسية نقله إلى الاردية بعض علماء الهند ، مطبعة عزيز ، دلهى ٠

المبحث الثانى

فى

السماع والغناء

****

يعتبر الشعب البنغالى من عشاق الصوت الجميل من الأغانى والطبول والمزامير، فأصبحت هذه من طبائعهم كجزء من الحياة اليومية ، كما قال أحد الأدباء المعاصرين: فمن قرأ الأدب البنغالى – القصص أو الشعر البنغالى الرقيق من الأصل – أحس فى قلبه اهتزازا عنيفا، وترنحاكأرجوحة ومن سمع الشعر البنغالى بغناء حلو لم يملك على نفسه (١) فالمتصوفة فى البنغال كانوا يجذبون قلوب الناس بتلك النغمات ، تلك وسيلة من الوسائل التى يستعملونها فى جذبهم نحو الصوفية ، وأهل التصوف من الطريقة الجشتية والسهروردية وكذلك الصوفية الباولية يحبون السماع والأغانى عند العبادات ويهتمون بترويجها بين الناس ، ومعظم الأبيات التى يرددونها أثناء السماع تتعلق بالحب والعشق بحيث أنهم يحبون الغناء فى تصور الذات وفى حالة السكر والوجد وتتردد تلك الأبيات والأشعار التى نظمت معظمها باللغة الفارسية ، كالشاعرالصوفى لالن شاه (٢) والشاعر حسون راجا (٣)

---

(١) الأديب سلطان ذوق الندوى : العلاقة بين اللغة العربية والبنغالية ، مقالة كتبها فى الصحيفة السعودية " المدينة " ٨/مارس /١٩٩٤ م ٠

(٢) شاعر معروف فى مقاطعة راجشاهى ، له كتب عديدة ، كلها منظومة بالحب والغناء٠

(٣) شاعر معروف كان ملكاً هندوسياً ، ثم تصوف متأثراً بالرياضة الروحية التى كان يمارسها الصوفية فى عصره فى مدينة سلهيت،ولاتزال أغانيهم تتردد فىالحفلات الدينية والإذاعات والتلفزيون فى كل المناسبات ٠

والشاعر جلال الدين رومى صاحب " المثنوى " وكتاب " بندنامه " رسائل نصحية لفريد الدين عطار ، و" جلستان وبوستان " للشيخ سعدى وغيرها من الكتب المنظومة والمنثورة التى تتعلق بالتصوف ، فإنك لو قمت بزيارة المناطق البنغالية من المدن والأرياف ، وحضرت فى المزارات ومقابر للأولياء والصالحين ، تستطيع أن تستمع لتلك الأغانى والرقص ، وترى فيها كيف تهتز مشاعرالحضور وكيف يطرأ عليهم الوجد والسكر رجالاً ونساءً ، ثم يلقون أنفسهم على الأرض هامدين جاثمين ، فاقدى الوعى وهذا القرار والسكون الذى كانوا يطلبونه ويريدون حصوله ، يجدونه فى ممارسة لمثل هذه العمليات ، والله سبحانه وتعالى يقول فى محكم كتابه : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١) أضف إلى ذلك هناك مواسم ومناسبات تقام فيها الحفلات والعرس ومجالس المولود والذكر ، يجعلون فيها السماع والغناء والرقص،زينة لها وبواعث الخير والسعادة،ويراعون لها الآداب (٢) التى وضعها المتصوفة •

يقول السهروردى : " فموضع الفهم محل المحادثة والمكالمة وهو سمع

(١) سورة الرعد ٢٨ •

(٢) كأبى حامد الغزالى الذى يستبيح الغناء والسماع ووضع الآداب له مثل مراعاة الزمان والمكان والإخوان ، حضور القلب ،الإلتفات إلى الجوانب وغير ذلك • للتفصيل: راجع : د/ زكى مبارك : الأخلاق للغزالى ص ١٨٧ ، دار الكتاب العربى بمصر •

وقلب ، وموضع المشاهدة بصر القلب ، وللسمع حكمة وفائدة ••• "

ثم يقول: " لأن الفهم مورد الإلهام والسماع ، والإلهام والسماع يستدعيان وعاءً وجودياً (١) •

هكذا صار الناس يعبدون الله تعالى بأدوات الغناء والسماع من مجموعة لهو الحديث الذى يسببه لإعراض عن ذكر الله ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (٢) •

وقال عامة المفسرين: إن معنى " لهو الحديث " الأغانى وما يستلزمها •

وقال شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه لله : أما السماعات المشتملة على الغناء والصفارات والدفوف المصلصلات ، فقد اتفق أئمة الدين أنها ليست من جنس القرب والطاعات ، بل ولو لم يكن ذلك كالغناء والتصفيق باليد ، والعزب بالقضيب والرقص ونحو ذلك (٣) •

وللسماع آثار سيئة للغاية بالنسبة للقائلين به ، وتلك الآثار لايعرفها إلا عباد الله الصالحين المخلصين كالإمام الشافعى رحمه الله إذ يقول : فإن القلب إذا تعود سماع القصائد والأبيات والتلذذ بها، حصل له نفور

---

(١) السهروردى : عوارف المعارف ج١ ص١٥٧ ، مطبعة السعادة •

(٢) سورة لقمان ٦ •

(٣) إبن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١١ص ٥٣١ •

عن سماع القرآن والآيات ، فيستغنى بسماع الشيطان عن سماع القرآن (١)٠

فالنبى(ﷺ) والصحابة والتابعون وتابعوهم من السلف الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين، يحبون تلاوة القرآن ويتلذذون بها ، وهم بذلك يشعرون بها السكون والاطمئنان ، قال تعالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٢)٠

---

(١) إبن تيمية : مجموع الفتاوى ٥٣٢/١١ ٠

(٢) سورة المائدة آية ٨٣ ٠

المبحث الثالث

فى

خرق العادات أو مايسمى [بالكرامات]

*****

كانت منطقة البنغال قبل قدوم الصوفية والفاتحين لها من المسلمين تحت نفوذ السحرة والكهان والمنجمين من الهندوس ، وهؤلاء بممارسة هذه المهنة الخبيثة، يحاولون السيطرة على عقول المواطنين وبسط نفوذهم عليهم فظلت تلك الممارسات أمراً شائعاً فى كافة المناطق ، وفى القرن الثالث عشر الميلادى ومابعده توافدت جماعة الصوفية من الشمال إلى البنغال ، وقد سبق أن هؤلاء قد شاهدو تلك الخوارق للعادات فى بلدانهم الفارسية وفى الأماكن التى تكثر فيها " الكرامات " فلما وصلوا إليها أجازوا تلك العمليات وقبلوها مما وجدوا من الهندوس وجعلوها وسيلة من وسائل نشرهم الصوفية فى المنطقة ، ورأوا فى اختيار خرق العادات أو مايسمى " بالكرامات " مصالح كبرى لجذب المواطنين إلى الإسلام وتقريبهم له حسب مزاعمهم ، لكن نجد كثيراً من صوفية القوم جعلوها هدفاً أصلياً ، حيث إن مئات الألوف من الناس يتقربون إليهم ويلتفون حولهم متأثرين بها ، وقد ذكرنا نموذجاً من ذلك فى التمهيد عند حديثنا عن خدمات العلماء فى نشر الإسلام، ومدى تأثر الناس بهم ، سواء كانت تلك الكرامات صحيحة فى الواقع أم أنها أسطورة أو خيال محض ، إننا نتأكد أنها مازالت مسيطرة على العقول ومازال الناس

يذاكرونها عند قراءة الكتب التاريخية المتعلقة بها ، ويظنون أن هذه الكرامات يجب تصديقها وأن الإيمان بها باعث لنيل السعادة والثواب،وفي إنكارها أو عدم الإعتناء بها ما يسبب نزول البلايا والمصائب ويستدعي غضب الله وسخطه ، كما يزعمون أن الأولياء الميتين هم أحياء في قبورهم وذو سلطات في تصرف شئون الناس من نزول العذاب وإيصال الضرر والنقصان كظنونهم في شأن الأولياء الذين مازالوا على قيد الحياة،حتى قالوا: إن من ليس عنده كرامة وخرق للعادات فلا يستحق أن يكون ولياً مهما يصل عمله ، ومن عنده كرامه ثابتة فيما بين الناس فهوولي ولو كان تاركاً للصلاة والصوم ومخالفاً للشريعة ، ومن الغريب أن هناك بعض مختلي العقل من المجانين يمشون على الطرق والشوارع وهم عراة تماماً كما ولدوا من بطون أمهاتهم ، يتبرزون ويبولون يأكلون ويشربون أمام أعين الناس ، طويل الأشعارواللحي والشوارب، تفوح منهم رائحة كريهة، يعتبرونهم أولياء وأصحاب كرامة •

فكثير من الناس رجالاً ونساءً يتقربون إليهم ويجلسون حولهم ، ويقدمون لهم المأكولات والمشروبات ويقومون إحتراماً لهم عندما يمشون أو يقفون ، بزعمهم أن هؤلاء قد طرأت عليهم الحال ، نتيجة إنشغالهم في الحب العميق لله تعالى ، فإهانتهم إهانة لله وإكرامهم إكرام لله ، فمن أكل الضرب أو اللطمة من أيديهم يعتبرونه سعيداً تناله السعادة •

ويحكى أنه كان عالماً معروفاً فى الستينات ، شاهد مجنونا عاريا يمشى على إحدى الطرق ، فنزل من المركب ووقف إحتراما له إلى أن غاب عن نظره ، فإذا كان هذا موقف عالم من مثل هؤلاء المجانين فكيف بموقف العوام من المسلمين منهم ؟ وهكذا أصبح الجهلة والدجالة هم المسيطرون على عقول المسلمين .

و الكرامة والخارقة للعادة التى ربما تظهر على أيدى بعض الأولياء قد لا تكون دليلا على مصداقية الولاية ، وقد تكون شعوذة أو شطحات كاذبة أو فتنة شيطانية كما عبرعنها العلامة إبن الجوزى فى كتابه " تلبيس أبليس "(١) فالكرامة قد تكون صحيحة إذا كانت تظهر على أيدى رجال صالحين متقين ومتبعين للكتاب والسنة ممن هم على عقيدة السلف ومنهجهم السليم .

ومن المؤسف أن كثيرا من العامة لهم ولع وإيمان بالخوارق التى يظنونها كرامات وقد تكون حيلا ، وقد تكون إمدادا من الشياطين ليتمادوا فى ضلالهم وغيهم كما رأينا سابقا ، فإذا وجدوا شيئا منها من مشيختهم دهشوا وآمنوبهم واستسلموا لهم وأطاعوا أوامرهم مهما كانت مخالفة للشريعة ومهما كان هؤلاء تاركين للصلاة ومرتكبين للموبقات وما أحسن ماقاله الإمام الشافعى رحمه الله :

" إذا رايت أحدا سار على الماء أو طارفى السماء فلا تغتر به حتى تزن عمله بميزان الكتاب والسنة "(٢)

وقال الشاطبى : " طلب الكرامات ليس عليه دليل ،بل الدليل خلاف ذلك فإن ماغيب عن الإنسان ولا هو من التكاليف لايطالب به " (٣) .

---

(١) إبن الجوزى : تلبيس زبليس ص ٣٨٠ .
(٢) نفس المرجع والصفحة
(٣) الإمام الشاطبى : الموافقات ٢/٢٨٣ .

المبحث الرابع

فى

تشوية صورة الإسلام

*****

إن الكرامات وخرق العادات التى تتجلى بأيدى صوفية البنغال عبر القرون ، والتى شوهت صورة الإسلام ، ونتج عنها البدع والخرافات و بعض الشركيات ، لها أسباب وعوامل منها :

أ – قبول الإسلام كمذهب جديد فى أراضيهم : على أيدى متصوفة وافدة من بلاد الترك والفارس وبخارى وغير ذلك من المدن الفارسية ، والتى تأثرت بالحضارة الفارسية ، وهؤلاء المواطنون لم يتأثروا بمحاسن الإسلام وتعاليمه ، وإنما تأثروا بسلوك الصوفية والوعاظ وما ظهر على أيديهم من بعض خرق العادات ، وبما أنهم لم يتعرفوا على الإسلام بصورته الحقيقية ، لذا بقى فيهم بعض خرق العادات التى كانوا عليها قبل الإسلام ، وبعد دخولهم فى الإسلام صارت تلك العادات كما هى تُعَرّفُ بالبدع والشركيات ، ولم يقم أحد باقتلاعها وتطهير نفوسهم منها ، وهكذا ظلت تلك العادات فى المجتمع كجزء من أجزاء الإسلام ٠

ب – أثر العادات الهندوكية المحيطة بالمسلمين هناك : ولقد عاش المسلمون بعد قبولهم للإسلام فى مجتمع يحيط بهم أمة الهندوس بما فيها من العادات والتقاليد والطقوس الهندوكية ، ولم يوفق المسلمون لاجتناب

المؤثرات الهندوكية ، فأثرت فيهم تلك العادات الهندوكية فنرى بعض المسلمين سواء كانوا مقيمين أو وافدين إلى المنطقة ، قد أقاموا العلاقات الزوجية مع العائلات الهندوكية وتقبلوا تلك الطقوس التى توجد فى الديانة الهندوكية فى حفلات الزواج وفى العبادات الهندوكية وغير ذلك ، وإن الذين تأثروا نتيجة من ذلك الإختلاط بشكل عام هم المسلمون وحدهم ، بينما الهندوس يعتبرون أنفسهم من المحافظين على ديانتهم دون تأثر من البيئة والمجتمع المناهض لهم ، والمسلمون الجدد وإن كانوا قد دخلوا فى الإسلام إلا أنهم قد حرموا من الدعوة الإسلامية الصحيحة ، والمعرفة عن الإسلام الصحيحة ، فبقوا على العادات الهندوكية •

وهذه البدع والخرافات التى نراها اليوم فى الأراضى البنغالية بل و فى شبه القارة الهندية ، قد تمكنت فيهم وذابت فى دمائهم بحيث إنه لو قام أحد اليوم بإصلاح هؤلاء ، فإنه يعرض نفسه للهلاك •

العاجل

واصبح العمل فى الدفاع عن الإسلام أمراً شاقاً قد يعود بالضرر على صاحبه •

المبحث الخامس
في
البطالة والكسل عن العمل والانحلال الخلقي
في المجتمع

******

كان أوائل الصوفية أصحاب مجاهدات وعبادات، صادقين مع أنفسهم وإن كانت بعض أعمالهم فيها تعمق وتشدد ومخالفة للسنة كصوم الوصال وقد ورد فعله عن عامر بن عبد الله بن الزبير، وكالصلاة على السطح في الليلة الباردة ووردت من صفوان بن سليم، لئلا يجيئه النوم، وكالجهد النفسي في الصوم والصلاة والعبادات كما روى عن أسود بن يزيد بن قيس، حتى يصفر وجهه منها (١) ثم ظهر بعد ذلك أجيال بنوا التكايا والزوايا وهي في الحقيقة دكاكين البطالة إن صح التعبير عنها، مستريحين من كد المعاش، متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص، يطلبون الدنيا من كل ظالم، مع أن بناء الزوايا والخوانق ولو للتعبد والحياة العزل،بعيدة عن المجتمع والمتاهات،هذه الأمور بدعة أحدثها الصوفية،فأصبحت هذه شائعة في أنحاء المنطقة البنغالية، وجعلت مجموعة كبيرة من الناس متعطلة عن العمل

---

(١) محمد العبده وطارق عبد الحليم : الصوفية نشأتها وتطورها من ١٦ – ١٧ .

وعـــن المشاركة فى الخدمات العامة وقد ترك الزواج أفرادها من أجل التزامهم بالزوايا والتكيا ومتابعتهم لأعمال شاقة و معظمهم هجروا الأسر والعائلات ، وابتعدوا عن كسب المعاش ، ظانين أنهم متوكلون على الله ، وأنهم يرزقون بدون كد وجهد ، والحقيقة أن هؤلاء ليسوا متوكلين بل هم متواكلون ، قد عطلوا أعضاء الجسم عن العمل والحركة والنشاط وينتظرون من يقدم لهم الأرزاق والملابس .

كان الأوائل من الصوفية يمتنعون عن الزواج تشدداً وتعمقاً ، ثم تطور الأمر بالمتأخرين منهم إلى مؤاخاة النساء ، واعطاء الطريقة للمريدين وحفلات الذكر المختلطة وإقامة الأعراس عند القبور مما يشعر بدنوهم من مذهب الإباحية عند الباطنية .

وفى المناطق البنغالية عدد كبير من الأبنية والقصور الخيرية ، قديمة وحديثة ، والزوايا الصوفية والمقابر والمساكن المجانية قد أنشئت لتلك الأغراض ، يسكن فيها مئات الألوف من الرواد وعشاق التصوف ومشائخ الصوفية ، يقدم لهم الطعام والشراب مجاناً ، وأكبر مراكز الصوفية اليوم فى بنغلاديش توجد فى " أت روشي " وضريح بايزيد " وشاه جلال " و " خورم بور "حيث توقد فيها النار ويطبخ الطعام على مدى الأربع وعشرين

ساعة ثم يوزع بين هؤلاء النزلاء ، ويسمون الطعام " شيرنى " وهى كلمة مصطلحة عند المواطنين تعنى الطعام الذى تحمل البركة ، ويستشفى به من الأمراض وتدفع منه البلايا والمصائب، كما تذبح فيها كل يوم الأبقار والجواميس والأغنام ، ويصرف لهم الأطنان من الأرز والدقيق ، كل ذلك يقدمها الناس باسم أصحاب القبور وما يسمونهم بالأولياء والمشائخ •

والإسلام يأبى البطالة و القعود عن العمل لكسب الرزق الحلال ، وبالتالى فإن التواكل طلب الرزق دون الكد للعيش وهذا مرفوض ، فالزهد ترك مافى أيدى الناس والإستغناء عنه ، وليس الزهد الحصول على مافى أيدى الناس تنطعاً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٢) •

وآيات كثيرة تدل على العمل وبذل الجهد والسير فى الأرض لطلب الرزق الحلال وكسب المال الحلال •

وقد نهى رسول الله (ﷺ) عن السؤال ومد اليد للرزق بل هو أمرنا بالاكتساب والعمل باليد فقال النبى(ﷺ) :

((لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب على ظهره ، فيبيعها خير من أن

---

(١) سورة الجمعة ١٠ •

(٢) سورة الملك ١٥ •

يسأل رجلاً فيعطيه أو يمنعه)) (١) •

وقال (ﷺ) : ((اليَدُ العُليَا خَيرٌ مِنْ اليَدِ السُّفْلى)) (٢)•

فعرفنا من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية أن الإسلام ضد البطالة ، والجمود والتقاعس ، بل إنه يحث على العمل فى شتى الميادين وعلى طلب الرزق الحلال ،ولكن رجال الصوفية لما ركنوا إلى العزلة والتزموا الزوايا، وجعلوها بمكانة المسجد والعبادة ، صار معظم الناس منشغلاً عن أصل الدين وعن عمارة الأرض ، وقد كلف الله عباده القيام بعمارة الأرض وإصلاح أحوال الناس •

---

(١) رواه النسائى ٩٣/٣ ، باب الزكاة •

(٢) رواه النسائى ٦٠/٣ •

الفصل الثاني

في

أثر التصوف في البدع والخرافات وأسبابها

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول : البدعة ومعناها لغة واصطلاحاً أسباب البدع ،

المبحث الثاني : إتبـــاع المتشابـــة

: إتبـــاع الهـــوى

: التقليـــد الأعمـــى

⁂⁂⁂

الفصل الثاني

أثر التصوف في البدع والخرافات

مازال المسلمون فى خير وسعادة ماداموا متمسكين بالكتاب والسنة وملتزمين بطاعة الله وإتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم قائمون على الخط السليم وعلى منهج الدين الحنيف ، ولكنهم وقعوا فى الهلاك لما انحرفوا عن مبادئ الإسلام وابتعدوا عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واتخذوا لأنفسهم طريق الكفر والضلال •

والحقيقة أن المجتمع عندما يصل إلى هذا الحد من الضعف والإنحطاط ومن البؤس والشقاء، يبحث عن السعادة فى مكان آخرغير الدين الإسلامى ، وعند أقوام آخرين مناوئين لأهل الإسلام والإيمان ، ويلجاؤون إليه ، وإن محاسن الإسلام وشريعته التى أعطاها الله له، لم يكد يراها بسبب فقدانه البصر والبصيرة وتأثره بالدعوات الكاذبة والباطلة ، ومن هنا ظهرت البدع والعادات الجاهلية فى الأمة الإسلامية ملمعة معسولة ، وسرعان ما أقبلت إليها ووقعت فى مصيدتها ، بحيث لاتجد منفذاً للخلاص منها ، فكيف تجد طريقاً لها إن عميت وفقدت بصيرتها •

هذا هو الوضع الراهن للأمة الإسلامية فى العالم ، فالبدع والخرافات التى جاء بها المتصوفة فى العالم الإسلامى، أصبحت اليوم مسيطرة على الأفراد والمجتمع وأحاطت العالم الإسلامى مثل سحاب الظلام الحالك

لايوجد الأمل للشعاع ولا النور الذى ينير لهم الطريق المستقيم ، وقبل أن نخوض فى صلب الموضوع نود أن نتحدث عن العبادة فى الإسلام ومشروعيتها ، وعن العبادة البدعية التى يتخذها المتصوفون •

هناك نوعان من العبادة : الشرعية ، والبدعية :

فالعبادة الشرعية هى : التى منزلة من عند الله بوحيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيفية أدائها وفق الوحى والسنة المطهرة ، فهذه الشريعة هى المطلوبة لكل المكلفين ، وعليها يترتب الثواب والعقاب وأما مادونها فهو العبادة البدعية التى هى مخالفة للكتاب والسنة ومتابعة للهوى •

قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) •

وهنا ينطبق معنى العبادة مع دلالة اللفظ اللغوية ، فالعبادة هى التعبد وهو التذلل و الخضوع والطاعة •

ويرى العلامة أبو الأعلى المودودى استناداً إلى الإستعمال اللغوى لمادة ع – ب – د : أن مفهوم العبادة الأساسى أن يذعن المرء لعلو أحد وغلبيته ثم ينزل له عن حريته واستقلاله ، ويترك إزاءه كل مقاومة وعصيان وينقاد له انقياداً وهذه هى حقيقة العبدية والعبودية ومن ذلك

---

(١) الزخرف : ٢٤ •

(٢) الجاثية : ١٨ •

إن أول ما يتمثل فى ذهن العربى لمجرد سماع كلمة العبد والعبادة ، هو تصور العبد والعبودية ، وبما أن وظيفة العبد الحقيقية هى طاعة سيده وامتثاله أوامره ، فحتماً يتبعه تصور الطاعة ، ثم إذا كان العبد لم يقف به الأمر على أن يكون قد أسلم نفسه لسيده اطاعه وتذللاً ، بل كان مع ذلك يعتقد بعلائه ويعترف بعلو شأنه ، وكان قلبه مفعماً بعواطف الشكر والامتنان على نعمه وأياده ، فإنه يبالغ فى تمجيده وتعظيمه ، ويتفنن فى إبداء الشكر على آلائه (١)٠

والعبادة الشرعية عند شيخ الإسلام إبن تيمية : أن تكون خاضعة لله تعالى مع غاية الحب له ، فهو ينظر إلى العبادة نظرة أعمق وأوسع ، فهو يحلل معناها إلى عناصره البسيطة فيبرز إلى جوار المعنى الأصلى فى اللغة - وهو غاية الطاعة والخضوع - عنصراً جديداً له أهمية كبرى فى الإسلام وفى كل الأديان ، عنصراً لاتتحقق العبادة كما أمر الله إلاَّ به ، وذلك هو عنصر الحب ، فبغير هذا العنصر العاطفى والوجدانى لاتوجد العبادة التى خلق الله لها الخلق ، ويعيش بها الرسل وأنزل الكتب (٢)٠

وهناك نوع آخر من الأمور التى يسميها الصوفية بالعبادة ، هى

---

(١) المودودى : المصطلحات الأربعة فى القرآن : ص ٩٧ دار الكتاب العلمى مصر ١٩٧٣م ٠

(٢) للتفصيل : راجع إبن تيمية : العبودية ص ٣٨ ٠

خارجة عن دائرة الشريعة ومخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ابتدعوها من عند أنفسهم وفق أهوائهم ، وهى عبارة عن القيام ببعض الأعمال والطقوس وأدائها وقد حصلوا عليها من المشاهدات والتجارب الروحية ، وجعلوها فوق العبادات الشرعية ، والتى تؤدى إلى إسقاط التكاليف ، ووضع الفرائض المكتوبات فى مرتبة ثانية مثل الذكر بأساليبهم الخاصة التى ذكرناها فى بيان الطرق الصوفية ، والأوراد المختلفة ، وما يسمونه من ختام ، مثل ختم الشفاء ، ختم خواجكان ، ختم يونس ، وشد الرحال إلى المزارات ، واستجابة الدعوات بواسطة المشائخ وغيرها التى أصبحت الآن هى أداة العبادة ، فهذا إنحراف جلى عن دائرة المنهج الديني ، ومما يهتم به الصوفية فى مجال العبادات هو بعض أعمال القلوب التى لم تنتقل عن الصحابة والتابعين ، وهذه الأعمال فى نظرهم فوق الأعمال التى تتعلق بالجوارح ،وهذا من نتائج فصل الشريعة عن الحقيقة ، والإعراض عن العلوم الفقهية ، لأن هذا اللون من الأداء الصوفى ، يمارس على أنه عبادة أو ما يسميه البعض لوناً من ألوان الفنون .

فمن السهل على العامة الجاهلة أن تعتنق عقائد وتنتمى لجماعات لا تكلفها من أعباء الإيمان والإنضواء تحت لواء الجماعة إلا هذا العبث ، وهذا هو البلاء (١) .

---

(١) د/صابر طعيمه : الصوفية معتقداً ومسلكاً ص٢٩٠ .

إن التوحيد أساس هذا الدين ، فهو أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريقة وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى ، وأول واجب على المكلف : شهادة أن لاإله إلا الله ، وعليه تترتب الأمور الشرعية من العبادات والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمعاملات والسلوكيات وغير ذلك ، فالله سبحانه وتعالى واحد لاشريك له ، المستحق لسائر العبادات ، المنزه عن العيوب والنقائص ،هو الرب والخالق والعليم والقادروالمحي والمميت ، واحد فى الذات والصفات ، وتحقيق الإيمان ونيل السعادة فى الدارين هو ممن تمسك بعقيدة التوحيد ، وقد ثبت من الكتاب والسنة وإجماع الأمة •

رغم ثبوت هذه العقيدة وجلاء حقائقها بكل وضوح لدى الجميع ، فإن فى المجتمع البنغالى المسلم بعض الأمور الشركية والبدع والخرافات التى تناقض الدين والإيمان ، فكثير من المسلمين ، رغم إقرارهم بربوبية اللّه تعالى ، وتصديقهم بها ، لا يؤمنون بألوهيته إيماناً كاملاً ، إذ يتقربون لبعض الرجال من أولياء الله تعالى يبتغون عندهم الزلفى، فيستغيثون بهم ، ويطلبون منهم الشفاعة والتوسل ، كما يقولون : لأن هؤلاء يملكون النفع والضرر ،وتستجاب دعواتهم وبزعمهم أنهم أحياء فى قبورهم،كحياة الأنبياء ، ولا يطرأ عليهم الموت إلا لثوان ولحظات ،كخطف البصر ، ثم ترجع إليهم أرواحهم ، ويحيون حياة دنيوية مع الأبدان يسمعون ويجيبون، يقومون

ويجلسون، ينامون ويستيقظون(١) وهم بهذه العقيدة يقدسون قبور هؤلاء كقداسة بيوت الله ، إذ يعتكفون حولها، ويسجدون لها وينفقون لها أموالا باهظه ويقدمون لها الذبائح ، ويقومون بالإحتفالات السنوية التى يسمونها " العرس "وغير ذلك من الطقوس الدينية التى أخذوها من الهندوسية والبوذية ، ثم جعلوها من الإسلام ، أصبحوا يعتقدون أن مثل هذه الأعمال ما هى إلا وسائل للتقرب إلى الله والحصول على رضوانه وجناته ، فصارت القبور والمزارات ، مساجد ومعابد فوقعنا بالذى منعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بقوله : ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإنما أنهاكم عن ذلك)) (٢) ويشدون الرحال ، قاصدين لها مهما بعدت المسافات ، وكثرت الأشواط ، كرحلتهم إلى بغداد لزيارة قبر عبدالقادر الجيلانى ، وإلى أزمير فى الهند لزيارة قبرمعين الدين خشتى ، ونظام الدين الذى يسمى رئيس الأولياء وأمثالها العديد من المزارات المتناثرة فى أرض بنغلاديش ، لايمكن إحصاؤها على وجه التحديد ، والتى أصبحت اليوم أوكارا للبدع والخرافات والشركيات (٣) .

---

(١) إحسان إلهى ظهير : البريلوية عقائد وتاريخ ص٢٢١ ادراج ترجمان السنة لاهور ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه عن جندب بن عبدالله البجلى .

(٣) مثل تجصيص القبور ، وبناء القبب عليها ، وتعليق الكسوة الخضراء عليها وإبدالها كل سنة ، وتنويرها بالشموع وتحنيطها بالبخور والعطور ، وتقديم الهدايا لها من ذبح ====

وسنعمل قريباً بقدر الإمكان على إحصائها بإذن الله تعالى ٠

وقد دحض الإسلام هذه الخرافات وحذر الأمة منها ، فقد ورد في الموضوع آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، منها : قول الله عزوجل: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ (١) ٠

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٢) ٠

قال العلامة إبن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة : يقول الله تعالى آمراً عباده أن يوحدوه في مجال عبادته ، ولا يدعى معه أحد ولايشرك به٠

وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ (٣)٠

فقد ذكر في أحد التفاسير : " أي إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه ، وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا مع كونه منزهاً عنه ومعصوماً منه

==== الأبقار والأغنام والدجاج والأرز والغلال الأخرى ، والاحتفال " بالقوالي " أي الأناشيد بالطبول والمزامير ، وحشد الرجال والنساء فيه ، والرقص فيما بينهما ، ورفع الأعلام الخضراء والحمراء على سطوحها ، والطواف حول القبور مثل طواف بيت الله في الحرم المكي وغير ذلك من الشركيات ، وليس من الغريب أن في المنطقة كثير من المزارات يحتفلون بها العرس السنوي رسمياً يشترك فيها كبار الموظفين في الدولة ، و الناس يستوردون الإبل والأبقار وغيرها من البلدان الخارجية ويتبركون من ألبانها وأبوالها ٠

(١) سورة الأحقاف ٥ ٠

(٢) سورة الجن ١٨ ٠

(٣) سورة الشعراء ٢١٣ ٠

لحث العباد على التوجيه ، ونهيهم عن شوائب الشرك ، وكأنـــه قـال : أنـت أكرم الخلق وأزهدهم عندى ، ولو اتخذت معى إلهـاً لعذبتـك ، فكيـف بغيرك من العباد " (١) .

وقال تعالى : ﴿ ولا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ ولا يَضُرُّكَ ، فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

وقال أيضاً : ﴿ هُوَ الحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ (٣) .

فهذه الآيات توضح لنـا أن توقير الأوليـاء الذيـن مـاتوا وتعظيم قبورهـم واللجوء إليهم والدعاء عندهم وطلب الحاجات منهم شرك ، فكل مسلم يؤمـن بالله وحده لاشريك له يجب الامتناع من هذه الأمورومن شوائبها.

وهناك أحاديث كثيرة تدل على تحريم رفع القبور وتعظيم الأموات ، فقـد روى عن إبن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى فـى قصـة نـوح عليه السلام : ﴿ قَالَ نوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَاراً ... إلى قوله : وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ (٤) .

---

(١) صديق حسن خان قنوجى : تفسير فتح البيان فى قصص القرآن ج٦ ص١٧١ طبع جديد ١٩٦٥م ، القاهرة .

(٢) سورة يونس ١٠٥ .

(٣) سورة الغافر ٦٥ .

(٤) سورة نوح ٢١ - ٢٣ .

يقول إبن عباس رضى اله عنه : إنهم كانوا قوماً صالحين من بنى آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا ، قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة ،إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا ، وجاء آخرون ، دب إليهم إبليس ، فقال إنما كانوا يعبدونهم وهم يسقون المطر ، فعبدوهم ثم عبدتهم العرب بعد ذلك (١) ٠

ومن المعلوم أن رفع القبور وتوقير أصحابها يؤدى بالناس إلى الشرك بالله وإلى الخرافات التى تخرجهم عن دائرة الإسلام ، لذلك فقد حرم الله تعالى هذه الأعمال الخرافية ٠

ففى صحيح مسلم عن جندب بن عبدالله البجلى(رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله(ﷺ) قبل أن يموت يقول : ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإنما أنهاكم عن ذلك)) (٢) ٠

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله(ﷺ) : ((لعنة الله على اليهود والنصارى فقد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد

---

(١) راجع صحيح الإمام البخارى ٤٣٨١ فى الصلاة ، أيضاً فى الجنائز ، باب هجرة الحبشة وفى مسلم رقم ٥٢٨ ، فى المساجد ، باب النهى عن بناء المساجد على القبور والنسائى ٢/٤١ ، ٤٢ فى المساجد باب اتخاذ القبور مساجد ٠

(٢) صحيح الإمام مسلم رقم ٥٣٢ ، باب النهى عن بناء المساجد على القبور ٠

يحذر ما صنعوا)) (١) وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ((من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد)) (٢) •

وهذه صورة من صور البدع والشركيات التى أصابت الأمة خاصة تلك المنطقة ، وللاطلاع على جميع أشكال البدع الموجودة فيها علينا أن ندرس معنى كلمة البدعة ومفهومها فى الشرع الإسلامى ومهلكاتها ، حتى يتضح لنابشكل واضح موقف الإسلام منها ، ومن ثم نستطيع اتخاذ الوسائل الكفيلة ضدها •

---

(١) رواه البخارى : ٢٠٣/٢ فى الجنائز ، باب ماجاء فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم •

(٢) رواه أحمد فى مسنده ١٩٥/١ ، ٤٥٤ •

المبحث الأول

في

البدعة معناها لغةً وإصطلاحاً

*****

فالبدعة لغة : من مصدر " بدع " وفى معجم مقايييس اللغة تقول: إبتدع فلان الركى ، إذا استنبطه ، أى إبتداء الشئ وصنعه لاعن مثال (١)٠

أو بمعنى آخر: إحداث شئ لم يكن له من قبل خلق ولا ذكرولا معرفة ٠

وفى الصحاح : أبدعت الشئ أخترعته لاعلى مثال ، والله بديع السموات والأرض ٠

والبدعة : الحدث فى الدين بعد الإكمال (٢)٠

كما جاء فى القرآن الكريم ﴿قُلْ مَاكُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَايُفْعَلُ بِي﴾ (٣) أى ماكنت أول من أرسل،وكما ورد فيه ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ (٤) فالخلاصة أن كلمة البدعة تدور حول معنى الإحداث والإختراع والخروج على حد القانون والمعانى ٠

وفى الإصطلاح : البدعة طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية

---

(١) إبن الفارس : مقاييس اللغة ٢٠٩/١ ٠

(٢) الجوهرى : الصحاح ٨٣/٣ ، ١١٨٤ ٠

(٣) الأحقاف : ٩ ٠

(٤) الحديد : ١٢ ٠

يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله تعالى أو العمل بالذى لادليل عليه فى الشرع •

هذا على رأى من لايدخل العادات فى معنى البدعة ، وإنما يخصها بالعبادات ، وأما على رأى من أدخل الأعمال العادية فى معنى البدعة فيقول: " البدعة طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها مايقصد بالطريقة الشرعية (١)•

ويتجلى من معانى البدعة لغة وإصطلاحاً أن البدعة هى إختراع شئ لاسابق لها ولا مثيل ، وفى الاصطلاح إدخال شئ فى الدين بعد أن أكمله الله تعالى بوحى منزل على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فهو بدعة بقوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (٢) ولم يترك فيه شئ يحتاج إلى التكميل أو التغيير ، فهو دين كامل متكامل إلى أن تقوم الساعة •

فالناس مأمورون فى إطاعة هذا الدين فى كل حال من الأحوال وفى كل زمان من الأزمنة ، فالله سبحانه وتعالى قد أكمل الدين ليبقى إلى أن تقوم الساعة،وأكمله ببعثة الهادى الأمين محمدرسول(ﷺ) وآذن ببقاء نبوته إلى أن تقوم الساعة ، فالذين يستحدثون فى الدين ، ويتبعون

---

(١) راجع للتفصيل : على محفوظ : الإبداع فى مضار الابتداع : ص ٢٦ ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ط ٥ / ١٣٩١هـ

(٢) سورة المائدة ٣ •

البدع إيمانهم بالدين الإسلامى ناقص ، بل قد يكون فى بدعهم ما هو خروج على الملة الإسلامية ، ولذلك كان الرسول(ﷺ) يحذر الناس من البدعة واستحداث الأمور فى الشريعة ، وهذا نوع من الغلو فى الدين ، لذلك بعض العلماء إستحلوا دماء المبتدعين ٠

قال أبو قلابة " ما إبتدع رجل بدعة إلا استحل السيف (١) ٠

وكان أيوب السختيانى يسمى أصحاب البدع خوارج ويقول: إن الخوارج اختلفوا فى الإسم واجتمعوا على السيف (٢)٠

قال شيخ الإسلام :الفرق الثانى فى الخوارج وأهل البدع : أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات ، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب ، استحلال دماء المسلمين وأموالهم ، وأن دار الإسلام دار الكفر،و دارهم هى دار الإيمان(٣) ثم يقول شيخ الإسلام رحمه الله : طريقة أهل البدع يجمعون بين الجهل والظلم ، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويكفرون من خالفهم فى بدعتهم (٤) ٠

فالشريعةالإسلامية جامعة لكل ولاية وعمل فيه صلاح الدين والدنيا ، فهى ما جاء من الكتاب والسنة وما كان سلف الأمة فى العقا ئد والعبادات

---

(١) رواه الدارمى ٤٤/١ باب اتباع السنة ٠

(٢) رواه الدارمى ج١ ص٤٥ ، ٤٦ ٠

(٣) إبن تيمية : مجموع الفتاوى ج١٩ ص٨٨ ٠

(٤) إبن تيمية : مجموع الفتاوى ج١٩ ص ٧٢ ٠

والسياسات والأحكام والولايات والعطيات(١) فمن خالفها واتبع سبيل غيرها ، فكأنه انسلخ من الدين الإسلامى ، والمسلمون المؤمنون مأمورون باتباع أمر الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : " مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا " (٢) ومخالفة أمرهما ، فسق وغلو فى الدين شجبه الإسلام واستنكره .

وقد عالج الرسول(ﷺ) بعض مظاهر الغلو فى عصره ، وهذا عرض لبعضها :

عن أنس بن مالك(رضي الله عنه) قال : ((جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم، فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً ، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى)) (٣).

---

(١) راجع نفس المرجع والمصدر ج١٩ ص ٣٠٨ .

(٢) الحشر : آية ٧ .

(٣) رواه البخارى ٢/٧ كتاب النكاح ، مسلم ١٠٢٠/٢ كتاب النكاح .

فاستنكر النبى(ﷺ) فعل أصحابه وغلوهم فى العبادة وجعله خروجاً عن سنته وهديه ، ومثل ذلك أحاديث كثيرة قد زجرفيها إنشغالهم فيما لايعينه الإسلام ، كذلك الحال فى شأن البدع ، وقد ذمها الرسول (ﷺ) فى أحاديث صحيحة متناً وإسناداً منها :

مارواه أنس بن مالك(رضي الله عنه) الذى ذكرناه آنفاً ، فقد جاء فى آخره : ((إن لكل عمل شرة ، ثم فترة فمن كانت فترته الى بدعة فقد ضل ومن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى)) (١) ٠

وعن أبى برزدة الأسلمى(رضي الله عنه) قال : قال رسول الله(ﷺ) : ((إنما أخشى عليكم بعد بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء)) (٢) ٠

قال حذيفة(رضي الله عنه) : " يا معشر القراء ، استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً ، ولئن أخذتم يميناً أو شمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً " ٠

وعن أبن عباس(رضي الله عنه) قال : عليكم بالاستقامة والأثر ، وإياكم والتبدع (٣) ، بالإضافة هناك أحاديث كثيرة وردت فى ذم البدع والابتداع٠

---

(١) راجع مسند الإمام أحمد ٤٠٩/٤ ٠

(٢) رواه أحمد فى مسنده ٤٠٩/٥ ٠

(٣) للتفصيل راجع : سعيد ناصر الغامدى ، حقيقة البدع وأحكامها ٧٣/١ ، مكتبة الرشيد ط١ ١٤١٢هـ ١٩٩٢م ٠

كما روى عن عائشة رضى الله عنها فى صحيح البخارى عن النبى(ﷺ) قال : ((من أحدث فى أمرنا ماليس منه فهو رد)) وفى رواية لمسلم: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) (١) .

قال الشوكانى : هذا الحديث من قواعد الدين ، لأنه يندرج تحته من الأحكام مالايأتى عليه الحصر (٢) فالبدعة بأية نوع كانت مذمومة فى الشريعة وإن قال البعض عنها بأنها تنقسم إلى حسنة وسيئة (٣) لما روى فى الحديث الشريف قال(ﷺ) فى إحدى خطبه: ((أما بعد فإن أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة)) (٤) فكلمة " كل بدعة ضلالة " تحتم رفض البدع كلها بأى شكل من الأشكال .

قال شيخ الإسلام إبن تيمية فى شرح هذه الكلمة من الحديث الشريف: " لم يرد به كل عمل مبتدأ ، فإن دين الإسلام ، بل كل دين جاء به الرسل فهو عمل مبتدأ ، وإنما أراد ماابتدئ من الأعمال التى لم يشرعها هو – محمد (ﷺ)– " (٥) .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) على محفوظ البدع ص ٥٠ .

(٣) راجع للتفصيل كتاب البدع ص ٣٧ .

(٤) رواه مسلم ، عن جابر بن عبدالله .

(٥) إبن تيمية : الفتاوى ٣١٧/١٠ .

ومما لاحظنا من تعريف البدعة فى البحث نستطيع أن نلخص فيما يلى:

البدعة :

١ - كل ماعارض السنة من الأقوال أو الأفعال أو العقائد •

٢ - كل أمر يتقرب به إلى الله تعالى وقد نهى عنه الشرع •

٣ - كل أمر لادليل عليه من الشرع مما يلحق بالعبادات أو العقائد •

٤ - كل عبادة أطلقها الشرع وقيدها الناس ببعض القيود كقيد الزمان أو المكان أو الهيئة •

٥ - كل أمر لايمكن أن يشرع إلا بالنص و ما لا نص عليه فهذا ابتداع إلا ماكان عن صحابى •

٦ - مانص على استحبابه بعض العلماء سيما المتأخرين منهم ولا دليل عليه •

٧ - الغلو فى العبادة •

فهذه الأمور كلها تدخل فى معنى البدع ، ولو تتبعنا أحوال الأمة المسلمة فى العالم الإسلامى ، وخاصة بالمناطق التى وصل إليها الإسلام بعد عشرات السنين، نجد الكثير من البدع بأشكالها وأنواعها فيها ، فأصبحت هذه البدع تحدياً كبيراً يواجه مستقبل الإسلام ، فقد استطاعت البدع والخرافات اليوم فى كثير من بلاد المسلمين أن تحتل مكاناً كبيراً فى المجتمع •

لماذا يبتدع الناس ؟

هناك عوامل كثيرة ومتعددة تدعو الناس إلى الأخذ بالبدع والسلوك بها بل إن هذه العوامل أكثر من أن تحصى وتحصر ، لأنها تتجدد وتتغير وتظهر وتخفى ، ولا تكاد تتضح إلا بدقة التحرى والإمعان فى البحث ، والطريق الأسلم الذى يجب على المسلمين أن يسلكوه هو اتباع الصراط المستقيم واجتناب ما سواه ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (١) •

فعندما يتخلى المسلم عن الطريق الحق المستقيم ، ويتخذ غير ذلك سبيلاً يقع فى الهلاك والضلال •

و ورد عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : ((خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ، فقال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : وهذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان ، يدعو إليه ، ثم تلا)): ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ...الآية ﴾(٢) •

وهذه الآية وهذا الحديث الذى يوضح معناها يصور بتصوير محسوس طريق الإستقامة وطريق الحق المبنى على اتباع القرآن والسنة ، كما أوضحت إنه طريق واحد واضح ومستقيم لا عوج فيه ، وأطلقت

---

(١) سورة الأنعام ١٥٣ •

(٢) رواه أحمد فى مسنده ج١ ص٤٣٥ •

طـــرق الضلال ووسائل الخروج عن طريق الحق بلا حصر ولاتحديد ٠

ولا شك أن كل إنحراف إلى طريق من طرق الضلال ، لابد له من سبب ، وكل خروج إلى وسيلة من وسائل الباطل ،لابد له من باعث وسبب ، ويمكن حصرها فى الأمور الآتية :

أولاً : القول فى الدين بغير علم ، وقبول ذلك من قائله ، لقد حذرنا الشرع من القول بغير علم ،والعمل به ، بل جعل ذلك من المحرمات ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(١) ٠

وقال تعالى : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٢) ٠

وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(٣)

هنالك أحاديث نبوية شريفة ، وردت فى ذم القول بغير علم وإصدار الفتاوى بغير دليل، قال النبى (ﷺ) : ((من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه)) (٤) ٠

---

(١) سورة الأعراف ٣٣ ٠

(٢) سورة الأنعام ١٤٤ ٠

(٣) سورة البقرة ١٦٩ ٠

(٤) رواه أبو داود ج٣ ص٣٢١ والحاكم فى مستدركه ج١ ص١٢٦ ٠

وقال رسول الله(ﷺ) : ((القضاة ثلاثة : واحد فى الجنة واثنان فى النار ، فأما الذى فى الجنة ، فرجل عرف الحق ، فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار)) (١)٠

ويتضح منها أن القول فى الدين بغير علم إضلال ، وإن على من أضل إثم من وقع فى الضلال بسبب فتواه بغير علم ، فإذا مارس الجاهل العلم وأفتى فى الدين ، وقع فى البدعة ، قاصداً أم غير قاصد ، إذ أنه مبتدع بادعائه العلم وبما استحدثه مما يخالف الشرع بعد ذلك ٠

قال عليه الصلاة والسلام : ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا)) (٢) ٠

وهذا الجهل بالدين له ألوان كثيرة منها :

الجهل باللغة العربية وأساليبها ، لأن العربية لغة القرآن والحديث ، وكان النبى (ﷺ) عربياً فصيح اللغة واللسان ، عندما يتكلم أو يتحدث تخرج من فيه الفصاحة والبلاغة ، لأنه نشأ وتربى فى بيئة عربية أصيلة، فليس من الممكن أن يتحدث عن الدين وعن الشريعة

---

(١) رواه أبوداود ج٣ ص٢٩٩ ، وابن ماجه حديث رقم ٢٣١٥ ٠

(١) رواه البخارى ج١ص٢٠ ورواه الترمذى فى صحيحه رقم الحديث ٢٧٩٠ وقال : حديث حسن ٠

دون إلمامه باللغة العربية •

قال تعالى : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ (١) •

ومنها الجهل بالسنة النبوية الشريفة : ويشمل ذلك الجهل بقانون التمييز بين الصحيح والضعيف ، والمقبول والمفروض ، فالجاهل باللغة فمن الممكن أن يقع فى الكذب على الرسول (ﷺ) •

وقال النبى(ﷺ) : ((من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)) (٢) ، فإنه حينئذ يقبل كل ما يأتى إليه من الحديث ، بغض النظر عن صحته أوضعفه أووضعه ، لا يفرق بينهما ، وهذا أيضاً ضلال مبين ، فهو يتحدث بالرأى الذى هو مشحون بالضلالة ، وبذلك ينشئ البدع فى المجتمع •

---

(٢) سورة الشعراء ١٩٢ - ١٩٥ •

(٣) رواه البخارى ج١ ص٢٧ •

المبحث الثانى

فى

إتبـــــاع المتشابه

*****

ومن بواعث نشأة البدع فى المجتمع،ابتغاء الفتنة من العلماء المبتدعين ، وابتغاء تأويله من الجهلة المتعالين .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ، كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾(١) .

وقد حثنا الشرع على اجتناب المتشابهات،لما في اجتنابه من مصلحة للمؤمنين، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:((الحلال بيّنٌ والحرام بيّنٌ ، وبينهما أمور مشبهات أ ومشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس،فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ...الحديث)) (٢) .

---

(١) سورة آل عمران ٧ .

(٢) رواه البخارى ج١ ص١٦ و مسلم رقم ١٥٩٩ وأبوداود ج٢ ص٨٣ .

المبحث الثالث

في

إتبـــــاع الهـــوى

*****

وتطلق كلمة الهوى على ميل النفس وإنحرافها نحو الشئ ، ثم استعملت في الميل المذموم والإنحراف السئ .

وقد ذم الإسلام أهل الأهواء ، لأنهم يعبدونها ويتبعونها ، ولم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذاً أصيلاً لهم .

والأصل في الإسلام أن لايأخذ المسلم شيئاً من الأحكام الشرعية، إلا ما ثبت في الكتاب والسنة أو الإجتهاد في حدود ما أشار إليه النبي(ﷺ) ، عند عدم وجود نص محددٍ في الواقع .

وفي ذم أصحاب الهوى قال الله تعالى ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ (٢) .

---

(١) سورة الجاثية ٢٣ .

(٢) سورة النجم ٢٣ .

وقال أيضاً : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (١) .

ولكن أصحاب البدع لم يتبعوا الكتاب والسنة ، ولم يعتنوا بها ، بل كل منهم تمسك بنظرية معينة أو فكرة خاصة ، ثم جعلوها من الدين ، وأدخلوها على الناس ، دون الرجوع للمَصْدَرَيْنِ الأساسيين ، وهذا هو معنى اتباع الهوى الذى ذمه القرآن ، وشجب أصحابه ، قال رسول الله(ﷺ) : ((الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لِمَا بَعد الموت ، والعَاجِزُ مَن اتَّبع هَوَاه ، وَتَمَنَّى على الله الأَمَانى)) (٢) .

(١) سورة محمد ١٦ .

(٢) رواه الترمذى ، رقم الحديث ٢٥٧٧ وحسنه .

المبحث الرابع

التقليد الأعمى

ويشتمل على اثنا عشر مطلبا

المطلب الأول : البدع في العبادات

المطلب الثاني : البدع في القبور

المطلب الثالث : الخواتيم

المطلب الرابع : دروود وسلام

المطلب الخامس : الصيام النافلة

المطلب السادس : المولد النبوي

المطلب السابع : بدعة أحياء ليلة النصف من شعبان

المطلب الثامن : بدعة المشيخة والمريدية

المطلب التاسع : بدعة المبايعة على يد الشيخ

المطلب العاشر : بدعة التوسل والوسيلة

المطلب الحادي عشر : بدعة الشعوذة والتعاويذ

المطلب الثاني عشر : عقيدة النور المحمدي

******

المبحث الرابع

فى

التقليد الأعمى

****

السبب الرابع فى نشأة البدع ، التقليد الأعمى ، فالله عزوجل جعل لكل إنسان عقل وبصيرة ، ليعرف الحق والباطل ، ويفرق بين الطالح والصالح ، ويميز بين العالم والجاهل ،فالعالم هو الذى عنده نور العلم ، ويعمل بعلمه ، وهو قدوة حسنة ، وله المثل العليا وهوقائم على نهج السنة النبوية ، فهو يستحق أن يتبع ، ومن لا يملكها فلا يستحق أن يكون قدوة للآخرين ، ولكن الجهلة بالدين الذين فقدوا نور البصيرة والعلم ، لا يستطيعون التمييز بينهما ، فزين لهم الشيطان أعمالهم ، ويظنون بهم ظناً حسناً،يسلكون مسلكهم ويمشون خلفهم ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، والحقيقة أنهم ضالون ومضلون •

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ، وَلَا الظِّلُّ

---

(١) سورة الرعد ١٦ •

وَلا الحرُورُ وَلا الأحْيَاءُ وَلا الأمْوَاتُ ﴾ (١) ٠

توضح هاتان الآيتان أن الله تعالىأمر الإنسان أن يختارفئة واحدة منها ، دون الآخر،فإن كل نوع من الأنواع يتضاد الآخر،فهو مخير بهما ٠

والسئوال لماذا يشجب الشارع البدع ويذمها ؟ وللإجابة على ذلك أقول : إن هناك أسباباً كثيرة،تعود مصالحهاإلىالإسلام وشريعته،وحمايتهما من كيد الكائدين ، ووضع المبطلين من أعداء الإسلام،ولكنى أذكرهنابعضاًمنها:

أولاً : لأن البدع والأمور المستحدثة فى الدين تفسده ، فلو تتبعناسير الأولين من أتباع الأنبياء والرسل ، نجد أن المبتدعة قد أفسدوا أديانهم السماوية بسبب البدعة وتحريف الشريعة والقوانين التى أنزلها الله على أنبيائهم ، كما ورد فى القرآن : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ (٢) ٠

وإن الذين قاموا بإضافة هذه البدع وإدخالها إلى هذه الديانات،هم الأحبار والرهبان الذين اتخذهم الناس آلهة وأرباباً عندما اتبعوهم فيما لم يرضه الله عزوجل ، كما قال الله تعالى عنهم حيث يقول : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ (٣) ٠

---

(١) سورة فاطر ١٩ – ٢٢ ٠

(٢) سورة الحديد ٢٧ ٠

(٣) سورة التوبة ٣١ ٠

وصاروا بذلك أرباباً لأنهم أعطوا لأنفسهم حق التشريع ، وهو حق خالص لله عزوجل ، وإن إضافة أى شئ إلى الدين ، هو تشريع بكل معنى الكلمة ، لأنه شئ لم يأذن به الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ، مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ (١) •

و الناس يتعاملون مع البدعة على أنها من صميم الدين المنزل من عندالله ، ولذلك فهم يتمسكون بها ، بل ويستميتون فى الدفاع عنها والانتصار لها ، فالبدعة تهدم الدين •

ثانياً : أن البدعة تعطل أو تلغى منهج الاتباع والتلقى السليم لهذا الدين لأن الإنحراف عن هذا النهج ، يؤدى إلى الزلل والخلل فى السير، ويقودنا إلى الإنحراف عن صراط الله المستقيم ، وبذلك يكون المبتدع قد كدَّر مقام الاتباع لرسول (ﷺ) ، الذى هو الترجمة الحقة والدليل الصادق على المحبة ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ، يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (٢) •

فالمبتدع إذن يجعل لله نداً فى التشريع ، ويجعل للرسول (ﷺ) شريكاً فى الاتباع •

---

(١) سورة الشورى ٢١ •

(٢) سورة آل عمران ٣١ •

ثالثاً : ما تتركه البدعة من أثر سيئ فى واقع المسلمين من اختلاف وتشتت وتحزب وتفرق وضياع ،فصار حالهم كما قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (١) ٠

فكل طائفة تزعم أنها على الحق وحدها ، وأن من سواها إنما يخوضون فى الباطل خوضاً ، وقد حذر النبى(ﷺ) من خطورة ذلك كما جاء فى حديث إفتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، وهى ماعليه هو وأصحابه ٠

رابعاً : أن البدعة تعطى فرصة لأعداء الإسلام لبث سمومهم وأهدافهم الخبيثة ، وقد بلى الإسلام بأمثال هؤلاء منذ فترة ماضية مثل عبدالله بن سبأ اليهودى الذى تظاهر بنصرة علي(رضي الله عنه) ، ثم إستطاع أن يبذر بذور التشيع فى صفوف المسلمين وهناك عشرات من أمثاله قد لعبو دوراً كبيراً فى إضلال المسلمين عند ما نشروا أفكاراً هدامه تضعف بنية الإسلام ، وتحدث الفرقة بينهم ٠

خامساً:موقف الإسلام الحاسم من البدع والمحدثات،فالقرآن الكريم حذر المسلمين من الفرقةوالاختلاف فىالدين،وهىأمراض تحدثهاالبدع وتنتج عنها

---

(١) المؤمنون : ٥٣

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (١) فالبدعة هي السبب في شرود الناس عن الصراط المستقيم ، والله تعالى أمرهم بألا ينحرفوا عن هذا الصراط ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٣) وهناك أحاديث كثيرة تذم البدع والمبتدعين ، وقد ذكرناها في بداية هذا الفصل ٠

وفي ضوء ما تقدم من البيان عن معاني البدع وأقوال العلماء فيها وتحذير الشرع من مضارها وماذكرناه ضمنا لهذا البيان من أثر البدع على الأمة المسلمة ينبغي أن نتحدث عن مؤثرات تلك البدع في المجتمع البنغالي وفي سائر المناطق البنغالية ، فإنك لو سافرت إلى بنغلاديش وقمت بجولة تفصيلية في مدنها وقراها ، تجد أثارا للبدع والخرافات تقشعر منه الجلود ويرجف منه الفؤاد، وأنت تشعر أن الناس أصبحوا تحت قبضتها وسيطرتها ، وهذه البدع والخرافات لم تظهر آثارها في بداية العهد الإسلامي في المنطقة عند دخول الإسلام إليها ، ولكنها دخلت رويدا رويدا بواسطة الصوفيين وأفكارهم المضلة وسلوكياتهم المنحرفة وقد زرعت بذورها بأيدي هؤلاء المتصوفة ، ثم نمت وكبرت واشتد قوامها واستقر أصلها ، بحيث أنها أصبحت جزءا متلاشيا في تربة هذا الوطن الكبير ، فاختلط الأمر بين الحق والباطل ، وبين النور والظلام ، وظن الناس أن البدع والخرافات من أصل الإسلام ، ولا يمكن لأحد التمسك بالدين ، إلا بها ، فتعالوا ننظر المجتمع البنغالي عن مدى انحرافه عن الكتاب والسنة و إقباله إلى الأمور البدعية ، وذلك في مطالب تالية :

---

(١) الأنعام آيــة ١٥٩ ٠
(٢) الأنعام آيــة ١٥٣ ٠
(٣) الحشر آيــة ٧ ٠

المطلب الأول
البدع في العبادات

: الجهر بالنية عند تكبيرة الإحرام للصلاة

: أداء النوافل جالساً ولو كانت له المقدرة على القيام

: الذكر برفع الصوت عقب الصلوات المكتوبة

: الدعاء جماعة بعد الصلاة مع الإمام

: قراءة الصلاة والسلام على الرسول الله قبل الشروع بالأذان

: احياء ليلة النصف من شعبان

: من البدع الفاشية قراءة القرآن جماعة

الفرع الأول : الجهر بالنية عند تكبيرة الإحرام للصلاة :

التلفظ بالنية لم يرد فى الكتاب والسنة ولا هو ثابت من الصحابة الكرام والأئمة الأربعة الفقهاء ، ولكن المتصوفة جعلوا بعض الكلمات تخص للنية فى الصلاة ، بحيث لاتجوز الصلاة إلا بها ، ولا تصح النية إلا بتلفظ تلك الكلمات المعينة ، وهذه الكلمات هى : " نويت أن أصلى لله تعالى ٠٠٠ركعات لصلاة الظهر أو العصر ٠٠٠فرض الله تعالى ، متوجهاً إلى جهة الكعبة ، خلف هذا الإمام ٠٠٠ الله أكبر " هذا إذا كانت فى الفرائض ، وإذا كانت من السنن أو النوافل ، فيذكر سنة رسول الله تعالى متوجهاً إلى الكعبة ٠٠٠٠الخ ٠

فأساس النية ومحلها القلب ، ولا يحتاج إلى التلفظ إلاما ورد النص فيه كما فى النية عند الإحرام لأداء الحج أو العمرة ، لبيك حجة أوعمرة ، و للتلفظ بالنية سلبيات تؤثر فى العبادات ، فمثلاً يأتى أحدهم ليدرك الإمام وهو فى الركوع ، فالمشروع أنه يلحق بالإمام تكبيرة الإحرام ولكن المسكين فى هذه الحالة مكلف بتلفظ الكلمات ، ثم يلحق به ، وبهذا التأخير تفوت له ركعة ، وهكذا ٠

الفرع الثانى : اداء النوافل جالساً ولوكان قادراً على القيام:

يقول بعض الصوفية إن الصلوات النافلة وخاصة التى تؤدى عقب المكتوبات يجب أن يؤديها جالساً تأسياً لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم

عندما كان فى آخر حياته يؤدى بعض النوافل ، فيظن الناس أن الجلوس واجب ، ولا تكون الصلاة صحيحة إلا إذا صلاها وهو جالس ، وهذه بدعة لم يعمل بها أحد من الصحابة ولا السلف الصالحين ٠

والواقع أن النبى(ﷺ) كان يؤدى جميع الصلوات وهو قائم إلا إذا أحس بالضعف أو المرض ، أو تعرض له أى عذر شرعى فيؤديها جالساً ٠

الفرع الثالث :الذكر برفع الصوت عقب الصلوات المكتوبة :

بحيث يقرءه الإمام ثم المصلون يرددونه بالكمات التى يرددها ، ومن السنة أن يقرأ عقب الصلوات المكتوبة أو فى غيرها الأدعية المأثورة عن الكتاب والسنة فرادى وبصوت منخفض ٠

الفرع الرابع: الدعاء جماعة بعد الصلاة مع الإمام :

إن الدعاء بهذه الكيفية واجب عندهم ، حتى يقولون إن الصلاة لا تقبل عند الله إلا بالدعوات الجماعية ، ولكن الشرع يحض الناس أن يدعوا الله تعالى بصوت خافت وبهيئة تضرع وخشوع ٠

ولا يتأتى ذلك إلا بالدعاء مفرداً ، والدعاء بالجماعة عقب كل صلاة لم يثبت فى الشرع ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (١)٠

---

(١) الأعراف آية ٥٥ ٠

الفرع الخامس : الصلاة والسلام على رسول الله قبل الشروع بالأذان :

وذلك برفع الصوت وعلى مكبرات الصوت، ويظنون أن الأذان للصلاة لا يرفع إلى السماء دون قراءتها ورفع اليدين بعده وتقبيل الإبهامين عند قول المؤذن " أشهد أن محمداً رسول الله " فمن لم يفعل هذه الأمور فإنه "وهابى " أو معادى للإسلام ؟!!

الفرع السادس : إحياء ليلة النصف من شعبان يسمونها ((شب برائت)) :

للصوفية ليالٍ كثيرة منها: ليلة المعراج وليلة العاشوراء العاشر من شهر المحرم ، وليلة الإثنين فى آخر أسبوع مرض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته ، ويسمونها ليلة " آخر جهار شنبه " كلمة فارسية معناها " الإثنين الأخير " وإحياء ليلة وفاة الشيخ عبد القادر الجيلانى ، فالمسلمون فى بنغلاديش يهتمون بهذه الليالى إهتماماً خاصاً ، ويقومون بالاحتفالات الدينية ، حيث يكثرون من النوافل ويقرؤن القرآن ويسهرون بختم شبينه " تلاوة القرآن من أوله إلى أخره بمكبرات الصوت " ويوزعون الطعام والحلويات بين الفقراء والمساكين وينفقون المال بينهم ويصومون نهارها ويقومون بإنارة القبور والمزارات والعمائر السكنية والحكومية وذلك

لنيل الأجر والثواب واهدائه إلى الموتى وأهل القبور ، ومن الغريب أنه في مناسبة هذه الإحتفالات تكون العطلة الرسمية في جميع الدوائر والمؤسسات الحكومية والخصوصية لكي يشارك فيها المواطنون ويستفيدون بفعل الخيرات ونيل البركات وسعة الرزق وطول العمر والحياة الرغدة ... الخ .

الفرع السابع : ومن البدع الفاشية قراءة القرآن جماعة :

وهذا مالم يفعله أحد من السلف الصالحين ، وذلك بمناسبة موت أحد من الأقرباء ، أو العلماء أو عند إفتتاح مكاتب أو محلات أو عمائر أو عند نزول البلاء أو المرض المعدى المتفشى في المجتمع أو عند مريض قل الأمل في شفاءه أو عند وقوع في مصيبة .

المطلب الثاني

في

البدع عند القبور

ويشتمل على ثلاثة فروع

الفرع الأول : العرس عند القبور

الفرع الثاني : النذور عند القبور

الفرع الثالث : التمسح بالقبور

* * * * * * * *

* *

الفرع الأول : العرس عند القبور :

إن بدع القبور المتفشية فى المجتمع الإسلامى كثيرة جداً ، ومن ذلك العرس أو الإحتفال عند قبور الأولياء الصالحين والمتصوفة ، واتخاذها موسماً من مواسمهم وعيداً من أعيادهم ، يشدون الرحال إليها كما تشد لزيارة بيت الله الحرام، فهذا من أشد البلاء على المجتمع البنغالى، وهذا يعم الكثير من بلادالمسلمين إلاَّ من اكرمه الله بالوعى والفهم للإسلام ومعرفة التوحيد الخالص فابتعد عن مهالك الشرك والبدع .

ففى بلاد البنغال من ألف مزار أو قبر يسمونها ملاجئ الملهوفين والمضطرين ومساكن للقلوب وشفاء لما فى الصدور ، وأصبحت هذه أوكاراً للشرك بالله تعالى ، والكفر والإلحاد ، فما من يوم من الأيام إلا ويحتفل المسلمون عرساً بهذه المزارات تخليداً لذكرى أصحابها ، وفى هذه المناسبة تغسل المزارات والقبور كغسل الكعبة المشرفة (العياذ بالله) ثم تعلق عليها كسوة خضراء ككسوة الروضة الشريفة بالمدينة المنورة، وتحنط ويطوفون حولها ، ويجلسون حولها ويعلقون بها الأمانى ويناجون أمامها خاشعين متذللين راكعين وساجدين ، ولا يأتون إليها و هم خالى الأيدى ، بل يحملون معهم ما استطاعوا من الجمال والأبقار والأغنام ، والأموال والحلويات والشموع وغير ذلك ، يقدمونها بإسم أصحاب القبور للتقرب بهم إلى الله تعالى .

وعند بوابة المزارات تقف جماعة من الناس يسمونهم الخدمة توضع عندهم صناديق ليلقى فيها ما يكون بحوزتهم ثم يتقاسمها هؤلاء الخدمة ويأكلون ويشبعون منها كما يفعل البراهمة عند أداء مراسيم أعيادهم فى معابدهم ، فهؤلاء المتصوفة يعيشون مع أفراد أسرهم بهذه الأموال الباهظة و يجنون منها ما فيه كفاية لمعاشهم فى السنة ، و فى قاعة تلك المزارات يقيمون الاحتفالات والمهرجانات والمعارض من ذبح المواشي وطبخ الطعام وحفلات الأغانى والرقص بين الرجال والنساء وتعاطى الخمور والمسكرات والمخدرات،جملة هذه الأعمال تسمى عرسا فى عرف المسلمين هناك ٠

وقد نهى ربنا عن الشرك بجميع أشكاله وأنواعه وصوره، فإن الشرك ظلم عظيم والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، وروى أبو داود وغيره عن أبى هريرة(رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله(ﷺ) : ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر ولا تجعلوا قبرى عيداً وصلوا على أينما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم)) (١) ٠

وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى قبر النبى(ﷺ) وهو سيد القبور وأفضلها فقبر غيره أولى بالنهى كائنا من كان ٠

نعم إن زيارة القبور مذكرة للآخرة ، والموت والزهد فى الدنيا والإتعاظ بحال الميت ، إذا كانت موافقا للسنة الشريفة وإلا فهو حرام ٠

---

(١) رواه أبو داود بأسناد حسن ورواته ثقات ، قال الحافظ محمد بن عبد الهادى حديث حسن جيد قال شيخ الإسلام رحمه الله: العيد اسم لما يعود من الإجتماع العام على وجه معتاد عائدا إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك ٠
وهناك حديث آخر عن علي بن الحسين رضى الله عنه أنه رأى رجلا يجئ إلى فرجة كانت عند قبر النبىصلى الله عليه وسلم ، فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال : الأاحدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تتخذواقبرى عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغنى أين كنتم رواهالمختارة ،هذا الحديث رواه أبويعلىوالقاضىاسماعيل والحافظ الضياءفى المختارة

الفرع الثانى : النذور عند المقابر :

هناك الألوف من المسلمين يقومون بالنذر لغير الله تعالى ، عند أهل القبور والمزارات ثم يوفون نذورهم عندها وهذا حرام فى الإسلام بل هو شرك، ويقول الناس شفى فلان من المرض مثلاً أو نجح فى عمل كذا كذا فيذبح بقرة عند قبر فلان أو يقدم له مبلغاً من المال أو يوقد شموعاً فيه وما إلى ذلك من الدعوات لغير الله تعالى •

وقد نهى الشرع عن النذر لغير الله تعالى ، بل يجب أن يكون لله سبحانه وتعالى فقط •

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رسول(ﷺ) قال: ((من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه))[١]، أى فمن نذر لله طاعة له ، بشرط يرجوه كإن شفى الله مرض فعلىَّ أن أتصدق بكذا ونحو ذلك وجب عليه إن حصل له ما علق نذره على حصوله ، كما لا يجوز الوفاء بنذر المعصية •

---

(١) رواه البخارى فى كتاب النذور •

الفرع الثالث : التمسح بالقبور:

ومعنى ذلك التمسح بتربة القبور وجدرانها وأبوابها وايضاً التمسح بأهل التصوف أو الأولياء أو العلماء ، وهذان النوعان من التمسح موجودان فى المجتمع الإسلامى فى البنغال ، ويعتقدون حصول البركة به و يرونه سبباً للحصول على مرضاة الله تعالى ومن هذا الاعتقاد الفاسد يتسابقون فى عملية التمسح على أيدى أو أرجل الأولياء والمتصوفة ، وهذا أيضاً نوع من الشرك ، فلم يرد فى جوازه نص شرعى ، وهذه الظاهرة قد أتت فى المجتمع الإسلامى من الهندوس بسبب الإحتكاك معهم ، فالهندوس يعكفون حول الأصنام ويتمتمون عندها ويلمسونها بأيديهم ويأخذون منها الأتربة ثم ينثرونها على سائر الجسد معتقدين بذلك أن من لم يتمسح يقع فى غضب الله ، فلو كان التمسح جائزاً فى الإسلام لكان الصحابة يتمسحون بأيدى الرسول (ﷺ) ولم يثبت هذا عن السلف الصالحين ، وهو قد يؤدى إلى الشرك بالله تعالى •

المطلب الثالث

في

الخواتيم

ويشتمل على ستة فروع

الفرع الأول : ختم شبينة

الفرع الثاني : ختم شفاء

الفرع الثالث : ختم جلال

الفرع الرابع : ختم يونس

الفرع الخامس : ختم تسمية

الفرع السادس: ختم خواجكان

****

***

الفرع الأول : ختم شبينة :

يعتقد الناس أن هناك أعمالاً يدفع بها البلايا والآفات الدنيوية ويستشفى بها من الأمراض التى تشكل خطورة على الفرد والمجتمع ، ومن تلك الأعمال دعاء الله تعالى على أساليب غير شرعية وتسمى عند الناس " الختم " مثل ختم شبينة ، ختم شفاء ، ختم يونس وغيرها من الخواتيم ، وأصبحت تلك الخواتيم مكان العبادة •

وختم شبينه : عبارة عن استئجار بعض حفظة القرآن الكريم ، واستدعائهم إلى مكان ، ثم يقرأ كل واحد منهم جزءاً من القرآن الكريم حتى الثلاثين منه وعلى مكبر الصوت بدءاً من بعد العصر حتى طلوع الفجر وبذلك يختمون كتاب الله الكريم فى ليلة واحدة ، ثم يهبون أجرها إلى الأنبياء والرسل وسائر موتى المسلمين من الأقرباء والآباء والأجداد والأولياء ، ولهذه العملية مناسبات وأيام و ظروف وأوضاع ، مثل ليلة النصف من شعبان (شب برات) أى ليلة البراءة ، ومثل ليلة القدر فى رمضان المبارك ، وليلة المعراج ، وليلة ميلاد النبى (ﷺ) وكذلك بمناسبة فتح محلات أو أسواق أو عمارة ، وكذلك عند الإصابة بمرض أوضرر أو التعرض لمصيبة أو لأمر آخر •

الفرع الثانى : ختم شفاء ويسمى ختم التهليل :

ويعنى به قراءة كلمة " لا إله إلاَّ الله " مائة وخمسين ألف مرة ، يشارك فيه جمع من الأفراد بصوت عال ، وذلك عند تعرض قوم أو أهالى قرية أو

(جري المطحون)

مدينة لمرض وبائي كالكوليرا، أو الطاعون ، أو لرياح شديدة أو طوفان أوفيضانات،كما يزعمون أن بهذا الختم يصل الإنسان إلى ما يريده ويقصده

الفرع الثالث : ختم جلال :

يقول الصوفية إن أسماء الله تعالى ، تنقسم إلى نوعين: جمالي وجلالي ، ولكل منهما تأثيرات على من يرددها ، فلفظ الجلالة " اللّٰه " جلالي عندهم ، له تأثيرات في دفع البلايا والمصائب والنوائب ، وهذا الختم عبارة عن عملية خاصة وأسلوب معين ، يجب الالتزام بها إن أريد الوصول إلى المراد ، وهي الجلوس في مكان نظيف والجسم طاهر عن النجاسة والخبائث ، فيكتب لفظ الجلالة على الأوراق المتقطعة ، ثم يضعها في الرز المطحون ، ثم يقدمها للحيتان في الأحواض والبرك أو النهيرات ، ويتلفظه باللسان مائة وخمسة وعشرون مرة •

الفرع الرابع : ختم يونس ويسمى الختم الأعظم :

أخذوه من الآية القرآنية المعروفة في قصة يونس عليه السلام والتي قرأها وهو في ظلمات البحر ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ (١) •

---

(١) سورة الأنبياء ٨٧ – ٨٨ •

ويقرأ هذا الختم عند إصابة أحد بمرض معد أو مرض خطير ، لا يرجى له الشفاء أو عند تعرضه لمصائب أو أحزان ، فيجب على المصاب أو أقاربه قراءة الآية الأولى والثانية مائة وخمسين ألف مرة ، ولكل مائة آية أولى ، تقرأ الثانية مرة واحدة•

الفرع الخامس : ختم التسمية (بسم الله الرحمن الرحيم) :

ويقرأ البسملة مائة وخمس وعشرين ألف مرة عند تعرض للشدة •

الفرع السادس : ختم خواجكان :

وهو قراءة الكلمة التالية: " فسهل يا إلهى كل صعب بحرمة سيد الأبرار، سهل بفضلك يا عزيز (مائة مرة) ، ويجب أن يقرأ قبلها وبعدها سورة الفاتحة (سبع مرات)، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم (مائة مرة) ، وسورةالانشراح (تسعة وسبعون مرة) ، وسورة الإخلاص (مائة مرة) ، ثم يقول: يا قاضى الحاجات (مائة مرة) يا كافى فى المهمات (مائة مرة) يا دافع البليات (مائة مرة) يا مجيب الدعوات (مائة مرة) يا رافع الدرجات (مائة مرة) يا غوث أغثنى وأمددنى (مائة مرة) إنا لله وإنا إليه راجعون (مائة مرة) لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين (مائة مرة) رب إنى مغلوب فانتصر (مائة مرة) رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين (مائة مرة) •

وبعد قراءة هذه المجموعات يجب أن يقرأ الآيات القرآنية التى فيها كلمة

"الشفاء" وهى: ﴿ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢) ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ (٣) ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (٥) ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ (٦) .

ثم يقرأ آيات " السلامة الست " وهى : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ (٧) ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ ﴾ (٨) ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ (٩) ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (١٠) ﴿ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (١١) ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (١٢) .

ثم يدعو الله تعالى ويسأله التوفيق والشفاء ، ثم يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم ثم بالعشرة المبشرين من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ثم بالشيخ بهاء الدين نقشبندى ، وأبويزيد بسطامى ثم بأبى منصور الماتريدى وأبى يوسف الهمدانى ثم بالسيد أبو البحر ثم خواجة أبو حسن الخرقانى ثم بالسيد عبد القادر الجيلانى (١٣).

---

(١) التوبة آية ١٤ . (٢) يونس آية ٥٧ .
(٣) النحل آية ٦٩ . (٤) الإسراء آية ٨٢ .
(٥) الشعراء آية ٨٠ . (٦) فصلت آية ٤٤ .
(٧) ياسين آية ٥٨ . (٨) الصافات آية ١٣٠ .
(٩) الصافات آية ٧٩ . (١٠) الزمر آية ٧٣ .
(١١) الصافات آية ١٢٠ . (١٢) القدر آية ٥ .
(١٣) انظر : اسم المؤلف مجهول : مقصود المؤمنين : والملاحظة أن هذا الكتاب متداول بين مسلمي البنغال ، ونال عندهم الفضل العظيم ، وأصبح زينة لكل بيت بعد المصحف الشريف ويفضلون تلاوته بين عشية وضحاها ، ولا يعلم أحد من الفه ، وهو كتاب مملوء بالأحاديث الموضوعة والكلمات غير المستندة والمخالف للشرع .

المطلب الرابع

في

درود وسلام

ويشتمل على خمسة فروع

الفرع الأول : درود وسلام

الفرع الثاني : درود أكبر

الفرع الثالث : درود هزاري

الفرع الرابع : درود لكهي

الفرع الخامس : درود النجاة

****

**

الفرع الأول : درود وسلام :

ويُعنَى بها الصلاة والسلام على رسول الله(ﷺ) ويسمونها " المولود "
و هناك مفهومان في شأن المولود أو الميلاد :
أولهما : إحتفال بالميلاد في يوم ولد فيه رسول الله(ﷺ) وهذا فى شهر ربيع الأول من كل عام ٠
ثانيهما : قراءة الصلاة والسلام بمناسبات دون قيد ليوم أو تاريخ أو وقت، مثل قرائتها عند إفتتاح محلات أو عمائر أو عقب صلاة الجمعة أو التراويح أو عند التشفى من أمراض او ٠٠٠ أو ٠٠٠ويزعم أصحابها أنها تجلب النفع والبركة وتدفع الضرر والشؤم ، وتكون القراءة مفرداً أو جميعاً ، ولكن قراءتها جمعاً وقياماً أنفع وأقرب إلى الله تعالى ٠

فبعضهم يقومون تعظيماً للنبى (ﷺ) معتقدين أنه حاضر فى المجلس (١) ٠

---

(١) وهم يدعون أن الرسول صلى الله عليه وسلم حضر فى مجلس ذكر مولده ، فنستقبله قائماً ثم ينشدون هذا البيت المشهور نذكرنصه با للغة الأردية :

دم بدم برهـو درود حضرت بهى هين يهان موجود

ترجمة : اى صلوا صلوا على النبى فإنه حاضر وموجـود هنا

وهذا الإعتقاد هنا باطل ويفضى إلى الشرك ، لأن الحاضر والناظر هو الله تعالى الذى حى قيوم،فكيف يكون صفاتاً للرسول صلى اله عليه وسلم الذى مات فى هـذه الدنيا وانتقل إلى الرفيق الأعلى ٠

======

وبعضهم يقومون له إحتراماً لمجرد ذكر إسمه دون الإعتقاد بأنه حاضر •

ولقد وردت فى الأحاديث الشريفة ، كيفية الصلاة والسلام على النبى محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه ، يجب على كل مسلم الاتباع لتلك الكيفية ،دون إفراط وتفريط ، حتى تكون عبادته صواباً ومقبولة عند الله تعالى كالصلاة والسلام فى التشهد الأخير أو فى صلاة الجنائز وغيرذلك من صور عديدة ،علمها رسول الله(ﷺ) أصحابه الكرام ، إلا أن الصوفية و خاصة الغلاة منهم أوجدوا صفات الصلاة والسلام ، وألزموا قراءتها على الناس ، وأصبحت شائعة لدى المجتمع ، نذكر بعضاً منها :

درود تاج : يقولون فى فضله أن من أراد أن يرى النبى(ﷺ) فى المنام ، فعليه أن يقرأها فى بداية كل شهر مائة وثماني مرة كما أن فيها كلمات تدل على الشرك الواضح ، مثل : دافع البلاء والوباء والقحط والمرض والألم ، فهذه أوصاف من صفات الله تعالى ، ولكنها تطبق على النبى (ﷺ) •

==== وعلى الإفتراض لو كان حياً ، لما وجب القيام احتراماً له ، فقد ورد فى الحديث الشريف عن أنس رضى الله عنه أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا ، لما يعلمون من كراهية لذلك • رواه الترمذى ، وقال : هذا حديث حسن •

راجع إحسان إلهى ظهير : البريلوية ص١٣١ ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، ط : ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣ م •

الفرع الثانى : درود اكبر :

جاء ذكر فضائل هذا النوع من الصلاة والسلام ، فى أول قصيدة فارسية طويلة فقد جاء ما مفهومه: فالذى يريد الحصول على مرضاة الله تعالى والاستشفاء من الأمراض ، ورؤية الرسول(ﷺ) فى المنام ، ويستسقى الماء من يده الشريفة فى مورد الحوض ، فعليه أن يقرأه ثلاثمائة وستين مرة فى كل يوم إما بعد الفجر أو بعد العشاء فإن فعله فله من الأجر كأجر الحج الأكبر ، فمن يتعذر له القراءة فعليه أن يكتب فى الورق ويضعها تحت الوسادة عند النوم فإن ذلك سبب للنجاة فى القبر وفى يوم الحساب ، كما أنه سبب لدخول الجنة ، ومن قرأه بالدوام ، لا تمسه النار ٠

الفرع الثالث : درود هزارى :

يدعى الصوفية أن من قرأه فى القبور فى كل يوم ثلاث مرات ، دفع الله عذاب أهاليه لثمانين عاماً ؛ ومن قرأه عشرين مرة ، فكأنه أدى حقوق الوالدين الأموات ، ويبعث الله تعالى ألفاً من الملائكة على قبور والديه ، ويبقون فيها لحين قيام الساعة ٠

الفرع الرابع : درود لكهى :

يحكى أن السلطان محمود الغزنوى رأى يوماً رسول الله (ﷺ)

فى المنام وقال له يا محمود ! اقرأ على الصلاة والسلام ، كل يوم عقب الفجر مائة ألف مرة ، فإنك تجد فى قلبك حلاوة الحب لى وتتلذذ ، وكان يقرأه كل يوم بهذه الصورة حتى توفاه الله تعالى •

الفرع الخامس : ورود النجاة :

يذكر أن رجلاً إسمه صالح موسى ، كان فى إحدى البواخر ،وفى وسط البحر تعرض للغرق ، فإذا هو رأى رسول الله(ﷺ) فى المنام ، وقال له رسول (ﷺ) : أن يقرأ كل من فى الباخرة " صلاة النجاة " إحدى عشرة مرة ، لعل الله أن ينجيهم من الغرق،فقرأوها ، فإذا أنجاهم الله من الغرق بفضل تلك الصلاة (١) •

وصفته : اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات ، وتقضى لنا بها جميع الحاجات ، وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات فى الحياة وبعد الممات ، إنك على كل شئ قدير •

---

(١) د / محمد عبد الحى : اسوة رسول أكرم صلى الله عليه وسلم " بنغالية " ٢٩١ •

المطلب الخامس
في
الصوم النافلة

***

إن الصوم المفروض من الرب سبحانه وتعالى على كل مسلم هو صوم رمضان المبارك ، إضافة إلى ذلك فهناك صيام مشروع على سبيل التنفل وقد ثبت عن رسول الله(ﷺ) مثل صيام التاسع والعاشر أو العاشر والحادى عشر من شهر محرم الحرام(١) •

وصوم يوم الوقوف بعرفات (٢) وصيام الإثنين والخميس من كل أسبوع (٣)•

---

(١) أفضل الصيام بعد رمضان ، شهر الله المحرم ، رواه مسلم عن أبى هريرة •

(٢) عن ابى قتادة(رضي الله عنه) قال : " سئل النبى(ﷺ) عن صوم يوم عرفة ، قال يكفر السنة الماضية والباقية " رواه مسلم •

(٣) عن أبى هريرة (رضي الله عنه) ، أن رسول الله(ﷺ) قال : " تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم " رواه الترمذى وقال حديث حسن •

وصيام أيام البيض (١) وستة أيام من شوال (٢) ولكن الصوفية في شبه القارة الهندية قد أحدثوا صياماً غير الصيام الذى ورد فى الكتاب والسنة ، مثل صيام نصف شعبان ليومين أى الرابع عشر والخامس عشر أو الخامس عشر والسادس عشر منه ، وصوم يوم السابع والعشرين من شهر رجب وهو اليوم الذى أسرى فيه رسول الله(ﷺ) إلى المعراج ، والصوم فى ذكرى وفاة عبد القادر الجيلانى يسمون اليوم "فاتحه دوازدهم " أى الدعاء للميت المذكور فى الثانى عشر من كل شهر ، موافقاً لليوم الذى توفى فيه هو ، والصوم عند الذكر، عند النقشبندية والقادرية •

---

(١) عن أبى ذر(رضي الله عنه) قال : قال رسول الله(ﷺ) إذا اصبحت من الشهر ثلاثاً فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة "رواه الترمذى ، وقال حديث حسن ،وعن قتادة بن ملحان(رضي الله عنه) قال: كان رسول الله(ﷺ) يأمرنا بصيام أيام البيض : ثلاثة عشرة ، أربعة عشرة ، وخمس عشرة " رواه ابو داود •

(٢) عن أبى أيوب() أن رسول الله(ﷺ) قال من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر " رواه مسلم •

المطلب السادس

في

بدعة إحياء ليلة النصف من شعبان

****

ومن البدع الفاشية في المجتمع الإسلامي في المنطقة ،بدعة أحياء ليلة النصف من شعبان في كل عام ، وإقامة الإحتفالات في هذه المناسبة ، ويظنون أن هذه الليلة بمثابة ليلة القدر ، يفرق فيها كل أمر من شئون العالم يكتب الله تعالى لعباده فيها الأرزاق ، ويحدد لهم الحياة والموت ويعلن فيه البراءة من عذاب النار ، وأصبحت هذه البدعة تعم المسلمين فيها وتعلن لهذه المناسبة إجازة رسمية كي يشارك المسلمون في الإحتفالات على حد زعمهم فمن أين جاءتهم هذه البدعة وكيف إنتشرت فيها؟ العلم عندالله ، لكن الناس توارثوها من آبائهم وأجدادهم ، إلاّ أن هناك بعضاً من العلماء المتعاطفين مع الصوفية يقدمون للناس بعض الأدلة من النصوص في إثبات مشروعية الإحتفال بليلة النصف من شعبان •

منها الحديث الشريف الذي جاء فيه ((إن الله عزوجل ينزل إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لأكثر من شعر غنم بني كلب))
ومنها حديث ((إن الله عزوجل يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمؤمنين ، وعلى الكافرين ويدعوا أهل الحقد أن تجتنبوا منه))

و حديث ((إذا كانت ليلة النصف من شعبان ، فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فإن الله ينزل فيها إلى سماء الدنيا ، فيقول ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مسترزق فأرزقه ، ألا من مبتلى فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر)) (١)٠

فقضية الإحتفالات بمناسبة النصف من شعبان وأمثالها كقضية الإحتفالات بالمولد النبوى الشريف وكذلك الإحتفال بليلة الإسراء والمعراج وغيرها أصبحت قضايا تصيب الأمة المسلمة اليوم ، وصار الناس اليوم يعدونها جزءاً من الدين الإسلامي ، وبمرور الزمن والأيام تنتشر هذه الشعائر المزعومة فى جميع الأماكن التى يعيش بها المسلمون ، و مقاومتها اليوم أصبحت من المستحيل ، إلا إذا شاء الله تعالى أن يخرج هذه الأمة من تلك الأوهام الفاسدة والبدع والخزعبلات،وننبه إلى أن ما يفعله المسلمون فى هذه المناسبة فى ليلة النصف من شعبان من أمر عجاب ، نذكر بعضاً منه :

١ – إحياء الليلة من غروب الشمس إلى طلوعها بالصلوات النافلة التى لا تقل ركعاتها عن مائة ، ولا حصرلها فوق ذلك ، ويجب أن تقرأ فى كل من الركعة الأولى فاتحة الكتاب ومعها سورة القدر ، وفى الثانية الفاتحة مع قراءة الإخلاص ثلاث مرات وهكذا فى كل ركعتين ، ولا يجوز قراءة غيرها من السور ٠

---

(١) انظـــر : على محفوظ : الإبداع فى مضار الإبتداع ص ٢٨٦ ، دار الاعتصام ط٧ ٠

٢ – الصوم فى النهار : يعتبرونــه وسـيلة للتبرئ مـن النـار ، ونيـل الثـواب ويهتمون به كما يهتمون بصيام رمضان من أكل السحور والإفطار •

٣ – إقامة حفلات " شبينه " : وهى كلمة فارسية ، ذات معنى خاص ، وهـى عبارة عن اهتمام بقراءة القرآن الكريم باستئجار أفـراد مـن الحفظـة للقـرآن الكريم لليلة واحدة ، وتعد لهم منصة يتلون القرآن ، وذلك بمكبرات الصـوت بغض النظر عمن يستمعون له أو تزعج أصواتهـا آلاف النـائمين و القـائمين والمرضى •••تبدأ من غروب الشمس إلى مطلع الفجر، ويكون مسك الختام بالدعاء ، ثم توزيع التبريكات بين الناس •

٤ – إعداد الطعام الخـاص بهـذه الليلـة : وهـى عبـارة عـن طبـخ أنـواع مـن الحلويـات والخبـز ، ثـم توزعهـا بيـن الفقـراء و المسـاكين، ويتبادلونهـا مـع الأصدقاء و الأقارب ، ويزعمون أن إطعام الطعام فى هذه المناسبة ، يسـبب تقلب المقادير عند الله تعالى من الشر إلى الخير، ومن الشقاوة إلى السعادة ، فإنه سبحانه وتعالى يقدر فيها للعبـاد أرزاقهـم وحيـاتهم ومماتهم ، علـى حـد تعبير هؤلاء لطول السنة المقبلة •

٥ – زيارة القبـور : وخاصـة مقـابر الأوليـاء والدراوشـة وإنارتهـا بالقنـاديل والمصابيح ،وتقديم الذبائح لها ، وكذلك إقامة المعارض •

المطلب السابع

في

بدعة المولد النبوي

أصبحت بدعة المولد من البلايا العامة التى تعم العالم الإسلامى ، ويعنون به عيد ميلاد النبى(ﷺ) فيقيمون مجالس ويزينون به المحافل ويعدون القائمين به من الناجين ، والمنكرين له من الوهابيين المنتقصين شأن الرسول(ﷺ) (العياذ بالله) .

هذا العمل الذى يجعلونه مصدراً للثواب والخير ، لم يكن فى عهد الصحابة ولا فى عصر التابعين وغيرهم طيلة ستة قرون وربع قرن ، وإنمامن أحدثه - كما صرح العلماء - هو مظفرالدين بن زين الدين ، صاحب الاربل ، كان ملكاً مسرفاً ، فأمر علماء زمانه أن يعملوا باستنباطهم واجتهادهم وان لا يتبعوا المذهب غيرهم ، حتى مالت إليه جماعة من العلماء وطائفة من الفضلاء ، وكان يحتفل بمولد النبى(ﷺ) فى الربيع الأول ، وهو أول من أحدث من الملوك هذا العمل (١) حيث إنه كان ينفق كل سنة على مولد النبى(ﷺ) نحو ثلاثمائة ألف ، وكان معينه ومساعده فى هذه البدعة أبو الخطاب عمر بن دحية ، وهو أول من ألف كتاباً

---

(١) إحسان إلهى ظهير : البريلوية ص١٢٩ ، ترجمان السنة ، لاهور ، نقله من كتاب القول المعتمد فى عمل المولد ، لأحمد بن محمد المصرى .

إسمه : " التنويرفى مولد البشير النذير " وقرأ عليه أى الملك مظفر ، فأجازه بألف دينارذهباً (١) ٠

ومن طريف ما يعلم فى هذا الشأن ، أن السيوطى ذكر فى كتابه : " الحاوى " أن الملك المظفر - مبتدع بدعة المولد - قد أعد سماطاً فى أحد الموالد التى يقيمها ،ووضع عليه خمسة آلاف رأس غنم مشوى وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة فرس ومائة زبدية ،وثلاثين ألف صحن حلوى ، وإنه أقام سماعاً للصوفية من الظهر إلى الفجر ، وكان يرقص فيه بنفسه مع الراقصين (٢) ٠

يقول علماء السلف : إن الإحتفال بذكرى المولد مستحدث فى الإسلام ، لأن أحداً من السلف لم يفعله ولم يستحسنه ولم يرو احتفال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بالميلاد،ولو كان ذلك الأمر مشروعاً ، لكانوا قد أتوا به، ثم ما تشتمل عليه هذا المولد من المفاسد المحرمة والمكروهة وغير ذلك من الأفعال الماجنة ، وفيه تبذير وإسراف فى الأموال ، وضياعها و قد كلف الله تعالى الإنسان انفاقها فى سبيل اللهوفى الأمور المشروعة ، وفى تلك الإحتفالات تستعمل آلات المزامير والطبل والسرود ، وتقام حفلات الغناء والرقص ، ويشارك فيها الرجال والنساء ، دون الإعتبار للأحكام الشرعية

---

(٢) نفس المرجع والصفحة ٠

(٣) أبوبكر الجزائرى :الإنصاف فيما قيل فى المولد ص٥٠ - ٥١ ، دار الطرفين،الطائف٠

والآداب والأخلاق والقيم الإسلامية ، ثم فيه إستهانة بكلام الله المجيد والسنة النبوية الشريفة ، عندما يتلى فى تلك المجالس والمحافل ، ولم ينزل القرآن من أجل ذلك وإنما أنزله الله ليقرأ على الناس على مكث وترتيل وخشوع ، بحيث تعم منافعه على الناس وليتعظوا به ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) أما إحياء الذكرى للمولد بخروج الرجال والنساء فى الشوارع وتنظيم المسيرات ورفع الأعلام الخضراء مماثلة بلون القبة الخضراء بالمسجد النبوى بالمدينة المنورة ، فهى من الأمور المحرمة ، التى أخذها المسلمون من الشيعة الرافضة •

ويقول القوم : إن الإحتفال بالمولد النبوى ، بدعة حسنة ، مشيراً إلى أن البدعة عندهم نوعان : حسنة وسيئة ، وقد أشرنا إلى هذا الموضوع فى الحديث عن البدعة •

قال الحافظ إبن رجب الحنبلى: " من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة،فهو غالط ومخطئ ومخالف لقوله(ﷺ) :((فإن كل بدعة ضلالة)) لأن الرسول(ﷺ) حكم على البدع كلهابأنها ضلالة " •

قال إبن رجب فى شرح الأربعين : فقوله: "كل بدعة ضلالة " من جوامع الكلم ، لايخرج عنه شئ ، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وشبيه بقوله صلى الله عليه وسلم((من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد))

---

(١) سورة الأعراف ٢٠٤ •

فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل فى الدين يرجع إليه، فهو ضلالة ، والدين برئ منه ، وسواء فى ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة (١) •

فالاحتفال بالمولد لا أصل له فى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح و القرون المفضلة ، وإنما حدث متأخراً بعد القرن السادس الهجرى ، أحدثه الفاطميون الشيعة •

قال الإمام تاج الدين الفاكهانى : " أما بعد ! فقد تكرر سئوال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذى يعمله بعض الناس فى شهر ربيع الأول ، ويسمونه المولد ، هل له أصل فى الدين • ••••؟

فقلت وبالله التوفيق : لا أعلم لهذا المولد أصلاً ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة فى الدين ، المتمسكون بآثار المتقدمين ، بل هو بدعة أحدثها البطالون ،وشهوة النفس المنتن بها الأكّالون (٢) •

---

(١) صالح بن فوزان : محاضرات فى العقيدة و الدعوة ج١ ص١١٠ ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض / ط : ١٤١٣هـ •

(٢) راجع نفس المرجع ص ٢١١ •

قال شيخ الإسلام إبن تيمية : وكذلك مايحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى فى عيد ميلاد عيسى عليه السلام ، وإما محبة للنبى(ﷺ) وتعظيماً ... من اتخاذ مولد النبى(ﷺ) عيداً مع إختلاف الناس فى مولده ، فإن هذا لم يفعله السلف ، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً ، لكان السلف رضى الله عنهم أحق به منا ، فإنهم كانوا أشد محبة للنبى(ﷺ) وتعظيماً له منا ، وهم على الخير أحرص ، وإنما كانت محبته وتعظيمه فى متابعته وطاعته ، واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً ، ونشر ما بعث به ، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان ، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان (١)

(١) راجع نفس المصدر ص ١٣٠

المطلب الثامن

في

بدعة المشيخة والمريدية

******

ومن البدع التى أصابت الأمة الإسلامية هى المشيخة والمريدية ، ويقال بالفارسية (البير) ومعناه الرجل المتقدم أى الذى يكون أمام الناس ، فالتابع يسمى المريد ، والمتبوع يسمى (بير) أو الشيخ ، وللشيخ عند المتصوفة مكانة عظيمة ، حتى يقول السهروردى فى كتابه العوارف : " ورتبة الشيخ أعلى المراتب فى طريق الصوفية ،ونيابة الرسول(ﷺ) فى الدعاء إلى الله " (١) ثم يقول : " فالشيخ من جنود الله تعالى ، يرشد به المريدين ، ويهدى به الطالبين " (٢) •

وقال بعض المتصوفة: لو أن العبد قرأ ألف كتاب فى العلم ولا شيخ له ، كمن حفظ كتب الطب مع جهله بالداء والدواء ، وإن كل من يسلك الطريق على يد شيخ ، حكمه ، حكم من يعبد الله على حرف (٣) •

قال القشيرى : من لم يكن له أستاذ فإمامه شيطان (٤) •

---

(١) السهروردى : عوارف المعارف ص ٨٣ •

(٢) نفس المرجع ص ٨٤ •

(٣) حقيقة التصوف : محمد أبوبكر الصديق ص٧٧ ، المكتبة الإمدادية / داكا •

(٤) القشيرى : الرسالة القشيرية ج٢ ص٧٣٥ ، وعوارف المعارف للسهروردى ص٩٦ •

وفى سبيل تأكيد هذه الفكرة قال الشعرانى : " اعلم يا أخى ! أن أحداً من السالكين لم يصل إلى حالة شريفة فى الطريق أبداً ، إلاَّ بملاقاة الأشياخ ومعانقة الأدب منهم ، ومن ادعى الطريق بلا شيخ،كان شيخه إبليس " (١)٠

ولا شك أن فكرة المشيخة والمريدية ، لم تكن فى عصر الصحابة ولا فى عصر التابعين أو تابعى التابعين، وإنما أخذها المتصوفة من الشيعة ، حيث إنهم يلزمون على الناس معرفة الإمام الذى لا تخلو الأرض منه ، ومن مات ولم يَعْرف ذلك الإمام،فقد مات ميتة جاهلية،أو ميتة كفر وضلال (٢)٠

فبدعة المشيخة والمريدية شائعة فى كل المجتمع ، وفى جميع أنحاء البلاد ، وكثير من المعاهد الدينية من القومية والحكومية والجوامع والخانقاهات ، أصبحت مركزاً لها ، وتوجد هذه الظاهرة بصفة خاصة فى كل من محافظة(سلمت) و(نشتاكونغ) و(داكا)و(مومن شاهى) وظلت اليوم مسيطرة على النفوس والعقول ، مما يجعلهم يظنون أن الإيمان لا يصل إلى الكمال إلا بمصاحبة الشيخ ، وأخذ البيعة على يده ، والتسليم الكامل أمامه ، كما يظنون أن من لم يؤمن بالمشيخة والمريدية فهو ضال ومضلّ ، مهما يكن عالماً ومتقناً بالعلم الدينى ، ومهما وصلت براعة علمه وحذاقة فهمه ٠

---

(١) الشعرانى : الأنوار القدسية ص ١٧٣ ، دار إحياء التراث العربى - بغداد ٠

(٢) إحسان إلهى ظهير : التصوف ٢١٦ ٠

وهذه الفكرة التى شاعت في البلاد تسببت نشوء الإنحراف فى المجتمع الإسلامى ، وخلفت آثاراً سيئة فيه ،منهــــا :

أولاً : الإجلال للشيخ :

إن كل الإجلال والتكريم والتعظيم المطلق ، لا ينبغى لأحد إلا الله عزوجل الذى له الملكوت وله كل شئ ، والذى أوجد كل الكائنات﴿ إنَّ العِزةَ للهِ جميعاً هُو السَّميعُ العَليمُ ﴾ (١) •

ولكن نرى فى المجتمع الإسلامى البنغالى أن كثيراً من المسلمين ، يربطون أنفسهم بالمشائخ ، ولكل منهم شيخ مستقل ، لا يجوز له أن يتخذ غيره ، ما دام ملتزماً به ، ومن هنا فإنهم يعظمونهم تعظيماً كبيراً ويبالغون فى التمجيد والتعظيم ، بما لايليق إلاَّ لله عزوجل،ويجعلونهم فى مرتبة مكافأة لما يليق بالله تعالى،وهذا شرك كبير قد أصيبت به الأمة ولابد من علاجه•

ثانياً : خطف الثروات والأموال من الناس :

لا يخلو بلد من البلدان ولا مدينة من المدن إلا وفيها مجموعة من الأثرياء وأصحاب القطاعات والإقطاعات ، ولكن مشائخ الصوفية فى بنغلاديش ربما قد سبقوا هؤلاء فى جمع الأموال واحتكارها واستثمارها لكسب الأرباح الباهظة ، حتى أصبح منهم أغنياء البلاد ، يخطفون تلك الأموال من المريدين بالحيل والاختلاس ، من أخذ الهدايا والنذور دون النظر

---

(١) سورة يونس آيــــة ٦٥ •

إلى أن ذلك المال هل هو حلال أم حرام ؟ أو دون الاعتبار أن المريد هل هو قادر على دفع المال أم غير قادر على ذلك ، الملايين من الدولارات والتاكا مودعة فى البنوك المحلية والخارجية وفى حساباتهم الخاصة لايعلم عدد ذلك إلا الله سبحانه وتعالى ، ولهم بنايات وعمائر فخمة يعيشون فيها فى بحبوحة الحياة وأصبحت هذه المحلات التجارية والدكاكين مكاناً لبيع صكوك الغفران وتذاكر لدخول الجنة !! كأنهم وسطاء بين الله وبين الناس •

ثالثاً : المعاشرة بالرجال والنساء :

هناك آلاف من المزارات والزوايا يتخذها المشائخ الصوفية لخلواتهم تسمى " المجلس الخاص " قد زينت بالزخارف والزهور والستائر الملونة بالإضافة إلى أنواع من الأنوار والمصابيح ، وفيها أوقات خاصة بالزوار والزائرات وأيام معينة يجلسون فيها مع الرجال والنساء ويتحدثون بهم دون تمييز بين الجنسين ودون أى حجاب ••يتصافحون مع النساء بهذه الخلوات ويأخذون منهن البيعة ، و بعض من أولئك المشائخ يقابلون النساء بالخلوة دون حضور الرجال حتى من أزواجهن أو أقاربهن ، ناهيك عما يجرى فى تلك الخلايا والزوايا من الاباحة والانحلال والفساد والفضائح ، وبعضها قد تناقلته الصحف والمحلات، مع ذلك فالجهلاء بالدين يعتبرونها " بركة " ولا يعتبرونها فساداً •

والخلوة بالأجنبيات محرم فى الإسلام كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة والله حذرمن هذه الأعمال وذكر فيها تهديداً وعقاباً شديداً ، فكأنى بهؤلاء المشائخ يستبيحون ما حرمه الشرع الحنيف •

رابعاً : تلقيب المشائخ ((بالقِبْلَةِ))

وهذه الكلمة لا تستعمل فى الشرع إلا للكعبة المشرفة التى هى قبلة لسائر المسلمين يؤدون صلاتهم نحوها ، كما ورد فى الآية المباركة: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (١)•

ولكن الصوفية الهنود يستخدمونها فى غير محلها ، ويقولون عند ذكر أسمائهم " شيخ فلان قبلة " حضور قبلة " " حضرة قبلة " وذلك إجلالاً وتقديساً لشأن مشايخهم ، كأنهم عند الناس محل تعظيم مثل تعظيم الكعبة المشرفة – العياذ بالله – •

---

(١) سورة البقرة آيـــة ١٤٤ •

المطلب التاسع

في

بدعة المبايعة على يد الشيخ

*****

ومن الأمور البدعية التي شاعت في المجتمع البنغالي وصارت اليوم من صور العبادة البيعة والمبايعة على أيدي مشائخ التصوف ، قال أبو طالب المكي " لابد من مجالسة عالم بالله ، وعلامة ذلك ايثاره على ماسواه (١) • يقول الصوفية : إن من يسلك بدون الالتزام بالشيخ ولا يعتني النظم الصوفية وقواعدها فلن يفلح أبداً ،ويعده من عبدة النفس والهوى •

قال الإمام الغزالي في هذا المقام : " فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لامحالة " (٢)•

وبهذه المناسبة قال السهروردي " لايكون هذا إلا لمريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفني في الشيخ يترك اختيار نفسه (٣) يعني تسليم نفسه إلى الشيخ تسليماً كاملاً ، فالذي يختار شيخاً للسلوك فيلزم متابعته في جميع الأمور التي يأمره بامتثالها ولا يجوز الخروج عنه •

---

(١) أبو طالب المكي : قوت القلوب ١٤١/١ •

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين ٦٥/٣ •

(٣) السهروردي : عوارف المعارف ص ٥٣ •

ومن هنا يبايع على يديه ، وحينئذ ، يد الشيخ تكون بمنزلة يد الرسول(ﷺ) على حد تعبير الصوفية ، فتسليم نفسه إلى الشيخ ، كتسليمه إلى الرسول(ﷺ) (١) ، وأوامره تكون بمثابة أوامره (ﷺ) ،و يطبقون الآية القرآنية فى التزام البيعة للناس وهوقوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢) .

ومن هنا أصبحت للبيعة والمبايعة مكانة مرموقة فى المجتمع ، بحيث ما من مجمع أو مجلس للصوفية يتجمع فيه آلاف من الناس ، يلتفون حول شيخ الطريقة إلاّ و يقدمون أيديهم تجاههم لنيل البيعة دون فرق بين الرجال والنساء ، ويتسابقون فيها،فإن كان الجمع غفيراً،بحيث يصعب أخذ اليد ، فحينئذ يقدم للحاضرين قماشاً طويلاً مثل العمائم ، ويمسك كل منهم أطرافه ويتمتمون مع الشيخ إما بالفارسية أو العربية ولا يفهمون مضمون الكلمات التى يرددونها معه ، فمن أخذ يده و ردد الكلمات معه ، صار مريداً وتلميذاً للتصوف ، وعباداته تكون مقبولة عند الله ويثاب ، ومن لم يتمتع بالبيعة ولا تتلمذ على أحد من شيخ الطريقة ، فعبادته قاصرة .

والبيعة التى وردت فى القرآن الكريم أكثر من مرة ، كانت فى عهد

---

(١) السهروردى : عوارف المعارف ص٥٣ .

(١) سورة النساء ٦٥ ، هذه الآية الكريمة صريحة لتحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعتباره مشرع وقوله فيصل .

رسول الله(ﷺ) مثل بيعة العقبة الأولى والثانية وبيعة الرضوان (١) وهى محتوية بإعلان الدخول فى الإسلام أمام رسول الله (ﷺ) وأخذ المواثيق والعهود على السمع والطاعة والإخلاص لدين الله ، والإنصياع لأوامر رسول الله (ﷺ) والدفاع عن الإسلام وعن رسوله (ﷺ) ، والجهاد فى سبيل الله •

ومثل هذه البيعة ، انتهت وظيفتها بعد وفاة رسول الله (ﷺ) بل إنها تخص به(ﷺ) ، لذا لم نجد أحداً من الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام أخذوا البيعة من المسلمين ، فلما جاء دور التصوف وكثرت أنشطته ، التزم الصوفية هذه البيعة وأجازوها لأتباعهم •

قال الشاه ولى الله الدهلوى فى هذا الشأن : " وكانت بيعة الإسلام متروكة فى زمن الخلفاء ، أما فى زمن الراشدين منهم ، فلأن دخول الناس فى أيامهم كان غالباً بالقهر والسيف لا بالتأليف وإظهار البرهان ، ولا طوعاً ورغبة (٢) •

ثم كانت البيعة فى عهد الرسول (ﷺ) على التوحيد والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والجهاد فى سبيل الله ، والدفاع عن الرسول (ﷺ) ، والتعاون فى أداء رسالته، ولم تكن كما كانت مفهوماً عند الصوفية

---

(١) شهاب الدين أحمد النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ج١٦ ص٣١٣ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى / مصر •

(٢) الشاه ولى الله : القول الجميل ص٨ •

كما أنها لم تكن على الأسلوب الذى يفعله الصوفية اليوم ٠

قال الراغب فى مصطلح البيعة : بايع السلطان : إذا تضمن بذل الطاعة له ، بما رضخ له ، ويقال لذلك : بيعة ومبايعة (١) ٠

وهذا المفهوم نجده فى القرآن الكريم فى المبايعة ، قال تعالى : ﴿ إنَّ الذين يُبايعونك إنما يُبايعون الله ، يدُ الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾ (٢) ٠

وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يُبايعنك على أن لا يُشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم ﴾ (٣) ٠

وأيضاً ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يُبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ﴾ (٤) ٠

وجاء فى الحديث الشريف : عن عبادة بن الصامت(رضي الله عنه) انه قال : ((بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر و اليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بحق أينما كنا ، لا تأخذنا فى الله لومة لائم))(٥) ٠

---

(١) راغب الاصفهانى : المفردات ، مادة ب - ي - ع ٠

(٢) سورة الفتح آية ١٠ ٠

(٣) سورة الممتحنة أية ١٢ ٠

(٤) سورة الفتح آية ١٨ ٠

(٥) رواه البخارى ٠

وهناك أحاديث كثيرة تدل على مبايعة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما توجهنا إلى البيعة الصوفية رأينا أنهم يبايعونهم على اتباع الطريقة الخشيتة والنقشبندية والمجددية ويقولون في البمايعة " اننى بايعت على يد الشيخ الفقير العبد على أنى التزم باتباع الطريقة الخشتية أو القادرية أو النقشبندية وأقرأ كل ما تقره هذه الطريقة من الأذكار والأوراد " (١) ثم يقرأ عليهم الصلاة والسلام على رسول الله ويسمونها دلائل الخيرات (٢)•

وهذه الأنواع من المبايعة مخالفة صريحة للشريعة الإسلامية لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تنقل عن أحد من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجميعن •

---

(١) الشيخ محمد عبد الرحيم : سنة وبدعة " بنغالية " ص ١٧٦ •

(٢) نفس المرجع والصفحة •

المطلب العاشر
في
بدعة التوسل والوسيلة

*****

ومن تلك البدع التى نشأت فى المجتمع الإسلامى فى البنغال هى بدعة التوسل والوسيلة ، وأصبحت اليوم شائعة ومنتشرة في سائر المدن والقرى وفى الحواضر والبوادى ، ويظنها جزءً للإسلام ، وهؤلاء الجهلة بالدين من المتصوفة قد أساؤا فهم الوسيلة التى وردت فى بعض الآيات القرآنية ، وحسبوا أن الوسيلة التى تبتغى إلى الله تعالى هى عبادة أمثالهم ، منهم ممن درج وأفضى إلى ما قدم ، ومنهم من لم يزل حياً تسعى به القدم ، فسألوا الله تعالى بذواتهم وتوجهوا إليه بأشخاصهم ، وأقسموا عليه بحقهم ، فَضَلَّ سعيهم وحبط عملهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً •

والدرس الذى يلقنه المتصوفة لعامة الناس وخاصة فى الذين جعلوهم فى دائرة المريدية بأنه من المستحيل ترابط العلاقة بين الرب والعباد وتوطيدها إلا بأخذ التوسل بولى من الأولياء أو بشيخ من شيوخ التصوف أو الطريقة ، ولا يمكن لإنسان أن تحصل له منفعة دينية أو دنيوية أو دفع ضرر أو نقصان إلا بالتوسل بأحد من هؤلاء ، وبدونه تكون العبادة مبتورة ومقطوعة •

يدعى المتصوفة أن الأولياء كالأنبياء ، أحياء فى قبورهم ، ولا يطرأ عليهم الموت إلا لثوان ولحظات كخطف البصر، ثم ترجع إليهم أرواحهم و يحيون حياة دنيوية مع الأبدان و يسمعون ويجيبون ، يقومون ويجلسون ، ينامون ويستيقظون ، ومن هنا يزعم القوم أن الأولياء أحياء فى قبورهم ، يتصرفون كيف يشاءون ويستجيبون لنداء الناس ٠

فيجوز التوسل بهم كما يجوز ذلك فى حياتهم ، وعلى سبيل المثال إن الإمام عبد الوهاب الشعرانى كان يلتزم بالحضور فى عرس سيدى أحمد البدوى الكبير ، ومرة حصل له التأخير فى الحضور ليومين ، فيرى المجاورون لمرقده أن السيد البدوى يرفع حجابه بتكرار ، ويسأل عن مريديه عبد الوهاب ، هل حضر أم لم يحضر حتى الأن ، فلما حضر أخبره المجاورون بقبره بما جرى من رفع الحجاب عن القبر وسؤاله عنه ، فقال عبد الوهاب: أيعلم السيد بحضورى لمرقده ومزاره ؟ فقالوا:كيف ، وهو الذى قال : " من أراد زيارتى من منزله فهما بعد منزله أعلم بإرادته وأرافقه حتى يحضر قبرى ولا يضع حمله إلا وأكون ضامناً له "(١) ٠

وأمثال كثيرة مليئة بالخرافات ، وكثير من العلماء المتصوفين قد افتوا بجواز التوسل ، وقالوا : إنه لا يمكن لأحد الحصول على التقرب

---

(١) راجع : احسان الهى ظهير : البريلوية ص ٢٢٢ - ٢٢٨ " بتصرف " إدارة ترجمان السنة لاهور ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م ٠

إلى الله دون الأخذ بالوسيلة والتوسل ، فإنهم بمثل هذه الفتاوى أوقعوا الناس في الشرك بالله تعالى •

وجاء في أحد الفتاوى" أنه يجوز بل الواجب على العباد اتخاذ الوسيلة للحصول على القربى والرحمة والمغفرة (١) •

ولمثل هذه الفتاوى أثر بالغ في المجتمع ، حتى يظن الناس أن الصوم والصلاة والزكاة وغيرها من العبادات لا تصعد إلى السماء ولا تتشرف القبول عند الله عزوجل مالم تتخذ الوسيلة بالمشايخ ، ويقولون إن مجرد التصور للشيخ المعين يستوجب الرضا ورضا الشيخ يستوجب رضا الله (٢)•

وهذه الوسيلة مثل أن يقال بجاه فلان ، أو بحق فلان ، أو بوسيلة عبد القادر الجيلاني أو بجاه خواجه معين الدين جشتي أو بشيخ معين ، وهذه الكلمات ظلت معروفة ومتداولة في المجتمع البنغالي ، ووصل الأمر إلى حد أن من يدعوا لله تعالى ولا يتوسل بشيخه أو بولي من أوليائه تعالى ، ترد – بزعمهم – عليه دعوته ولا يستجاب لها •

---

(١) الشيخ محمد عبد الرحيم : السنة والبدعة " بنغالية " ص ١١٩ ، خيرون بروكاشوني ، دكا ، بنغلاديش •

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة •

معنى الوسيلة :

قال الفيروز آبادى : الوسيلة والواسلة المنزلة عند الملك ، والدرجة والقربة ، ووسل إلى الله توسيلاً عمل عملاً تقرب به إليه كتوسل •

قال الراغب : الوسيلة التوصل إلى الشئ برغبة ، وهى أخص من الوصيلة لتضمنها لمعنى الرغبة ، قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ فحقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة ، وهى كالقربة •

قال الزمخشرى : الوسيلة كل ما يتوسل به أى يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك ، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصى •

قال البيضاوى : الوسيلة ما تتوسل به إلى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى •

قال شيخ الإسلام إبن تيمية فى شرح الوسيلة التى ترد فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان :

أحدها : التوسل بطاعته ، فهذا فرض لايتم الإيمان إلا به •

---

(١) سورة المائدة ٣٥ •

(٢) الراغب : غريب القرآن •

(٣) تفسير الزمخشرى فى تفسير : " يا أيهاالذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة " •

الثاني : التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان فى حياته ويكون يوم القيامة ، يتوسلون بشفاعته •

الثالث : التوسل بمعنى الاقسام على الله بذاته والسؤال بذاته ، فهذا هو الذى لم تكن الصحابة يفعلونه فى الاستسقاء ونحوه ، لافى حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غيرقبره ، ولا يعرف فى شئ من الأدعية المشهورة بينهم وأنما ينقل شئ من ذلك فى احاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة (١)•

عرفنا من سياق هذه الأنواع من معانى التوسل أنه هناك توسلاً مشروعاً ويحصل ذلك من فعل الطاعات وترك المعاصى ، ومن أداء الفرائض والواجبات واجتناب المحرمات وغير ذلك من الأفعال التى ينزل فيها العقاب والزجر ، فإذا كان العبد يقوم بأداء الواجب الدينى على هذا الأساس فإن له حظ للتقرب إلى الله تعالى واستحقاق الأجر منه •

أما اتخاذ ذوات الأشخاص وسائل إلى الله تعالى فباطل فإنه من الظن وخدعة من خدع الشيطان ، أما التوسل بجاه فلان فلا يجوز وما يظنه البعض أنه ورد فى الحديث قول النبى(ﷺ) ((توسلوا بجاهى فإن جاهى عند الله)) وهذا الحديث موضوع عند أئمة الحديث

---

(١) إبن تيمية : قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة ص ٥٠ ، المكتبة العلمية ، بيروت لبنان•

وأما ما رواه البخارى فى حديث الغار الذى طبقت عليهم الصخرة حديث النفر الثلاث ، فإن توسلهم كان بصالح أعمالهم ، لابذاتهم ، قال: أبو حنيفة وأصحابه " لا يسأل لمخلوق ولا يقال أحد أسألك بحق نبيك " وقال أبو الحسن القدورى : " المسألة لا يجوز لأنه لاحق للخلق على الخالق ، فلا تجوز وفاؤها " (١)٠

أما الإستشفاع بالنبى (ﷺ) وغيره فى الدنيا إلى الله تعالى فى الدعاء ففيه تفصيل : فإن الداعى تارة يقول : بحق فلان يقسم على اللّه بأحد من مخلوقاته فهذا محذور من وجهين :

أحدهما : أنه أقسم بغير الله ٠

ثانيهما : اعتقاده أن لأحد على اللّه حقاً ، ولا يجوز الحلف بغير الله ، وليس لأحد على الله حق إلاّ ما أحقه على نفسه ، كقوله تعالى ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ (٢) وكذلك ماثبت فى الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضى الله عنه وهورديفه : ((يامعاذ أتدرى ما حق الله على عباده ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا

---

(١) انظر : د/ صالح بن فوزان الفوزان : أضواء على فتاوى شيخ الإسلام ، نشرت فى مجلة الدعوة - الرياض ١٤١٤ هـ العدد ١٤٠٣ ٠

(٢) الروم : ٤٧

به شيئاً ، أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ قلت الله ورسوله اعلم، قال حقهم عليه أن لا يعذبهم)) •

فهذا حق وجب بكلماته التامه ووعده الصادق ، لا أن العبد نفسه يستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق ، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير ، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم ، وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به ولا أن يسأل بسبب ويتوسل به ، لأن السبب هو ما نصبه الله سبباً •

وكذلك الحديث الذى فى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى (رضي الله عنه) عن النبى (ﷺ) فى قول الماشى إلى الصلاة: ((اسألك بحق ممشاى هذا وبحق السائلين عليك)) فهذا حق السائلين هو أوجبه على نفسه ، فهو الذى أحق للسائلين أن يجيبهم وللعابدين أن يثبهم)) •

المطلب الحادي عشر
في
بدعة الشعوذة والتعاويذ

****

ومما ابتلى به المسلمون المعاصرون فى شبه القارة الهندية ، الشعوذة والسحر والتمائم والتعاويذ ، كل ذلك قد أخذوها من الثقافة والعادات الهندوكية ، إنها عملية ذات تأثير فى حياة الفرد والمجتمع ، و هم يجعلون ذلك من شعائر الإسلام وعباداته ٠

ويزعمون أن الإيمان بها والاعتقاد بمؤثراتها أمر لا ينفك عنه الإسلام حتى أن من ينكر ذلك فقد يقع إلى المهالك ، وكان لجماعة من أهل التصوف باع فى إشاعة هذه الفكرة بين المسلمين فى المنطقة ، وهم بذلك فتحوا محلات تجارية يكسبون منها منافع مادية ضخمة ، ولكل من أنواع الشعوذة و التمائم أسعار محددة يحددونها وفق حجم العملية وأهمية القضية ، يتوهم عامة المسلمين من ناقصى العقل والدين أن فى هذه الأشياء قوة مؤثرة فعالة يمكن اللجوء لها عند الضرر والنقصان أو عند الإصابة بمرض أو غير ذلك مما يتعرض له الناس ، إن هذه الأعمال لم تثبت مصداقيتها من الكتاب والسنة ولم يعمل بها الصحابة الكرام والسلف الصالح ٠

إذاً فما هو المصدر لها وكيف تسللت فى المجتمع الإسلامى البنغالى ؟ إن هذه اسئلة تتطلب الإجابة الشافية حتى يتضح للمسلمين أنها دخيلة فى مجتمعاتهم وليس لها مصداقية فى الشرع الإسلامى ، لذا فنقول: إن هذه الفكرة قد تسللت إلى المجتمع الإسلامى من العادات والتقاليد والثقافات الهندوكية التى كانت تحيط المسلمين آنذاك ، و قد أشارت أشارت إلى ذلك بعض الكتب التى كتبها عدد من العلماء حول هذا الموضوع ، وتعتبر هذه الكتب من الكتب المهمة التى تتناول الشعوذة والتعاويذ ونتائجها وكيفية تأثيرها على الناس ، منها :

أ - الكتاب الذى ذاع صيته بالهند فى مجال الدعوة " الجواهر الخمس " ألفه الشيخ / عبدالمؤيد عام ٩٥٦م وهو من أصل منطقة كجرات الهندية ، وفى رأى المؤلف، إن نتائج العلوم بالجواهر الخمس تتحقق فى المجالات التالية :

١ - إحداث الشقاق بين الأخوين •
٢ - إزالة الأمراض من أحد أوإهلاكه •
٣ - حصول المنافع الدنيوية أو الأخروية •
٤ - الإنتصار فى حرب أو الإنهزام فيها •

إن هذا الكتاب قد تم تأليفه متأثراً بالثقافات الهندوكية المتنوعة،ولكنه يتداول على أنه نوع من الثقافة الإسلامية ولسنا بصدد الحديث عن هذا الموضوع ،والشئ الذى يهمنا هنا هو البحث الجاد عن العلاقة بين تلك العلوم

التى تكن بالأسرار وبين التعاليم الإسلامية ، للكشف المزيد علينا أن نقسمها إلى أمور آتية :

أولاً : عامل(Amil) وهو إشارة إلى الأوصاف التى ينبغى أن تكون فيه •

ثانياً : تحديد المواقيت للعمليات المعينة له •

ثالثاً : تفسير بعض الكلمات المصطلحة الخاصة بهم ، وذلك مثل : نصاب ، زكاة ، عشر ، قفل ، دور ، بذل ، ختم ، سريع الإجابة •

رابعاً : إحضار الجن واستعمالهم لأغراض شخصية (١) •

ب – وفى دائرة المعارف الإسلامية حول التعويذ والشعوذة حيث جاء فيه:

وفى الهند كتب عدة فى موضوع التعاويذ ، أشهرها إثنان : الجواهر الخمس و نقوش سليمانى •• بعض العلماء قد جوزوا إستعمال التعاويذ وتعليقها لإزالة الأمراض إن كانت هذه من القرآن والسنة ، ولكن الأفضل الإجتناب من هذه العملية ، وذلك لتفادى الوقوع فى بعض الشركيات و المشتبهات (٢) •

ج – وجاء فى دائرة المعارف أيضاً :

والكتاب الجامع لفن التعاويذ المشهورة فى الهند " الجواهر الخمس " الذى ألفه الشيخ المؤيد عام ٩٠٦ هـ ،الساكن فى كجرات ، وفى هذا الكتاب بعض

---

(١) راجع : . A dietionary of Islam . p - 72 - 73

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (اردو ك باب تعويذ ج٤ ص١٦٠ •

العمليات لاستخدامها فى الأمور الآتية :

١ - إحداث الشقاق بين الأخوين ، إلغاء العداوة بينهما •

٢ - لإزالة الأمراض من إنسان أو لإهلاكه •

٣ - للحصول على المراد •

٤ - للإنتصار فى الحروب •

٥ - لإحضار الجن وغيره •

إن أى أمة أنشئت على توحيد الله تعالى وعبادته، بعدت عن الوثنيات بأنواعها ، فإنها لن تقبل بالسحرة وبالكهنة يعبثون فى العقيدة والدين ، لأن لها آثار سيئة فى الأفراد والمجتمع ، لذا وجب الإحتراز من هذه الأشياء •

وقال صلى الله عليه وسلم : ((من أتى كاهناً أو ساحراً ، فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)) (١)•

وقال صلى الله عليه وسلم : ((من أتى عرافاً فسأله عن شئ فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً)) (٢) •

وقال أيضاً ((من عقد عقدة ، ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئاً وكل إليه)) (٣) •

---

(١) رواه أبو داود عن أبى هريرة •

(٢) رواه مسلم فى صحيحه عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم •

(٣) رواه النسائى عن أبى هريرة •

المطلب الثاني عشر

في

براءة عقيدة النور المحمدي

ويشتمل على خمسة فروع

الفرع الأول : حب الرسول مطلب للمسلمين

الفرع الثاني : الذب عنه وعن سنته

الفرع الثالث : تصديقه فيما أخبر

الفرع الرابع : اتباعه وطاعته والاهتداء بهديه

الفرع الخامس : التحاكم إلى سنته وشريعته

****

***

المطلب الثاني عشر

في

بدعة عقيدة النور المحمدي

إن ما يقوله المتصوفة عن شخصية الرسول محمد(ﷺ) بأنه فوق عادة البشر ، وأنه خلق من نور الله ، وأنه ليس له فَئ عند ما يمشى تحت الشمس وإنه حى وموجود ، ويتجول حول العالم وغير ذلك .

نقول : إن هذه الفكرة استمدوها من مقولتهم " الحقيقة المحمدية " أو " النور المحمدى " على حد تعبير المتصوفة .

يقول أصحاب هذه الفكرة : إن محمداً (ﷺ) ليس مخلوقاً ككل الناس ، وإنما هو (أزلى) الوجود ، وإن أول شئ خلقه الله تعالى هو الروح المحمدية أو النور المحمدى (١) .

قال التسترى فى تفسير الآية ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ (٢) : إن الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام قال للملائكة :إنى جاعل فى الأرض خليفة ، وخلق آدم عليه السلام من طين العزة من نور محمد(ﷺ) ،وهكذا تكون نفس محمد (ﷺ) أزلية ، لأنهاهى نفس الله

---

(١) د: مصطفى غلوش : التصوف الإسلامى بين الأشراف والفلسفة ص٥٨ ، جامعة الأزهر .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

المتمثلة فى النور(١) وقد ظهر(محمد) أول ما ظهر فى صورة (آدم) وظل (محمد) يظهر بعد ذلك فى صورة جميع الأنبياء من بعد آدم ، فالروح المحمدية ، هى الروح الإلهية التى نفخ الله منها فى (آدم) وإن الحقيقة المحمدية هى مبدأ الحياة ومركزها فى العالم ، وهى روح كل شئ فى الكون وحياته (٢) ٠

ولاشك أن هذه الدعوة (الحقيقة المحمدية) تناقض العقيدة الإسلامية ، بل إنها مؤيدة لعقيدة التناسخ للأرواح وأزليتها ، وتتناسب مع المعتقدات المتصوفة والوثنية الفارسية والهندوسية والأفلاطونية المحدثة (٣) ٠

ثم إن أزلية النور المحمدى الذى ظهر فى صور جميع الأنبياء من آدم إلى عيسى ، ثم ظهر فى صورة الرسول (محمد نفسه) ، ولكن ظهور محمد لم ينته فى نظر دعاة فكرة (الحقيقة المحمدية) بموته(ﷺ) ويقولون بل يعتقدون : إن محمداً (ﷺ)لايزال يظهر فى صورة الأولياء الذين يقتبسون من نوره ، وهذا غاية الضلالة ، لأن هذه الفكرة تخالف الآية القرآنية الصريحة ، قال الله فيها: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد﴾ (٤) ٠

---

(١) د: كامل الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٥١ ٠

(٢) د: مصطفى غلوش : التصوف الإسلامى بين الإشراف والفلسفة ص٥٨ ٠

(٣) د: سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج٢ ص١٦٥ ط٧ دار المعارف ٠

(٤) سورة الكهف ١١٠ ٠

وقال أيضاً : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (١) ، وكان رسول الله(ﷺ) مع كونه سيد الأنبياء ونبى الرحمة والهدى ، لم يكن إلاَّ بشراً رسولاً، كان فقد يأكل وينام ويصوم ويفطر ويتزوج ويتعبد ويشير ويستشير أصحابه ، ومع كل هذه الدلائل البشرية الموجودة فيه ، فإنه كان نبياً قد اصطفاه الله تعالى من بين الناس ، وأنزل عليه الوحى ، فلا يعلم الغيب ولا يخلد، وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ، أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (٢) •

ثم إن الإسلام قرر أن الروح أو النفس حادثة ، ولا يطرأ عليه القدم ،لأن القديم هو الله سبحانه وتعالى ، وكل شئ هالك إلاوجهه ، والمسيحيون يقولون عن نبيهم عيسى عليه السلام إنه روح قديم أزلى جزء للإله الواحد ، وهذه عقيدة مخالفة لأصول العقيدة الإسلامية ، أخذها المتصوفة من الشيعة أو أتباع المسيحية أو الوثنية •

الفرع الأول : حب الرسول مطلب للمسلمين :

إن محبة الرسول (ﷺ) أصل عظيم من أصول الدين ، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول (ﷺ) أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين •

---

(١) سورة التوبة ٢٤ •

(٢) سورة الأحزاب ٦ •

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا ، أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ،وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١) ٠

قال القاضى عياض فى شرح الآية : فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته ، ووجوب فرضها وعظم خطرها ، واستحقاقه (ﷺ) ،إذ قرع الله من كان ماله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى : ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله ٠

وقال تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (٢) ٠

وقال النبى (ﷺ) : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) (٣) ٠

وقال أيضاً : ((والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)) (٤) ٠

وعن عبدالله بن هشام قال : كنا مع النبى (ﷺ) وهو

---

(١) سورة التوبة ٢٤ ٠

(٢) سورة الأحزاب ٦ ٠

(٣) رواه البخارى ١/٥٨ و مسلم ١/ ٦٧ ٠

(٤) رواه البخارى ١/ ٥٨ ٠

آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شئ إلا من نفسى ، فقال النبى (ﷺ) : لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسى ، فقال النبى (ﷺ) : " الآن ياعمر " (١) .

آثار محبته صلى الله عليه وسلم : المحبة عمل قلبى إعتقادى ، تظهر آثاره ودلائله فى سلوك الإنسان وأفعاله ومن علامات ذلك :

أولاً : تعزير النبى صلى الله عليه وسلم وتوقيره :

قال الله تعالى : ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ (٢) .

ذكر إبن تيمية : " أن التعزير إسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه " والتوقير : " إسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام ، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار " (٣) .

وتوقير النبى (ﷺ) له دلائل عديدة منها :

١ ـ عدم رفع الصوت فوق صوته :

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى

---

(١) رواه البخارى ١١/ ٥٢٣ .

(٢) سورة الفتح ٩ .

(٣) إبن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٢٢ .

وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾(١)

وعن السائب بن يزيد قال : كنت قائما فى المسجد فحصبنى رجل ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ، فقال : اذهب فأتنى بهذين ، فجئته بهما ، قال : من أنتما ، أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله(ﷺ) .

٢ – الصلاة عليه : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

قال إبن عباس : يصلون: يبركون (٤) وفى الآية أمر بالصلاة عليه ، والأمر يقتضى الوجوب ، لهذا قال النبى (ﷺ) : ((البخيلُ من ذُكِرْتُ عنده فلم يُصَلِّ عَلَيَّ)) وقال : ((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عنده فلم يُصَلِّ عليَّ)) (٥).

الفرع الثانى: الذب عنه وعن سنته: إن الذب عن رسول الله(ﷺ) ونصرته آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال .

---

(١) سورة الحجرات ٢ .

(٢) رواه البخارى ١/٥٦٠ .

(٣) سورة الأحزاب ٥٧ .

(٤) رواه البخارى ٨/ ٥٣٢ .

(٥) رواه أحمد ٢/ ٢٠١ و الترمذى ٥/ ٥٥٠ .

قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١) ٠

ولقد سطر الصحابة رضى الله عنهم ، أروع الأمثلة وأصدق الأعمال فى الذب عن رسول الله (ﷺ) ، فضحوا بالأموال والأولاد والأنفس ، فى المنشط والمكره ، فى العسر واليسر ، وكتب السير عامرة بقصصهم وأخبارهم التى تدل على غاية المحبة والإيثار ، وما أجمل ما قاله أنس بن النضر يوم أحد لما انكشف المسلمون : " اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد ، فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر ، إنى أجد ريحها من دون أُحد ، قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس بن مالك : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه (٢) ٠

ومن الذب عن سنته (ﷺ) : حفظها وتنقيحها ، وحمايتها

---

(١) سورة الحشر ٨ ٠

(٢) رواه البخارى ٢١/٦ ، ٣٥٤/٧ ٠

من إنتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين ، ورد شبهات الزنادقة والطاعنين فى سنته ، وبيان أكاذيبهم ودسائسهم ، وقد دعا رسول الله(ﷺ) بالنضارة لمن حمل هذا اللواء بقوله : ((نضرا الله امرءاً سمع منا شيئاً ، فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع))(١) •

والتهاون فى الذب عن رسول الله (ﷺ) أو الذب عن سنته وشريعته ، من الخذلان الذى يدل على ضعف الإيمان ، أو زواله بالكلية ، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمته وعرضه وسنته ، فهو كاذب فى دعواه •

الفرع الثالث : تصديقه فيما أخبر :

من أصول الإيمان وركائزه الرئيسية ، الإيمان بعصمة النبى (ﷺ) وسلم، وسلامته من الكذب أو البهتان ، وتصديقه فى كل ما أخبر من أمر الماضى أو الحاضر أو المستقبل ، قال الله تعالى : ﴿ وَالنَّجمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٢)•

والجفاء كل الجفاء ، بل الكفر كل الكفر ، اتهامه وتكذيبه فيما أخبر ، ولهذا ذم الله المشركين بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ

---

(١) أخرجه أحمد ٤٣٧/١ والترمذى ٥/ ٣٤ •

(٢) سورة النجم ١-٤ •

يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ (١) .

ومن لطائف هذا الباب التى تدل على منزلة الشيخين الجليلة،أن رسول الله (ﷺ) قال لأصحابه : ((بينما راع فى غنمه ، عدا عليه الذئب ، فأخذ منها شاة ،فطلبها حتى استنقذها ، فالتفت إليه الذئب ، فقال : من لها يوم السبع ليس لها راع غيرى ؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها ، فالتفت إليه ، فكلمته ، فقالت : إنى لم أخلق لهذا ، ولكنى خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله ! قال النبى صلى الله عليه وسلم : فإنى أؤمن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب)) (٢) .

الفرع الرابع : اتباعه وطاعته والإهتداء بهديه :

الأصل فى أفعال النبى (ﷺ) وأقواله أنها للإتباع والتأسى ، قال الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ (٣) .

---

(١) سورة يونس آيــة ٣٧ - ٣٩ .

(٢) أخرجه البخارى ١٥٢/٦ ، ١٨/٧، ٤٢ .

(٣) سورة الأحزاب أيــة ٢١ .

قال إبن كثير : " هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله(ﷺ) يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وإنتظاره الفرج من ربه عزوجل (١) وجاء أمر الله سبحانه وتعالى في وجوب طاعة الرسول (ﷺ) في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ وَما آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٢) وجعل الله عزوجل طاعة الرسول (ﷺ) من طاعته سبحانه وتعالى ، فقال : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ (٣) وأمر بالرد عند التنازع إلى الله والرسول ، فقال: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (٤) .

وتواترت النصوص النبوية في الحث على إتباعه وطاعته ، والإهتداء بهديه والاستنان بسنته ، وتعظيم أمره ونهيه ، ومن ذلك قول الرسول (ﷺ) : ((فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ،

---

(١) إبن كثير : تفسيره ٣/٤٧٥ .

(٢) سورة الحشر آية ٧ .

(٣) سورة النساء آية ٨٠ .

(٤) سورة النساء آية ٩٥ .

وكل بدعة ضلالة))(١) وقال(ﷺ) : ((صلوا كما رأيتموني أصلي))(٢)٠

وقال (ﷺ): ((لتأخذوا عني مناسككم)) (٣)٠

فطاعة الرسول (ﷺ) هي المثال الحي الصادق لمحبته عليه الصلاة والسلام فكلما أزداد الحب ، زادت الطاعات ، ولهذا قال الله عزوجل : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٤)٠

الفرع الخامس : التحاكم إلى سنته وشريعته :

إن التحاكم إلى سنة النبي (ﷺ) أصل من أصول المحبة والاتباع ، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته ، ويسلم تسليماً ، قال الله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥)٠

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن من علامات الزيغ والنفاق الإعراض عن سنته ، وترك التحاكم إليها ، قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ

---

(١) أخرجه أحمد ١٢٦/٤ ، وأبو داود ١٣/٥ ، ١٥ ٠

(٢) أخرجه البخاري ١١١/٢ ، ٤٣٨/١٠ ٠

(٣) أخرجه مسلم ٩٤٣/٢ ٠

(٤) سورة آل عمران آية ٣١ ٠

(٥) سورة النساء آية ٦٥ ٠

أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾(١) .

الغلو فى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

انحرف بعض الناس عن هدى النبى (ﷺ) وأحدثوا فى دين الله عزوجل ماليس منه ، وغيروا وبدلوا، وغلوا فى محبتهم للرسول(ﷺ) غلواً أخرجهم عن جادة الصراط المستقيم،وهذا الذى حذر منه الله عزوجل: ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (٢) .

وقد كان رسول الله (ﷺ) حريصاً على حماية جانب التوحيد ، فكان يحذر تحذيراً شديداً من الغلو والإنحراف فى حقه ، ودلائل ذلك كثيرة جداً منها :

* عن عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ((لا تطرونى كما أطرت النصارى إبن مريم فإنما أنا عبده ، فقولوا: عبد الله ورسوله)) (٣) .

---

(١) سورة النساء آية ٦٥ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

(٣) اخرجه البخارى ٤٧٨/٦ .

* وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله(ﷺ) : ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد إلا أنى أنهاكم عن ذلك تحذر ما صنعوا)) (١)٠

* وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، ان رجلاً قال للنبى(ﷺ) : ماشاء الله وشئت ، فقال له النبى (ﷺ) : ((جعلتنى لله عدلاً ، بل قل ماشاء الله وحده)) (٢)٠

* وعن انس (رضي الله عنه) أن رجلاً قال : يامحمد ، ياسيدنا ، وابن سيدنا ، وخيرنا وابن خيرنا ، فقال رسول الله (ﷺ) : ((قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى انزلنى الله عزوجل))(٣)٠

ونظائر هذه النصوص كثيرة جداً ، ثمرتها كلها بيان أن محبة النبى(ﷺ) وتعظيمه لا تكون إلا بالهدى الذى ارتضاه وسنه لنا ، ولهذا قال عليه أفضل الصلاة والسلام : ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) -

---

(١) البخارى ١٤٠/٨ ومسلم ٣٧٧/١ ٠

(٢) اخرجه أحمد ٢١٤/١،٢٨٣ ٠

(٣) أخرجه مسلم ١٣٤٤/٣ ٠

الفصل الثالث

فى

أثر التصوف فى تعطيل الجهاد الإسلامى

* * * * * * * * * *

* *

أثر التصوف في تعطيل الجهاد ضد الإستعمار :

حاول المتصوفة صرف الأنظار عن القتال والجهاد ضد أعداء الإسلام عن طريق تفسيرات غريبة للآيات القرآنية وجعلها بعيدة عن معناها ومضمونها ومقاصدها ، قال السهروردى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (١) •

يدرجهم الله تعالى فى مدارج الكسب بأنواع من الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجر وظمأ الهواجر ، تتأجج فيهم نيران الطلب ، وتتحجب دونهم لوامع الأرب ، يتقلبون فيه رمضاء الإرادة ، وينخلعون عن كل مألوف وعادة وهى الأنابه التى شرطها الحق سبحانه وتعالى لهم وجعل الهداية مقرونة بها : (٢) وقال محمد بن الخفيف: " الإرادة سمو القلب لطلب المراد ، وحقيقة الإرادة إستدامه الحد وترك الراحة (٣) وفى تفسير قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ (٤) قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: يا إبن أخى هل تدرى فى أى شئ نزلت هذه الآية ؟ ثم قال: ياإبن أخى ، لم يكن فى زمن رسول الله (ﷺ) غزو يربط فيه الخيل ولكنه إنتظار الصلاة بعد الصلاة ، فالربط لجهاد النفس •

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦٩ •

(٢) الهروردى : عوارف المعارف ص ٤٩ •

(٣) نفس المصدر والصفحة •

(٤) سورة آل عمران آية ٢٠٠ •

والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه (١) قال إبن المبارك في تفسير قوله عزوجل : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (٢) هو مجاهدة النفس والهوى ، وذلك حق الجهاد ، وهو الجهاد الأكبر على ماروى في الخبر أن رسول الله() قال : حينما رجع من بعض غزواته ((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأصغر)) (٣)٠

قال القشيري : " أصل المجاهدة ملاكها فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات " (٤) ٠

فمعنى الجهاد والمجاهدة عند الصوفية يختلف تماماً عما يعنيه الإسلام فالمجاهدة عند هؤلاء بذل الجهود في منع النفس عن الرغبات في الدنيا ، وأخذ الحيطة للحيلولة دون الاستمتاع بلذاتها ، وهم يقولون أن المعرفة التي يطلبون الحصول عليها لاتحصل إلا بقطع العلاقات بالدنيا وما فيها من المتع واللذات ، فاخترعوا من أجل ذلك وسائل غريبة وعجيبة لاعلاقة لها بالكتاب والسنة ، أهمها التشديد على النفس ، وتعذيبها ، فهم يحرمون على أنفسهم أشياء قد أحلها الله تعالى للإنسان وأحلوا لهم ما حرمه الله عليهم ،

---

(١) السهروردي : عوارف المعارف ص ١٠٥ ٠

(٢) سورة الحج آية ٧٨ ٠

(٣) السهروردي : عوارف المعارف ص ١٠٥ ، قال شيخ إبن تيمية: إن هذا الحديث لاأصل له ، الفرقان ص ٦٠ ٠

(٤) القشيري : الرسالة القشيرية ص ٦٢ ٠

وهذا المفهوم للجهاد والمجاهدة الذى يعتنون به يشير إلى أمرين :

أولهما : تجريد النفس عن كل ما تسعى النفس للحصول عليه •

ثانيهما : إعدادها وتعويدها لمقاومتها عن الشهوات والغرائز، بحيث لايبقى أثر من قبيل ذلك فى النفس، فالأول يسمونه تهذيب النفس ، والثانى يسمونه تزكية النفس ، وهذا الأخير هو المطلوب عندهم •

وطبعاً ما تحتاج إليه النفس بادئ ذى بدء التغذية أو الغذاء ولكن المتصوفة يتصرفون فى شأنه تصرفاً يكرهه العقل السليم •

فكثير منهم لا يقتربون الطعام عشرين أوأربعين يوماً أو أكثر (١) كما يحكى عن سهل بن عبدالله التسترى أنه كان يأكل مرة فى كل خمسة عشريوماً ، وفى رمضان لا يأكل شيئاً إلا مرة واحدة (٢) وفى رواية أنه يحترز سبعين يوماً من الطعام (٣) وذكر الهجويرى فى كتابه بعض الحكايات من الصوفية أنهم لا يقتربون إلى الطعام لمدة ثمانين يوماً ويصلون مع الجماعة (٤) •

وهناك بعض الآثار تدل على أن بعضاً منهم لا يأكلون لمدة أربع سنوات أو سبع سنوات •

---

(١) المكى : قوت القلوب ج٤ ص ٤٤ •

(٢) القشيرى : الرسالة القشيرية ص ٨٥ و كشف المحجوب ص ٢٨١ •

(٣) الطوسى : كتاب اللمع ص ٣٣٠

(٤) كشف المحجوب ص٢٧٢ •

إن الإسراف والإفساد فى الطعام الذى هو رزق من الله تعالى أمـر غير مشروع فى الإسلام ،بـل يعـاقب عليـه مـن يرتكـب ذلـك ، وبعـض الصوفيـة يسيئون التعامل مع الأغذية ويرمونها بعد إفسادها ، فقد ورد أن أبا النصـر الطوسى جاء إلى بغداد يوماً من أيـام رمضـان المبـارك ، فـاعتكف فـى أحـد المساجد هناك ، وكان خادمه يقدم له كل يوم خبزاً، فلما إنتهى الشهر ، دخـل الخادم ، فوجد عنده جميع الخبز فاسداً (١) •

فالمتصوفة يرون أن باب الحكمة يفتح لمن يعيش جائعـاً ،بـل وبـه يصـل إلـى رأس الحكمـة (٢) وهنـاك " أربعـون يومـاً " وصفـوه خصيصـاً لتزكيـة النفس •

قال القشيرى : إن نوعاً من الطيور يطير فـى السماء بعد أربعين يومـاً جياعاً ، ثم يعود و يفوح منهم ريح المسك (٣) •

نعم يفوح ريح المسك من فم الصائم ، كما ورد فى الحديث الشـريف فـى الصوم ولكنهم قيدوا ريح المسك بالأربعين ، استناداً بإقامة النبى موسى عليـه السلام فى الطور أربعين ليلة ، كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (٤) •

---

(١) الهجويرى :كشف المحجوب ص٢٨٢ •

(٢) القشيرية : الرسالة القشيرية ص٨٥ •

(٣) القشيرية : الرسالة القشيرية ص٨٦ •

(٤) سورة الأعراف ١٤٢ •

ويروى أن موسى عليه السلام لما أقام فى جبل الطور ٠٠٠فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوماً - وهو ذو القعدة - فلما تمت الثلاثون ليلة ، أنكر خلوف فمه ، فتسوك بعود خرنوب ، فقالت له الملائكة : كنا نشم من فيك رائحة المسك ، فأفسدته بالسواك ، فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة ، وقال له : أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك ؟ ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام بالنهار وأكله بالليل، بل طوى الأربعين من غير أكل ، فدل على أن خلو المعدة من الطعام أصل كبير فى الباب ، حتى احتاج موسى إلى ذلك مستعداً لمكالمة الله (١)٠

والغرض من تعذيب البطن وحرمانه من الطعام عند الصوفية هو حصول العلم اللدنى والمكالمة بالله سبحانه وتعالى ٠

يقول الهجويرى : إذا أراد ولى من أولياء الله تعالى المكالمة بالله يصوم أربعين يوماً ، أى يصوم ثلاثين يوماً ثم يتسوك ثم يكمل عشرة أيام ٠

ومن المجاهدة التى يمارسها الصوفية لتزكية النفس،الإعراض عن الزواج، لأن فيه مفسدات على حد قولهم وهى :

الأول : الإنشغال فى الذكر لما دون الله ٠

الثانى : التلذذ والإشباع للنفس والجسد معاً (٢) فهم يعتبرون الزواج خطراً

(١) السهروردى : عوارف المعارف ص ٢٠٨ ٠

(٢) الهجويرى : كشف المحجوب ص ٣١٦ ٠

على الحياة الصوفية •

وهناك قصة وردت : أن صوفياً لما تزوج امرأة ، وخلع لباس الخرقة ، ولبس لباساً نظيفاً مزرقاً ، ناداه مناد : أيها الرجل ! أألقيت لأرميت خرقتى ؟ وعند ما أعرضتَ عنى خلعوا منك لباس الخرقة والصفوة ، وإن أعدت ونظرت إلى غيرى ، لقد انسلخت منك قميص الروحانية التى كنت أعطيتك إياها (١) •

فعلم أن هؤلاء المتصوفة يجعلون عقد الزواج حاجزاً للوصال بينهم وبين الله تعالى ، فقد تبين أن بعضاً من هؤلاء قطعوا علاقاتهم الزوجية بعد الزواج •

وذكر الهجويرى حكاية عن صوفى قد ذهب لزيارته ودخل بيته فوجده نظيفاً ومضيئاً كما يكون حال بيوت أولياء الله ، وسأله عن سبب نظافته وأضائته بشكل مرغوب فيه قال الصوفى: إنه قد مضى حوالى خمس وستين سنة على زواجه ولم يدخل عليها مرة ، وأنهما يعيشان منذ ذلك الحين فى زاويتين من الغرفة (٢)•

وللإعراض عن عقد الزواج وكبت الشهوات والرغبات الجنسية ، فإن المتصوفة يكتفون أعمالهم فى صيام الوصال،وفى الذكر الدائم والعبادات•

ومن مجاهدة الصوفية الالتزام بالصمت وعدم التعرض للكلام مع الناس

---

(١) الهجويرى : كشف المحجوب (بتصرف) ص٤٤-٤٥ •

(٢) نفس المرجع ص٣١٦ •

لأن حال الصوفى الحقيقى أن يكون دوماً متكلماً مع الله ،ذاكـراً لـه سبحانه وتعالى ، فلا يليق أن يستعمل لسانه فى الحديث مع غير الله تعالى من العباد، فمن يتكلم مع غير الله تعالى ، فإنه يقطع الاتصال به تعالى ، فمن يتكلم مع غير الله ، فقد بعد عن جنبات الله تعالى •

وهذه الانحرافات التى يقع فيها المتصوفة مناقضة للجهاد الإسلامى الحقيقى ومميتة للروح الجهادية ، وللجهاد شأن عظيم فى الإسلام ، وفرضه الله على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا مناص فيها ولا مفر معها ورَغَّبَ فيه أعظم الترغيب وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء ، ومنحهم من الامتيازات الروحية والعلمية فى الدنيا والآخرة ، مالم يمنحه سواهم ، وجعل دمائهم طاهرة زكية (١) ولكن المتصوفة قد حرفوا مفهوم الجهاد الذى أنزله الله تعالى فى كثير من الآيات القرآنية وحث المسلمين عليه ، كما حث إليه الرسول (ﷺ) ، ولكن هؤلاء جعلوه مقصوراً فى تعذيب النفس وممارسة الرياضات الشاقة ، وإسقاط التكاليف الشرعية وإستحلال المحرمات ، والحرمان من الزواج وغير ذلك من الأمور البدعية التى تقضى على الإسلام وتشوه صورته •

فقد شرع الإسلام الجهاد للأمة لإعلاء كلمة الله وإظهارها على سائر

---

(١) حسن البنا : الجهاد فى سبيل الله ص٥٩ الاتحاد الإسلامى للمنظمات الطلابية ١٤٠٣هـ•

الأديان الباطلة ،وإقامة الحق والعدل بين الناس ورفع الظلم والعدوان ، واستتباب الأمن والاستقرار فى الأرض ، ولا يتأتى ذلك إلاَّ بالجهاد، وهل يشهد التاريخ أن صوفياً لعب دوراً فى مواجهة الظلم والبطش والعدوان ، هل حارب أحدهم القوى الاستعمارية ودافع عن الإسلام وعارض المنكرات السائدة فى مجتمع عصره ؟ •

نعم هناك عدد غير كبير ذكرت أسماؤهم فى كتب التاريخ قاوموا الاستعمار الإنجليزى الذى دام فى شبه القارة الهندية أكثر من قرنين ، وحاربوهم محاربة شديدة ، وذاقوا ألواناً من العذاب ، بعضهم قتلوا وشردوا أو نفوا من الأرض ، وما كان باستطاعة الإنجليز أن يمارسوا مثل تلك الأعمال الإجرامية ضدهم إن لم تقعد أكثريتهم عن الجهاد ، وتلزم الصمت والقعود فى الزوايا والتكايا لتتفرج على ما يجرى فى ساحة القتال •

وبعد إجلاء القوى الاستعمارية منها عام ١٩٧٤م تراجع أولئك المتصوفة الذين كافحوا ضد الاستعمار من مواقفهم الجهادية وعادوا إلى ماكانوا عليه قبل المقاومة من الممارسات الرياضية وأهملوا قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكروإصلاح المجتمع ، وتركوا الناس على حالهم ليقعوا فى الظلمات وبراثن الفساد ، ومنذ ذلك الحين ما زال وضع المتصوفة سلبياً ، وقد حدث بعد ذلك أحداث دامية فى هذه المنطقة،وما زالت آثارها باقية ولكنهم مع ذلك ما زالوا قابعين فى زواياهم

ويتفرجون تلك الأحداث ، ولم يقم أحد من هؤلاء لإنقاذ المسلمين من تلك المآسى ، وينبغى أن نعرض هنا بعض الأحداث الدامية التى لحق بها الأمة الإسلامية فى شبه القارة الهندية :

إن الإنجليز اغتصبوا شبه القارة الهندية بما فيها منطقة البنغال من المسلمين ، وليس من الهنادكة ، وكان الهنادكة فى عصر الاستعمار متآمرين مع الإنجليز على المسلمين (١) وبعد إنتهاء عصر الإستعمار خلف الإنجليز أولئك الهنادكة ، يمارسون أبشع الظلم مع المسلمين من تشريد وإبادة، لتكون أرض الهند خاضعة للهنادكة دون المسلمين ،ويقولون : إن شبه القارة الهندية أشبه بأمهم البقرة ، فبتر جزء من البلاد أشبه ببتر طرف من البقرة ، وهذا إثم عظيم (٢) •

وإنطلاقاً من هذا التعصب والحقد الضغين للإسلام والمسلمين ، قام الهنادكة منذ إستقلال الهند من القوى الإستعمارية ، بإبادة جماعية للمسلمين فى جميع أنحائها •

و من الجدير بالذكر أن من بقى من المسلمين فى شبه القارة الهندية ، لايمكن أن يحسب أقلية بالمعنى المطلق لكثرة عددهم ، ولكنهم مع ذلك يعيشون فى غاية التعاسة والإضطهاد ، ولا يكادون يأمنون على أرواحهم ولا على أموالهم ولا على أعراضهم •

---

(١) شريف الدين بير زاده : تاريخ نشأة باكستان ص١٢٠ •

(٢) احسان حقى:باكستان ماضيها وحاضرها ص٢١٥، دار النفائس /بيروت ط ١ /١٩٧٣م •

وجاءت فى الصحافة الهندية أنه فى الحالات العادية يقتل مسلم كل خمسة أيام ويجرح شخص واحد كل يوم ، وفى أحد الاضطرابات التى وقعت فى غرب البنغال ذات الأغلبية المسلمة عام ١٩٥٠م أستشهد أكثر من عشرة آلاف مسلم ، وكثير منهم لقوا مصرعهم برصاص البوليس الهندوكى ، بالإضافة إلى هدم آلاف من المساجد والمعاهد ،وإحراق مئات المصانع والمحاصيل الزراعية التى كانت بأيدى المسلمين ، ومثل تلك الحادثة وقعت فى كل من آسام ، وبتهان كوت ، وجبل بور وغيرها (١)٠

وحدثت هذه كلها أمام أعين العلماء والمشايخ الذين يتصفون بالتصوف، ولم يتحركوا ضد هذه المؤامرة ، ولم يطلقوا ألسنتهم لاستنكار تلك العمليات البشعة ، وبعضهم حرموا على أنفسهم وعلى المسلمين الجهاد ورفع السلاح ضد أعداء الإسلام، فكتب أحمدرضا البريلوى رسالة مستقلة باسم إعلام الأعلام قال فيه :

" فإن هندوستان دار الإسلام ٠٠٠ " ووَصفُهُ لبلاده الهند بأنها دار الإسلام هو خدمة لبريطانيا ، حتى لا يقام فيها جهاد ضد الكفرة ، ثم قال بصراحة : " انه لاجهاد علينا - أى مسلمى الهند - بنصوص القرآن الكريم

---

(١) إحسان حقى : باكستان ما ضيهاوحاضرها ص٢٢١ - ٢٢٥ ٠
راجع أيضاً : جريدة هندية " ستاندارد " عددها الصادر فى ٢٨ مارس سنة ١٩٦٠م ٠
أيضاً : جريدة " نيشنال هيرالد " ٧ أغسطس ١٩٦٠م ٠
أيضاً :جريدة " نيورك تائمز " ٢١ مارس ١٩٦٤م ٠

ومن يقول بوجوبه ، فهو مخالف للمسلمين ، ويريد اضرارهم " (١) •

بعد هذا العرض نستطيع أن نقول : إن التربية الصوفية بطبيعتها، بعيدة عن فكرة الجهاد والقتال المشروع ، لأنهاتعتبر الرياضيات الروحية هى الأصل والأساس ، وهذه الرياضيات لا تنتهى إلا إذا وصل أحدهم لمرحلة الفناء ، وإذا فنى فكيف يجاهد ؟ •

(١) احسان إلهى ظهير : البريلوية ص٤٣ •

الفصل الرابع

في

حركات المقاومة ضد التحديات الصوفية وغيرها

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : حركة مجنـــــــون شاه

المبحث الثاني : حركة سيد أحمد شهيد

المبحث الثالث : حركة الفرائضـــــــية

لقد سبق فيما مضى من الحديث من تدهور وضع الأمة الإسلامية في منطقة البنغال وانحطاطها فكرياً وعقائدياً إبان الحركات الصوفية التي كانت تعمها كلها . وكان ذلك الانحطاط ترجع أسبابه إلى التخلف العقيدي ، والبعد عن التعاليم الإسلامية الصحية وتأثرها بالمجتمع السائد في المنطقة . ولكن التخلف العقيدي هو السبب الأصيل للانحراف في الفكر والسلوك والعبادات والعادات . ولقد وصل هذا التخلف إلى أقصى درجاته في القرن الأخير خاصة حينما نحيت الشريعة عن الحكم وعن الحياة البشرية إما كلياً وإما جزئياً فقد نشأت منه كل ألوان التخلف التي أصابت العالم الاسلامي . وأخطرها الحركات الصوفية . " فالصوفية هي التي فرقت بين الدنيا والآخرة . واتجهت إلى اهمال الدنيا بحجة تزكية الأرواح من أجل الآخرة واهملت بالتالي عمارة الأرض ، على أساس أن الاشتغال بها يشغل الروح ويذهب عنها شفافيتها وطلاقتها ، ومن ثم أهملت كل العلوم المتصلة بتلك العمارة . واعتبرتها نافلة تستطيع الأمة أن تستغني عن أدائها بلاضير . "[1]

وجعل هذا التخلف وعدم الاهتمام بتعاليم الإسلام مفهوم العبادة في الأمور التعبدية وفي بعض العادات المحدودة مثل

---

(١) محمد قطب واقعنا المعاصر : ص١٧٥ . مؤسسة المدينة للصحافة . جدة

النكاح والطلاق فقط . واخرج منها أنواعاً كثيرة تشتمل فيها وتتعلق بحياة الإنسان بما فيها عمارة الارض واستخلافها . يزعم المتصوفة الذين يعملون الدنيا تماماً أنها جيفة وطالبها كلاب ، لاتستحق عند الله جناح بعوضة . فينبغي الابتعاد عنها والحذر من كيدها بحيث ان لاتدخل في صميم القلوب ولاتتمكن فيها . ومن هذا الزعم الباطل وتقصير مفهوم العبادة في جوانب دون جوانب نشأ في المجتمع القعود عن العمل وعن عمارة الأرض التي وعد الله للمؤمنين ، والاكتفاء بالرجاء والتواكل والرضاء بالقدر . مما جعل يتوسع المجال للأفكار الباطلة والقوى المعادية للإسلام لشغل ذلك الفراغ حتى يستطيعوا به تطويق الأمة والعالم الإسلامي . وهذا الانحطاط الفكري والعقايدي وتلك الانحرافات التي نراها اليوم في المجتمع الإسلامي لسبب الهجوم الذي يتربص به أعداؤنا منذ فجر الاسلام .

ومن هذا المنطلق قامت محاولات عديدة في مختلف الأوقات لاصلاح المسلمين في شبه القارة الهندية من عقائدهم الفاسدة ومن البدع والشركيات والانحلال حتى يسيروا على نهج ديني صحيح كما كان عليه المسلمون الأوائل فقد ظهرت حركات التجديد والإصلاح في العصور الماضية وفي مختلف أنحاء القارة بأيدي بعض العلماء والمشائخ والمصلحين ممن تربوا في محاضن المدرسة السلفية ": حينما ادركوا أن المسلمين قد انحرفوا عن منهاج السنة النبوية وأدخلوا في مجتمعاتهم العادات والتقاليد

التي تؤدي بهم الى الشرك والالحاد والبدع والخرافات . وبلغوا إلى حد بحيث انهم فقدوا تشخصهم وكيانهم وقد ذابوا في الحضارة غير الاسلامية التي تعم المنطقه كلها . فاصبح الإسلام غريباً كما بدأ . وظلت الأمة في ضياع يدلهمّ الظلام في مستقبلها " . (١)

يقول المؤرخ الألماني السيد Hans Kohn في كتابه تاريخ القومية الشرقية " فكما أن المسيحية كانت بفترات طويلة في الذبول والخمول لم تبق فيها سوى بعض العادات والمراسيم التي كانوا يمارسونها باسم المسيحية ، وما كانت لها علاقة أدنى بها . كذلك كان وضع السلمين في شبه القارة الهندية فيما قبل القرن الثامن عشر الميلادي . وفي أواخر القرن الثامن عشر بدأ يتغير في وضعهم رويداً رويداً . وفي القرن التاسع عشر بدأت فيها حركة إسلامية تعم المنطقة كلها. وكاد الوضع ينقلب مما سبق . وعادت فيهم القوة الروحانية من جديد التي كادت تتلاشى . (٢)

والكاتب يشير بهذه الحركة التي تهز البلاط الانجليزي الاستعماري بقواتها ومؤثراتها في المجتمع الإسلامي ، إلى الحركة الوهابية . والتي لها الأثر البالغ في مقاومة الشركيات والبدع والانحرافات . وسوف يأتي الكلام في هذا الموضوع .

ويقول السيد «كون» « بعض علماء الهند السلمين قد بذلوا

---

(١) محمد اكرم خان : تاريخ المجتمع البنغالي . ص ١٩٠ .

(٢) Hons Kohn: A History of Natianalisn . p - 15 .

جهدهم البالغ في إحياء الحركة الوهابية . في حين كان الاسلام فيها مشوهاً بكامله . والمسلمون اصبحوا خاوي العقيدة والتعليم الصحيح ، كانوا يقلدون في جميع حياتهم التقاليد الهندوكية ، حتى العبادات والنكاح كانت على العادات الهندوكية . ويدينون في جميع شؤونهم بالقوانين الوثنية . فالعلماء الوهابيون استطاعوا بانقاذ هذه الأمة من الهاوية والاضمحلال . وبدآوا بالجهاد ضد تلك العادات السيئة والمعتقدات الخارجه عن الاسلام . وهم من ناحية ألفوا كتباً عديدة في سبيل الاصلاح . آهمها «تنبيه الغافلين» «وتقوية الايمان» «والدعوة الى الجهاد». [1]

ويقول الكولونيل «يو إن مكهر جي» (الهندوكي) في كتابه A Dying Raee "

" قبل خمسة وسبعين سنة لم تكن الفوارق والتمايز بين الفلاحين من المسلمين والهندوس .كما لم يبق فيهم سوى اسم الإسلام . إضافة إلى ذلك فهم كانوا دون مستوى الهندوس في المجتمع . اكثرهم لايستطيعون النطق بكلمة الشهادة بطريقة صحيحة بينما النطق بها كان من عادات المسلمين . ولايعتنون بالقيم الاسلامية ولا يبالون الشريعة الاسلامية .

وعند أداء مراسم العبادات يذهبون إلى المعابد الهندوكية بينما الإسلام يكرهه أشد الكراهية . وفي هذه الأوضاع المتردية فقد قامت حركة البعث الاسلامي في شبه القاره الهندية و تنادي المواطنين المسلمين بنبذ جميع الخرافات التي كانت فيهم والعودة

(١) نفس المرجع ص ٢٥ .

الي تعاليم الاسلام الصحيحة . وبفضل تلك المناداة اقبل المسلمون إليها والتفوا حول علماء الدين الذين حركوها لتلقي منهم التعاليم الاسلامية . ومن هنا نجح المسلمون اعادة تشخصاتهم التي تفارق بين المسلمين وغيرهم . (١)

وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي كان المسلمون يواجهون تحديات عديدة منها تحديات الاحتلال الإنجليزي وتحديات التغلغل الصوفي في المجتمع . فأولهما تهاجم الاسلام والمسلمين من الخارج بصورة الغزو الصليبي في المنطقة الذي كان بدايته عام ١٧٥٧م . والثاني تهاجم على الإسلام وعقيدته من الداخل من قبل الجماعات الصوفية التي تغلغلت بأفكارها الباطلة في صفوف المسلمين ،بلباس الإسلام واسمه،وتلك التحديات قد أضرت بالمسلمين وأضعفتهم . لذا كان من الضروري المقاومة لتلك التحديات . وعند دراستنا عن الحركات الاسلامية التي نشأت في هذين القرنين في شبه القارة الهندية وفي البنغال بالذات نجد أنها قامت لانقاذ هذه الأمة من الضياع ، وإعادتها إلي الإسلام وإلى تعاليمه من جديد ومن ثم ازالة تلك التحديات التي كانت تواجهها في هذه الفترات . فهؤلاء العلماء والمشائخ لعبوا دوراً هاماً في سبيل تحقيق هذه المهمة . ورفعوا السلاح ضد القوى الغازية كما رفعوه ضد أولئك الذين كانوا يريدون مسخ عقيدة عامة المسلمين وتشويه صورة الإسلام . ولم يكن لهم

---

(١) Lt Col . u.n.Mukherji : A Dying Raee . p - 89 - 91 .

سوى أمرين : إما الاستسلام للواقع وإما الدخول في النضال الطويل والجهاد المستمر حتى يتم الأرض خالية من كل التحديات فاختاروا الطريق الثاني ونبذوا الأول لما ادركوا فيه مساساً بمجدهم وكرامتهم وعزهم لدينهم وعقيدتهم إذ القعود عن الجهاد وعن التبليغ إثم عظيم .

أولاً: حركة مجنون شاه :

ففي أواخر عام ١٧٥٧م وحتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى قامت في المنطقة حركات إسلامية ذات نطاق محلية وبعضها قارية بقيادة بعض العلماء المعروفين مثل حركة الشيخ مجنون شاه .[١] فانه قام بعد مقتل سراج الدولة بست سنوات بأيدي الصليبيين بإعلان الجهاد ضد الغزاة الصليبية وضد العادات الجاهلية والبدعية . وذلك لإحياء شعائر الدين وتصحيح أفكار المسلمين وانقاذهم من براثين الشرك والإلحاد . فقد دعاهم لليقظة. وحذرهم من المخاطر التي تكمن وراء الغزو الخارجي والداخلي والأثار المترتبه عليه . وحثهم علي العودة إلى الإسلام والجهاد الإسلامي لأن ذلك هو السبيل الوحيد للخلاص من الذل والمهانة . فكانة دعوته ملبية من قبل المسلمين حيث إنها لقيت مقبولة في أنحاء المنطقة .فأصبحت قوة ضخمة اعتبرت

(١) أسمه الأصلي سلطان حسن موريابرهانة : راجع فقير مجنون شاه . لمحمد ابو طالب . ص ٥٥ .

الأولي من نوعها في تاريخ البنغال .[١]

وقامت الحركة هذه بتركيز نشاطها في الأحياء والمساجد والمعاهد والمحافل الدينية بهدف إثارة العاطفة الدينية في المسلمين وتذكيرهم بأهمية انتسابهم الي الاسلام وتبيين العقائد الصحيحة .

ولقد استطاعت الحركة بقيادة "مجنون شاه " التأثير في نفوس المواطنين.فاعتبر الاستعمار هذه الخطوة الإسلامية الأولى لطمة على خده فثارت ثائرته واتجه إلي القضاء على الدعوة الجديدة ، ومن هنا قامت عدة محاولات للقضاء عليها واستئصالها ، وخاض الاستعمار وأعوانه معارك ضارية عديدة في البنغال ضد مجنون شاه وحركته الإسلامية ولكنّهم فشلوا في إيقافها . وذلك بفضل انتشار الحركة الدينية في أنحاء البنغال ، حيث شارك فيها العلماء والمشائخ وعامة المسلمين وقدموا لها المعونات المادية والمعنوية . لأنهم كانوا مكبتوتين ومضطهدين تحت رحى الطغاة قبل ذلك .[٢]

وهناك بعض التقارير التي أعدتها السلطات الإنجليزية حول نشاط المسلمين آنذاك بقيادة المجاهد الإسلامي مجنون شاه لتقديمها إلي الحكومة البريطانية ، جاء فيها :

" لقد بدأت حركة مقاومة مسلّحة في مسلمي البنغال وشملت

---

(١) مجلة "العالم" بريتي بي " يونيو ١٩٨٧م ، الصادرة في مدينة دهاكا .

(٢) محمد عبدالمنان : بنغلاديش اسلامير جاكورون : نهضة المسلمين في بنغلاديش : ص١٢ ، مجلة " العالم " العدد ١٢، السنة ٥ ، سبتمبر ١٥٨٦م ، دهاكا .

كلاً من مالده ، وارجشاهي ، وديناج بور ، ورنكبور ، وممومن شاهي ، ودهاكا بقيادة الشيخ مجنون شاه . وهو رجل فارسي الأصل يقوم بجولات مكثفة في سائر المناطق في البنغال ويقوم بغارات موسعة ومعه جموع من المواطنين من المسلمين المسلحين أصحاب الحقوق المسلوبة ، فبدأوا يأخذون الأموال والعقارات والمحاصيل عنوة من أيدي الهندوس العملاء التي أعطاهم اياها الانجليز ، ثم يوزعونها علي المسلمين ، وأما الأغنياء وأصحاب الاقطاع ووجهاء المناطق فإنهم يبيتون خائفين منهم . (١)

واستمرت الحركة الإسلامية بشبابها وقوتها النشطة مدة ثمان وثلاثين سنة بطول البنغال وعرضها ، وخلال هذه الفترة قامت هناك حركات اسلامية مماثلة بسائر المناطق البنغالية في نطاق محلي تحت زعامة العلماء والمشائخ ، مثل ثورة شمشير غازي في تريبورة ، شرقي البنغال ، سنة ١٧٦٧م ، وفي سنديب ثورة أبو تراب سنة ١٩٦٩م ، وفي مومن شاهي وشيربور والمناطق الجبلية المجاورة لها ثورة كرم شاه سنة ١٧٧٥م ، وثورة الفلاحين بقيادة شير دولت خان سنة ١٧٧٦م في تشيتاكونغ والمناطق القبائلية ، وثورة الفلاحين بزعامة السيد نور الدين ضد الاقطاعيين الهندوس في رنبكور وديناج بور سنة ١٧٨٣م ، وثورة بقيادة بولاكي شاه في باقركنج سنة ١٧٩٢م . (٢)

---

(١)مجلة " المدينة " البنغالية ، مقالة كتبها محيي الدين خان بعنوان حركة مجنون شاه : العدد الثالث ، السنة ٢٢ مارس ١٩٨٦م ، دهاكا .

(٢) محمد عبدالمنان : نهضة المسلمين في البنغال : مجلة العالم . ص١١ ، دهاكا .

فلو ألقينا النظر على هذه الأنشطة من الجهاد والثورات التي قام بها المسلمون في أنحاء البنغال نجد أنّها ظهرت في صور وأشكال متنوعة وفق الظروف والمتطلبات التي أحاطت بالمسلمين، ولكنّها اتحدت في الأهداف والمراد، وهو تخليص المواطنين المسلمين من الشرك والبدع والظلم والعدوان الذي يمارسه اهل التصوف والانجليز والطائفة الهندوسية عليهم، ومن ثم الحصول على الاستقلال الكامل لتقوية الاسلام واحياء تعاليمه في المجتع. لذا كانت في البداية تركز على كفاح يمكنهم من استعادة الحقوق التي سلبها الانجليز والهندوس أيديهم وخاصة تلك الأراضي والممتلكات التي كان يمتلكها المسلمون قبل الغزو الصليبي. بل عنوا في الوقت نفسه لم يتجاهلوا الجانب الديني والعقدى بوضع أسسه علي العقيدة السمحة ودفع البدع والخرافات من المجتمع. ومن أجل ذلك فإنها تشكل فيما بعد حركة البعث والاصلاح في القرن الثامن عشر الميلادي، والتي جعلتهم يكّونون وحدتهم الأخوية بشأن استرداد الحقوق. ويقول الكاتب الهندوسي شوبر كاش راي: " انّ الثورات التي نشأت في المجتمع الاسلامي آنذاك بنيت على الروح الطيبة واستهدفت بناء المجتمع في الهند في ضوء التعاليم الاسلامية. ومن نتائج هذه الثورات أنّهم استطاعوا من خلالها التغلب على الاقطاعيين الهندوس." [1]

(١) السيد شوبر كاش راي: بهارتي كريشك بدروهواند ولون: حركة تمرد الفلاحين في الهند، ص ١٠٢، كلكته، الهند، ط ١، عام ١٩٨٠م.

ثانياً : حركة سيد أحمد شهيد :

وفي أواسط القرن الثامن عشر الميلادي تقدمت الدعوة الاسلامية إلي الأمام بشكل ملحوظ بجهود العلامة المحدث الشاه ولي الله - رحمه الله تعالى - ، أنّه أدرك ببعد نظره وثاقب بصره مايمكن أن يحدث في المستقبل في المجتمع الاسلامي في شبه القارة الهندية ، إذا ماستمر المسلمون في الانحطاط الديني والخلقي بسبب بعدهم عن الدين . [1]

واستبعد العلامة بقاء الاسلام في المنطقة ، مالم يتغير الوضع. استشعارا لهذا الخطر المحدق توجه الشاه ولي الله الى اصلاح أحوال المسلمين ، واعدادهم للجهاد ليتمكنوا من المقاومة ، كما أنّه وضع لهم خطة شاملة لمواصلة الجهاد الإسلامي والعمل الجاد . [2]
وإن الروح الإسلامية الجديدة التي نفخها الشاه ولي الله الدهلوي في أيامه قد هبّت ريحها في سائر الهند وخاصة المناطق البنغالية وأثرت في المسلمين تأثيرا عميقا ، ولذا كان مسلمو البنغال يعتبرونه رائداً لمسيرة الحرية الدينية والوطنية ، ثم حمل اللواء بعده أحد الشخصيات البارزة من أسرته ألا وهو سيد

---

(١) ومن الملفت للنظر ان للشيخ المذكور علاقة بالصوفية وخاصة بالطريقة الجشتية . ولكنه رغم ذلك كان يقوم بقمع البدع والشركيات التي كانت سائدة في المجتمع وقد الف كتبا عدة بالفارسية ينبّه الأمه من تلك الخطرات .

(٢) محمد أكرم خان : مسلم بنكير شاما جك أيتي هاش (تاريخ المجتمع الاسلامي في البنغال) ، ص١٥١ ، دار الآزداد للطباعة والتوزيع ، دهاكا . بنغلاديش ، ط١، سنة ١٩٦٥م .

أحمد شهيد – رحمه الله تعالى – .[١] لقيادة المسلمين [٢] ، وكان ظهوره حدثا تاريخيا في حياة المسلمين بالهند . لأن المسلمين في الهند كانوا يواجهون آنذاك مواقف خطرة سياسياً ودينيا واجتماعياً بل واقتصادياً ، وكاد اليأس أن يغلبهم ، ففي مثل هذا الجو قام السيد أحمد شهيد بحركته ليكمل رسالة الشاه ولي الله واصلاح المجتمع الاسلامي من جديد . [٣]

وكانت الحركة الاسلامية بزعامة الشيخ سيد أحمد شهيد تسمى بالوهابية الهندية على غرار ماسميت دعوة الشيخ محمد

---

(١) ولد الإمام المجاهد سيد أحمد بن عرفان عام ١٢٠١هـ في قرية من احدى الولايات في الهند في بيت معروف بالعلم ،عريق في المجد والشرف . وكان منذ صغر السن ميالا الى الورع والانقطاع الى الله مشوقا الى الجهاد . وما كاد يبلغ من عمره النسة السابعة عشرة حتى حدا به حادي الأسفار ، فاقتعد غارب الاغتراب ، وساح في البلاد وتدرب على فنون القتال ، واستشهد مع زملائه في معركة "بلاكوت" عام ١٢٤٦هـ . (انضر : مسعود عالم الندوي : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند : ص ١٦٥، دار العروبة ، لاهور ، باكستان) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٣) محمد ولي الله ، أماد ير مكتي سنكرام (نضالنا للتحرير) ، ص٤٧ ، ط٤ ، مجمع الأدب البنغالي .

بن عبدالوهاب بالوهابية النجدية [١] في جزيرة العرب لاتحادهما في الهدف، وهو الرجوع الى الكتاب والسنة . [٢]

"وتسمية حركة سيد أحمد شهيد في الهند والحركة الاصلاحية بقيادة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في جزيرة العرب بالوهابية جاءت من الانجليز وأعوانهم من المتأثرين بالحضارة الغربية

---

(١) حياته : ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي سنة ١١١٥هـ الموافق ١٧٠٣م في بلدة العيينة الواقعة شمال الرياض ، درس علي والده القرآن والتفسير والحديث والفقه الحنبلي ، وكان يعني بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم – رحمهما الله تعالى وأسكنهما فسيح جناته – ، وقد قام برحلات علمية عديدة الي كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والبصرة ، ولقد كان الشيخ محمد ابن عبدالوهاب من أولئك العدول المجددين والمخلصين الذين رفعوا شأن المسلمين لاعادتهم الى سيرتهم الأولي التي كان عليها أسلافهم من الصحابة والتابعين والأبرار ، قام يدعوالى تجريد التوحيد واخلاص العبادة لله تعالى وحده ممّا شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، كما قام يدعو الى نبذ البدع والمعاصي وعبادة الأولياء والصالحين والأشجار . ويأمر باقامة شرائع الاسلام المتروكة ، وتظيم حرماته المنتهكة ، ولايزال الناس من عصره الى اليوم يعترفون بما حقق في حياته من رسالة هذا الدين والتي وصل صداها الى سائر العالم من شرقه الى غربه فقد وصلت الدعوة الوهابية الى الهند والبنغال بالذات بواسطة الشيخ سيد أحمد ، وبالجملة فقد كان لهذه الدعوة أثر عظيم في العالم الاسلامي وكانت الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الاسلامي كله تأثر بها زعماء الاصلاح في سائر الأقطار الاسلامية . وانتقل الشيخ محمد بن عبدالوهاب الى جوار ربه في ذي القعدة سنة ١٢٠٦هـ بعد هذه المثابرة في سبيل اصلاح الأمة المحمدية . فجزاه الله تعالى عن جميع المسلمين خير الجزاء .

للتفصيل انظر كتاب : " للشيخ العلامة أحمد بن حجر بن محمد آل أبو طامي <الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الاصلاحية > ، من مطبوعات الرئاسة العامة لادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد . الرياض . المملكة العربية السعودية . الطبعة الثانية .

وكتاب الشيخ مسعود عالم الندوي : محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى . مطبعة زمزم .

(٢) انظر الأستاذ مسعود عالم الندوي : محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه ، ص ٢٠ ، ترجمة وتعليق : عبدالعليم عبدالعظيم البستوى ، مراجعة وتقديم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ، مطبعة زمزم ، ط١ ، ١٩٧٧م .

وفلسفتها . وان أصحاب المطامع حاولوا من هذه التسمية أن يثبتوا أنها خارجة عن الاسلام ،واتحد الانجليز والأتراك والمصريون في جعلهما شبحا مخيفاً . بحيث كلما قامت أيّة حركة اسلامية في العالم الاسلامي في القرنين الماضيين ، رأى الأوربيون فيها خطراً علي مصالحهم ربطوا حبالها بالوهابية النجدية...كذلك حركة التجديد والامامة في الهند قد ألحقت بنجد الحقاً تاماً .[1]

لم تكن حركة التجديد بقيادة السيد أحمد شهيد - رحمه الله- مركزة على الاحتلال الصليبي لشبه القارة الهندية فحسب ولكنها مع ذلك كانت موجهة ضد مايسمى بالحركات الصوفية وسلبياتها. وهذا التحدي لم يكن أقل شأناً وخطورة من الخطرات الإحتلالية ، التي جعلت الأمة تستسلم للقوى المعادية للإسلام والأفكار الفاسدة والعادات الجاهليه . فرأى ضرورة إعداد النفوس وتطهيرها قبل كل شيء من أدران الشرك والفسق والإلحاد لتقوية الأساس ، ومن ثم يكون رفع السلاح أمراً ميسوراً وذلك لأن أساس الإنسان يبنى على قوة الإيمان ، وتصحيح العقيدة حتى لاتزعزع النفوس عند مواجهة أي خطر أو عدوان .

فقد بدأ سيد أحمد شهيد نشاطه بتطهير القلوب والأفكار من الشرك والبدع والعقائد الباطلة والعادات السيئة التي أحاطت بهم من كل الجهات ، على أساس انّ انقاذ عامة المسلمين من هذه

(١) الأستاذ مسعود عالم الندوي : الشيخ محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه ، ص ١٩٩ ، مطبعة زمزم ، ط١ ، ١٩٧٧م .

المتاهات والضلال أهم من اشهار السلاح في وجه العدو ، وعند ما رأى الشهيد أنّ المسلمين أصبحوا في خطر أكيد للتآمر الصليبي توجه الى القتال المباشر إلا إنهم انزموا في وجه العدو في موقعة بالاكوت لضعف قوة المسلمين وقلة عتادهم بالنسبة للعدو وأعوانه .

وأشتهر سيد أحمد وكبار معاونيه من المجاهدين بشهرة فائقة في ربوع الهند كلها ، بما فيها منطقة البنغال .[1]

أقبل المسلمون في بنغلاديش على هذه الحركة اقبالاً شديداً ، وتأثروا بها معتقدين أنها هي السبيل الوحيد للخلاص من التغلغل الصليبي والصوفي في المجتمع ولا أبالغ حين أقول ان الحركة الاسلامية بقيادة سيد أحمد لم تكن لتثبت أقدامها في المواجهة لو لم يقف المسلمون في البنغال وراءها ويدعمونها بالعون المادي والمعنوي[2] وقد أنشئت مراكز لها في جميع أنحاء بنغلاديش ، وساعدها المواطنون البنغاليون بتقديم الرجال المتطوعين والأموال الطائلة والحبوب والغلال للوقوف أمام هذا التحدي الذي يصعب على المسلمين البنغاليين وحدهم مواجهته

---

(١) السيد نور محمد الأعظمي : نور محمد أعظمي رجونا بولي : مقالات السيد نور محمد الأعظمي : ص ٢٨٥ ، اعداد اس . اس . م عزيز الحق ، المؤسسة الاسلامية ، دهاكا ، ط١ ، ١٩٨٥م .

(٢) نفس المرجع : ص ٢٥٠ .

طيلة خمسين عاماً .[١]

يقول " وليم هنتر " الكاتب الانكليزي عن حماسة مسلمي البنغال لصالح هذه الحركة : " أن الحركة الوهابيه وزعماءها استطاعوا ببذل الجهود المضنية جمع عدد كبير من شباب المسلمين والبنغاليين الذي سنّهم دون العشرين ليكونوا ضحايا في المعركة ضد الانجليز .[٢]

ويقولُ وقد أعلن زعماء الحركة الوهابية لسائر المسلمين أنه لايجوز للمسلمين أن يعيشوا تحت ظلال القوى الأجنبية ، ولاسبيل للفرار منها الا باختيار أحد الأمرين : إما الجهاد إن كانوا قادرين عليه ، وإما الهجرة ، وليس هناك أمر ثالث .[٣]

كانت أهداف هذه الحركة باديء ذي بدء تطهير المجتمع الاسلامي من ادران الشرك والبدع والخرافات ، وتوطيد دعائم الاسلام بين المسلمين ، واصلاح عقيدتهم .

إلا أنه نظراً لظروف التي كان المسلمون يمرون بها في حياتهم

---

(١) نجد بعض المؤرخين عندما يذكرون البنغاليين المسلمين في كتبهم يسمونهم بالجبناء والحمقى ، وذلك تحقيراً لما كانوا يقدمونه لهذه الحركة الاسلامية من المساعدات المادية والمعنوية . وهذا الكاتب الصليبي " وليام هنتر " عندما يكتب تاريخ الهند يعترف بتلك الخدمات التي قدمها مسلمو البنغال . ويقول انه ليس باستطاعتنا أن ننساهم ولا نتجاهل الدور الذي قاموا به وأثر حركاتهم في تقوية حركة سيد أحمد شهيد الاسلامية .

انظر : محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع الاسلامي في البنغال ، ص١٥٣، مؤسسة آزاد للنشر والتوزيع ، دهاكا .

(٢) السيد وليلم هنتر The Indian Muslims مسلمونا في الهند : ص١٨٠ ، لندن ، ط١ ، ١٩٤٠م ، وأيضاً : د . عبدالحي ودكتور علي أحسن : بنغالا شاهيتير ايتي كوتها : ومنهل الأدب البنغالي : ص ١٣ ، المجمع الأدبي ، دهاكا ، بنغلاديش .

(٣) المرجع السابق : ص ١٨٠ .

اليومية ، طورت الحركة نشاطها ووسعت نطاقها لتشمل مجالات أخرى وثيقة الصلة بالحياة كالمجال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وما إلى ذلك .

وبهذه الحركة استطاع سيد أحمد شهيد تشجيع المسلمين على مقاطعة الانجليز وترك لغتهم الانجليزية [1] ، وعصيانهم للأوامر ، وخاصة فيما يتلعق بتأدية الضرائب والرسوم التي كان الانجليز قد فرضوها علي المسلمين ، وأنهم تحملوا بسب هذا العصيان متاعب كثيرة ، وواجهوا جميع أنواع العقاب والتنكيل ، مما يدل علي ثباتهم على المبدأ وصمودهم أمام هؤلاء الطغاة والجبابرة ، وقد حاول الانجليز كثيرا إيقاف مسيرة المسلمين ومواصلة الضرب علي حركتهم الدينية والقضاء على زعمائها ولكنهم فشلوا

(١) ولم يكن يتعلم اللغة الانجليزية في فترة مابين عام ١٧٥٧م وعام ١٨١٣م جزءا من مناهج التعليم في المنطقة ، وانما الناس كانوا يتعلمونها لأغراض ذاتية ومصلحة شخصية ، إما للعلاقة بينهم وبين السلطات الانجليزية ، وإما لنقل كلامهم الى لغة الشعب . ولكنها اصبحت أخيرا لغة الدراسة لجميع مناهج التعليم باعتبارها لغة ثابته للمواطنين وصارت مادة اجبارية كالمواد الأخرى سنة ١٩٣٥م .

وتعليم اللغة الانجليزية لاتخلوا عن فائدتين : الأولى : تعليم اللغة باعتبارها لغة من اللغات الحية . الثانية : تعلمها لرقي الانسان في مجال المعرفة والعلوم الحديثة لامتطورة ، فاستفتى المسلمون علماءهم عن مدى جواز تعليم اللغة وترويجها في المجتمع الاسلامي . فأفتى الشيخ رشيد أحمد كنكوهي رحمه الله وهو أحد كبار العلماء في الهند بجواز تعلمها وترويجها باعتبارها لغة من اللغات العالمية واسعة الانتشار بشرط أن لاتشكل أمراً خطيراً في حياة وسلوك المسلمين ، ولا تكون عاملاً من العوامل التي تؤدي بهم الي المعاصي والضرر في الدين ، وقول الشيخ عبدالزيز الدهلوي في فتاواه بأنه لاضرر في تلعم اللغة الانجليزية لغرض الحصول على المعاف والمعلومات ، ولكنها اذا كان الغرض المجاملة والملاطفة للانجليز والتقرب إليهم ، فهذا حرام . (فتاوي رشيدية رقم ٤٦٦ وفتاوي عزيزية رقم ١٥٥) .

(أنظر للتفصيل : كتاب الشيخ نور محمد الأعظمي : مقالات نور محمد الأعظمي : ص١٦٨).

تماما في هذه المحاولة .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن حركة سيد أحمد الشهيد – رحمه الله – أخذت مكانها في نفوس وأعماق قلوب مسلمي البنغال .

ثالثاً : حركة فرائضية :

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بدأت حركة إسلامية شاملة أخرى في أنحاء البنغال بزعامة الحاج شريعة الله [١] ، سميت بحركة فرائضية .[٢] لأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا في أمس الحاجة الي من يقودهم ويرعى مصالحهم وينقذهم من متاهات الحياة ، فلقي الحاج شريعة الله من قبل المسلمين تأييداً كاملاً بحيث أنهم شاركوه في هذه المهمة مشاركة فعالة . [٣]

" وقد تأثر الحاج شريعة الله بما شاهد أثناء رحلته بمكة المكرمة والمدينة المنورة من ثمار حركة البعث الاسلامي والإصلاح في

---

(١) ولد عام ١٧٨٠م بمحافظة فريد بور في بنغلاديش ، تعلم العلوم الشرعية منذ نعومة أظافره في قرية كان فيها ، وقد سافر الى مكة المكرمة وهو في سن الثامنة عشرة ، وأقام هناك ، وتتلمذ على كبار مشايخها حيث تلقى فيها علوم القرآن والحديث ولفقه ، ثم عاد الى بلاده ، ثم توجه الى المدنية المنورة وبعد اقامته هناك فترة طويلة ، عاد مرة أخرى الى بلده واشتغل في حقل الدعوة والارشاد ، واصلاح المجتمع من الكفر والشرك والبدع والخرافات ، وقضى بقية أيامه في هذا السبيل ، ثم توفي عام ١٨٤٠م.

(غلام ثقلين : بنغلاديش يشير شوفي شادهوك : "علماء بنغلاديش وخدماتهم في الاسلام " ص١٦٤، ط٣ ، ١٩٨٢م ، المؤسسة الاسلامية ، دهاكا ، بنغلاديش) .

(٢) ومفهومها الاهتمام بالفرائض ، والواجبات ، واتيانهما قبل الشروع من المستحبات ، بدأت هذه الحركة حينما تفشت عقيدة الشرك والبدع والخرافات في المجتمع ، وأحاطت به العادات الجاهلية والتقاليد الهندوسية ، ولذا سميت بالحركة الفرائضية .

(٣) د . معين الدين The great of 1857 in India and Bangali muslims p -4

الحجاز ونجد والتي قام بها مجدد الزمان الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - والتغييرات الواسعة التي طرأت على المجتمع الاسلامي هناك ، بعد أن ظل الناس في دياجير الشرك وعبادة القبور والتقاليد الجاهلية مدة من الزمان ، وعندما رأى الشيخ شريعة الله هذا التغيير الجذري بجهود المصلح الكبير تأثر تأثراً بالغاً وعقد النية بالنهج علي طريقته لاصلاح المجتمع الاسلامي البنغالي . وكان الحاج شريعة الله بنفسه يفكر منذ شبابه في ايجاد السبل الكفيلة لانقاذ المسلمين البنغاليين الذين لم تكن أحوالهم أقل مما كان عليه مسلمو جزيرة العرب . [1]

هذا من ناحية ، ومن ناحة أخرى كان أمامه هدف آخر وهو مقاومة الإستعمار وأعوانه بكل الطرق الممكنه ، لأن المسلمين لن يذوقوا طعم الحرية ، سواء الحرية السياسية ، أو الحرية الدينية مادام الاستعمار جاثياً فوق صدورهم ، ولهذا وذاك ، فقد أعلن شريعة الله كون البنغال دارا للحرب مادام الاستعمار الانجليزي موجودا في أرضها ، وأفتى بعدم جواز صلاة الجمعة والعيدين فيها [2] ، وأمر أتباعه من المسلمين بحصر شعائرهم الدينيه في أداء الفرائض والواجبات دون القيام بالمستحبات والمباحات

---

(١) نفس المرجع : ص ٤ . ، الثوره الكبرى لعام ١٨٥٧م في الهند والمسلمون في البنغال . ص٤ ، ط١ ، ١٩٨٣م .

(٢) وفي هذا الصدد ذهب الشيخ شاه عبدالعزيز محدث دهلوي الى صدار فتوى بعدم جواز صلاة الجمعة والعيدين في دار الحرب . ويقصد بها البلاد التي تعيش فيها الاكثرية المسلمة تحت حكم الكفرة والطواغيت وتمنعهم من أداء شعائر الدين .

أنظر : فتاوي عزيزة ص ١٥١ ، ج٢ ، الصادرة من الهند ، والكتاب في اللغة الفارسية ، وترجم بالأوردية .

والنوافل .[١]

وخلاصة القول ان الشيخ شريعة الله شغل طيلة حياته بقضيتين رئيسيتين هما : قضية التوحيد والعمل بكتاب الله وسنة رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وقضية الجهاد ضد الاستعمار وكان بحق مخلصاً وأميناً لكلتا القضيتين .

ثم انتقلت الزعامة بعد وفاته إلي ابنه الوفي الشيخ محمد محسن الدين[٢] (الملقب بدودوميان) الذي تحمل أعباء هذه الحركة التي بلغت من الانتشار مبلغاً لم يبق فيه مكان في البنغال ولا زاوية إلا وصلت اليه دعوتها ورسالتها ، مما جعل الانجليز يفكرون في إيقافها تماماً وفرض القيود على نشاطاتها . وبالفعل قام المستعمرون بوضع العراقيل أمام الحركة بشتى الطرق والوسائل وزجّوا بزعمائهم في غياهب السجون ومن بينهم زعيم الحركة الشيخ محسن الدين . إلى أن تشتت جموع المسلمين وتفرق شملهم وضعفت قواهم . في البنغال . وهنا عادت

---

(١) نور محمد الأعظمي : نور محمد الأعظمي رجونا بولي : ص ٢٩٠ .

(٢) محسن الدين دودوميان : ابن الحاج شريعة الله ، ولد عام ١٨١٩م في فريد بور . درس العلوم الشرعية الابتدائية عند والده . ومن مقولته زن الناس كلهم عبيد لله تعالى فلا يجوز لأحد أن يتبع أوامر الانجليز ، فلابد من تخليص المسلمين من هؤلاء ومن تبعيتهم . ثم اعتقل وأدخل السجن سنة ١٨٣٨م بتهمة النهب والسلب . ثم اعتقل ثانية سنة ١٨٤٦م بتهمة الاعتداء علي النساء اختلقها الانجليز للتخلص منه . وفي أيام الثورة الكبرى سنة ١٨٥٧م أعتقله الانجليز وأودعوه السجن . ولحقه المرض الذي أودى بحياته سنة ١٨٦٠م .

(غلا ثقلين : بنغلاديش شوفي شاد هوك : " علماء بنغلاديش وخدماتهم للاسلام " . ص١٧٠ ، ط٣ ، ١٩٨٢م . المؤسسة الاسلامية ، دهاكا ، بنغلاديش) .

الأحــوال الى مــاكــانـت عليــه من الإنـحـطـاط والخــذلان [1] . نـتـيـجـة لفقدان الزعامـة والقيادة التي تصلح لدفع مسيرتهم نحو الشريعة الاسلاميـة والعقيدة والحرية . فاستغل الإنجليز الظروف السيئة المحيطة بالمسلمين ، وفكروا في تغيير خطتهم أو بمعنى أدق أنهم بدأوا يفكرون في التآمر على دينهم وعقيدتهم دون استخدام السلاح والقوة . وإثارة الأعمال غير الإسلامية والتي تسيء سمعة الإسلام في المجتمع . وبتمويل فئات ضالة لتنشط فيه أكثر مما كان .

فاغتر بعض الناس من ضعاف النفوس ببريق الحضارة الغربية وفكرها المسموم الذي يشكل خطراً كبيراً على المسلين .

ووصل الأمر إلي الهجوم على الشريعة الاسلامية الغراء وعلى صاحبها محمد - عليه الصلاة والسلام - وإثارة الشكوك والشبهات حولها باصدار العديد من الكتب والرسائل باللغة البنغالية .

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عند نهاية حركة الحاج شريعة الله وابنه محسن الدين وصل المسلمون إلى من حيث كان قبل انطلاق الحركة الإسلامية . حيث تنصر عدد كبير من المسلمين في الجزء الغربي من البنغال وتأثروا بالحضارة الغربية ، فجذبهم بريقها الى أحضانها .[2]

---

(١) ذو الفقار أحمد قسمتي : أزادي اندولني عالم شوماج (خدمات العلماء المسلمين في حركة التحرير) : ص ١١٢ ، دار النشر والتوزيع الحديثة ، دهاكا .
(٢) ذو الفقار أحمد قسمتي : خدمات العلماء المسلمين في حدكة التحرير : ص١١٢.

وعند مطالعتنا للتقلبات السياسية في المنطقة البنغالية بالذات ابان الثورة الكبرى ، نجد أن المسلمين وحدهم تأثروا بهذه التقلبات تأثراً سيئاً ، وان كل ماترتب عليها من العواقب الوخيمة والنتائج المريرة قد وقعت على هؤلاء ، ذلك لأن المسلمين كانوا هم القائمين بالثورة ضد الانجليز وضد الفرق الضالة . وهم الذين أسهموا فيها بجميع الوسائل والقدرات ، وهذا الأمر ألحق بهم ضرراً بالغاً ، ووقع اللوم كله عليهم . وتمثل ذلك في تقويض وحدتهم ، وتفرق شملهم ، وتخلفهم المادي والعلمي ، وعدم قدرتهم على تكوين جبهة موحدة اسلامية . للدفاع عن حقوقهم وحريتهم وعقيدتهم . فلم يستطع أحد إعادة بناء وحدتهم ، بل صارت الأمور معكوسة ، وتفرقت الأمة الى فرق عديدة وأصبحت قواهم متناحرة فيما بينها ، ومع تلك الفرقة حاول كثير منهم بعد ذلك تكوين جماعة اسلامية توحد المسلمين لمواجهة التحديات ولكنها افتقدت الطابع الاسلامي الذي هو أساس الوحدة والتجمع الاسلامي القوي ، وأصبحت محاولاتهم ذات طابع سياسي بحت بعيدة عن الواجبات الدينية والعقدية ، ولهذا السبب فان الهجمات المعادية للاسلام علي البنغال ظلت تتصاعد بشكل غير متوقع ، وتتركز على الأمور التي تتعلق بالعقائد ، وفي هذه الظروف قام بعض العلماء والدعاة بمحاولتهم للوقوف أمام تلك الهجمات والمواجهة لهذا التحدي ، ولكنها ليست بصورة جماعية كما كانت حركة " سيد أحمد الشهيد " ، والحاج " شريعة الله "

وأبنه " محسن الدين " ، بل إنهم بذلوا جهودهم ومساعيهم في هذا المضمار في نطاقهم ودائرتهم الخاصة المحدودة بشيء من الوسائل المكنة .

أضف الى ذلك أن كثيراً من العلماء المسلمين آنذاك ذهبوا الى تكوين وحدة المسلمين بجماعات سياسية بحتة لما رأوا فيها سبيلا لاستعادة الحقوق المغتصبة ، كما رأوا أنه بهذا الطريق يمكن الحفاظ على الكيان الاسلامي بعقيدته وشعائره ، ثم الوقوف أمام التحديات المختلفة ، ولكنهم لم يتمكنوا من توحيد صفوف المسلمين واتخاذ الوسائل والسبل الكفيلة بالحفاظ على الكيان الاسلامي ، وذلك لانعدام الزعامة الصالحة والقيادة الرشيدة فيهم ، وفقدان الصفات التي تؤهل المرء للقيادة فيمن تولوا القيادة ، وبالتالي فقدان المنهج الاسلامي الذي يميز المسلمين عن غيرهم .

نعم لقد تم اجلاء الانجليز من البلاد لكنهم تركوا أثارهم وأعوانهم من الجماعات المتصوفة والقاديانية والشيعة والاسماعيلية وغير ذلك من الفرق الهدامة لتلعب بدورها في المنطقة من مسخ الاسلام وعقيدته . والتي كانوا يتمنون تحقيقها منذ وصولهم الى المنطقة . فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

الفصل الخامس

في

أهمية حركات البعث الإسلامي في العصر الحديث

ويشتمل على ستة مباحث

المبحث الأول : خصائص الحركة الإسلامية

المبحث الثاني : خطوط الإنحراف

المبحث الثالث : أثر الإنحراف في المجتمع

المبحث الرابع : حركات البعث الإسلامي وضرورتها في المجتمع

المبحث الخامس : شروط حركات البعث الإسلامي

المبحث السادس: الحركات الإسلامية في بنغلاديش

إن التحديات التي يواجهها المسلمون اليوم كثيرة ومتشعبة الأطراف بما يفوق التصور ، تظهر حينا بعد حين في الأفاق وبصور وأشكال مختلفة تستهدف الاسلام والمسلمين . وأن الصهيونية العالمية هي التي تقف وراء هذه التحديات ، وتقوم بدور رئيسي في ادارة جميع المنظمات المنحلة الهدامة لتصويب ضرباتها ضد الدين الاسلامي والمسلمين . تمهيدا لانشاء دولة صهيونية عالمية كبرى يحلم بها اليهود منذ قرون .

لقد كانت محاولات هذه المنظمات منذ بداية الدعوة الاسلامية جارية لايقاف تأثيرها وانتشاها في نفوس البشر ، ولكن المسلمين في القرن الأول وقفوا أمام تلك المحاولات وما يتبعها من المؤامرات والمكائد بقوة ايمانهم وحماستهم الدينية ، ودخلوا معارك دامية مع أعداء الاسلام وحققوا انتصاراتهم في تلك المعارك .

وبفضل هذه الجهودات المشكورة جعل الله عز وجل فتحا للإسلام على سائر الأديان ، ونصرة للمسلمين حتي بلغ أثر الإسلام وصيته الى أفاق العالم . فكيف انتصر المسلمون من الرعيل الأول على الأعداء وبماذا حققوا ذلك النجاح الكبير الذي لامثيل له في تاريخ البشرية في سبيل إعلاء كلمة الله ورفع شأن المسلمين ؟.

لاشك أن كل ذلك يعود إلى التربية الإسلامية علي يد الرسول الكريم محمد - عليه الصلاة والسلام - وهو المربي العظيم لتكوين جماعة إسلامية لم يشهد التاريخ الانساني لها مثيلاً . مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .[١]

ولقد كانت خير أمة في تاريخ البشرية كله ، وحوت من ألوان العظمة في كل اتجاه مالم يجتمع لأمة أخرى في التاريخ بهذه الوفرة وذلك التعدد وتلك الآفاق : عظمات حربية وعظمات سياسية وادارية ، وعظمات نفسية ، وعظمات روحية ... عظمات من كل نوع . وفي فترة وجيزة من عمر الزمن كأنها لحظات .[٢]

وهذا نتيجة لما بذله الرسول الكريم - ﷺ - من حسن التربية والبناء والتكوين حتي جعلهم الله تعالى خير أمة أخرجت للناس وغلب الإسلام بهم على سائر الأديان كلها وتغلبوا على كل أعدائهم .

خصائص الجماعة الإسلامية في عهد النبوي الشريف :

وعلينا في هذا المقام أن نتأمل تلك الصفات والسمات التي من اجلها انتصر المسلمون الأوائل . وهذه السمات التي اتصفت بها الجماعة الاسلامية الأولي . فضل ذلك المربي العظيم الذي

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٠.

(٢) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية : ص١٥ ، ج٢ ، ط٤ ، ١٩٨٣م ، دار الشروق ببيروت .

جعله الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر :

١ - تعمق معاني الأيمان في قلوبهم وجدية أخذهم بالكتاب والسنة وبذلهم أنفسهم في سبيل الله .

٢ - انصهار الأجناس والشعوب واللغات في أمة واحدة ، متحدة العقيدة ومتحدة الوجهة .

٣ - تحقيق المعاني الصحيحة للحرية والأخاء والمساواة في عالم الواقع لا في عالم الشعارات .

٤ - تحقق العدل الرباني بصورة فريدة في التاريخ وخاصة بين السملين وغير المسلمين .

٥ - الوفاء بالمواثيق . (كما حدث في صلح الحديبيه وغيره ....)

٦ - التكافل داخل المجتمع الاسلامي على جميع مستوياته .

٧ - أخلاقيات الاسلام التي يبتغي بها وجه الله تعالى في مقابل الأخلاقيات المنحلة السائدة في الجاهلية .[1]

تلك هي السمات العالية التي يتميز بها الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - . ولازال المسلمون على هذه السمات مادام الاسلام بتعاليمه الخالدة مؤثراً في شئون حياتهم ، ولم يتغير حالتهم في تطبيقه بجدية وأخلاص . فلما ابتعد المسلمون عن الدين وتعاليمه ودبت فيهم الأمراض الفتاكة ، وانحدروا الى الانحطاط والتدني واستقبلوا الأفكار الدخيلة ورحبوا بأعداء الاسلام القادمين من جميع الجهات

---

(١) انظر : محمد قطب : الثقافة الاسلامية - المستوى الرابع ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة . ص٦ ، ١٣٩٦هـ .

ليحتلوا المكان الذي كان في أيدي المسلمين . وهكذا ازداد المرض في هذه الأمة تدريجيا بمقدار بعدها عن المنهج السليم ، واشتد المرض في الأونة الأخيرة .

وفي عهد الخلافة العثمانية بالذات ، التي تسبب في انهيار الوحدة الاسلامية ، وفتحت الأبواب من كل الأطراف التي تمهد الطريق لأعداء الاسلام . " وكان المسلمون الاتراك قد حكموا في ثلاث قارات في العالم : أوربا ،وآسيا ، وأفريقيا . ملكوا الشرق الاسلامي من فارس حتي مراكش . ودوّخوا آسيا الصغرى ، وتوغلوا في أوربا [١]. حيث كان العالم الاسلامي في عهدهم دولة اسلامية واحدة ، ولكن لم يكتب لهم البقاء ، وانهارت الوحدة وتفتت القوم وتقطعت الدولة الاسلامية الكبرى العالية الى قطع صغيرة ودويلات عديدة ، عندما عجز المسلمون عن الوقوف أمام الهجمات القوية من الأعداء ، وفقدوا سيطرتهم حتى أصبحوا بعيداً عن السلطات والحكم ، ذلك نتيجة لتركهم المنهج الصحيح ، وانحطاطهم في الأخلاق وانغلاقهم في باب العلم ، وتخلفهم الصناعي ، وهجر العلماء المسلمين مجالاتهم في الدعوة والارشاد ، ودخولهم في الخلافات الجانبية وفي الأمور البدعية ، وغير ذلك من العوامل الأخرى [٢] ، التي تجعل المسلمين سفرة للعدو ولعبة لليهود . وعندما ندرس هذا الموضوع ونقارن تلك الفترات المتأخرة بالجماعة الاسلامية

---

(١) أبو الحسن علي الندوي : ماذا خسر العالم الاسلامي بانحطاط المسلمين : ص ٢٠٩.
(٢) انظر نفس المرجع : ص ٢١٠ - ٢١٦ .

الأولي نلاحظ فيها الانحرافات التالية : -

أ - الإنحراف في مفهوم العبادة :

وكانت العبادة في مفهومها الاسلامي تشمل حياة الانسان كلها ماداموا على الأرض ، كما أشار الى ذلك القرآن الكريم :﴿ وما خلقت الجنّ والانس إلا ليعبدون ﴾ .[١] ﴿قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي له رب العالمين لاشريك له ،وبذلك آمرت وأنا أول المسلمين ﴾ .[٢]

فأصبح هذا المفهوم ضيقا ، ومحصوراً في شعائر التعبد فقط .

ب - الفهم الخاطىء لعقيدة القضاء والقدر:

وكانت هذه العقيدة تدفع الى القوة والصمود في وجه الأحداث اطمئنانا الى قدر الله تعالى ، فأصبحت تفهم بمعنى آخر يختلف تماماً عن المعنى الحقيقي للقضاء ، حيث أصبحت تفهم على أن المقصود بها هو الرضا بالفقر والعجز ، والادعاء بأن هذا هو واجب المؤمن تجاه قدر الله تعالى ![٣]

ج- الإنحراف في مفهوم التوكل :

ومعناه التوجه الى الله تعالى والاعتماد عليه مع الأ خذ بالأسباب ، وتحويله الى التوكل السلبي مع القعود عن السعي وعدم الأخذ بالأسباب .

---

(١)سورة الذاريات:آية : ٥٦ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ١٦٣/١٢٦ .

(٣) الثقافة الاسلامية : ص٦-٧ ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

د- **الإنحراف في مفهوم الزهد :**

وهو الإستعلاء على الشهوات مع الايجابيه الكامله والفاعليه في واقع الأرض ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحويله الى عزله سلبيه وانصراف عن مواجه الباطل وتقويمه ، وانصراف كذلك عن عمارة الأرض بدعوى أنها تخالف الايمان الصحيح .

هـ - **وقف الإجتهاد واغلاق بابه :**

وأنصراف الفقهاء الى التقليد ، مع تعصب كل فريق لمذهبه الخاص .

و - **ظهور الفرق المختلفة في الأمه الأسلامية** ، وتفتيت الوحدة العقدية للمسلمين .

ز - **تحويل الأسلام في قلوب الناس** الى مجموعات من الخرافات ، ومجموعات من التقاليد المظهرية الخاوية من الروح .(١)

أثر الإنحراف في المجتمع :

هذه الانحرافات قد أثرت في المجتمع الاسلامي كله في العالم ، وجعلته منهارا من جميع جوانب الحياة ، ودفعته الي الهدم والدمار ، وظهرت النتائج السيئة في المجتمع الاسلامي من هذه الانحرافات ومنها :

أولاً : الضعف العلمي والمادي والاقتصادي والسياسي والعسكري الذي أصاب المسلمين وعالمهم الاسلامي .

ثانياً : وقوع العالم الاسلامي فريسة لأعدائه ، وما حدث من

---

(١) الثقافة الأسلامية : ص ٢٦- ٢٧ ، جامعة أم القرى ، مكة الكرمة .

غزو صوفي وفكري وعسكري واقتصادي وسياسي لمختلف بلدان العالم الاسلامي .

ثالثاً : انتشار البدع والخرافات في المجتمع وتنمية الافكار الدخيلة فيه .

رابعاً : فقدان الوعي الاسلامي الصحيح الذي يقوم بدوره المحافظة على الأمه من جميع انواع المؤامرات .

ولقدأثبتت التجارب عبر التاريخ الاسلامي أن مواجهة التحديات ومكائد الأعداء التي تعرض لها المسلمون في مختلف الأدوار لايكتب النصر فيها للمسلمين مالم تكن هناك جماعة قوية ووحدة متكاملة في صفوف المسلمين تتصف بأوصاف حميدة، كالتي كانت في جماعة الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وأن النصر والعز لاينالهم وهم في حالة الأفتراق والتناحر الذي يؤدي لتدمير كيانهم الأصيل ، ولذلك فقد أمر الله تعالى المسلمين بأن يعيشوا مجتمعين علي العقيدة الاسلامية ، اذ فيها يمكن عز الاسلام وأستعلاء المسلمين ، كما قال تعالى : ﴿ ياأيهاآمنوااتّقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ الاّ وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل اله جميعاً ولا تفرقوا * واذكروا نعمة الله عليكم اذكنتم أعداء فألف بين قلوبكم * فأصبحتم بنعمته اخوانا ... ﴾ (١)

وقد ورد في كتب الحديث النبوي الشريف روايات عديدة تؤكد

---

(١) آل عمران : آية : ١٠٢ ـ ١٠٣ .

الوحدة والتزام المسلمين بالجماعة .[1] كما يحدث في الصلوات الخمس المكتوبة . إذ آمر الله تعالي المسلمين بأدائها مع الجماعة وأوجب عليهم أثناء الصلاة متابعة الامام في كل حركاته وسكناته حرصاً على ضرورة التضامن والتناسق بين المسلمين ، وان أعداءنا يخشون دائماً من تلك الوحدة الاسلامية والمهمة التي تؤديها بين الجماعات الاسلامية ، ويعملون بكل مافي وسعهم من الوسائل والتدابير لتفريق وحدة المسلمين وتشتيت صفوفهم ، ويحرصون في ذلك على تحقيق غرضين أساسيين :

الغرض الأول : قطع صلة المسلمين في الوقت الراهن وفي المستقبل بالاسلام . بمعني ابعاد تفكيرهم وتشريعهم . في الحال وفي المستقبل عن مصدر الوحي ، وبذلك يفقد الاسلام ثباته

(١) أخرج الشيخان وأبو داود عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : (كان الناس يسألون النبي - ﷺ -عن الخير ، وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني ، فقلت يارسول الله : انا في جاهلية وشر . فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ، وفيه دخن ، قلت : وما دخنه يارسول الله ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة علي أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها . قلت : فما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا امام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على خير) . رواه البخاري ومسلم .

يبدو من خلال النصوص أن مرحلة الخير الأولى تنتهي بانتهاء القرون الثلاث الأولى ، وان مرحلة الشرّ تأتي فيما بعد ذلك حتى ظهور النهضة الاسلامية ، وان مرحلة الدخن تستمر حتى يومنا ، وان عصرنا عصر الدعاة على أبواب جهنم ، هذا الحديث يحدد واجب المرحلة وهو الالتزام بجماعة المسلمين وامامهم ، فان لم يكن للمسلين جماعة أو امام ، فالواجب اعتزال الفرق كلها ، والجماعة أن تكون على الحق ولو كان الرجل وحده .

(سعيد حوى : المدخل الى دعوة الاخوان المسلمين : ص٦٢ ، ط٣ ، ١٩٨٠م) .

وذاتيته المتميزة المستقلة .

<u>الغرض الثاني :</u> تفكيك الوحدة الاسلامية . لأن المسلمين اذا فقدوا ارتباطهم بذلك المصدر الأول الثابت الذي يجمع المسلمين على هدف موحد لم يعد يسيطر عليها الاستعمار الغربي في كثير من الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وينتهي الأمر الى تقطيع المجتمع الاسلامي وامتصاصه في مناطق النفوذ المختلفة ، وتأمين مصالح الاستعمار الذي يخشي أن تؤلف الغصبية الاسلامية بين المجتمعات الاسلامية .[١]

" فالغرب والشرق كلاهما يشعرون بمدى قوة الاسلام ووحدة المسلمين التي تمثل في نظرهم شوكة تؤلم صدورهم فلا ينامون ، ولايغفلون لحظة من اللحظات من اجل القضاء علي هذا الدين.[٢] فلابد من اليقظة والتحرك لاعادة مجد الاسلام ، ورفع شأن المسلمين ليكونوا أمة مثالية حيّة في عالم الواقع ، ولاتتأتى نتائج طموحاتها بصورة واقعية مالم توجد في المجتمع الأسلامي حركات إسلامية تؤدي مسئوليتهافي انهاض المسلمين واصلاح أحوالهم ، وعقا ئدهم وافكارهم الى أن يكونوا "خير أمة " في هذه الدنيا، فالأعداء يعملون علي بتقويض دعائم الحركة الاسلامية لأنّ الذين يحملون المسئولية الكبرى لحمل الأمانة

---

(١) د . محمد محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية : ص١٦١ ، ط١ ، ١٩٧٩م ، المكتب الاسلامي . بيروت .

(٢) نفس المرجع :ص١٦٢.

المباركة هم المسلمون وحدهم ، أخرجهم الله تعالى من جنس البشر ليكونوا هداة البشرية جمعاء في الحياة الدنيا والشاهدين عليها يوم القيامة .

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .(١)

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (٢)

﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ﴾ .(٣)

(لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون) (٤) .

فحزب الله هو ماكان عليه الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم ومن يسير على نهجهم .

إذن الإسلام هو التكليف الرباني الوحيد للانسان ، وان كل انسان مكلف ، وأن المسلمين مسئولون عن تبليغه للعالم

---

(١) آل عمران : ١٠٠ .
(٢) آل عمران : ١٠٤ .
(٣) المائدة : ٥٦ .
(٤) المجادلة : ٢٢ .

واقامته في الأرض . وأن المسلمين جماعة واحدة ، وأن عليهم أن يفعلوا هذا كله على أرضهم وعلى الأرض كلها ، فلابد من انشاء مجتمع اسلامي مثالي ليقوموا بأداء المسئولية الكبرى والاسهام في اعلاء كلمة الله تعالى .

حركات البعث الإسلامي وضرورتها في المجتمع الإسلامي :

ومفهوم الحركة الاسلامية بالاصطلاح العام محاولات جادة لايقاظ الأمة من غفلتها ، واستئناف الحياة مرة أخرى ، على أساس منهج الله [1] ، وعلى هذا يبدأ تاريخها منذ أن كلف الانسان بالشريعة الاسلامية والعقيدة الربانية ، ومنذ أن آرسل الله تعالى أنبياءه ورسله بها . ذلك لأن التاريخ الانساني منذ تكليفه بعقيدة التوحيد يبدأ بالمعركة الفاصله بين الحق والباطل وبين الفضائل والرذائل . وانطلاقاً من هذا المفهوم تعظم المسئولية تجاه الحركة الاسلامية لاحقاق الحق وابطال الباطل لتكون كلمة الله هي العليا ، ويعتز المسلمون باعلان الجهاد المبارك بأنه شرع الله تعالى لحماية الدعوة الاسلامية ونشرها في كل أجزاء الأرض لانقاذ الانسان من براثن الشرك والالحاد ومن عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة . ومن جور الأديان الي عدل الاسلام . والأمر الرباني بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد لم ينقطع منذ بدايته حتى الآن .

---

(١) الأستاذ مصطفى كامل : الثقافة الاسلامية ، المستوى الرابع ، بعنوان " حركات البعث الاسلامي " . جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

بل هو ماض الى يوم القيامة ، اذن فهو فرض على كل مسلم لايجوز التخلي عنه ، انه سنة من سنن الأنبياء والرسل بل هو هدف أساسي للرسالة الشريفة ، يخاطب النبي نوح عليه السلام - قومه حينما تمرد واعن آمر الله وطغوا عن شريعته :

﴿ ياقوم اعبدوا الله * مالكم من اله غيره * اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ .[١]

وقد استمرت دعوة نوح هذه أكثر من تسعمائة عام . وهكذا نجد في دعوة سيدنا ابراهيم ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، ولوط ، وموسى ، وفي دعوة سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، فسنن الأنبياء والرسل لاتخلوا من الحركة الاسلامية .[٢]

فالحركة الاسلامية أذن محاولة جادة وبذل الجهود في دعوة الناس الى عبادة الله ، وردهم من ظلمات الجاهلية الي نور الهداية ، وتنفيذ الشريعة الخالدة في الأرض ليعيش الناس في ظلها ويتمتعوا بالحرية الكاملة . فهي حركة لم تتوقف لحظة من اللحظات منذ ظهور الاسلام ، فمتى رفع الباطل رأسه ووقف بقوته وعتاده المجنده ضد الاسلام ، قامت حركة اسلامية بنشاطها وقوتها الفعالة ضده كما نرى ذلك في تاريخ المسلمين

---

(١) الأعرف : ٥٩ .

(٢) أسعد كيلاني : الدعوة الاسلامية عبر التاريخ : ص ١٧، مكتبة أدب أسلامي ، لاهور ، ١٩٨٠م

في الهند ، كحركة الشيخ أحمد سرهندي [١] ، ضد الامبراطور أكبر ودعواته الهدامه وأفكاره الباطلة ، واعلان جهاده ضد العادات الجاهلية السائدة في المجتمع الاسلامي . وكحركة الشاه ولي الله محدث الدهلوي ، ظهرت في جميع آفاق شبه القارة الهندية التي تتمثل بحركة الاصلاح الجديدة تنطلق من النقطة التي أوصلها إليها سلفه الشيخ سرهندي ، ووقف بصراحة ضد الجاهلية المعاصرة ، حيث أنه انتقد علنا الشرك والبدع والخرافات والتفرقة المذهبية وبها استطاع نفخ الروح الاسلامية من جديد في المجتمع ، ثم ظهرت حركة اسلامية بصورة أجلى مما مضى بعد الشاه ولي الله [٢] ، بزعامة الشيخ

---

(١) ولد الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي ، في بيت عريق في المجد والعلم سنة ٨٧١ هـ ، ونشأ في بيئة دينية صالحة ، واستفاد من الشيخ الباقي بالله في الهند ، وقد قضى معظم حياته في سبيل الجهاد الاسلامي ضد الشرك والبدع والالحاد ، ووقف أمام الطواغيت موقف الجبال فأحيا السنة وأمات تلك الخرافات ، ورفع لواء كلمة الله ، والحق أن ماقام به حسين بن علي - رضي الله عنه - وأحمد بن حنبل - رضي الله عنه - وابن تيمية في أزمانهم من اعلاء كلمة الحق وتجديد الدين ، قد قام به الشيخ سرهندي - رحمه الله - وتعرض في هذا السبيل للمعارضات الشديدة من قبل الحكام ورؤساء البلاد ، وقضى بعض الأوقات في سجون الطاغوت.

أنظر : مسعود عالم الندوي : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ، ص ٩٨-١٠٠، دار العروبة ، لاهور .

(٢) شاه ولي الله (٧٦ - ١٧١٣) ولد في دلهي ، وكان أبوه شاه عبدالرحيم عالماً ورعاً وفقيهاً في الفقه الحنفي ، أكمل دراسته الإسلامية في سن مبكرة ، تخصص في علوم الحديث الشريف حتى اشتهر بالمحدث ، ذهب الى مكة المكرمة سنة ١١٤٣هـ ، ثم عاد بعد أداء الحج ، وبعد عودته من الحج قام باصلاح المجتمع الاسلامي في الهند في حين كانوا منهمكين في البدع والشرك والعادات الجاهلية ، وكان أول من قام في الهند بدعوة الاصلاح وحركة النهضة الاسلامية . ولذلك يسمونه مجدداً لعصره .

(٢) انظر : مسعود عالم الندوي : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند : ص١٣٧، دار العربية ، لاهور .

سيد أحمد الشهيد والشاه اسماعيل الشهيد – رحمهما الله – وجاهدا في سبيل رفع أعلام الاسلام ، حتى استشهدا في سبيل الله . وان الآثار الاسلامية التي نشاهدها في المناطق البنغاليه هي نتيجة لتلك الحركات الاسلامية التي عمّت الهند كلها آنذاك .

شروط حركات البعث الإسلامي :

من خلال دراستنا لتاريخ الدعوة وحركاتها نجد أن بعضها تركت آثاراً عميقة لطول المدى في حياة الانسان ، وبعضها لم تترك آثارها إلا لفترات بسيطة ومحدودة ، لعدم توفر الشروط المطلوبة فيها ، وعدم التخطيط لها ، لذا نحبذ أن نذكر هنا بعض الشروط اللازمة التي يعتمد عليها أساس الحركة وقوامها لتكون مؤثرة وفعالة في المجتمع الاسلامي .

أولاً : لابد أن يتوافر لهذه الحركات الادراك الشامل لهذا الدين . ادراك العقيدة ، وادراك المنهج الذي تتحقق به هذه العقيدة ، ذلك لأنه بغير ادراك واع لطبيعة هذا الدين وتصوراته وعقيدته ومنهجه لايمكن أن تستقر حقيقة هذا الدين في الأرض ولا في القلوب ، ومن باب أولى أن تقوم عليها حركة بعث تعيد للاسلام سلطانه وهيمنته ، واعلان الحكم لله تعالى في كل المجالات دون أي قيد وشرط ، والولاء لرسوله محمد – عليه الصلاة والسلام – والالتزام بمتابعته بحيث لايجوز الخروج منها ، بأعتبارها قدوة حسنة حيّة للبشر .(١)

(١) الاستاذ مصطفي كامل : الثقافه الاسلامية ، المستوى الرابع ، ص١٦٦ .

ثانياً : لابد من الالتزام الكامل بمقتضيات هذا الدين عقيدة ومنهجاً وعلى ضوئه حشد الطاقات البشرية التي تتسم بالأخلاق الفاضلة ، والسلوك الحميد ، واتخاذ التدابير والبرامج المناسبة لها . وصحيح أنه بين المحاولة والنجاح فيها جهد قد يطول ، ولكن لابد من استمرار المحاولة والارتفاع الى آفاق هذا الدين والتغلب علي كل نداءات الضعف الانساني ، وذلك لكي يتسنى لهذه الحركات أن تقيم هذا الدين بسلوكها وتطبيقها الصحيح .

ثالثاً : لابد من ادراك واقع البشرية الآن وخاصة واقع المجتمع الاسلامي ومدى بعده وانسلاخه من قيم الاسلام وجريها وراء اغواء الجاهلية وتضليلها ، ذلك لأنه بدون أن يتحدد هذا المجتمع ومكانه من الاسلام لايمكن تحديد طريقة دعوته الى الله تعالى .

رابعاً : لابد من التعرف على الجاهلية من حولنا ودراسة عقائد هذه الجاهليه ومناهجها وأساليبها ، كما ينبغي التعرف علي الوسائل التي تكيد بها الجاهلية للاسلام وأهله ومتابعة مخططاتها في كافة المجالات .

خامساً : لابد من اتخاذ الوسائل المكافئة لأساليب الجاهلية في حرب الاسلام والمسلمين ، استجابة لنداء الله عز وجل :

﴿ وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ (١) .

فيجب الاستعداد التام واعداد القوى المناسبة لمواجهة من

(١) الأنفال : ٦٠ .

قبل الطغاة والمتمردين على الدين وأعدائه ، الذين يعيشون في هلع وخوف من ازدياد نشاطاتها وانتشارها في الافاق ، والصراع بين هاتين الفئتين من المسلمين والطغاة أمر حتمي لاعلاء كلمة الله وهيمنة الاسلام علي سائر الطواغيت ، وعلى هذا السبيل فلابد من الاستعداد لاستقبال الابتلاء والمحن والتعذيب والتشريد لقوله عز وجل ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لايفتنون *ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (١) .

سادساً : تعيين الامام أو الأمير الذي يصلح لتحمل المسئولية والقياده الحكيمة تجتمع فيه كل الأوصاف التي يجب أن تكون في امام المسلمين وأميرهم . ويتم تعيينه لابالمنافسه والدعاية واستخدام الوسائل كما هو مسلك الديمقراطية الجاهلية الحديثة بل بالتشاور مع رجال الفكر وأصحاب العلم وأولى الألباب من بين من تتوافر فيهم الشروط للإمامه على ألا يكون طالبا لها متطلعا إليها .

واذا استند الأمر اليه بالاجماع فعليه أن يقبل رأي الجميع ويتوكل على الله تعالى . (٢)

واذا توافرت هذه الشروط للحركة الاسلامية فان الأمل يكون كبيراً في نجاحها وانجاز طموحاتها بمشيئة الله تعالي في نهوض المشلمين واحياء الدين الاسلامي من جديد في

---

(١) العنكبوت : ٢ ، ٣ .
(٢) الأستاذ مصطفى كامل : الثقافة الاسلامية ، المستوى الرابع ، ص ١٦٦ .

المجتمع الجاهلي ، ومن ثم اعادة المسلمين الى عبادة الله تعالي وحده ليكونوا مصداقا لقول الله عز وجل : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم *وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا) [١] .

---

(١) النور : آية : ٥٥ .

الخـــــاتمـــــة

الخاتمة

إن بنغلاديش دولة مسلمة تقع فى الشمال الشرقى من قارة آسيا ، ويشكل المسلمون خمسة وسبعين فى المائة من مجموع سكانها، وصل الإسلام إلى هذه المنطقة أيام العهد العباسى ، بأيدى التجار العرب والغزاة المسلمين للمنطقة •

وللعامل السكانى علاقة وثيقة بالوضع الإقتصادى فى بنغلاديش ولذلك تعد اليوم من أفقر دول العالم •

إن التصوف بمفهومه الحقيقى ليس من الإسلام ، بل إنه مجموعة من الأفكار التى تستهدف الدين الحنيف الذى أتى به رسول الله(ﷺ) ، وأن القائلين به والمؤيدين له لم يستطيعوا التوصل إلى الاتفاق حول تحديد مفهومه ومعانيه ، ممايدل على أن هؤلاء القوم يعيشون فى عالم الوهم والتخيلات •

نشأ التصوف وترعرع فى منطقة البنغال عند قدوم جحافل من العلماء المتصوفة نحو الهند و خاصة فى المناطق الشمالية منها ، وذلك لما وجدوا البنغال وأراضيها ملائمة لنموه وانتشاره ، وإن الظروف التى أحاطت بها مهدت الطريق أمام المسلمين كى يعتنقوا تلك الأفكار المضللة •

ومن دراستنا لموضوع التصوف ككل نجد أن العلماء المتصوفة قد أخذوا معظم الأفكار والقواعد والأصول والمبادئ من الفرق الضالة

التـــى كانت تسود فى المناطق الفارسية وجيرانها ، ومن الشيعة والإسـماعلية والديانات القديمة الأخرى من البوذية والهندوسية والمسيحية •

فقضيـــة الحقيقـــة والشــريعة والظـــاهر والبـــاطن ، وقضيـــة الأحـــوال والمقامات وما إلى ذلك من القضايا التى أثيرت فى العالم الإسلامى مستحدثة تماماً ، وعلماء التصوف يجعلونها غاية الاهتمام ويعدونها من أسـاس الديـن الذى تتوقف عليه سائر الأعمال •

إن انتشار التصوف وتوسيعه فى المنطقة وآفاقها كان عوامل وأسـباب ، منهـا العبـد عـن الإسـلام وتعاليمــه ، وجهـل العلمـاء عـن حقيقـة الديـن وتصورهم الخاطئ له ، ونشر الثقافة الفارسـية بيـن عامـة النـاس بالإضافـة إلى دور التأثير والتأثرفى هذا الصدد •

كمـا أن قضيـة وحـدة الوجـود ومـا يتعلـق بهـا مـن القضايـا كـالحلول والاتحاد ونحوه من أخطر القضايا التى أصابت المسلمين فى هـذه المنطقـة ، بل إنها وقفت وقفة منيعة للحيلولة دون ردهم إلى العقيدة الصحيحة •

وللتصوف آثار سيئة ومهلكة على الفرد والمجتمع ، منهـا نشـأة البـدع والخرافات والفساد فى الأخلاق والسلوك ، ومسخ صـورة الإسـلام وتشـويه عقائده ، وانحراف المسلمين عن دينهم وعقيدتهم وتعطيل الجهاد ضد الأعداء والتحريف فى النصوص الشرعية حول فرضية الجهاد وفضائله •

هذا وأرجو أن تكون هـذه الرسـالة قـد أنـارت بعـض الجوانـب الهامـة للتصوف ومعتقداته الضالة التى تحيط بالأمة المسلمة فـى بنغلاديـش ، أمـلاً فى أن تضع للأجيال الإسلامية الناشئة ، خطة شاملة ومتكاملـة لصـد أنشـطة هذه الفرقة وإحباط مخططاتها الرامية ، كما آمل مـن تلـك الفئـات الإسـلامية أن تعمل بجدية وإخلاص للنهوض بالأمة الإسلامية من كبوتها وإيقاظها مـن نومها العميق ٠

ربنـا هب لنـا مـن لدنـك رحمـة وهيـئ لنـا مـن أمرنـا رشـداً ، وآخـر دعوانـا أن الحمـد للـه رب العـالمين ، وصلـى اللـه علـى سيدنا ونبينـا محمـد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ٠

☪ ☪ ☪ ☪ ☪

☪ ☪

الملاحق

١ - مساهمة علماء شبه القارة الهندية في نشر التصوف وفلسفته .

٢- المزارات والقبور للصوفيه التي تحولت الى امكنة للشرك والبدع .

١- مساهمة العلماء بالهند في نشر العقائد الصوفيه

التفاسير

تفسير مجمع البحرين : للشيخ طاهر بن يوسف البرهانبوري .

تفسير انوار الإسرار : للشيخ عيسى بن قاسم بن يوسف السندي.

تفسير القرآن برواية أهل البيت : للشيخ محمد بن جعفر الحسيني الكجراتي .

فتح الرحمن في تفسير القرآن : للشاه ولي الله الدهلوي .

الكتب الأخرى :

العربيه

العدد	اسم الكتاب	المؤلف
١	طوالع الشموس	القاضي حميد الدين بن عطاء الناجوري
٢	الملهمات	الشيخ جمال الدين احمد الهانسوي
٣	خلاصة اللطائف	الشيخ علي جاندار الدهلوي
٤	كتاب المشاهدة	الشيخ أبو الفتح بن علاء الكالبوري (المتوفي ٨٦٢ هـ)
٥	قرآة الحقائق	الشيخ اشرف بن ابراهيم الحسيني (المتوفي ٧٠٨هـ)
٦	كنز الحقائق	الشيخ اشرف بن ابراهيم الحسيني (المتوفي ٧٠٨هـ)
٧	الضوء الازهر	الشيخ علاء الدين علي بن أحمد المهائمي
٨	مرآة العارفين	الشيخ مسعود بيك الدهلوي (المتوفي ٨٣٦ هـ)
٩	مفتاح الأسرار	الشيخ سماء الدين الملتاني
١٠	الروضه الحسنى في شرح أسماء الحسنى	الشيخ عيسى بن قاسم السندي البرهاني
١١	المعارف اللدنيه	الشيخ أحمد بن عبدالأحمد السرهندي . امام طريقة المجدديه
١٢	مظهر النور في مبحث الوجود	الشيخ قمر الدين بن منيب الله الأورنك أبادي

وبالفارسيه

العدد	اسم الكتاب	المؤلف
١	كاشف الأسرار	للحسن بن حسين بن مضر البهاري
٢	خلاصة المعارف	أدم اسماعيل الحسيني البغوري
٣	اثبات الأحدية	عبدالملك بن عبدالغفور الباني بتي
٤	طريقة العون في حقيقة الكون	محمد معين بن محمد أمين السندي
٥	حقائق التوحيد	عبدالله بن عبدالباقي النقشبندي الدهلوي
٦	شمس المعارف	شمس الدين محمد بن يحي الاودي (م ٧٤٧هـ)
٧	شمائل الانقياء	ركن الدين بن عماد الشيشتي الكاشاني
٨	أداب السلوك	محمد بن يوسف الحسيني الدهلوي
٩	مؤنس الفقراء وانيس الغرباء	نور الدين أحمد بن عمر الشيشي (م٨١٨هـ) .
١٠	أداب السالكين	محمد قاسم الاودي (م٨٩٦هـ) .
١١	سراج القلوب وعلاج الذنوب	أبو علي زين الدين علي المعبري
١٢	هداية الأذكياء (قصيده عربيه)	أبو علي زين الدين علي المعبري
١٣	سراج السالكين	عبدالله بهلول الشكاري
١٤	زاد السالكين ومقصود الطالبين	محمود رشيد الجو بنوري
١٥	هداية السالكين	محمد عبدالرحمن القنوجي
١٦	القول الجميل في بيان السبيل	ولي الله بن عبدالرحمن الدهلوي
١٧	منهاج العابدين	يوسف بن أحمد الايرجي (م٨١٤هـ)
١٨	المنازل الأربعة	بير محمد بن أولياء الجونبوري
١٩	مصباح الطالبين	عبدالرسول الكجندوي
٢٠	سبع سنابل	عبدالواحد بن ابراهيم الحسيني البلجرفي
٢١	الارشاد الرحيم (النقشبنديه)	عبدالرحمن بن وجيه الدين الأويس الدهلوي
٢٢	سبيل الارشاد	محمد عاشق بن عبدالله البارهوي
٢٣	ارشاد الطالبين	خير الدين بن محمد زاهد السورتي الكجراتي
٢٤	نجم الهدايه (قصيدة فارسيه)	نجم الهدى محمد ثابت الحسني النقشبندي

بالأرديه :

العدد	اسم الكتاب	المؤلف
١	مذاق العارفين (ترجمة احياء الدين)	محمد احسن النافوري
٢	الشجرة المثمرة	المولوي ولايت علي بن فتح علي العظيم أبادي
٣	ارشاد المثمر (في سلوك النقشبنديه)	امداد الدين محمد أمين العمري التهانوي
٤	سراج السالكين (ترجمة منهاج العابدين)	محمد منير النانوتوي
٥	اكسير الهداية (ترجمة منهاج العابدين)	المولوي فخر الدين اللكنوي

الادعيه والاذكار

العدد	اسم الكتاب	المؤلف
١	اسرار الدعوة	عبدالله بن بهلول الشطاري
٢	فتوح الأوراد	فتح محمد بن عيسى البرهانبورى
٣	الحرز المتين من الحصن الحصين	عبدالمؤمن بن محمد بن طاهر اللاهورى
٤	مزرع الحسنات	محمد فاضل الدهلوي
٥	كتاب الاذكار	رفيع الدين المراد آبادي
٦	الحرز المقبول والورد المنقول من احاديث الرسول (ص)	أبو سعيد محمد الفيض الانصاري
٧	الداء والدواء	السيد صديق حسن القنوجي
٨	اليواقيت المثورة في الأذكار المأثوره	محمد غوث بن ناصر الدين المدراس
٩	سبيل الرشاد والنجاة يوم المعاد	فخر الدين بن عبدالعي البريلوي
١٠	مفتاح الحاجات في الأدعيه والاذكار	جلال الدين بن محمد الحسيني الكجراتي

شروحهم على منصوص الحكم لابن عربي :

اللغة العربية

العدد	اسم الكتاب	المؤلف
١	شرح الفصوص	السيد محمد بن يوسف الحسيني
٢	عين العضوص شدح الفصوص	ابو المحاسن شرف الدين الدهلوي
٣	مشرح الخصوص في شرح الفصوص	علاء الدين بن أحمد المهاتمي
٤	الطريق الأصم شرح فصوص الحكم	نور الدين بن محمد صالح الكجراتي
٥	التأويل المحكم شرح فصوص الحكم	محمد حسن الأمروهي
٦	تائيد الهمم في شرح نصوص الحكم	محمد افضل بن عبدالرحمن الإله أبادي

اللغة الفارسية :

العدد	اسم الكتاب	المؤلف
١	شرح الفصوص	محبّ الله العمري الاله أبادي
٢	شخوص الحكم شرح فصوص الحكم	غلام مصطفى بن محمد اكبر الدهلوي
٣	الزوارف شرح عوارف المعارف	علاء الدين علي بن محمد المهاتمي
٤	شرح العوارف	احمد بن عبدالأحمد العمري السرهندي
٥	شرح العوارف	عبدالقدوس اسماعيل الكندلوي
٦	شرح المعارف	اشرف بن ابراهيم الحسيني
٧	شرح الرسالة المكتبيه لقطب الدين دمشقي	للشيخ قطب الدين دمشقي شرالدين احمد بن يحي الميرابي
٨	مجمع السلوك شرح الرسالة المكيه	سعد الدين القدواني الخير أبادي

٩	شرح آداب المريدين (للسهروردي)	السيد محمد بن يوسف الدهلوي
١٠	شرح الرسالة القشيرية	السيد محمد بن يوسف الدهلوي
١١	شرح اللمعات (للشيخ فريد الدين العراقي)	الشيخ سماء الدين الملتاني
١٢	شوارق اللمعات في شرح اللمعات	عبدالنبي بن عبدالله اشطاري الكراتي
١٣	تعريب اللمعات	علاء الدين علي بن أحمد المهاتمي
١٤	شرح نزهة الازواج (حسين الحسيني الغزنوي)	تاج الدين ابن زكريا الدهلوي

ومن كتب التصوف المشهورة التي شرحها وعلق عليها علماء شبه القارة الهندية بالهوامش والحواشي :

- اللوائح للعارف الرومي حديقة الحقائق للسناني .

- فتوح الغيب . اسرار المخلوقات لمحيي الدين ابن عربي .

- السوائح للغزالي .

- الرسالة لإبن عربي

- وقوت القلوب لإبي طالب المكيّ وغيرها .

وفي أواخر القرن الثامن وأواخر القرن التاسع الهجري قام جماعة من عشاق التصوف ورجاله بجمع المكتوبات والملفوظات التي جرت بين كبار المتصوفين والتي سجلها المريد من افواه مشايخهم حفظاً وكتابةً .

وهذه المكتوبات والملفوظات قد دونت في الكتب والمدونات . منها :

١ - مكتوبات الشيخ شرف الدين يحي المنيري (٣مجلدات)

٢- مكتوبات الشيخ فتح الله نظام الدين الاودي (مجلد واحد)

٣- مكتوبات الشيخ عبدالحق بن سيف الدين الدهلوي (مجلد واحد)

٤ - مكتوبات الشيخ احمد بن عبدالاحد السرهندي (٣ مجلدات)

٥ - الصحايف (مجموعة مكتوبات) الشيخ صدر الدين الدهلوي (مجلد واحد)

٦ - مكتوبات المعارف للشيخ ولي الله الدهلوي (مجلد واحد)

٧- كلمات طيبات (مجموعة مكتوبات ولي الله الدهلوي والقاضي ثناء الله باني بتي والشيخ غلام علي الدهلوي) جمعها احمد البهكرابوني . (٤ مجلدات)

ومن الملفوظات المدونة :

١ - دليل العارفين (ملفوظات الشيخ معين الدين خشتي الاجميري) جمعها الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي الدهلوي .

٢ - انيس الأرواح (ملفوظات الشيخ عثمان الهارونسي) جمعها الشيخ معين الدين السنجري .

٣ - سرّ الصدر (للشيخ حميد الدين السوالي) جمعها فريد بن عبدالعزيز السوالي .

٤ - اسرار الأولياء (للشيخ فريد الدين مسعود الأيودهي) جمعها بدر الدين اسحاق الدهلوي .

٥ - فوائد الفؤاد (للشيخ نظام الدين محمد البدايوني) جمعها حسن بن علاء السنجري .

٦ - انوار المجالس (للشيخ المذكور) جمعها السيد محمد بن اسحاق الحسيني الدهلوي .

٧ - تحفة المجالس (ملفوظات الشيخ احمد بن عبدالله المغربي اللكنوي) جمعها محمود بن سعيد الأرجي .

٨ - دُرّ المعارف (للشيخ غلام علي العلوي الدهلوي) جمعها الشيخ احمد الرامبوري .

٩ - نافع السالكين (للشيخ سليمان بن زكريا التوسوي) جمعها المولوي إمام الدين .

١٠- خير المجالس (للشيخ نصير الدين محمود الدهلوي) جمعها حميد الدين القلندر الدهلوي .

٢ - المزارات والقبور للمتصوفة التي تحولت إلى أوكار الشرك والبدع

العدد	الاسم	الموقع	المحافظه
١	سيد مخدوم شاه (١٣٢٦م)	رام بور بوليا	راجشاهي
٢	مولاناشاه الدولة (١٥١٩م)	باغا	راجشاهي
٣	بير ثبوت شاه (أيضاً)	بدل غاسي	راجشاهي
٤	مخدوم شاه الدولة شهيد (١٤٠١م)	شاهزادبور	بابنة
٥	شاه افضل محمود (القرن الرابع عشر)	سيراج غنج	بابنة
٦	لنكتابير (الشيخ العريان)	سوناموكي	بوغرا
٧	شاه سلطان بلخي (أيضاً)	مهاستان	بوغرا
٨	بير مها كال (أيضاً)	قصبة	بوغرا
٩	فتح علي شاه (أيضاً)	صدر	بوغرا
١٠	بابا أدم (أيضاً)	أدم ديغي	بوغرا
١١	شاه محمد سلطان رومي (١٠٥٣)	مدن بور	مومن شاهي
١٢	قطب صاحب (أيضاً)	جوان غاسي	مومن شاهي
١٣	بير شاهين شاه (أيضاً)	أتيا	مومن شاهي
١٤	مسكين شاه (أيضاً)	غفور كاؤن	مومن شاهي
١٥	شاه كمال (أيضاً)	جمال بور	مومن شاهي
١٦	شاه جلال (١٣٤٦م)	صدر	سلهت
١٧	بابا أدم شهيد (١٣٤٦م)	بيكر ام بور	دهاكا
١٨	شاه علي بغدادي (١٤٨٠م)	ميربور	دهاكا
١٩	شاه لنقر (أيضاً)	معظم بور	دهاكا
٢٠	شاه ملك (أيضاً)	الخوشة	دهاكا
٢١	سيد العارفين (ايضاً)	كالي شوري	باقرغنج
٢٢	سلطان بايزيد (٨١٤ م)	ناصر أباد	تشتاكونغ
٢٣	شيخ فريد (١٢٦٩م)	مدينة تشيتاكونغ	تشيتاكونغ
٢٤	بدر شاه او بدر أولياء (بدر الدين)	بخشي بازار(١٣٥٢م)	تشيتاكونغ
٢٥	قتل بير او بير مقتول	قتل غونغ	تشيتاكونغ
٢٦	شاه محسن أولياء (١٣٩٧م)	انوارا	تشيتاكونغ
٢٧	شاه بير (١٦٣٢م)	شات كانيا	تشيتاكونغ
٢٨	شاه عمر	تشوكوريا	تشيتاكونغ
٢٩	شاه بدل /بادل	جمال بور دهوم	تشيتاكونغ
٣٠	شاه تشاد أولياء	فتيا	تشيتاكونغ
٣١	شاه زيد	كوندرهات	تشيتاكونغ
٣٢	شاه مُلا مسكين (؟؟)	بلدية المحافظه	تشيتاكونغ
٣٣	قاضي موكل	شندنيور	تشيتاكونغ

٣٤	حامد شاه	فوتكشوري	تشيتاكونغ
٣٥	شاه أشرف	قدل بور	تشيتاكونغ
٣٦	أمانة شاه	لال ديكهي	تشيتاكونغ
٣٧	شاه معين الدين	قتالي	تشيتاكونغ
٣٨	شاه شندر (شاه جميل)	حفانيا	تشيتاكونغ
٣٩	شاه احمدالله	مايتزبهاندر	تشيتاكونغ
٤٠	شاه غريب الله (١٦٦٦م)	دام بارا	تشيتاكونغ
٤١	شاه ابو الحسين (١٨٠١م)	فريد بارا	تشيتاكونغ
٤٢	شاه اسماعيل غازي (١٤٧٤م)	رنكبور	رنكبور
٤٣	مولانا كرامتعلي (١٨٧٣م)	منشي بارا	رنكبور
٤٤	شاه قلندر	شوناراي	رنكبور
٤٥	غازي اسماعيل (١٣٩٣م)	رنكبور	رنكبور
٤٦	مخدوم شاه الدولة (١٢٥٨م)	شاهزادبور	فابنا
٤٧	شاه شريف زنداني (القرن الرابع عشر)	سراج كينج /تارش	فابنا
٤٨	شاه سلطان بلخي (١٦٥٨م)	مهاستان	بوغرا
٤٩	طور خان شهيد	كورتوا شيربور	بوغرا
٥٠	بندكي شاه	شيربور	بوغرا
٥١	نيمائي بير	بهاتر غاتا	بوغرا
٥٢	ديوان شهادت حسين (١٣٥٠م)	جودبي بورهات	بوغرا
٥٣	مُقصد غازي	هاروزه كهيت لال	بوغرا
٥٤	ديوان غازي رحمن (القرن الخامس عشره)	شاهبور -أدم يكهي	بوغره
٥٥	شاه مخدوم (١٥٩٢م)	شارغات	راجشاهي
٥٦	شاه معظم دانشمند (١٥٢٣م)	باغا	راجشاهي
٥٧	بير خلاص خان	شندر بان	خُلنا
٥٨	خان جهان علي	بارو بازا	خُلنا
٥٩	شاه جلال مجّرد (القرن الخامس عشر)	صدر بازار	سلهت
٦٠	سيد عمر سمرقندي	قصبة/صدر	سلهت
٦١	حافظ محمد زكريا قرش	قرب نهر كوشيارا	سلهت
٦٢	حاجي شيخ شمس الدين	جمائي كاتا	سلهت
٦٣	يوسف سيد	شاتك	سلهت
٦٤	شاه صدر الدين فرشي	مولاي يازا	سلهت
٦٥	شاه كمال برهان الدين	شونام غنج	سلهت
٦٦	شاه حليم فرشي	كولاؤرا	سلهت
٦٧	شيخ غريب أفغاني	بالاغنج	سلهت
٦٨	شاه ركن الدين	قدم هاتا	سلهت
٦٩	شاه رحيم الدين انصاري	جلال بور	سلهت
٧٠	شاه كمال الدين	صدر/مابارشر	سلهت
٧١	قطب الدين أولياء	راج نغر	سلهت

٧٢	مولانا شرافت علي	باتهربا	سلهت
٧٣	مولانا ابراهيم علي طشنه	كانائي غات	سلهت
٧٤	سيد أحمد تنوري	حاجي غنج	نواكهالي
٧٥	مجذوبة بي بي	شنديب/روحاني	نواكهالي
٧٦	حسن شاه	هوري تشر	نواكهالي
٧٧	يعقوب علي نوري	صدر	نواكهالي
٧٨	عبدالرحيم خان لاهوري	بادوا	نواكهالي
٧٩	مولانا فضل الرحمن	راي بور	نواكهالي
٨٠	مولانا إمام الدين (١٨٥٩م)	حاجي بور	نواكهالي
٨١	بادشاه ميان	مايزدي	نواكهالي
٨٢	بير اعظم شاه	ديار باري	نواكهالي
٨٣	شاه بيدأمير الدين (البير المجنون)	فاضل بور	نواكهالي
٨٤	شاه راستي (البير المجنون)	سريبور	كوملا
٨٥	شاه محمد (البير المجنون)	شاه تلي	كوملا
٨٦	شاه مولانا غازي بوري	داروغاباري	كوملا
٨٧	زين الدين داود كندي	داود كاندي	كوملا
٨٨	بابا شاه عين الدين	صدر	كوملا
٨٩	بابا خلتا	في مسجد شاه شجاع	كوملا
٩٠	شهيد سيد أحمد كيسو دراز	اكهورا خرم بور	كوملا
٩١	سيد الحاج حسام حيدر	لنكل كوت	كوملا
٩٢	شاه روشن علي	لنكل كوت	كوملا
٩٣	واجب علي شاه	بهولا	باريسال
٩٤	شاه داود	شاوكانديا	باريسال
٩٥	شاه شراغ	نال شيتي	باريسال
٩٦	نفيس الرحمن حق النوري	باريسال	باريسال
٩٧	قطب شاه	شارشنجارشنيشن	باريسال
٩٨	سيد العارفين	باقرغنج	بارسيال

للمزيد من المعلومات المفصلة يمكن المراجعة : كتاب الصوفيه في البنغال للدكتور انعام الحق ، حقائق التصوف في البنغال . للدكتور غلام ثقلين .

الفهارس

أولاً : فهرس الآيات الكريمة

ثانياً : فهرس الأحاديث الشريفة

ثالثاً : فهرس بأهم المصادر والمراجع

رابعاً : فهرس الموضوعات بالتفصيل





فهرس : الآيات الكريمة

* * * *

****

*****

**

ثانياً: فهرس الأحاديث الشريفة

*****

ثالثاً: المصادر والمراجع

****

****

المصادر العربية :

١ - القرآن الكريم:

٢ - الأحاديث النبوية الشريفة:

(أ)

٣ - عبدالعظيم شرف الدين:

إبن القيم الجوزية: عصره ومنهجه

مكتبة النهضة المصرية

٤ - عبد العزيز السلمان:

الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية

الطبعة الثامنة عشر ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م

٥ - جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى:

أساس البلاغة

تحقيق عبدالرحيم محمود

دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٦ - محمد محمد حسين:

الإسلام والحضارة الغربية

المكتب الإسلامى بيروت ط١، ١٩٧٩م

٧ - إحسان إلهى ظهير:

الإسماعيلية: تاريخ وعقائد

إدارة ترجمان السنة، لاهور- باكستان - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

٨ - على محفوظ:

الإبداع فى مضار الإبتداع:

المكتبة العلمية بالمدينة المنورة - ١٣٩١هـ

٩ - د/عائشة يوسف المناعى:

أبوحفص عمر السهروردى: حياته وتصوفه

دار الثقافة - الدوحة

١٠ - أبوحامد الغزالى:
إحياء علوم الدين
دار المعارف المصرية - القاهرة - ١٣٣٤هـ
١١ - زكى مبارك:
الأخلاق عند الغزالى
دار الكتاب العربى - مصر
١٢ - أنور الجندى:
أعلام الإسلام
دار الاعتصام - مصر
(ب)
١٣ - احسان إلهى ظهير:
البريلوية: عقائد وتاريخ
إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان
(ت)
١٤ - قاسم غنى:
تاريخ التصوف فى الإسلام
ترجمه من الفارسية: صادق نشأت
مكتبة النهضة المصرية - ١٩٧٠م
١٥ - عبدالرحمن بدوى:
تاريخ التصوف الإسلامى
دار العلم للملايين - بيروت
١٦ - إحسان حقى:
تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية
مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٢ - ١٣٩٨هـ

١٧ - د/أحمد محمود ساعاتى:
تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية
وزارة الثقافة والتربية - مصر
١٨ - إبن خلدون:
تاريخ إبن خلدون
دار الكتاب اللبنانى - بيروت ط٢ - ١٩٦١م
١٩ - الشيخ خضرى بك:
تاريخ التشريع الإسلامى:
المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
٢٠ - غوستاف لوبون:
تاريخ حضارات الهند
ترجمة: عادل زعيتر
مكتبة مصطفى الحلبى - مصر ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م
و دار احياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م
٢١ - مسعود الندوى:
تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند
دار العروبة - لاهور - باكستان
٢٢ - د/ فليب حتى:
تاريخ العرب
مكتبة النهضة العربية - مصر
٢٣ - أبو الأعلى المودوى:
تجديد الدين وإحياؤه
مكتبة الرسالة - بيروت
٢٤ - أبو الريحان البيرونى:
تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة من العقل أو مرذولة

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية -حيدر آباد- دكن-١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م

٢٥ - أبو الأعلى المودودى:

تذكرة دعاة الإسلام

مؤسسة الرسالة - بيروت

٢٦ - د/ زكى مبارك:

التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق

دار الجيل اللبنانية - بيروت

٢٧ - إحسان إلهى ظهير:

التصوف: المنشأ والمصادر

إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

٢٨ - عبدالقادر السندى:

التصوف فى ميزان البحث والتحقيق

مكتبة إبن القيم - المدينة المنورة - ط١ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

٢٩ - د/ عمر فروخ:

التصوف فى الإسلام

دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

ودار الفكر - بيروت ١٩٨١م

٣٠ - د/ محمد غلاب:

التصوف المقارن

مكتبة النهضة - مصر

٣١ - د/ مصطفى حلمى:

التصوف والإتجاه الفلسفى فى العصر الحديث

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية - مصر

ودار الاخوان للنشر - القاهرة - مصر

٣٢ - محمد فهر شفقه:
التصوف بين الحق والباطل
الدار السلفية للنشر والتوزيع - الكويت -ط٣ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
٣٣ - أبوبكر محمد الكلاباذى:
التعرف لمذهب أهل التصوف
تحقيق وتقديم: محمود أمين النواوى
مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ط١ - ١٣٨٨هـ
وتحقيق: د/ عبدالحليم محمود ود/ طه عبدالباقى
القاهرة - ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م
٣٤ - صديق حسن خان قنوجي:
تفسير فتح البيان فى قصص القرن
طبع جديد - القاهرة - ١٩٦٥م
٣٥ - إبن حجر العسقلانى:
تفسير غريب الحديث
دار المعرفة للطباعة - بيروت
٣٦ - عبدالرحمن إبن الجوزى:
تلبيس إبليس
إدارة الطباعة - دار الكتب العلمية - بيروت
٣٧ - د/ محمد غلاب:
التنسك الإسلامى: منشؤه وتطوره ومذاهبه
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة التعريف بالإسلام - القاهرة - مصر
٣٨ - إبن القيم الجوزية:
تهذيب مدارج السالكين
هذبه: عبد المنعم صالح العلى العزى
دار المطبوعات الحديثة - جدة

٣٩ - د/ مصطفى كامل:
حركات البعث الإسلامى [العنوان] الثقافة الإسلامية
المستوى الرابع - جامعة أم القرى
٤٠ - محمد قطب:
الثقافة الإسلامية
المستوى الرابع - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٣٩٦م
٤١ - محمد عبدالحى الحسينى:
الثقافة الإسلامية فى الهند
دمشق - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

(ج)

٤٢ - السهروردى:
جذب القلوب إلى مواصل المحبوب
مطبعة البهاء - حلب - سورية - ١٣٢٨هـ
٤٣ - جوده حسنين:
جغرافية آسيا الإقليمية
دار المعارف المصرية - ١٩٨٥م
٤٤ - محمود أبو الفيض المنوفى:
جمهرة الأولياء وأعلام التصوف
مؤسسة الحلبى وشركاه - القاهرة - ط١ - ١٩٦٧م
٤٥ - لوثروب ستوارد:
حاضر العالم الإسلامى - تعليق: الأمير شكيب أرسلان
دار الفكر - بيروت - ط٤ - ١٣٩٤م
٤٦ - د/ سعيد ناصر الغامدى
حقيقة البدع وأحكامها
مكتبة الرشيد - الرياض - ١٤١٢هـ - ١٩٨٤م

(د)

٤٧ – البستانى:

دائرة المعارف

دار المعرفة – لبنان

٤٨ – مجموعة من العلماء:

دائرة المعارف الإسلامية

تعريب: حمد الشناوى وإبراهيم زكى

٤٩ – سيد قطب:

دراسات إسلامية

دار الشروق – بيروت – ١٩٧٣م

٥٠ – د/ محمد جلال شرف:

دراسات فى التصوف الإسلامى

دار الطباعة الجامعية – الإسكندرية – ١٩٧٢م

٥١ – هاملتون جب:

دراسات فى حضارة الإسلام – ترجمة: عباس ورفاقه

مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٧٩م

٥٢ – أحمد فخرى:

دراسات فى تاريخ الشرق القديم

مكتبة الانجلو – مصر – ١٩٦٣م

٥٣ – د/ محى الدين الألوى:

الدعوة الإسلامية وتطورها فى شبه القارة الهندية

دار القلم – دمشق – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م

٥٤ – محمد الغزالى:

الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر

مطبعة دار الاخوان – مصر

(ر)

٥٥ - عبدالكريم القشيرى:

الرسالة القشيرية

دار الكتب الحديثة - القاهرة - مصر

٥٦ - رسائل اخوان الصفا:

دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - ١٣٧٧هـ - ١٩٥٩م

٥٧ - لسان الدين إبن الخطيب:

روضة التعريف بالحب الشريف

دار الفكر العربى - بيروت - ١٩٨٦م

٥٨ - محمد قطب:

رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر

دار الوطن للنشر والتوزيع - الرياض - ط١ - ١٣١١هـ - ١٩٩١م

(ش)

٥٩ - محمد خليل الهراس:

شرح العقيدة الواسطية

مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ط٤

٦٠ - إبن أبى العز:

شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق: أحمد شاكر

مطبعة العاصمة - شارع الفلك - مصر

٦١ - عبدالرحمن الجامى:

شرح الجامى للكافية

مطبعة الرحيمية - دلهى - الهند

٦٢ - بدران أبو العينين:

الشريعة الإسلامية

مؤسسة شباب الجامعة - القاهرة

(ص)

٦٣ - الجوهرى:

الصحـــــاح

تحقيق: عبدالغفور عطار

٦٤ - د/ كامل الشيبى:

الصلة بين التصوف والتشيع

٦٥ - د/ سميح عاطف الزين:

الصوفية فى نظر الإسلام

دار الكتاب اللبنانى ودار الكتاب المصرى

٦٦ - د/ سعيد حسين نصر:

الصوفية بين الأمس واليوم

ترجمة: كمال يازجى

الدار المتحدة للنشر والتوزيع - بيروت - ط١ - ١٩٧٥م

(ض)

٦٧ - أحمد أمين:

ضحى الإسلام

دار الكتاب العربى - بيروت - ط١ - ١٩٦٩م

(ط)

٦٨ - الشعرانى:

الطبقـــات الكبرى

٦٩ - إبن الملقن:

طبقات الأوليــــاء

٧٠ - يسرى عبدالرزاق الجوهرى:

العالم الإسلامى فى آسيا وأفريقيا

مكتبة النهضة المصرية - مصر

٧١ - عبدالقاهربن عبدالله السهروردى:
عوارف المعارف
دار الكتاب العربى - بيروت - ط٢ - ١٤٠٣هـ
٧٢ - د/ يوسف القرضاوى:
العبادة فى الإسلام
مكتبة الوهبة - القاهرة - مصر - ط١٥- ١٤٠٥هـ
٧٣ - إبن تيمية:
العبوديـــــــــة
دار الكتاب اللبنانى - بيروت - ١٣٩٢هـ
٧٤ - أحمد المبازكفورى:
العرب والهند فى عهد الرسالة
المطبعة العثمانية - دلهى
والهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٣م
٧٥ - جورج فضلو الحورانى:
العرب والملاحة فى المحيط الهندى
ترجمة: يعقوب بكر - مكتبة الانجلو - مصر - ١٩٥١م
٧٦ - د/ سفر بن عبدالرحمن الحوالى:
العلمـــــانيــــــة
دار مكة للطباعة والنشر - جامعة أم القرى
(ف)
٧٧ - الشيخ/ أحمد بن عبدالرحمن البنا:
الفتح الربانى لترتيب مسند أحمد
٧٨ - محمد على الشوكانى:
فتح القدير
مطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - مصر

٧٩ - البلاذرى:

فتوح البلدان

مكتبة النهضة المصرية - القاهرة

٨٠ - عبد القادر الجيلانى:

فتوح الغيب

٨١ - محى الدين إبن عربى:

الفتوحات المكية

٨٢ - أحمد أمين:

فجر الإسلام

دار الكتاب العربى - بيروت - ط١ - ١٩٦٩م

٨٣ - عبدالقادر طاهر البغدادى:

الفرق بين الفرق

دار المعرفة - بيروت

٨٤ - إبن تيمية:

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

مكتبة دار القلم - بيروت - ١٤٠١هـ

٨٥ - محى الدين إبن عربى:

فصوص الحكم - تحقيق: أبو العلا العفيفى

دار الكتاب العربى - بيروت - ط٢ - ١٤٠٠هـ - ١٩٨١م

٨٦ - د/ أحمد شلبى:

الفكر الإسلامى: منابعه وآثاره

مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٨٧م

٨٧ - عبدالرحمن عبد الخالق:

الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة

مكتبة إبن تيمية - الكويت - ط٣ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

٨٨ - د/ عبدالقادر محمود:
الفلسفة الصوفية فى الإسلام
مطبعة المعرفة - القاهرة - ط١ - ١٩٦٦م
٨٩ - د/ محمد غلاب:
الفلسفة الشرقية
مكتبة الانجلو المصرية
٩٠ - نيكلسون:
فى التصوف الإسلامى وتاريخه
دار القلم - لبنان

(ق)

٩١ - إبن تيمية:
قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة
المكتبة الإسلامية - بيروت - ١٩٧٠م
٩٢ - مجد الدين فيروز آبادى:
القاموس المحيط
مكتبة مصطفى الحلبى - القاهرة - ط٣ - ١٣٧١هـ - ١٩٥٠م
٩٣ - أحمد عطية:
القاموس الإسلامى
مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٣م
٩٤ - أبو العباس محمد زروق:
قواعد التصوف
مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة
٩٥ - أبوطالب المكى:
قوت القلوب
دار الهضة المصرية - ١٣٩١هـ

٩٦ - جمال الدين الشاذلى:

قوانين حكم الإشراق

مكتبة الكليات الأزهرية - ط١ - ١٩٦١م - القاهرة

(ك)

٩٧ - الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

كتاب التوحيد

تعليق: الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ

الرياض - ١٤٠٨هـ

٩٨ - الشريف الجرجانى:

كتاب التعريفات

الدار التونسية للنشر/ دار الكتب العلمية - لبنان - ط٩ - ١٤٠٣هـ

٩٩ - محمد عبد الجبار النفرى:

كتاب المواقف وكتاب المخاطبات

مكتبة الخانجى - القاهرة - ط١ - ١٩٥١م

١٠٠ - أبوالنصر السراج الطوسى:

كتاب اللمع

دار الكتب الحديثة - طبع ليدن -١٩٣٤م

على الهجويرى:

كشف المحجوب

دراسة وترجمة:د/ سعاد عبدالهادى قنديل

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة التعريف - القاهرة

(م)

١٠٢- أبو الحسن على الندوى:

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

الإتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية - ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م

١٠٣- إبن تيمية:
مجموع الفتاوى
ترتيب: عبدالرحمن بن محمد قاسم
مكتبة المعارف - الرباط - المغرب

١٠٤ - إبن تيمية:
مجموعة الرسائل والمسائل
مطبعة المنار - القاهرة - ١٩٤٩م

١٠٥ - أحمد بن حجر بن محمد آل طامى:
الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية
من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - ط٢ - الرياض

١٠٦ - مسعود عالم الندوى:
محمد بن عبالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه
مطبعة زمزم - ط١ - ١٩٧٧م

١٠٧ - عبد القادرالرازى:
مختار الصحاح
دار الفكر - بيروت

١٠٨ - إبن القيم
مدارج السالكين

١٠٩ - سعيد حوى:
المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين
المكتبة العلمية - بيروت - ط٣ - ١٩٨٠م

١١٠ - أبوالأعلى المودودى:
المصطلحات الأربع فى القرآن
دار الكتاب العلمى - القاهرة - ١٩٧٣م

١١١ - أبو الفيض محمود المنوفى:
معالم الطريق إلى الله
دار النهضة المصرية - القاهرة
١١٢ - جبران مسعود:
معجم الرائد
دار العلم للملايين - لبنان
١١٣ - ادوارد فون زامباوه:
معجم الأنساب والأسرة الحاكمة فى التاريخ الإسلامى
مطبعة جامعة فؤاد الأول - ١٩٥١م
١١٤ - كمال الدين أبوالفضل المنوفى:
معرفة التصوف والصوفى
تحقيق د/ محمد عيسى
مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع - الكويت
ط١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
١١٥ - د/ أحمد شلبى:
مقارنة الأديان
مكتبة النهضة المصرية - ط٤ - ١٩٧٦م
١١٦ - إبن الفارس:
مقاييس اللغة
١١٧ - إبن خلدون:
المقدمـــــــــة
مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت
١١٨ - الشيخ أحمد الفاروق السرهندى:
المكتـــــوبات
طبع استانبول - تركيا

١١٩ - د/ عبدالمنعم الشرقاوى:
ملامح الهند والباكستان
دار المعارف المصرية - القاهرة - ١٣١٧هـ - ١٩٥٢م
١٢٠ - عبدالكريم أحمد الشهرستانى:
الملل والنحـل
تحقيق: محمد سعيد الكيلانى
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
١٢١ - إبن تيمية:
منهاج السنة النبوية
١٢٢ - محمد قطب:
منهج التربية الإسلامية
دار الشروق - بيروت - ط٤ - ١٩٨٣م
١٢٣ - إبن الجوزى القرشى:
الموضوعات
دار الفكر - بيروت -١٩٦٦م
١٢٤ - د/ أحمد البنانى:
موقف إمام إبن تيمية من التصوف والصوفية
كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - ط٢ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
١٢٥ - مجموعة من العلماء:
الموسوعة الميسرة العربية
دار القلم - بيروت

(ل)

١٢٦ - إبن منظور:
لسان العرب
الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة

(و)

١٢٧ - محمد قطب:

واقعنا المعاصر

مؤسسة المدينة للطباعة - جدة - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م و دار الشروق - جدة

١٢٨ - د/ إبراهيم بسيوني:

نشأة التصوف الإسلامي

دار المعارف المصرية - القاهرة

١٢٩ - د/ عرفان عبدالحميد:

نشأة فلسفة التصوف وتطورها

المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٤هـ

١٣٠ - سيد شريف الدين بير زاده:

نشأة باكستان

تعريب: عادل صلاحي

الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة - ١٩٦٩م

١٣١ - عبدالحي الحسني:

نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الهند

١٣٢ - عبد الرحمن دمشقية:

النقشبندية: عرض وتحليل

دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

المصادر البنغالية :

١ - د/ انعام الحق:

الأدب البنغالى [بنغلا شاهيتو]

كلكتا - ١٩٣٥م

٢ - فريد الدين شكر غنج:

أسرار الأولياء

نقله إلى البنغالية: محمد عبدالجليل

مكتبة الفردوس - دهاكا - ط٣ -١٣٩٢هـ

٣ - عبد المنان طالب:

الإسلام فى بنغلاديش [بنغلاديشى إسلام]

المؤسسة الإسلامية - دهاكا - ط١ - ١٩٨٠م

٤ - محمد عبدالخالق:

بنغلاديش والقومية البنغالية [بنغلاديش وبنغاله جانوباد]

مركز الكتب - دهاكا - ١٩٧٧م

٥ - شويرا كاش راى:

حركة التمرد فى الفلاحين بالهند [بهارتى كريشوك بدروهو]

كلكتا - الهند - ط١ - ١٩٨٠م

٦ - د/عبدالكريم:

تاريخ الثقافة الاجتماعية فى البنغال [بنغالار شماجيك شنكسرتى كريشتى]

مجمع الأدب البنغالى - دهاكا - ١٩٨٧م

٧ - السيد بونيكر:

تاريخ الهند القديم [براتون بهارتيرايتى هاش]

[إيتى هاش بروكاشــــونى]

كلكتا - ١٩٦٦م

٨ - محمد اكرم خان:
تاريخ المجتمع الإسلامى البنغالى [مسلم بنغالار شماجيك ايتى هاش]
مطبعة آزاد - ط١ - ١٩٦٣م
٩ - روميش شندرا موجومدار:
تاريخ بنغلاديش [بنغالار إيتى هاش]
كلكتا - ١٩٥٦م
١٠ - روميش شندرا موجومدار:
تاريخ بنغلاديش فى العصور القديمة والوسطى
[بنغلاديشير إيتى هاش براجين جوك ومدهو جوك]
كلكتا - ١٩٥٦م
١١ - د/ انعام الحق:
تاريخ دعاة الإسلام فى البنغال [بنغالاى اسلام بروجارك دير إيتى هاش]
المؤسسة الإسلامية - دهاكا - ١٩٦٦م
١٢ - د/ عبدالكريم:
تاريخ الحكومات الإسلامية فى شبه القارة الهندية
[بهارت أوبو مهاديشى مسلم شا شو نير إيتى هاش]
١٣ - شرى كويلاش شندرا شين:
تاريخ تريبوره [تريبورار إيتى هاش]
بوئى بيتان - دهاكا - ١٨٧٦م
١٤ - جدونات شركار:
تاريخ البنغال [بنغالار إيتى هاش]
أُدرشو لايبريرى - دهاكا
١٥ - ذوالفقار أحمد قسمتى:
تاريخ علماء الهند [بهارت بورشير علماء إيتى هاش]
برغوتى بروكا شونى - دهاكا - ١٩٨٨م

١٦ - د/ عبدالحى:
تاريخ الأدب البنغالى [بنغالار شاهيتر إيتى بريتو]
المجمع الإسلامى - دهاكا - ١٩٦١م
١٧ - الأستاذ/ غلام ثقلين:
تذكرة علماء المسلمين فى بنغلاديش [بنغلاديشير صوفى شادهوك]
المؤسسة الإسلامية - دهاكا - ١٩٨٢م
١٨ - فريدالدين العطار:
تذكرة الأولياء [اولياء كاهينى]
المكتبة العلمية - دهاكا - بدون تاريخ
١٩ - د/ عبدالكريم:
الإسلام فى تشيتا كونغ [تشيتو كرامى اسلام]
المركز الثقافى الإسلامى - تشيتا كونغ - ط١ - ١٩٧٩م
٢٠ - بروفسور غلام اعظم:
الحركة الإسلامية فى بنغلاديش [بنغلاديشى اسلامى اندولون]
اسلامك ببليكيشنز - دهاكا - ط٢ - ١٩٧٩م
٢١ - الأستاذ غلام ثقلين:
حقائق التصوف فى البنغال [بنغالاى صوفى توتهو]
المؤسسة الإسلامية - دهاكا - ١٩٥٢م
٢٢ - عبدالقادر عبدالحى:
حقائق عن التصوف [صوفى توتهو]
نور جهان ببليكيشنز - دهاكا ١٩٥٢م
٢٣ - ذوالفقار أحمد قسمتى:
خدمات العلماء المسلمين فى حركة الاستقلال
[شادهينو تا اندولونى مسلمان علماء اوبودان]
دار النشر والتوزيع الحديثة - دهاكا - ١٩٨٤م

٢٤ - اشرف على تهانوى:
روح التصوف [روح تصوف]
مكتبة حافظية - دهاكا - بدون تاريخ
٢٥ - غلام محمد سليم:
رياض السلاطين [رياض السلاطين]
كلكتا - ١٩٤٩م
٢٦ - شودرى شمس الرحمن:
حقائق عن التصوف [صوفى تو تهير مورمو كوتها]
جمعية البحوث الإسلامية الباكستانية - دهاكا - ١٩٥٧م
٢٧ - دبّى بروشاد تشتو بودهاى:
الفلسفة الهندية [بهارتيو دورشن] - لكتا - ١٩٣٠م
٢٨ - مجموعة من أساتذة الجامعة:
مختصر علوم الإجتماع [شنكهبتوشماج بيكان]
جامعة دهاكا - ١٩٨٣م
٢٩ - نور محمد الأعظمى:
مذكرات نورمحمد الأعظمى [نور محمد اعظمير روجونا بولى]
المؤسسة الإسلامية - دهاكا - ١٩٨٤م
٣٠ - محمد أبوبكر الصديق:
مرآة التصوف [صوفى درشون]
دهاكا - بنغلاديش
٣١ - د/عبدالحى ود/ على احسن:
منهل الأدب البنغالى [بنغلاشاهيتر إيتى بريتو]
مجمع الأدب البنغالى - دهاكا - ١٩٦٧م
٣٢ - محمد ولى الله:
نضالنا لأجل الاستقلال [امادير مكنى شنكرام]

المصادر الأردية :

١ - سيد اسعد كيلانى:

تاريخ الجماعة الإسلامية [تاريخ جماعت اسلامى]

مكتبة المنار المركزية - منصوره - لاهور - ١٩٨٢م

٢ - شاه ولى الله الدهلوى:

التفهيمات الإلهية [تفهيمات الهيه]

المجلس العلمى - دهلى - ١٣٥٥هـ

٣- اشرف على تهانوى:

التكشف فى مهمة التصوف

مكتبة رحمانيه - كراتشى - باكستان

٤ - سيد اسعد كيلانى:

الدعوة الإسلامية عبر التاريخ [تاريخ كى روشنى من دين كى دعوت]

مكتبة الأدب الإسلامى - منصوره - لاهور - ١٩٨٠م

٥ - شاه ولى الله الدهلوى:

شفاء العليل

المجلس العلمى - دهابيل - الهند

٦ - إبن بطوطة:

عجائب الأسفار [سفرنامه إبن بطوطة]

المكتبة الإسلامية - دلهى - ١٩٦٧م

٧ - د/ محمد اسحاق:

علم الحديث فى الهند وباكستان [علم حديث مين باك وهند كا حصه]

اداره ثقافت اسلامية - لاهور - ١٩٧١م

٨ - شاه عبدالعزيز الدهلوى:

فتاوى عزيزية

كتبخانه رحمانية - دلهى

٩ - فريد الدين شكر غنج:
فوائد السالكين
المكتبة النورانية - دلهى
١٠ - شاه ولى الله الدهلوى:
القول الجميل
مكتبة رحمانية - دلهى - ١٩٣٠م
١١ - أبوالحسين على الندوى :
الشيخ محمد الياس ودعوته
مكتبة محموديه - راى وند - لاهور
١٢ - الشيخ بديوانى:
منتخب التاريخ من الهند [انتخاب تاريخ بهارت مين]
مكتبة عثمانية - ط٢ - دلهى

المصادر الفارسية :

١ - شاه عبدالعزيز الدهلوى:
فيوض الحرمين الشريفين
مطبعه عزيزيه - دلهى
٢ - شرف الدين يحى المنيرى:
مكتوبات صدى
كتبخانه رحمانيه - دلهى - ١٢٨٧هـ
٣ - شاه ولى الله الدهلوى:
همعـــات
المطبعة الإسلامية - دلهى - الهند - بدون تاريخ

المراجع والمصادر الإنجليزية :

1- Dr. Moinuddin
The Gret Revoltion of 1857 in India & Bangali Muslim Dhaka.
1976

2-The Indian Muslims : السيد ويليام هنتر
ط١، لندن . ١٩٤٠م

3- Bengal District Gazzett Rajshi.
Calcutta.
A memories of gua & pandua.(Govt. of Bengal)
1863

4- T. W. Arnold
The preaching of Islam.
Calcutta.

5- Abdul Ghani
A History of persia Language & Literature.
Calcutta.

6- The Contribution of the geography & History,
Calcutta.

7- Gammes Haslings.
Ency clopedia of Religion & Ethis, Vol. XL-Washington.

8- Gournal of the Asiatgne Society of Bengal India.

9- Willium Hunter
The Indian Muslims Calcutta.
1915

10- Atolana
Caltural, Fellwship INDIA.

11- Sir Sam Sharma INDIA
The Religius of the mughal Emperos.

12- S. N. INDIA
Studues in India

13-Dr. Enamul Hoque
A History of Sufism in Bengal Calcutta.

14- The Statement year Book- 1982-83
LONDON

الصحف و المجلات :

١ - صحيفـــــة انقلاب البنغالية: [بنغاليـة]
٣ يونيو - دهاكا - ١٩٨٢م
٢ - مجلــــــــــــة المدينة: [بنغاليـة]
العدد الثالث - السنة ٢٢ - مارس ١٩٨٦م - دهاكا
٣ - مجلــــــــــــة تهانه بهون: [أرديـة]
شوال ١٣٣٥هـ - دلهى
٤ - مجلــــــــــــة البرهان: [أرديـة]
فبراير ١٩٥٢م
٥ - مجلة جان جاى دن الأسبوعية: [بنغالية]
العدد ١٩٩٤/١/٤م - دهاكا
٦ - مجلــــــــــــة شان دُى : [انجليزية]
الأسبوعية شبه الحكومة١٩٩٤/١/٤م-دهاكا
٧ - مجلـــــة عالم المعرفة (١٧٣):[عربية]
المعتقدات الدينية لدى الشعوب
المجلس الوطنى الكويتى - ١٩٩٣م

رابعاً : فهرس الموضوعات

****

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصحفة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * * * * * * * * * * * * *

* * * * *

*